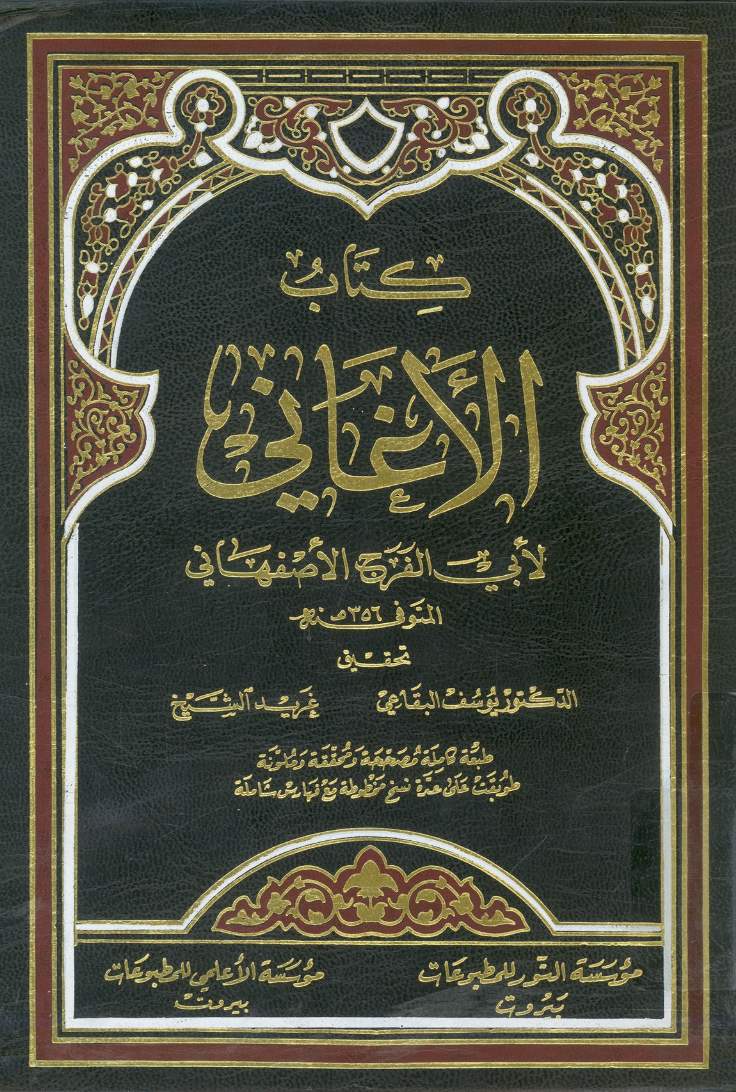
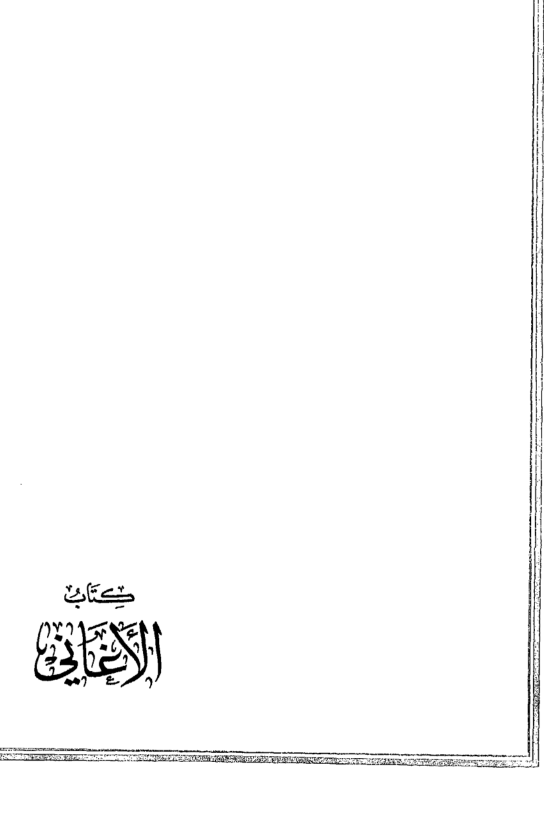
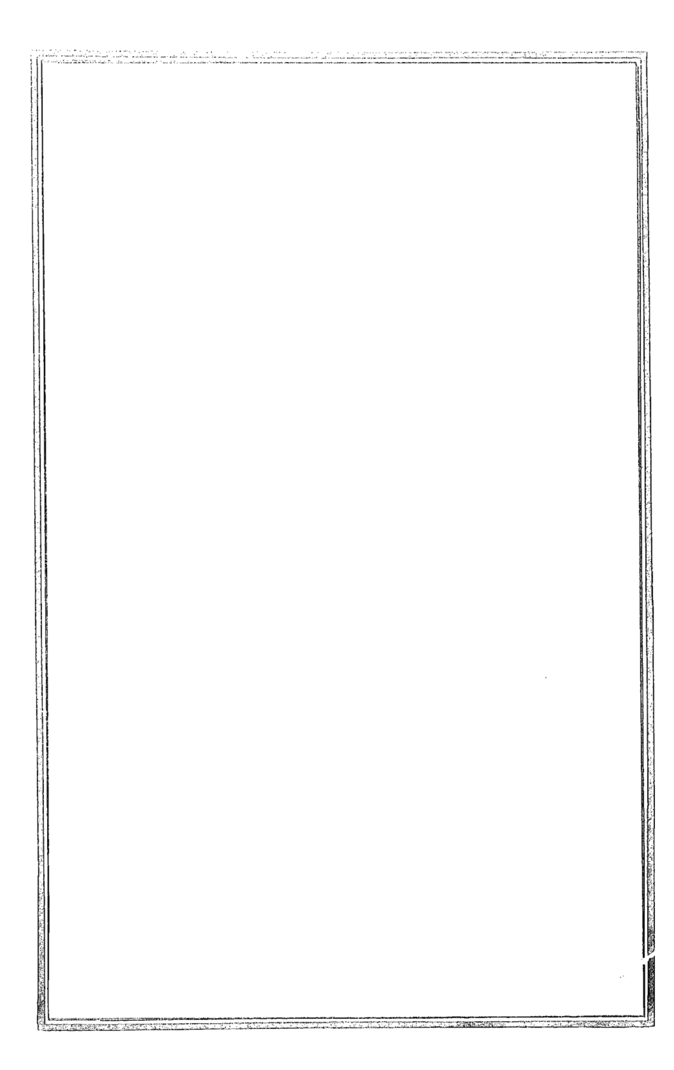

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


كتاب
الأغاني



كتاب

الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي   غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الرابع

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

[١٣٠ ـ ٢١١ هـ/٧٤٨ ـ ٨٢٦ م]

[اسمه ونسبه ونشأته]

أبو العَتَاهِيَة لَقَبٌ غَلب عليه. واسمه إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد بن كَيْسان، مولى عَنَزة، وكنيتُه أبو إسحاق، وأُمّه أُمّ زيد بنت زِيَاد المُحَارِبيّ مولى بني زُهْرة؛ وفي ذلك يقول أبو قابُوس النَّصْرانيّ وقد بلغه أنّ أبا العتاهية فَضَّلَ عليه العتَّابيّ: [مجزوء الكامل]

قُلْ لِلْمُكَنِّي نَفْسَهُ ... مُتَخَيِّراً بِعَتَاهِيَهْ
والمرسِلِ الكَلِمَ القبيـ ... ـحَ وَعَتْهُ أُذُنٌ وَاعِيَهْ
إنْ كنتَ سِرًّا سُؤْتَني ... أو كان ذاكَ عَلانِيَهْ
فعليكَ لعنةُ ذِي الجلا ... لِ وأُمُّ زيدٍ زانِيَهْ

ومنشؤه بالكوفة. وكان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملة المخنّثين، ثم كان يبيع الفخّار بالكوفة، ثم قال الشّعر فبرع فيه وتقدّم. ويقال: أطبعُ النّاس بَشّار والسّيد وأبو العتاهية. وما قدَرَ أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاث لكثرته. وكان غزيرَ البحر، لطيفَ المعاني، سهلَ الألفاظ، كثيرَ الافتنان، قليلَ التكلّف، إلا أنه كثيرُ الساقط المرذول مع ذلك. وأكثرُ شعره في الزّهد والأمثال. وكان قوم من أهل عصره ينسبُونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجّون بأنّ شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشُور والمَعَاد. وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدّمه الأوائلُ فيها. وكان أبخلَ الناس مع يَساره وكثرة ما جمعه من الأموال.

[لقبه وأصله]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ[١] قال: أخبرني محمد بن موسى بن حَمّاد قال: قال المهديّ يوماً لأبي العتاهية: أنتَ إنسانٌ مُتحذلِقٌ مُعَتَّهٌ[٢]. فاستوتْ له من ذلك كنيةٌ غلَبتْ عليه دون اسمه وكنيتهِ، وسارت له في الناس. قال: ويقال للرجل المتحذلق: عَتَاهِيةٌ، كما يقال للرجل الطّويل: شَنَاحِيةٌ. ويقال: أبو عَتَاهية، بإسقاط الألف واللاّم.

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال: أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال: كُنِيَ بأبي العتاهية أنْ كان يحبّ الشّهرةَ والمُجُونَ والتَّعتُّه. وبلدُه الكوفةُ وبلد آبائه، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه.

قال محمد بن سَلاَّم: وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلَهم من عَنَزة، وأن جَدّهم كَيْسان كان من أهل عَيْن التَّمْر[٣]، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسان جَدُّهم هذا يتيماً صغيراً يكفُله قَرَابةٌ له من عَنَزة، فسباه خالدٌ مع جماعة صبيانٍ من أهلها، فوجّه بهم إلى أبي بكر، فوصلوا إليه وبحَضْرته عَبَّادُ بن رِفاعَة العَنَزيّ بن أَسَد بنَ ربيعة بن نِزَار، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصّبيانَ عن أنسابهم فيُخبره كلُّ واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كَيْسانَ، فذكر له أنه من عَنَزة. فلمّا سمعه عَبّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان خالصاً له، فوهبه له، فأعتقه، فتوَلّى عَنَزةَ[٤].

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال: حَدَّثنا الحَسَن بن عُلَيل العَنزِيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحجَّاج الجَلاَّنِيّ الكُوفيّ قال: حَدَّثني أبو دُوَّيْل مُصْعَب بن دُوَّيل الجَلاَّنيّ، قال: لم أرَ قطُّ مَنْدَل بن عليّ العَنَزِيّ وأخاه حَيَّانَ بن عليّ غَضِبا من شيءٍ قطُّ إلا يوماً واحداً؛ دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضَمَّخٌ بالدّماء، فقالا له:

---

(١) محمد بن يحيى الصولي: ويعرف بالشطرنجي، من أكابر علماء الأدب. له تصانيف كثيرة (ت ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م) ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٥٠٨ والنجوم الزاهرة ٣: ٢٩٦ وتاريخ بغداد ٣: ٤٢٧.

(٢) المتحذلق: الذي يريد أن يزداد على قدره ويتظرّف ويتكيّس. والمُعَتَّه: المضطرب في خَلْقِه. والعتاهية: الحُمْق والضلال.

(٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ. (معجم البلدان ٤: ١٧٦).

(٤) تَوَلّى: اتّخذهم أولياء له.

وَيْحَك! ما بالُكَ؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا له: أنتَ أخونا وابنُ عمِّنا ومولانا. فقال: إنّ فلاناً الْجَزّار قَتَلني وضربني وزعم أنّي نَبَطِيٌّ، فإن كنتُ نبطيّاً هربتُ على وجهي وإلاّ فقوما فَخُذَا لِي بحقّي. فقام معه منْدَل بن عليّ وما تعلَّقَ نَعْلَه[١] غضباً، وقال له: والله لو كان حقُّكَ على عيسى بن موسى لأخذتُه لك منه؛ ومَرَّ معه حافياً حتى أخذَ له بحقّه.

أخبرني الصُّوليّ قال: حَدَّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمرَ ابن معاوية عن جُبَارة بن المُغلِّس الحِمَّانيّ قال: أبو العتاهية مولَى عَطَاء بن مِحْجَن العَنَزِيّ.

[عملُه وعملُ أهله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: قال أبو عوْن أحمد بن المُنجِّم أخبرني خِيَارٌ الكاتب قال: كان أبو العتاهية وإبراهيمُ الموصلي من أهل المَذار[٢] جميعاً، وكان أبو العتّاهية وأهلُه يعمَلون الجِرَارَ الخُضْرَ، فقَدِما إلى بغداد ثم افترَقا؛ فنزل إبراهيم الموصليّ ببغدَاد، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ. وذُكر عن الرِّياشيّ أنه قال مثلَ ذلك، وأن أبا أبي العتاهية نقله إلى الكوفة.

قال محمد بن موسى: فولاءُ أبي العتاهية من قِبَل أبيه لعَنزة، ومن قِبَل أُمّه لبني زُهْرة، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتْبة بن أبي وَقّاص، وكانت أُمّه مَولاةً لهم، يقال لها أُمّ زيد.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا محمد بن مَهْرُويه قال: قال الخليل بن أَسَد: كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول: أبو إسحاق الخَزّاف. وكان أبوه حَجّاماً من أهل ورجة[٣]؛ ولذلك يقول أبو العتاهية:

---

(١) ما تعلّق نعله: لم يلبس نعلَه.

(٢) المذار: في مَيسان بين واسط والبصرة، وكان عتبة بن غزوان قد فتحها في أيام عمر بن الخطاب، وفيها قبر عبد الله بن علي بن أبي طالب. (معجم البلدان ٥:٨٨).

(٣) لا يوجد هذا الاسم في معاجم البلدان، أو في معجم ما استعجم فيوجد اسم (ودج): اسم موضع وكذلك في اللسان.

[الطويل]

أَلاَ إِنَّمـا الـتَّـقْـوَى هـو الـعِـزُّ والـكَـرَمْ وحُـبُّـكَ لِـلـدُّنـيـا هـو الـفَـقْـرُ والـعَـدَمْ

ولـيـس عـلـى عَـبْـدٍ تَـقِـيٍّ نَـقِـيـصَـةٌ إذا صَحَّحَ التَّقْوَى وإِن حاكَ أو حَجَمْ

[ردّه على رجل من كنانة فاخره]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدّثنا الغَلابيّ قال: حدَّثنا محمد بن أبي العتاهية قال: جاذب رجلٌ من كِنانةَ أبا العتاهية في شيء، ففخرَ عليه الكِنَانيّ واستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهية: [الرجز]

دَعْـنِـي مـن ذِكْـرِ أبٍ وجَـدٍّ ونَـسَـبٍ يُـعْـلِـيـكَ سُـورَ الـمَـجْـدِ

مـا الـفـخـرُ إلا فـي الـتُّـقَـى والـزُّهـدِ وطـاعـةٍ تُـعـطـي جِـنَـانَ الـخُـلْـدِ

لا بُـدَّ مـن وِرْدٍ لأهـلِ الـوِرْدِ إمّـا إلـى ضَـحْـلٍ وإمّـا عِـدِّ[1]

[مذهبه وآراؤه الدينية]

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حَرْب قال: كان مذهب أبي العتاهية القولَ بالتوحيد، وأنّ اللّهَ خلقَ جوهرين متضادّين لا من شيء، ثم إنه بَنَى العالَمَ هذه البِنْية منهما، وأن العالَم حديثُ العين والصّنعة لا مُحدِثَ له إلا الله، وكان يزعم أنّ الله سيُردُّ كلَّ شيء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفْنَى الأعيانُ جميعاً. وكان يذهب إلى أن المعارف واقعةٌ بقَدْر الفكر والاستدلال والبحث طِباعاً. وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب، ويتشيّعُ بمذهب الزّيدية البَتْرِيّة[2] المبتدعةِ، لا يتنقَّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروجَ على السّلطان. وكان مُجَبِّراً[3].

قال الصُّوليّ: فحدّثني يَمُوتُ بن المُزَرِّع قال: حدّثني الجاحظ قال: قال أبو العتاهية لثُمَامةَ بين يَدي المأمون ـ وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجبار ـ:

---

(١) الضَّحْل: الماء القليل الذي لا عمق له في الأرض. والعِدُّ: الماء الجاري الذي لا ينقطع.

(٢) الزيدية: فِرقة تنتسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهي تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ولا تجيزها في غيرهم. والبترية: فرقة من الزّيدية تنتسب إلى كثير النوى الأبتر، وعليٌّ بالنسبة إليهم هو الأفضل بعد رسول الله ﷺ. انظر الملل والنِّحَل ص ١١٥.

(٣) المجبِّر: الذي يقول بالجبرية وهو المذهب الذي يقول إن الإنسان مُسَيَّرٌ لا مخيَّر.

أسألك عن مسألة. فقال له المأمون: عليكَ بشعرِكَ. فقال: إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمرَه بإجابتي! فقال له: أَجِبْه إذا سألك. فقال: أنا أقول: إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرٍّ فهو من الله، وأنتَ تأبى ذلك، فمن حرَّكَ يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها. فقال له ثُمامة: حرّكها مَنْ أُمُّه زانية. فقال: شتَمَني والله يا أمير المؤمنين. فقال ثمامةُ: ناقض الماصُّ بَظْر أُمّه والله يا أمير المؤمنين! فضحِكَ المأمون وقال له: ألم أقل لك أن تَشْتَغِلَ بشِعرك وتدعَ ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقيني بعد ذلك فقال لي: يا أبا مَعْن، أمَا أغناك الجواب عن السَّفَهِ؟! فقلت: إنَّ مِنْ أَتَمِّ الكلامِ ما قطع الحجّة، وعاقبَ على الإساءة، وشَفَى من الغيظ، وانتصرَ من الجاهل.

قال محمد بن يحيى وحدّثني عَون بن محمد الكِنْدِيّ قال: سمعتُ العبّاس بن رُسْتم يقول: كان أبو العتاهية مُذَبْذباً في مذهبه: يعتقد شيئاً، فإذا سمع طاعِناً عليه ترك اعتقاده إيّاه وأخذ غيره.

حدّثني أحمد بن عُبَيد اللّه بن عَمّار قال: حَدَّثني ابن أبي الدّنيا قال: حدّثني الحُسَين بن عبد ربه قال: حدّثني عليُّ بن عُبيدة الرَّيْحانيّ قال: حدّثني أبو الشَّمَقْمَق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخَنَّثِين، فقلت له: أَمِثْلُكَ يضعُ نفسه هذا الموضعَ مع سِنِّكَ وشِعْرِكَ وقَدْرِكَ؟! فقال له: أُريد أن أتعلَّمَ كِيَادَهم، وأتحفّظَ كلامهم.

[قيامه بحجامة الفقراء بعد تنسّكه]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشْر بن المُعْتَمِر قال يوماً لأبي العتاهية: بلغني أنّك لمّا نَسَكْتَ جلستَ تحجُمُ اليتامى والفقراءَ للسبيل، أكذلك كان؟ قال: نعم. قال له: فما أردتَ بذلك؟ قال: أردتُ أن أضعَ من نفسي حَسْبَما رفعتْني الدّنيا، وأضعَ منها لِيَسقُطَ عنها الكِبْرُ، وأكتسبَ بما فعلتُه الثوابَ، وكنت أحجِمُ اليتامى والفقراء خاصّة. فقال له بشر: دَعْني من تذليلك نفسَك بالحِجامة؛ فإنّه ليس بحُجّة لك أن تؤدّبها وتُصْلِحَها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك؛ أُحبّ أن تُخبرني هل كنتَ تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجُمه إلى إخراج الدّم؟ قال: لا. قال: هل كنت تعرف مقدارَ ما يحتاجُ كلّ واحد منهم إلى أن يُخرجه على قَدْر طبعه، مما إذا

زدتَ فيه أو نَقصت منه ضَرّ المحجومَ؟ قال: لا. قال: فما أُراكَ إلا أردتَ أن تتعلّم الحِجامَةَ على أقْفاء اليتامى والمساكين!.

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حدّثنا أبو ذَكْوان قال: حَدَّثنا العبّاس ابن رُسْتم قال: كان حَمْدُويه صاحبُ الزّنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية، ففزع من ذلك وقعدَ حجّاماً.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: قال أبو دِعَامة عليّ بن يزيد: أُخبر يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نَسَكَ، وأنه جلس يحجُم النّاسَ لِلأَجْرِ تَوَاضُعاً بذلك. فقال: ألم يكن يبيع الجِرَارَ قبل ذلك؟ فقيل له: بلى. فقال: أمَا في بَيْع الجِرار من الذُّلّ ما يكفيه ويَسْتَغْني به عن الحجامة!

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني شيخ من مشايخنا قال: حدّثني أبو شُعَيب صاحب ابن أبي دُوَاد قال: قلت لأبي العتاهية: القرآنُ عندكَ مخلوقٌ أم غير مخلوق؟ فقال: أسألتَني عن الله أم عن غير الله؟ قلتُ: عن غير الله، فأمسك. وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجوابَ، حتى فعل ذلك مراراً. فقلت له: ما لك لا تُجيبني؟ قال: قد أجبتُك ولكنّك حِمار.

[صفاته وصنعته]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدَّثنا شيخ من مشايخنا قال: حَدَّثني محمد بن موسى قال: كان أبو العتاهيةَ قَضِيفاً[١] أبيضَ اللون، أسودَ الشعر، له وَفْرة[٢] جَعْدة، وهيئة حسنة ولَبَاقة وحَصَافة، وكان له عَبِيد من السُّودان، ولأخيه زيدٍ أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف في أَتُّون[٣] لهم؛ فإذا اجتمع منه شيء أَلْقوْه على أجيرٍ لهم يُقال له أبو عباد اليَزيديّ من أهل طاق الجِرَار بالكوفة، فيبيعه على يديه ويردّ فضلَه إليهم. وقيل: بل كان يفعل ذلك أخوه زيدٌ لا هو؛ وسُئِلَ عن ذلك فقال: أنا جرّار القوافي، وأخي جرّار التّجارة.

قال محمد بن موسى: وحدّثني عبد اللّه بن محمد قال: حدّثني عبد الحميد

(١) القضيف: الدقيق العظم القليل.
(٢) الوفرة: الشعر الكثير المجتمع على الرأس أو الذي يجاوز شحمة الأذن.
(٣) الأتّون: الموقد.

ابن سريع مولى بَني عِجْل قال: أنا رأيتُ أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداثُ والمتأدّبون فَيُنشِدُهم أشعارَه، فيأخذون ما تكسَّرَ من الخَزَف فيكتبونها فيها.

[هجاءُ أبي قابوس وغيره لأبي العتاهية]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني عَوْن بن محمد الكِنْدِيّ قال: حدّثني محمد بن عمرَ الجُرْجَانِيّ قال: لمّا هَاجَى أبو قَابُوس النَّصْرانِيّ كُلْثُومَ بن عَمْرو العَتّابيّ، جعل أبو العتاهية يشتمُ أبا قابوس ويَضعُ منه؛ ويُفَضِّلُ العَتَّابِيّ عليه؛ فبلغه ذلك فقال فيه: [مجزوء الكامل]

قُلْ للمُكَنِّي نفسَه ... مُتخيِّراً بعتاهيَهْ
والمرسِلِ الكَلِمَ القبيـ ... ـحَ وَعَتْهُ أُذْنٌ واعيَهْ
إن كنتَ سرّاً سُؤْتَنِي ... أو كان ذاك علانيَهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا ... ل وأمُّ زيدٍ زانيَهْ

- يعني أُمَّ أبي العتاهية، وهي أُمّ زيد بنت زياد - فقيل له: أتشتُم مسلماً؟ فقال: لم أشتمْه، وإنّما قلتُ:

فعليك لعنةُ ذي الجلا ... ل ومَنْ عَنَيْنا زانيَهْ

وقال: وفيه يقول وَالِبَةُ بن الحُبَاب وكان يُهاجيه: [الخفيف]

كان فينا يُكْنَى أبا إسحاقِ ... وبها الرَّكْبُ سارَ في الآفاقِ
فَتَكَنَّى مَعْتُوهُنَا بعَتَاهٍ ... يا لها كُنيةً أَتَتْ باتّفاقِ
خَلَقَ اللّهُ لِحْيَةً لكَ لا تنـ ... ـفكُّ معقودةً بِدَاءِ الحُلاَقِ[1]

أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثنا النُّوشَجَانِيّ قال: أتاني البَوّاب يوماً فقال لي: أبو إسحاق الخزّاف بالباب؛ فقلت: ائْذَن له، فإذا أبو العتاهية قد دخل. فوضعت بين يديه قِنْوَ مَوْزٍ[2]؛ فقال: قد صِرتَ تقتل العلماءَ بالموز، قتلتَ أبا عُبَيدة بالموز، وتريد أن تقتلني به! لا والله لا أذوقه. قال: فحدّثني عُرْوة بن يوسف الثَّقَفيّ قال: رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشَجَانِيّ في شِقِّ مَحْمِل مُسَجًّى إلاّ أنه حَيٌّ، وعند رأسه قِنْوُ موز وعند رجليه قِنْوُ

(١) الحُلاق: وجع الحلق وهو صفة سوء.
(٢) القِنْوُ: كالعنقود من العنب.

موز آخر، يُذْهَب به إلى أهله. فقال النُّوشَجَانِيّ وغيرُه: لمّا دخلنا عليه نعوده قلنا: ما سبب عِلّتك؟ قال: هذا النُّوشَجَانِيّ جاءني بمَوز كأنه أُيُور المساكين، فأكثرتُ منه، فكان سببَ عِلَّتي. قال: ومات في تلك العِلّة.

[الآراء التي قيلت في شعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: سمعتُ مُصْعَب بن عبد اللَّه يقول: أبو العتاهية أشعرُ الناس. فقلت له: بأيّ شيء استحقّ ذلك عندك؟ فقال: بقوله: [الهزج]

تعلَّقتُ بآمالِ ... طِوالٍ أيِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدُّنيا ... مُلِحّاً أيَّ إقبالِ
أيا هذا تجهَّز لِـ ... فِراقِ الأهلِ والمالِ
فلا بُدَّ مِنَ الموتِ ... على حالٍ مِنَ الحالِ

ثم قال مُصعب: هذا كلامٌ سهلٌ حَقٌّ لا حَشْوَ فيه ولا نُقصان، يعرِفه العاقل ويُقِرُّ به الجاهل.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا الرِّياشيّ قال: سمعتُ الأصمعيّ يستحسن قولَ أبي العتاهية: [مجزوء الرمل]

أنتَ ما استغنيتَ عن صا ... حِبِكَ الدهرَ أخوه
فإذا احتجتَ إليه ... ساعةً مَجَّكَ فُوه

حدّثنا محمد بن العَبّاس اليَزيدي إملاءً قال: حَدَّثني عَمّي الفضْل بن محمد قال: حدّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُورِيّ قال: أتيتُ سَلْماً الخَاسِر فقلت له: أَنْشِدْني لنفسك. قال: لا، ولكن أُنشدك لأشعرِ الجنِّ والإنس، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قولَه:

صوت

[المديد]

سَكَنٌ يَبْقَى له سَكَنُ ... ما بهذا يُؤذِنُ الزَّمَنُ
نحنُ في دارٍ يُخَبِّرُنَا ... بِبَلاها ناطِقٌ لَسِنُ
دارُ سَوءٍ لم يَدُمْ فَرَحٌ ... لامْرِئٍ فيها ولا حَزَنُ

فـي سـبـيـلِ الـلّـهِ أنـفـسُـنـا كُـلُّـنـا بـالـمـوتِ مُـرتَـهَـنُ
كُـلُّ نَـفْـسٍ عـنـدَ مِـيـتَـتِـهـا حَـظُّـهـا مِـنْ مَـالِـهـا الـكَـفَـنُ
إنّ مـالَ الـمَـرْءِ لـيـسَ لـه مِـنـه إلاّ ذِكْـرُهُ الـحَـسَـنُ

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حَدّثني محمد بن القاسم قال: حدّثني رجل من أهل البَصْرة أُنسيتُ اسمَهُ، قال: حَدّثني حَمْدون بن زيد قال: حدّثني رجاء بن مَسْلَمة قال: قلتُ لِسَلْم الخاسر: مَنْ أَشْعَرُ النّاسِ؟ فقال: إن شئتَ أخبرتُكَ بأشعر الجنّ والإنس. فقلتُ: إنما أسألك عن الإنس، فإن زدتَني الجنَّ فقد أحسنتَ. فقال: أشعرُهم الذي يقول:

سَـكَـنٌ يـبـقَـى لـه سَـكَـنُ مـا بـهـذا يُـؤذِنُ الـزَّمـنُ

قال: والشعر لأبي العتاهية.

حدّثني اليَزيديّ قال: حدّثني عمّي الفَضْل قال: حَدّثنا عبد اللّه بن محمد قال: حدّثنا يحيى بن زِيَاد الفَرّاء قال: دخلتُ على جعفرِ بن يحيى فقال لي: يا أبا زكريّا، ما تقول فيما أقول؟ فقلت: وما تقول أصْلَحك الله؟ قال: أزعمُ أنّ أبا العتاهية أشعرُ أهل هذا العصر. فقلت: هو والله أشعرُهم عندي.

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني محمد بن موسى قال: حَدّثني جعفر بن النَّضْر الوَاسِطيّ الضَّرير قال: حَدَّثني محمد بن شِيرَوَيْه الأنماطيّ قال: قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر: مَنْ أشعُر أهل زمانه؟ قال: أبو نُوَاس. قلت: فما تقول في أبي العتاهية؟ فقال: أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ.

أخبرني الصولِيّ قال: حَدّثني محمد بن موسى قال: قال الزُّبير بن بَكّار: أخبرني إبراهيم بن المُنْذِر عن الضحَّاك، قال: قال عبد اللّه بن عبد العزيز العُمَريّ: أشعرُ النّاس أبو العتاهية حيث يقول: [الكامل]

مـا ضَـرَّ مَـنْ جَـعَـلَ الـتُّـرَابَ مِـهـادَهُ ألاّ يَـنَـامَ عـلـى الـحـريـرِ إذا قَـنِـعْ[1]

صَدَق والله وأَحْسن.

(١) في الديوان «فِراشَهُ» بدل «مِهَادَه».

[كلامه عن شعره]

حدّثني الصّوليّ قال: حَدّثني محمد بن محمد بن موسى قال: حَدَّثني أحمد ابن حَرْبٍ قال: حَدَّثني المعلَّى بن عثمان قال: قيل لأبي العتاهية: كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردتُه قَطُّ إلا مثَلَ لي، فأقول ما أريد وأترُك ما لا أُريد.

أخبرني ابن عَمّار قال: حَدَّثني ابن مَهْرُويَهْ قال: حدّثني رَوْح بن الفرج الحِرْمَازيّ قال: جلستُ إلى أبي العتاهية فسمعتُه يقول: لو شئتُ أن أجعلَ كلامي كلَّه شِعراً لفعلتُ.

حدّثنا الصُّوليّ قال: حدّثنا العَنَزيّ قال: حدّثنا أبو عِكْرِمة قال: قال محمد بن أبي العتاهية: سُئِلَ أبي: هل تَعْرف العَرُوض؟ فقال: أنا أكبر من العروض. وله أَوْزانٌ لا تَدخُل في العَروض.

[شعره في الرشيد ومثوله بين يديه في مرضه]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال: حدّثنا العَنَزيُّ قال: حدّثنا أبو عِكرمة قال: حُمَّ الرّشيد، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الرّبيع بِرُقْعَةٍ فيها: [المنسرح]

لو عَلِم النّاسُ كيف أنتَ لهم ماتوا إذا ما أَلِمْتَ أَجْمَعُهمْ
خليفةَ اللّهِ أنتَ تَرْجَحُ بالنّـ ـاسِ إذا ما وُزِنْتَ أنتَ وهُمْ
قد عَلِمَ النّاسُ أنّ وَجْهَكَ يَسْـ ـتَغْنِي إذا ما رآهُ مُعْدِمُهُمْ

فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرَّشيدَ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية، فما زال يُسامِره، ويُحدّثه إلى أن بَرِىءَ ووصَل إليه بذلك السبب مالٌ جَليلٌ.

[رأي ابن الأعرابي وتفضيله له]

قال: وحُدِّثْتُ أنّ ابن الأعرابيّ حَدّثَ بهذا الحديث؛ فقال له رجل بالمجلس: ما هذا الشعر بمُستحق لِما قلتَ. قال: ولم؟ قال: لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابيّ ـ وكان أَحَدَّ النّاسِ ـ: الضعيفُ واللّهِ عقلُكَ لا شعرُ أبي العتاهية، ألأبي العتاهية تقول: إنّه ضعيفُ الشّعرِ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أطبعَ

ولا أقدرَ على بيت منه، وما أحسبُ مذهبَه إلا ضَرْباً من السحر، ثم أنشد له:

[الكامل]

قَطَّعْتُ منكَ حَبائِلَ الآمالِ ... وَحَطَطْتُ عن ظَهْرِ المَطِيِّ رِحالي
ووَجَدْتُ بَرْدَ اليَأْسِ بينَ جَوانِحي ... فأَرَحْتُ من حَلٍّ ومن تَرْحالِ
يا أيُّها البَطِرُ الّذي هو من غَدٍ ... في قَبْرِهِ مُتَمَزِّقُ الأَوْصالِ
حَذَفَ المُنَى عنه المُشَمِّرُ في الهُدَى ... وأرى مُناكَ طَويلَةَ الأذيالِ
حِيَلُ ابنِ آدمَ في الأمورِ كثيرةٌ ... الموتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ المُحتالِ
قِسْتُ السُّؤَالَ فكانَ أَعظَمَ قِيمَةً ... مِن كلِّ عارفةٍ جَرَتْ بسؤالِ
فإذا ابتُلِيتَ بِبَذْلِ وَجْهِكَ سَائلاً ... فابذُلْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ المِفْضَالِ
وإذا خَشِيتَ تَعَذُّراً في بلدةٍ ... فاشْدُدْ يديك بعاجِلِ التَّرْحَالِ
واصْبِرْ على غِيَرِ الزَّمانِ فإنَّما ... فَرَجُ الشَّدائدِ مِثْلُ حَلِّ عِقالِ

ثم قال للرجل: هل تعرف أحداً يُحسِنُ أنْ يقول مثلَ هذا الشّعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، جعلني الله فداءَك! إنّي لم أَرْدُدْ عليك ما قلت، ولكنّ الزّهدَ مذهبُ أبي العتاهية، وشِعرهُ في المديح ليس كشعره في الزّهد. فقال: أَفَلَيْسَ الذي يقول في المديح:

[الطويل]

وهارونُ ماءُ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى ... إذا ما الصَّدِي بالرِّيقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهْ[1]
وأَوْسَطُ بيتٍ في قريش لَبَيْتُهُ ... وأوّلُ عِزٍّ في قريش وآخِرُه
وزَحْفٍ له تَحكي البروقَ سيوفُهُ ... وتَحكي الرُّعودَ القاصفاتِ حَوَافِرُهْ
إذا حَمِيَتْ شمسُ النَّهار تضاحَكَتْ ... إلى الشَّمسِ فيه بَيْضُهُ وَمَغَافِرُهْ[2]
إذا نُكِبَ الإسلامُ يوماً بِنَكْبَةٍ ... فهارونُ من بين البَرِيَّةِ ثَائِرُهْ
ومَنْ ذَا يفوتُ المَوْتَ والمَوْتُ مُدرِكٌ ... كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافِرُهْ

قال: فتخلّصَ الرّجل من شرِّ ابن الأعرابيّ بأن قال له: القولُ كما قلتَ. وما كنتُ سَمِعْتُ له مثلَ هذين الشعرين، وكتبهما عنه.

---

(١) الصَّدِي: العطشان.
(٢) البَيْض: جمع البيضة: الخوذة. والمغافر: جمع المِغْفَر: زَرَدٌ من الدّرع ينسج على قَدْرِ الرأس يُلبس تحت القلنسوة، ويقال: هو رَفْرَفُ البيضة أو حَلَقٌ يتقنّع بها.

[أبو نواس يفضّله على نفسه]

حدّثني محمد قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني ابن الأعرابيّ المُنَجِّم قال: حدّثني هارون بن سَعْدان بن الحارث مولى عَبّاد قال: حضرتُ أبا نُوَاس في مجلس وأنشد شعراً. فقال له مَنْ حضرَ في المجلس: أنتَ أشعرُ النّاس. قال: أمّا والشّيخُ حَيٌّ فلا. (يعني أبا العتاهية).

[أخبار عن نوادره وبخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال: حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال: قال ثُمامة بن أَشْرَس أنشدني أبو العتاهية: [الطويل]

إذا المَرْءُ لم يُعْتِقْ من المالِ نَفْسَهُ ... تَمَلَّكَهُ المَالُ الّذي هو مَالِكُهْ

أَلاَ إنّما مالي الّذي أنا مُنْفِقٌ ... وليسَ لِيَ المَالُ الّذي أنا تارِكُهْ

إذا كُنْتَ ذا مالٍ فَبَادِرْ به الّذي ... يَحِقُّ وإلاّ اسْتَهْلَكَتْهُ مَهَالِكُهْ

فقلت له: من أين قضيتَ بهذا؟ فقال: من قول رسول اللهﷺ: «إنما لكَ من مالِكَ ما أكلتَ فأَفْنَيْتَ، أو لبِسْتَ فأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقتَ فَأَمْضَيْتَ»[1]. فقلت له: أتؤمنُ بأنّ هذا قولُ رسول اللهﷺ وأنه الحقّ؟ قال: نعم. قلت: فلِمَ تحبِسُ عندك سبعاً وعشرين بَدْرَةً[2] في دارك، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزَكّي ولا تُقَدِّمُها ذُخْراً ليوم فقرك وفاقتك؟ فقال: يا أبا مَعن، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقُّ، ولكنّي أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس. فقلت: وبِمَ تَزِيدُ حالُ مَن افتقرَ على حالِك وأنت دائمُ الحِرْص دائمُ الجَمْع شحيحٌ على نفسك لا تشتري اللّحمَ إلا من عِيدٍ إلى عيدٍ؟! فترك جوابَ كلامي كلّه، ثم قال لي: والله لقد اشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتَوابِلَه وما يتبَعه بخمسة دراهم. فلما قال لي هذا القولَ أضحكني حَتَّى أَذهلني عن جوابه ومُعاتبته، فأمسكتُ عنه وعلمتُ أنه ليس ممن شرَحَ الله صدرَه للإسلام.

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: حدّثني عليّ بن المهديّ قال: قال الجاحظ: حدّثني ثُمامة قال: دخلتُ يوماً إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خُبزاً بلا

---

(١) الحديث في الأدب المفرد للبخاري ٩٥٣.

(٢) البَدْرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

شيء. فقلتُ: كأنك رأيتَه يأكل خُبزاً وحده؛ قال: لا! ولكنّي رأيتُه يتأدَّمُ[١] بلا شيء. فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: رأيت قُدّامه خبزاً يابساً من رِقَاقٍ فَطيرٍ وقَدَحاً فيه لبنٌ حليبٌ، فكان يأخُذ القطعة من الخبز فيغمِسها من اللّبن ويُخرجها ولم تَتعلّق منه بقليل ولا كثير؛ فقلت له: كأنك اشتهيتَ أن تتأدّمَ بلا شيء، وما رأيتُ أحداً قبلك تأدّم بلا شيء.

قال الجاحظ: وزعم لي بعضُ أصحابنا قال: دخلتُ على أبي العتاهية في بعض المتنزّهات، وقد دعا عَيَّاشاً صاحبَ الجِسْرِ وتهيّأ له بطعام، وقال لغلامه: إذا وضعتَ قُدّامهم الغَدَاء فقَدِّمْ إليّ ثَريدةً[٢] بِخَلٍّ وزَيْت. فدخلت عليه. وإذا هو يأكل منها أَكْلَ مُتَكَمِّشٍ[٣] غيرَ مُنكر لشيء. فدعاني فمددت يدي معه، فإذا بثريدة بخلٍّ وبِزْرٍ بَدلاً من الزّيت. فقلت له: أتدري ما تأكل؟ قال: نعم ثريدةً بخلٍّ وبِزْر. فقلت: ما دعاك إلى هذا؟ قال: غلط الغلام بين دَبّة[٤] الزّيت ودَبّة البِزْر؛ فلمّا جاءني كَرِهتُ التَّجَبُّرَ وقلت: دُهْنٌ كدهن، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثنا عبد الله بن عَطِيَّة الكوفيّ قال: حدّثنا محمد بن عيسى الخُزَيميّ، وكان جارَ أبي العتاهية، قال: كان لأبي العتاهية جَارٌ يلتقِط النَّوَى ضعيفٌ سيّىء الحال مُتَجَمِّل[٥] عليه ثياب، فكان يمرّ بأبي العتاهية طَرَفَي النهار؛ فيقول أبو العتاهية: اللّهم أَغْنِهِ عمّا هو بسبيله، شيخٌ ضعيف سيّىء الحال عليه ثيابٌ مُتجمّل، اللّهم أَعِنْهُ، إِصْنَعْ له، بارِكْ فيه. فَبَقِيَ على هذا إلى أن مات الشّيخ نَحْواً من عشرين سنة. ووالله إنْ تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق[٦] قطّ، وما زاد على الدّعاء شيئاً. فقلتُ له يوماً: يا أبا إسحاقِ إنّي أراكَ تُكثِر الدّعاءَ لهذا الشيخ وتزعُم أنه فقير مُقِلٌّ، فلِمَ لا تتصدّق عليه بشيء؟ فقال: أخشى أن يعتاد الصَّدَقَة، والصّدقةُ أخِرُ[٧] كَسْب العبد، وإنّ في الدعاء لخيراً كثيراً.

---

(١) يتأدّم: يأكل مع الخبز.

(٢) الثريدة: نوع من الحساء يصنع من الخبز المفتت المبلول في المرق.

(٣) المتكمّش: المسرع.

(٤) الدّبّة: القارورة للزيت وغيره.

(٥) متجمّل: لا يظهر عليه آثار الفقر والمسكنة.

(٦) الدّانق: سُدُسُ الدينار والدّرهم.

(٧) أَخِرُ: يجوز مَدّ الألف، أخر الكسب: أرذله وأدنؤه.

قال محمد بن عيسى الخُزَيْميّ هذا: وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسودُ طويلٌ كأنه مِحْراكُ أَتُّون، وكان يُجْرِي عليه في كل يوم رغيفين. فجاءني الخادم يوماً فقال لي: والله ما أشبَعُ. فقلت: وكيف ذاك؟ قال: لأنّي ما أَفْتُرُ من الكَدِّ وهو يُجرِي عليّ رغيفين بغير إدَام. فإن رأيتَ أن تكلّمه حتى يزيدَني رغيفاً فتُؤجَر! فوعدتُه بذلك. فلمّا جلستُ معه مَرّ بنا الخادم فَكَرِهتُ إعلامَه أنّه شكا إليّ ذلك، فقلت له: يا أبا إسحاق، كم تُجري على هذا الخادم في كلّ يوم؟ قال: رغيفين. فقلت له: لا يَكْفِيانه. قال: مَنْ لم يَكْفِه القليلُ لم يَكْفِهِ الكثير، وكلٌّ من أعطى نفسَه شهوتَها هلَكَ، وهذا خادمٌ يدخُل إلى حُرَمِي وبناتي، فإن لم أُعَوِّدْهُ القناعةَ والاقتصاد أهلكني وأهلك عِيالي ومالي. فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه في إزارٍ وفِراشٍ له خَلَقٍ[1]. فقلت له: سبحان الله! خادمٌ قديمُ الحُرمة طويلُ الخِدمة واجبُ الحقّ، تُكَفّنه في خَلَق، وإنما يكفيك له كفنٌ بدينارٍ! فقال: إنه يصير إلى البِلَى، والحيُّ أولى بالجديد من الميّت. فقلت له: يرحمك الله أبا إسحاق! فلقد عوّدتَه الاقتصادَ حيّاً وميّتاً.

قال محمد بن عيسى هذا: وقَف عليه ذاتَ يوم سائلٌ من العَيَّارين[2] الظُّرَفاء وجماعةٌ من جيرانه حولَه، فسأله مِنْ بين الجيران؛ فقال: صنعَ اللّهُ لكَ! فأعاد السّؤال فأعاد عليه ثانيةً، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثلَ ذلك؛ فغضِب وقال له: ألستَ القائل: [المديد]

كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مِيتَتِهِ   حَظُّهُ مِن مالِهِ الكَفَنُ

ثم قال: فبالله عليك أتريد أن تُعِدَّ مالَك كلَّه ثَمنَ كَفنِكَ؟ قال: لا. قال: فبالله كم قَدّرتَ لكفنك؟ قال: خمسة دنانير. قال: فهي إذاً حظُّك مَن مالك كلِّه. قال: نعم. قال: فتصدَّقْ عَلَيَّ من غير حظّكَ بِدرْهم واحد. قال: لو تصدّقْتُ عليك لكان حظّي. قال: فاعمَلْ على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير وَضِيعةٌ[3] قيراط، وادفَعْ إليّ قيراطاً واحداً، وإلا فواحدة أُخرى. قال: وما هي؟ قال: القبور تُحْفَرُ بثلاثة دراهم، فأعطني درهماً وأُقيمُ لكَ كفيلاً بأنّي أحفِر لك قبرك به متى مُتَّ،

---

(١) الخَلَق: البالي.

(٢) العَيّار: الكثير الطواف في الأرض بلا عمل.

(٣) الوضيعة: الحطيطة.

وتربَح درهمين لم يكونا في حُسْبانك، فإن لم أحتفر رَدَدْتُهُ على وَرَثَتِكَ أو ردّه كفيلي عليهم. فخجِلَ أبو العتاهية وقال: اعزُبْ لعنكَ الله وغضبَ عليك! فضحِكَ جميع مَنْ حضر. ومرّ السّائلُ يضحك؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال: من أجل هذا وأمثالِه حُرِّمَتِ الصّدقةُ. فقلنا له: ومَنْ حَرَّمها ومتى حُرِّمَتْ! فما رأينا أحداً ادّعى أنّ الصّدقةَ حُرِّمَتْ قبله ولا بعدَه.

قال محمد بن عيسى هذا: وقلت لأبي العتاهية: أتُزَكّي مالَك؟ فقال: والله ما أُنفق على عيالي إلاّ من زكاة مالي. فقلت: سبحانَ الله! إنما ينبغي أن تُخرج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين. فقال: لو انقطعتْ عن عيالي زكاةُ مالي لم يكن في الأرض أفقرُ منهم.

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: قال سليمان بن أبي شَيْخ قال إبراهيم بن أبي شَيْخ: قلت لأبي العتاهية: أيُّ شعرٍ قُلْتَهُ أحْكم قال: قَوْلي: [الرجز]

عَلِمْتَ يَا مُجاشِعُ بنَ مَسْعَدَهْ أنَّ الشَّبَابَ والفَراغَ والجِدَهْ
* مَفْسَدةٌ للمرءِ أيُّ مَفْسدَهْ *

أخبرني عيسى قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثنا أبو غَزِيّة قال: كان مُجاشِع بن مَسْعَدة أخو عمرو بن مَسْعَدة صَديقاً لأبي العتاهية، فكان يقوم بحوائجه كلِّها ويُخلص مودّتَه، فمات، وعرَضتْ لأبي العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

غَنِيتَ عن العهدِ القديمِ غَنِيتَا وضَيَّعْتَ وُدّاً بيننا ونَسِيتَا
ومِن عَجَبِ الأيامِ أنْ ماتَ مَألَفي ومَنْ كُنْتَ تَغْشانِي به وبَقِيتَا(١)

فقال عمرو: استطال أبو إسحاق أعمارَنا وتوعَّدَنا، ما بعد هذا خيرٌ، ثم قَضَى حاجَته.

أخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حدَّثنا أبو غَزِيّة قال: كان أبو العتاهية إذا قَدِمَ من المدينةَ يجلسُ إلَيَّ؛ فأراد مرَّةً الخروجَ من المدينة فودَّعني ثم قال:

---

(١) مألفي: إلفي وصديقي.

[الخفيف]

إن نَعِشْ نَجْتَمِعْ وإلاّ فما أشْـ ـغلَ مَنْ مَاتَ عن جميعِ الأنامِ

[شعره في غلام طالبه بدين]

أخبرني أحمد بن العَبّاس العَسْكريّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال: حدّثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذْرِيّ قال: كان لبعض التُّجّار من أهل باب الطّاق[1] على أبي العتاهية ثمنُ ثيابٍ أخذها منه. فمرّ به يوماً، فقال صاحبُ الدُّكّان لغلام ممن يخدمُه حسنِ الوجه: أَدْرِك أبا العتاهية فلا تُفارِقْه حتى تأخذَ منه ما لنا عنده؛ فأدركه على رأس الجِسْر، فأخذ بعنان حماره ووَقَفه. فقال له: ما حاجتُك يا غلام؟ قال: أنا رسول فلان بَعثني إليك لآخذَ ما لَه عليك؛ فأمسك عنه أبو العتاهية؛ وكان كلُّ مَن مَرَّ فرأى الغلامَ مُتعلِّقاً به وقف ينظُرُ، حتى رَضِيَ أبو العتاهية جَمْعَ النّاسِ وحَفْلَهم، ثم أنشأ يقول: [مجزوء الكامل]

والـلّـهِ رَبِّـكَ إنّـنـي لأُجِلُّ وَجْهَكَ عن فِعَالِكْ
لو كان فِعْلُكَ مِثْلَ وَجْـ ـهِكَ كنتُ مُكْتفياً بذلكْ

فخجِلَ الغلام وأرسل عِنانَ الحمار، ورجَع إلى صاحبه، وقال: بَعثتَني إلى شيطان جَمعَ عَلَيَّ الناس وقال فِيَّ الشِّعرَ حتى أخجلني فهربتُ منه.

أخبرني أحمد بن العبّاس قال: حدّثنا العَنَزِيّ، قال: قال إبراهيم بن إسحاق ابن إبراهيم التَّيْميّ: حدّثني إبراهيم بن حكِيم قال: كان أبو العتاهية يختلِفُ إلى عمرو بن مَسْعدة لِوِدٍّ كان بينه وبين أخيه مُجاشع؛ فاستأذن عليه يوماً فحُجِبَ عنه، فلَزِمَ منزلَه، فاستبطأه عمرو؛ فكتب إليه: إنّ الكسل يمنعني من لقائك؛ وكتب في أسفل رقعته: [المنسرح]

كَسَّلَنِي اليَأسُ منكَ عَنْكَ فما أرفَعُ طَرْفِي إليكَ مِنْ كَسَلِ
إنّي إذا لم يَكُنْ أَخِي ثِقَةً قَطَّعْتُ منه حَبَائِلَ الأَمَلِ

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن يزيد النَّحويّ قال: استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مَسْعدة فَحُجِبَ عنه؛ فكتب إليه: [المنسرح]

ما لكَ قد حُلْتَ عن إخَائِكَ واسْـ ـتَبْدَلْتَ يا عَمْرُو شِيمَةً كَدِرَهْ

(١) باب الطّاق: يُنسب إلى طاق أسماء: بالجانب الشرقيّ من بغداد بين الرّصافة ونهر المعلّى منسوب إلى أسماء بنت منصور. (معجم البلدان ٤: ٥).

إنّــي إذا الــبــابُ تــاهَ حــاجِــبُــهُ لــم يَــكُ عِــنْــدي فــي هَــجْــرِهِ نَــظِــرَهْ
لَــسْــتُــمْ تُــرَجَّــوْنَ لــلــحِــسابِ ولا يــومَ تــكــونُ الــسّــمــاءُ مُــنْــفَــطِــرَهْ
لَــكِــنْ لِــدُنْــيــا كــالــظِّــلّ بَــهْــجَــتُــهــا سَــرِيــعَــةُ الانْــقِــضَــاءِ مُــنْــشَــمِــرَهْ
قــد كــانَ وجــهــي لَــدَيْــكَ مَــعْــرِفَــةً فــالــيــومَ أَضْــحَــى حَــرْفــاً مِــنَ الــنَّــكِــرَهْ

[هجاؤه لعبد الله بن معن وتصالحهما]

أخبرني محمد بن القاسم الأنبارِيّ قال: حَدّثنا أبو عِكْرِمة قال: كان الرَّشيدُ إذا رأى عبدَ الله بن مَعْن بن زَائدة تَمَثَّلَ قولَ أبي العتاهية: [السريع]

أُخْــتُ بَــنِــي شَــيْــبــانَ مَــرَّتْ بــنــا مَــمْــشُــوطَــةً كُــوراً عــلــى بَــغْــلِ[1]

وأوّل هذه الأبيات:

يــا صــاحِــبَــيْ رَحْــلِــيَ لا تُــكْــثِــرا فِــي شَــتْــمِ عَــبْــدِ الــلّــهِ مِــنْ عَــذْلِ
سُــبْــحَــانَ مَــنْ خَــصَّ ابــنَ مــعــنٍ بــمــا أرى بِــــهِ مِــــنْ قِــــلَّــــةِ الــعَــقْــلِ
قــال ابــنُ مَــعْــنٍ وجَــلا نَــفْــسَــهُ عــلــى مَــنِ الــجَــلْــوَةُ يــا أهْــلِــي
أنــا فــتــاةُ الــحَــيِّ مــن وَائــلٍ فــي الــشَّــرَفِ الــشَّــامِــخِ والــنُّــبْــلِ
مــا فــي بَــنِــي شَــيْــبَــانَ أَهْــلِ الــحِــجَــا جــاريــةٌ واحــدةٌ مِــثْــلِــي
وَيْــلِــي ويــا لَــهْــفِــي عــلــى أَمْــرَدٍ يُــلْــصِــقُ مِــنّــي الــقُــرْطَ بِــالــحَــجْــلِ[2]
صــافــحــتُــه يــومــاً عــلــى خَــلْــوةٍ فــقــال دَعْ كــفّــي وخُــذْ رِجْــلِــي
أُخْــتُ بَــنِــي شَــيْــبَــانَ مَــرَّتْ بِــنــا مَــمْــشُــوطَــةً كُــوراً عــلــى بــغْــلِ
تُــكْــنَــى أبــا الــفــضــلِ ويَــا مَــنْ رَأَى جَــارِيَــةً تُــكْــنَــى أبــا الــفــضــلِ
قــد نَــقَّــطَــتْ فــي وَجْــهِــهــا نُــقــطــةً مَــخــافــةَ الــعَــيْــنِ مِــنَ الــكُــحْــلِ
إنْ زُرْتُــمُــوهــا قــالَ حُــجَّــابُــهــا نــحــنُ عَــنِ الــزُّوَّارِ فــي شُــغْــلِ
مَــولاتُــنــا مــشــغــولَــةٌ عِــنــدهــا بَــغْــلٌ ولا إذنَ عــلــى الــبَــغْــلِ
يــا بِــنْــتَ مَــعْــنِ الــخَــيْــرِ لا تَــجْــهَــلِي وأيــن إقْــصَــارٌ عَــنِ الــجَــهْــلِ
أَتَــجْــلِــدُ الــنّــاسَ وأنــتَ امْــرُؤٌ تُــجْــلَــدُ فــي الــدُّبْــرِ وفــي الــقُــبْــلِ
مــا يَــنْــبَــغِــي لِــلــنّــاسِ أَنْ يَــنْــسُــبُــوا مَــنْ كــانَ ذا جُــودٍ إلــى الــبُــخْــلِ
يَــبْــذُلُ مــا يــمــنــعُ أَهْــلُ الــنَّــدَى هــذا لَــعَــمْــرِي مُــنْــتَــهَــى الــبَــذْلِ

(١) الكُور: الرَّحْل.

(٢) الحَجْل: الخلخال.

مـا قُـلْـتُ هـذا فـيـكَ إلاّ وقـد ... جَـفَّـتْ بـه الأقـلامُ مـن قَـبْـلـي

قال: فبعث إليه عبد اللّه بن مَعْن، فَأُتِيَ به، فدعا بغِلْمانٍ له ثم أَمرَهُمْ أن يَرتكبوا منه الفاحشة، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه وقال له: قد جَزَيْتُكَ على قولكَ فِيَّ، فهل لك في الصُّلح ومعه مَرْكبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيمُ على الحرب؟ قال: بل الصّلح. قال: فأسمِعْني ما تقوله في الصّلح؛ فقال: [مجزوء الكامل]

مـا لـلـعُـذَّالِـي ومَـا لِـي ... أَمَـرُونِـي بِـالـضَّـلالِ

عَـذَلُـونِـي فـي اغـتِـفـارِي ... لابْـنِ مَـعْـنٍ واحـتـمـالـي

إنْ يَـكُـنْ مـا كـانَ مـنـه ... فَـبِـجُـرْمِـي وفِـعَـالِـي

أنـا مـنـه كُـنْـتُ أَسْـوَأ ... عِـشْـرةً فـي كـلِّ حـالِ

قُـلْ لِـمَـنْ يَـعْـجَـبُ مِـنْ حُـسْـ ... ـنِ رُجـوعـي ومَـقـالـي

رُبَّ وُدٍّ بـعـدَ صَـدٍّ ... وهَـوًى بـعـد تَـقَـالـي[1]

قـد رَأَيْـنَـا ذا كَـثِـيـراً ... جَـاريـاً بـيـن الـرِّجـالِ

إنّـمـا كـانَـتْ يَـمِـيـنـي ... لَـطَـمَـتْ مِـنِّـي شِـمـالـي

[حبّه لسعدى مولاة ابن معن وخبره معها]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدّثنا محمد بن موسى اليَزيديّ قال: حدّثنا أبو سُوَيد عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية ومحمدُ بن سعد قالا: كان أبو العتاهية يَهْوَى في حَداثته امرأةً نائحةً من أهل الحِيرة لها حُسْنٌ وجمال يقال لها سُعدى؛ وكان عبد الله بن مَعْن بن زائدة المُكَنَّى بأبي الفضل يَهواها أيضاً، وكانت مولاةً لهم، ثم اتَّهمها أبو العتاهية بالنِّساء، فقال فيها: [الطويل]

أَلاَ يا ذَواتِ السَّحْقِ في الغَرْبِ والشَّرْقِ ... أَفِقْنَ فَإِنَّ النَّيْكَ أَشْفَى مِنَ السَّحْقِ[2]

أَفِـقْـنَ فـإنَّ الـخُـبْـزَ بِـالأُدْمِ يُـشْـتَـهـى ... وليس يَسُوغُ الخُبْزُ بِالخُبْزِ في الحَلْقِ

أَرَاكُـنَّ تَـرْقَـعْـنَ الـخُـرُوقَ بِـمِـثْـلِـهـا ... وأيّ لـبـيـب يَـرْقَـعُ الـخَـرْقَ بِـالـخَـرْقِ

وهـل يَـصْـلُـحُ الـمِـهْـرَاسُ إلاّ بِـعُـودِهِ ... إذا احْـتِـيـجَ مـنـه ذَاتَ يـومٍ إلـى الـدَّقّ[3]

حدّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني الغَلاَبيّ قال: حدّثني مَهْدِيّ بنُ سابق قال: تهدّد

(١) التقالي: التباغض.
(٢) السّحق: علاقة المرأة بالمرأة.
(٣) المِهراس: الهاون وآلة الهرس.

عبُد اللّه بن معن أبا العتاهية وخَوَّفه ونهاه أن يَعْرض لمولاته سُعْدى فقال أبو العتاهية: [الهزج]

ألاَ قُـــلْ لابْـــنِ مَـــعْـــنٍ ذا الَّـــ ـذي فـــي الـــوُدِّ قـــد حَـــالا
لـــقـــد بُـــلِّـــغْـــتُ مـــا قـــالَ فـــمـــا بَـــالَـــيْـــتُ مـــا قـــالا
ولـــو كـــان مِـــنَ الأُسْـــدِ لَـــمَـــا صَـــالَ ولا هَـــالاَ
فَـصُـغْ مـا كُـنْـتَ حَـلَّـيْـتَ بـه سَـيْـفَـكَ خَـلْـخَـالا
ومـا تَـصْـنَـعُ بـالـسَّـيْـفِ إذا لـم تَـكُ قَـتَّـالا
ولـــو مَـــدَّ إلـــى أُذْنَـــيْـــهِ كَـــفَّـــيْـــهِ لَـــمَـــا نَـــالاَ
قَـصِـيـرُ الـطُّـول والـطِّـيـلـةِ لا شَـــبٌّ ولا طَـــالا(1)
أرى قَـــوْمَـــكَ أبـــطـــالاً وقـــد أَصْـــبَـــحْـــتَ بَـــطَّـــالا

[هجاؤه معناً وأخاه يزيداً ثمّ مصالحته معهما]

حدّثنا الصُّوليّ قال: حَدّثنا محمد بن موسى قال: حَدَّثني سُليمان المدائنيّ قال: احتال عبد الله بن مَعْن على أبي العتاهية حتى أُخِذَ في مكان فضربه مائةَ سَوْطٍ ضَرْباً ليس بِالمُبَرِّحِ غَيْظاً عليه، وإنما لم يَعْنُفْ في ضربه خوفاً من كثرة من يُعْنَى به؛ فقال أبو العتاهية يهجوه: [مجزوء الخفيف]

جَـــلَـــدَتْـــنِـــي بِـــكَـــفِّـــهـــا بِـــنْـــتُ مَـــعْـــنِ بْـــنِ زَائِـــدَهْ
جَـــلَـــدَتْـــنِـــي فَـــأَوْجَـــعَـــتْ بِـــأَبِـــي تِـــلْـــكَ جَـــالِـــدَهْ
وتَـــرَاهَـــا مـــع الـــخَـــصِـــيِّ عـــلـــى الـــبـــاب قَـــاعِـــدَهْ
تَـــتَـــكَـــنَّـــى كُـــنَـــى الـــرِّجَـــالِ بِـــعَـــمْـــدٍ مُـــكَـــايَـــدَهْ
جَـــلَـــدَتْـــنـــي وبـــالَـــغَـــتْ مـــائـــةً غـــيـــرَ واحـــدَهْ
إِجْـــلِـــدِيـــنِـــي واجْـــلِـــدِي إِنَّـــمَـــا أَنْـــتِ وَالِـــدَهْ

وقال أيضاً: [الخفيف]

ضَـرَبَـتْـنِـي بِـكَـفِّـهـا بِـنْـتُ مَـعْـنِ أَوْجَـعَـتْ كَـفُّـهـا ومـا أوجَـعـتـنـي
ولَـعَـمْـرِي لـولا أَذَى كَـفِّـهـا إذ ضَـرَبَـتْـنِـي بِـالـسَّـوطِ مـا تَـرَكَـتْـنـي

---

(1) الطِّيلة: العمر.

قال الصُّوليُّ: حدّثنا عَوْن بن محمد ومحمد بن موسى قالا: لمّا اتّصلَ هِجاءُ أبي العتاهية بعبد اللَّه بن معن وكَثُرَ، غَضِبَ أخوه يزيدُ بن معن من ذلك وتوعَّدَ أبا العتاهية؛ فقال فيه قصيدتَه الّتي أوّلُها: [الوافر]

بَنِي مَعْنٍ ويَهْدِمُهُ يَزِيدُ ... كذاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ
فَمَعْنٌ كان لِلْحُسَّادِ غَمّاً ... وهذا قَدْ يُسَرُّ به الحَسُودُ
يَزِيدُ يَزِيدُ في مَنْعٍ وبُخْلٍ ... ويَنْقُصُ في العطاءِ ولا يزيدُ

حَدَّثني الصُّوليُّ قال: حَدَّثني جَبَلَةُ بن محمد قال: حَدَّثني أبي قال: مضى بنو مَعْن إلى مَنْدل وحيّان ابنَيْ عليّ العنزيين الفقيهين - وهما من بني عمرو بن عامر بطنٍ مِنْ يَقْدُمَ بن عَنَزة، وكانا من سادات أهل الكوفة - فقالوا لهما: نحن بيتٌ واحد وأهلٌ، ولا فَرْقَ بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الوَلاءِ لَوَجَبَ أن تَرْدعاه. فأحْضَرا أبا العتاهية، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابنَيْ معن، وضَمِنَا عنه خُلُوصَ النّيّةِ، وعنهما ألاَّ يَتْبَعاهُ بسوءٍ، وكانا مِمّن لا يُمكن خلافُهما، فرجعَت الحالُ إلى المَودّة والصَّفاء. فجعل النّاس يَعذِلونَ أبا العتاهية على ما فَرَطَ منه، ولامه آخرون في صُلْحِه لهما؛ فقال:

ما لِعُذّالي وما لي ... أَمَروني بِالضَّلالِ

وقد كُتِبتْ مُتقدِّمة.

حَدّثني الصُّوليّ قال: حَدَّثَنا محمد بن موسى قال: كان زائدةُ بن معنٍ صديقاً لأبي العتاهية ولم يُعِنْ إخوتَه عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يَرثيه: [الوافر]

حَزِنْتُ لِمَوتِ زائدةَ بْنَ مَعْنٍ ... حَقِيقٌ أَنْ يَطُولَ عليه حُزني
فَتَى الفتيانِ زائدةُ المُصَفَّى ... أبو العباس كان أخي وخِدْني
فَتَى قَوْمٍ وأيُّ فَتًى تَوَارَتْ ... به الأكفانُ تحتَ ثَرًى ولِبْنِ[1]
ألا يا قبرَ زَائِدةَ بن مَعْنٍ ... دَعَوْتُكَ كي تُجِيبَ فلم تُجِبْنِي
سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قَوْمِي ... أصبن بِهِنَّ رُكْناً بعد رُكْنِ

أخبرني الصّوليّ قال: حَدَّثنا الحسن بن علي الرازيّ القارىء قال: حَدّثني أحمد بن أبي فَنن قال: كنّا عند ابن الأعرابيّ، فذكروا قولَ ابن نَوْفلٍ في عبد

(١) اللِّبْنُ: الطين المضروب مربّعاً ليبنى به.

الملك بن عُمَير: [الطويل]

إذا ذاتُ دَلٍّ كَلَّمَتْهُ لِحاجةٍ فَهَمَّ بِأَنْ يَقْضي تَنَحْنَحَ أو سَعَلْ

وإن عبد الملك قال: تركني والله وإنّ السُّعْلة لَتَعْرِضُ لي في الخلاءِ فأذكرُ قولَه فأهابُ أن أسْعُلَ. قال: فقلت لابن الأعرابيّ: فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن مَعن بن زائدة:

فَصُغْ ما كنتَ حَلَّيْتَ به سَيْفَكَ خَلْخَالا
وما تَصْنَعُ بالسَّيفِ إذا لم تَكُ قَتَّالا

فقال عبد الله بن مَعْن: ما لَبِسْتُ سَيفي قَطُّ فرأيت إنساناً يَلمَحُني إلا ظننتُ أنه يحفَظ قولَ أبي العتاهية فِيَّ، فلذلك يتأمَّلُني فأخجَل.. فقال ابن الأعرابيّ: اعْجَبوا لعبد يَهجو مولاه. قال: وكان ابن الأعرابيّ مولى بني شَيْبان.

[انتقاد مسلم بن الوليد له وردّه عليه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حَدَّثني عليّ بن مَهْدِيّ قال: حدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال: اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاريّ في بعض المجالس، فجرى بينهما كلامٌ، فقال له مُسلم: والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك: [مجزوء الرجز]

الحَمْدُ والنِّعْمَةُ لك والمُلْكُ لا شَرِيكَ لكْ
* لَبَّيكَ إنَّ المُلْكَ لكْ *

لقلتُ في اليوم عشرة آلاف بيت، ولكنّي أقول: [البسيط]

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذِي رهجٍ كَأنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلِ[1]
ينالُ بالرِّفْقِ ما يَعْيَا الرِّجَالُ بهِ كالموتِ مُسْتَعْجِلاً يأتي على مَهَلِ
يَكْسُو السّيوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ به ويَجْعَلُ الهَامَ تِيجَانَ القَنَا الذُّبُلِ
لِلَّهِ من هاشمٍ في أرضِهِ جَبَلٌ وأنتَ وابْنُكَ رُكْنا ذلك الجَبَلِ

فقال له أبو العتاهية: قُلْ مثلَ قولي:

* الحَمْدُ والنِّعمة لكْ *

(١) في يوم ذي رهج: في يوم ذي غبار من الحرب.

أقُلْ مثل قولكَ:

* كـأنّـه أجـلٌ يَـسـعـى إلـى أمـل *

[بشار وأبو العتاهية يتبادلان الإعجابَ والتأثّر]

حدّثني الصّوليّ قال: حَدّثنا الغَلابِيّ قال: حَدَّثنا مَهْدِيّ بن سابِق قال: قال بَشّار لأبي العتاهية: أنا والله أَسْتحسِنُ اعتذاركَ من دَمْعك حيث تقول:

[مجزوء الكامل]

كـم مِـنْ صَـديـقٍ لـي أسـا ... رِقُـهُ الـبُـكـاءَ مِـنَ الـحَـيـاءِ
فـإذا تَـأَمَّـلَ لأمَـنـي ... فـأقـولُ مـا بِـي مِـنْ بُـكـاءِ
لـكـن ذَهَـبْـتُ لأرْتَـدِي ... فَـطَـرفْـتُ عَـيْـنِـيَ بِـالـرِّداءِ

فقال له أبو العتاهية: لا والله يا أبا مُعاذ، ما لُذتُ إلاّ بمعناكَ، ولا اجْتنيتُ إلا من غَرْسِكَ حيث تقول:

صوت

[الوافر]

شَـكَـوْتُ إلـى الـغـوانـي مـا أُلاقـي ... وقُـلْـتُ لَـهُـنَّ مـا يَـومِـي بَـعِـيـدُ
فَـقُـلْـنَ بـكـيـتَ؟ قُـلْـتُ لَـهُـنَّ: كَـلاَّ ... وقـد يَـبْـكِـي مِـنَ الـشَّـوقِ الـجَـلِـيـدُ
وَلَـكِـنِّـي أَصَـابَ سَـوادَ عَـيْـنِـي ... عُـوَيْـدُ قَـذًى لـه طَـرَفٌ حَـدِيـدُ[1]
فَـقُـلْـنَ فـمـا لِـدَمْـعِـهِـمَـا سَـوَاءً ... أَكِـلْـتـا مُـقْـلَـتَـيْـكَ أَصَـابَ عُـودُ

لإبراهيم المَوصليّ في هذه الأبيات لَحْنٌ من الثّقيل الأوّل، بالوُسطى مُطْلَق.

[شكوى محمد بن الفضل الهاشمي من جفاء السلطان وشعر أبي العتاهية في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حَدّثني محمد بن هارون الأَزْرَقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشةَ عن ابنٍ لمحمد بن الفضل الهاشميّ قال: جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدَّثنا ساعةً؛ وجعل

(١) العُوَيد: تصغير العود. والقذى: ما يقع من التراب أو القشّ في العين فيجعلها تدمع.

أبي يشكو إليه تَخَلُّفَ الصَّنْعَةِ وجَفاءَ السلطان. فقال لي أبو العتاهية: اكتُبْ:

كُلٌّ على الدُّنيا له حِرْصُ ... والحادثاتُ أَناتُها غَفْصُ[1]
وكأنّ مَنْ وَارَوْهُ في جَدَثٍ ... لم يَبْدُ منه لِناظِرٍ شَخْصُ
تَبْغِي مِنَ الدُّنيا زِيادَتَها ... وزيادةُ الدّنيا هِيَ النَّقْصُ
لِيَدِ المَنِيَّةِ في تَلَطُّفِها ... عن ذُخْرِ كُلِّ شَفِيقةٍ فَحْصُ

[حَبْسُ الرشيد له بعد تنسّكه ثم عفوه عنه]

حدّثني عمرو قال: حَدّثني عليّ بن محمد الهشاميّ عن جدّه ابن حَمْدون قال: أخبرني مُخَارِق قال: لمّا تَنَسَّكَ أبو العتاهية ولَبِسَ الصّوفَ أمره الرّشيدُ أن يقولَ شعراً في الغزَل، فامتنع؛ فضربه الرشيد ستين عصاً، وحلَف ألاّ يَخْرُجَ من حَبْسه حتى يقول شعراً في الغزل. فلمّا رُفعت المقَارعُ[2] عنه قال أبو العتاهية: كلُّ مملوكٍ له حُرٌّ وامرأته طالِقٌ إن تكلَّمَ سنةً إلاّ بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله، فكأنّ الرشيدَ تحزَّنَ مما فعله، فأمر أن يُحبَسَ في دار ويُوسَّعَ عليه، ولا يُمنع من دخول من يُريد إليه. قال مخارق: وكانت الحالُ بينه وبين إبراهيم الموصلي لطيفةً، فكان يبعثُني إليه في الأيام أتعرّف خبرَه، فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهْراً[3] ودواةً، فيكتب إليّ ما يريد، وأُكلِّمه فمكثَ هكذا سنةً، واتّفق أنّ إبراهيم الموصليّ صنع صوتَه:

صوت

أَعَرَفْتَ دَارَ الحَيِّ بِالحِجْرِ ... فَشَدوريان فَقُنّة الغَمْرِ[4]
وهجرتَنا وأَلِفْتَ رَسْمَ بِلًى ... والرَّسْمُ كانَ أَحَقَّ بِالهَجْرِ

ـ لَحْنُ إبراهيم في هذا الشّعر خفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى. وفيه لإسحاق رمل بالوسطى ـ قال مُخارق: فقال لي إبراهيم: اذهَبْ إلى أبي العتاهية حتى تُغَنّيه هذا الصّوت. فأتيته في اليوم الذي انقضَتْ فيه يمينه، فغنّيْته إيّاه. فكتب إليّ بعد أن

---

(١) غافصه: أخذه على غِرّة فركبه بمساءة.

(٢) المقارع: جمع المِقْرَعة.

(٣) الظَّهْر: الريش الذي يظهر من ريش الطائر ويستخدم في الكتابة.

(٤) الحِجر: ديار ثمود بوادي القِرى (معجم البلدان ٢: ٢٢٠).

غنّيته: هذا اليوم تَنقضي فيه يميني فأُحبّ أن تُقيمَ عندي إلى اللّيل؛ فأقمتُ عنده نهاري كلّه، حتى إذا أَذَّنَ النَّاسُ المغرب كَلَّمني فقال: يا مُخارقُ، قلت: لَبَّيْكَ. قال: قُلْ لصاحبك: يا بن الزَّانية؛ أمَا والله لقد أبقيتَ لِلنّاسِ فِتنةً إلى يوم القيامة، فانظرْ أين أنت من الله غداً، قال مُخارق: فكنتُ أوّل من أفْطرَ على كلامه؛ فقلت: دَعْني من هذا، هل قلت شيئاً للتخلّص من هذا الموضع؟ فقال: نعم، قد قلت في امرأتي شعراً، قلت: هاته؛ فأنشدني: [الخفيف]

صوت

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ مُشْتَاقِ ... شَفَّهُ شَوْقُهُ وطُولُ الفراقِ
طَالَ شَوْقي إلى قعيدةِ بيتي ... ليتَ شِعْرِي فهل لنا من تَلاقِي
هي حَظِّي قَدِ اقْتَصَرْتُ عليها ... من ذَوَاتِ العُقودِ والأَطْوَاقِ
جَمَعَ اللَّهُ عاجلاً بك شَمْلي ... عن قَرِيبٍ وفَكَّني مِنْ وَثَاقِي

قال: فكتبتها وصِرْتُ بها إلى إبراهيم؛ فصنع فيها لَحناً، ودخل بها على الرّشيد، فكان أوّل صوت غَنَّاه إيّاه في ذلك المجلس؛ وسأله: لمن الشعرُ والغِناء؟ فقال إبراهيم: أمّا الغناء فلي: وأما الشعر فلأسيرِكَ أبي العتاهية. فقال: أَوَ قد فَعَلَ؟ قال: نعم قد كان ذلك. فدعا به، ثم قال لمسرور الخادم: كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ستين عصاً، فأمر له بستين ألف درهم وخلَعَ عليه وأطلقه.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثنا الحسين بن أبي السَّرِيّ قال: قال لي الفضل بن العباس: وجَدَ الرَّشيدُ وهو بالرَّقَّة على أبي العتاهية وهو بمدينة السّلام، فكان أبو العتاهية يرجو أن يَتكلّم الفضلُ بن الربيع في أمره، فأبطأ عليه بذلك؛ فكتب إليه أبو العتاهية: [الكامل]

أَجَفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي ... وجَعَلْتَ شَأْنَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَالَمَا أَمَّنْتَنِي ... مِمَّا أَرَى كُلَّ الأَمَانِ
حَتَّى إذا انْقَلَبَ الزَّمَا ... نُ عَلَيَّ صِرْتَ مَعَ الزَّمَانِ

فكلّمَ الفضلُ فيه الرشيد فرضِيَ عنه. وأرسل إليه الفضلُ يأمره بالشُّخوصِ، ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنه؛ فشخص إليه، فلمّا دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه:

[الخفيف]

قَـد دَعَـوْنَـاهُ نَـائـيـاً فـوجـدنـا ... ه عـلـى نَـأْيِـهِ قَـرِيـبـاً سَـمِـيـعَـا

فأدخله إلى الرشيد، فرجع إلى حالته الأولى.

[رثاؤه ليزيد بن منصور]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: حَدّثني عليّ بن مَهْديّ قال: حَدَّثني الحسين بن أبي السَّرِي قال: كان يزيد بن منصور خالُ المهديّ يتعصّبُ لأبي العتاهية؛ لأنه كان يمدَح اليمانيةَ أخوالَ المهديّ في شعره؛ فمن ذلك قولُه:

صوت

[الوافر]

سُـقِـيـتَ الـغَـيْـثَ يَـا قَـصْـرَ الـسَّـلاَمِ ... فَـنِـعْـمَ مَـحَـلَّـةُ الـمـلـكِ الـهُـمـامِ

لـقـد نَـشَـرَ الإلَـهُ عـلـيـكَ نُـوراً ... وحَـفَّـكَ بِـالـمـلائـكـةِ الـكِـرامِ

سَـأَشْـكُـرُ نِـعْـمَـةَ الـمَـهْـدِيِّ حَـتَّـى ... تَـدُورَ عَـلَـيَّ دائـرةُ الـحِـمـامِ

لـه بَـيْـتَـانِ بَـيْـتٌ تُـبَّـعِـيٌّ ... وبَـيْـتٌ حَـلَّ بِـالـبَـلَـدِ الـحَـرَامِ[1]

قال: وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعي أنه مَوْلًى لليمن ويَنْتفِي من عَنَزَةَ؛ فلمّا مات يزيد رجعَ إلى ولائه الأوّل. فحدّثني الفضل بن العبّاس قال: قلت له: ألم تكن تزعمُ أنّ ولاءكَ لليمن؟! قال: ذلك شيءٌ احتجنا إليه في ذلك الزّمن، وما في واحدٍ ممّن انتميتُ إليه خير، ولكنّ الحَقَّ أحقُّ أن يُتّبع؛ وكان ادّعى ولاء اللَّخْمِيِّين. قال: وكان يزيد بن منصور من أكرم النّاس وأحفظِهم لِحُرْمَةٍ، وأرعاهم لِعَهْدٍ. وكان بارّاً بأبي العتاهية، كثيراً فضلُه عليه؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعةٍ وحِصْنٍ حَصِين مع كَثْرة ما يدفَعُه إليه ويمنَعه من المكاره. فلمّا مات قال أبو العتاهية يَرثيه:

[البسيط]

أَنـعَـى يَـزِيـدَ بْـنَ مـنـصـورٍ إلـى الـبَـشَـرِ ... أَنـعَـى يـزيـدَ لأَهْـلِ الـبَـدْوِ والـحَـضَـرِ

يـا سـاكِـنَ الـحُـفْـرَةِ الـمَـهْـجُـورِ سَـاكِـنُـهـا ... بـعـد الـمَـقَـاصِـرِ والأبـوابِ والـحُـجَـرِ

وَجَـدتُ فَـقْـدَكَ فـي مـالـي وفـي نَـشَـبِـي ... وَجَدْتُ فَقْدَكَ في شَعْري وفي بَشَري[2]

---

(١) تُبّعِيّ: نسبةٌ إلى التبابعة.

(٢) في الديوان «في شِعري وفي نثري». والنَّشَب: المال والعقار.

فلستُ أدري جَزاكَ اللّهُ صالحةً ... أمَنْظَري اليومَ أسْوَا فيكَ أمْ خَبَري

[في مجلس المهدي]

حدّثنا ابن عَمّار قال: حَدَّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال: حَدّثني أبي قال: حُدِّثْتُ أنَّ المهديّ جلس للشّعراء يوماً، فَأذِنَ لَهم وفيهم بشّار وأشجعُ، وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعَظِّمُهُ، وغيرُ هذين، وكان في القوم أبو العتاهية. قال أشجع: فلمّا سَمِعَ بشار كلامَه قال: يا أخا سُلَيم، أهذا ذلك الكوفيّ المُلَقَّب؟ قلت: نعم. قال: لا جزى اللّهُ خيراً مَنْ جمعنا معه. ثم قال له المهديّ أنشد؛ فقال: ويحك! أوَ يَبدأ فيُسْتَنشَد أيضاً قبلنا؟! فقلتُ: قد تَرى. فأنشد: [المتقارب]

ألاَ ما لِسَيِّدَتِي ما لَهَا ... أدَلاً فأحْمِلَ إدْلالَهَا

وإلاَّ فَفِيمَ تَجَنَّتْ وما ... جَنيتُ سَقَى اللّهُ أطلالَهَا

ألاَ إنَّ جاريةً لِلإما ... م قد أُسْكِنَ الحُبُّ سِرْبالَها[1]

مَشَتْ بينَ حُورٍ قِصَارِ الخُطَا ... تُجَاذِبُ في المَشْيِ أكْفالَها[2]

وقد أتْعَبَ اللّهُ نَفْسِي بها ... وأتْعَبَ بِاللّوْمِ عُذّالَها

قال أشجع: فقال لي بشّار: وَيْحَك يا أخا سُلَيم! ما أدري من أيِّ أمْرَيْه أعجب: أمِنْ ضعْف شِعْرِه، أم من تَشْبيبه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه! حتى أتى على قوله:

أتَتْهُ الخِلافةُ مُنْقَادَةً ... إليهِ تُجَرِّرُ أذيالَها

ولم تَكُ تَصْلُحُ إلاّ له ... ولم يَكُ يَصْلُحُ إلاّ لها

ولو رَامَها أحَدٌ غَيْرُهُ ... لَزُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزالَها

ولو لم تُطِعْهُ بَنَاتُ القُلوبِ ... لمَا قَبِلَ اللّهُ أعْمَالَها[3]

وإنَّ الخليفةَ من بُغْض لا ... إليهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قَالَها

قال أشجع: فقال لي بشّار وقد اهتزَّ طَرَباً: وَيْحَكَ يَا أخا سُلَيم! أترى الخليفة لم يَطِرْ عن فَرْشِهِ طَرَباً لِما يأتي به هذا الكوفيُّ؟

(١) السربال: القميص وكلّ ما لُبِسَ.
(٢) الأكفال: جمع الكفل: العجيزة والأوراك.
(٣) بنات القلوب: النيّات.

[منصور ابن عمار يرميه بالزندقة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: حَدّثني ابن مَهْرُويه قال: حَدَّثني العبّاس بن مَيمون قال: حَدَّثني رَجَاء بن سَلَمة قال: سَمِعْتُ أبا العتاهية يقول: قرأتُ البارحةَ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلونَ﴾[1]، ثم قلتُ قصيدة أحسنَ منها. قال: وقد قيل: إنّ منصورَ بن عمّار شَنَّعَ عليه بهذا.

قال يحيى بن عليّ: حَدَّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني أبو عُمَر القرشيّ قال: لمّا قَصَّ منصور بن عَمّار على الناس مجلسَ البَعُوضة[2] قال أبو العتاهية: إنما سرقَ منصورٌ هذا الكلامَ من رجل كوفيّ. فبلغ قولُه منصوراً فقال: أبو العتاهية زِنْديقٌ، أمَا تَرَوْنه لا يذكر في شعره الجنّة ولا النار، وإنما يذكر الموت فقط! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه: [البسيط]

يا واعظَ النَّاسِ قد أَصْبَحْتَ مُتَّهَماً ... إذْ عِبْتَ منهم أُموراً أنتَ تأتيها

كالمُلْبِسِ الثَّوبَ مِنْ عُرْيٍ وعَوْرَتُهُ ... لِلنّاسِ بَادِيَةٌ ما إنْ يُوارِيها

فَأَعْظَمُ الإِثْمِ بعدَ الشِّرْكِ نَعْلَمُهُ ... في كُلِّ نَفْسٍ عَمَاها عن مَساوِيها

عِرفانُها بعيوبِ النَّاسِ تُبْصِرُها ... منهم ولا تُبْصِرُ العَيْبَ الَّذِي فيها

فلم تَمْضِ إلاّ أيامٌ يسيرةٌ حتى مات منصور بن عَمّار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال: يَغفِرُ اللّهُ لكَ أبا السَّرِيّ ما كنتَ رَمَيْتَني به.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدَّثنا محمد بن موسى قال: أخبرني النَّسَائيّ عن محمد بن أبي العتاهية قال: كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشْرِف عليه، فرأتْه ليلةً يَقْنُتُ، فَروَتْ عنه أنه يُكَلِّمُ القمرَ، واتَّصل الخبرُ بحَمْدُويه صاحِب الزَّنادقة، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يُصَلّي، ولم يَزَلْ يرقُبه حتى قَنَت وانصرفَ إلى مَضْجَعه، وانصرف حَمْدُويه خاسئاً.

[أبو العتاهية يقول شعراً يدلّ على توحيده]

حدّثنا محمد بن يحيى قال: حَدَّثنا محمد بن الرِّياشيّ قال: حَدَّثنا الخليل بن

---

(١) سورة النبأ، الآية ١.

(٢) مجلس البعوضة: أطلق المكان ـ وهو المجلس ـ على الحدث. والبعوضة: أي ما يتعلّقُ بها من صفتها وخلقها والأسرار التي أودعها الله فيها.

أسد النُّوشَجَانِيّ قال: جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال: زعَمَ النَّاسُ أنِّي زِنديق، والله ما دِيني إلا التّوحيد. فقلنا له: فقُلْ شيئاً نتحدّثُ به عنك؛ فقال: [المتقارب]

أَلاَ إنَّنا كُلَّنا بائِدُ ... وأيّ بَنِي آدم خَالِدُ
وبَدْؤُهُم كانَ مِنْ رَبِّهِمْ ... وكُلٌّ إلى رَبِّهِ عَائِدُ
فيا عَجَباً كيفَ يُعْصَى الإلـ ... ـهُ أَمْ كيفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ على أنَّهُ وَاحِدُ

[قوّة الأرجوزة لفظاً ومعنًى]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: تَذاكروا يوماً شِعرَ أبي العتاهية بحَضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذِكرُ أُرجُوزتِه المُزدوِجة التي سَمَّاها «ذاتَ الأمثال»؛ فأخذ بعضُ مَنْ حضرَ يُنْشِدُها حتى أتى على قوله:

يا لَلشَّبابِ المَرِحِ التَّصَابِي ... رَوَائِحُ الجَنَّةِ في الشَّبابِ

فقال الجاحظ لِلمُنشِد: قِفْ، ثم قال: انظروا إلى قوله:

* روائحُ الجنّة في الشَّبابِ *

فإنّ له مَعْنًى كمعنى الطَّرَب الذي لا يقدِرُ على معرفته إلا القلوبُ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنةُ إلا بعد التطويل وإدامةِ التفكير، وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قَبوله أسرعَ من اللّسان إلى وَصفه. وهذه الأُرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال إن له فيها أربعة آلاف مَثَل. منها قوله: [الرجز]

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ القُوتُ ... مَا أَكْثَرَ القُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
الفَقْرُ فيما جاوزَ الكَفَافا ... مَنِ اتَّقى اللَّهَ رَجَا وخَافا[1]
هيَ المقاديرُ فَلُمْنِي أو فَذَرْ ... إن كُنْتُ أَخْطَأْتُ فما أَخطا القَدَرْ[2]
لِكُلِّ ما يُؤذِي وإنْ قَلَّ أَلَمْ ... ما أَطْوَلَ اللَّيْلَ على مَنْ لم يَنَمْ
ما انْتَفَعَ المَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ ... وخَيْرُ ذُخْرِ المَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
إنَّ الفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلاحُ ... ورُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ المُزَاحُ
مَنْ جَعلَ النَّمَّامَ عَيْناً هَلَكا ... مُبْلِغُكَ الشَّرَّ كَبَاغِيهِ لَكَا

(١) الكَفاف: قدر الحاجة من الطعام.
(٢) ذر: اترك.

إنّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ ... مَفسَدةٌ لِلْمَرءِ أيُّ مَفسَدهْ[١]
يُغنيكَ عَنْ كُلِّ قَبيحٍ تَرْكُهُ ... تَرتَهِنُ الرَّأيَ الأصيلَ شَكُّهُ
ما عَيشُ مَنْ آفتُهُ بَقاؤُهُ ... نَغَّصَ عَيشاً كُلَّهُ فَناؤُهُ[٢]
يَا رُبَّ مَنْ أَسْخَطَنا بِجَهْدِهِ ... قد سَرَّنا اللَّهُ بِغَيرِ حَمْدِهِ
ما تطلُعُ الشَّمسُ ولا تَغيبُ ... إلاّ لأمرٍ شأنُهُ عَجيبُ
لِكُلِّ شَيءٍ مَعْدِنٌ وَجَوهَرُ ... وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ
مَنْ لكَ بِالمَحْضِ وكُلٌّ مُمْتَزِجْ ... وَسَاوِسٌ في الصَّدرِ منه تَعْتَلِجْ[٣]
وكلُّ شَيءٍ لاحِقٌ بِجَوهَرِهْ ... أصْغرُه مُتَّصِلٌ بأكبرِهْ
ما زالتِ الدُّنيا لنا دارَ أذى ... ممزوجةَ الصَّفوِ بألوانِ القَذَى
الخَيرُ والشَّرُّ بها أزواجُ ... لِذا نِتاجٌ ولِذا نِتاجُ
مَنْ لَكَ بِالمَحْضِ وليسَ مَحْضُ ... يَخْبُثُ بَعْضٌ ويَطيبُ بَعْضُ
لِكُلِّ إنسانٍ طَبيعتانِ ... خَيرٌ وشَرٌّ وهما ضِدّانِ
إنَّكَ لو تَستَنشِقُ الشَّحيحَا ... وَجَدْتَهُ أنْتَنَ شَيءٍ ريحَا
والخَيرُ والشَّرُّ إذا ما عُدّا ... بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جِدّا[٤]
عَجِبْتُ حتى غَمَّني السَّكوتُ ... صِرْتُ كأنّي حائرٌ مَبْهوتُ
كذا قَضَى اللَّهُ فكيفَ أصْنَعُ ... الصَّمتُ إنْ ضاقَ الكلامُ، أوسعُ

وهي طويلة جدّاً، وإنما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسَب ما اسْتاقَ الكلامُ من صفتها.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنا ابن مَهْرُويه عن رَوْح بن الفَرَج قال: شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه؛ فقال: انقُشْ عليه: لَعنةُ الله على النّاس؛ وأنشد: [السريع]

بَرِمْتُ بِالنّاسِ وأخلاقِهم ... فَصِرْتُ أستأنِسُ بِالوُحدَهْ
ما أكثرَ النّاسَ لعَمْري وما ... أقَلَّهم في حاصلِ العِدَّهْ

---

(١) الجِدَة: الترف.
(٢) في الديوان «طيّباً» بدل «كلّه».
(٣) المَحْض: الخالص الصافي، والوساوس: المخاوف والشكوك.
(٤) البَوْن: البعد.

[مدحه لعمر بن العلاء]

حَدَّثنا الصُّوليُّ قال: حَدَّثنا الغَلاَبيُّ قال: حَدَّثنا عبد الله بن الضحَّاك: أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُرَيث صاحبَ المهديّ كان مُمَدَّحاً، فمدحه أبو العتاهية، فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ! وأيّ شيء مِقدارُ شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرّجلَ وقال له: والله إنّ الواحد منكم لَيَدُورُ على المعنى فلا يُصيبُه، ويتعاطاه فلا يُحسِنُه، حتى يُشَبّب بخمسين بيتاً، ثم يمدَحُنا ببعضها، وهذا كأنّ المعاني تُجْمَعُ له، مدحني فقصَّرَ التشبيبَ، وقال [الكامل]

إنّـي أَمِـنْـتُ مِـنَ الـزّمَـانِ ورَيْـبِـهِ … لَـمَّـا عَـلِـقْـتُ مِـنَ الأمـيـرِ حِـبـالاَ

لـو يـسـتـطـيـعُ الـنَّـاسُ مِـنْ إجـلالِـه … لَـحَـذَوْا لـه حُـرَّ الـوُجـوهِ نِـعـالا[١]

صوت

إنّ الـمـطـايـا تَـشْـتَـكِـيـكَ لأنَّـهـا … قَـطَـعَـتْ إلـيـكَ سَـبَـاسِـبـاً ورِمـالا[٢]

فـإذا وَرَدْنَ بِـنـا وَرَدْنَ مُـخِـفَّـةً … وإذا رَجَـعْـنَ بِـنـا رَجَـعْـنَ ثِـقـالا[٣]

أخذ هذا المعنى من قول نُصَيب: [الطويل]

فَـعَـاجُـوا فَـأَثْـنَـوْا بـالّـذي أَنْـتَ أَهْـلُـهُ … ولـو سَكَـتُـوا أَثْـنَـتْ عـلـيـك الـحَـقَـائِـبُ

[أبو العتاهية أشعر الناس برأي العتابي]

حدّثنا الصُّوليّ قال: حَدّثنا محمد بن عَوْن قال: حَدّثني محمد بن النَّضْر كاتب غسَّان بن عبد اللَّه قال: أُخْرِجتُ رسولاً إلى عبد اللَّه بن طاهر وهو يُريد مصر، فنزلت على العَتَّابيّ، وكان لي صديقاً، فقال: أنْشِدني لشاعر العراق ـ يعني أبا نواس، وكان قد مات ـ فأنشدتُه ما كنت أحفظ من مُلَحِهِ، وقلت له: ظَنَنتُكَ تقول هذا لأبي العتاهية. فقال: لو أردتُ أبا العتاهية لقلت لك: أنشِدْنِي لأشعرِ النّاس، ولم أقتصر على العراق.

---

(١) حذا: جعل له حذاءً أي نعلاً. وحُرّ الوجوه: الوجوه الكريمة.

(٢) السباسب: جمع السّبسب: الأرض القفر البعيدة، الصحراء.

(٣) في الديوان «خفائفاً» بدل «مُخِفَّةً».

[أبو العتاهية يرى أن أكثر الناس يقولون شعراً]

أخبرني عمّي قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدَّثني هارون بن سَعْدان عن شيخ من أهل بغداد قال: قال أبو العتاهية: أكثرُ النَّاسِ يتكلّمون بالشّعر وهم لا يعلمون، ولو أحسنُوا تأليفَه كانوا شعراء كلُّهم. قال: فبينما نحن كذلك إذ قال رجلٌ لآخر عليه مِسحٌ[1]: «يا صاحبَ المِسْحِ تَبيعُ المِسْحَ»؟. فقال لنا أبو العتاهية: هذا من ذلك، ألم تسمعوه يقول:

* يا صاحبَ المِسْحِ تَبيعُ المِسحَا *

قد قال شعراً وهو لا يعلم. ثم قال الرّجل: «تعال إنْ كنتَ تريد الرِّبح». فقال أبو العتاهية: وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم، قال له:

* تعالَ إن كنتَ تُريد الرِّبْحَا *

[الأصمعي يصف شعره]

حدّثنا الصُّولِيّ قال: حَدَّثنا محمد بن موسى قال: حَدَّثنا أحمد بن بَشِير أبو طاهر الحَلَبيّ قال: حَدَّثنا مَزْيَد الهاشميّ عن السِّنْدِيّ قال: سَمِعتُ الأصمعيّ يقول: شِعْرُ أبي العتاهية كسَاحةِ الملوك يَقعُ فيها الجوهرَ والذَّهب والتراب والخَزَف والنَّوَى.

أخبرني محمد بن مزْيَد بن أبي الأزهر قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: لمّا حبَسَ المهديّ أبا العتاهية، تكلّم فيه يَزِيد بن منصور الحِميريّ حتى أطلقه؛ فقال فيه أبو العتاهية: [البسيط]

ما قُلْتُ في فَضلِهِ شَيئاً لأَمْدَحَهُ … إلاّ وفَضلُ يَزيدٍ فوقَ ما قُلْتُ
ما زِلْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي خائفاً وَجِلاً … فقد كَفَانِيَ بعدَ اللّهِ ما خِفْتُ

[أبو العتاهية يرتجل الشعر]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال: حَدّثني عليّ بن مَهديّ قال: حَدّثني محمد ابن يحيى قال: حَدّثني عبد الله بن الحسن قال: جاءني أبو العتاهية وأنا في

---

(١) المسح: كساء يصنع من الشعر يشبه ثياب الرهبان.

الديوان فجلس إليّ، فقلتُ: يا أبا إسحاق، أمَا يَصْعُبُ عليك شيءٌ من الألفاظ فتحتاجَ فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ مَنْ يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مُسْتكرَهة؟ قال: لا. فقلت له: إنّي لأحسب ذلك من كثرة رُكوبِكَ القوافيَ السَّهلةَ. قال: فاعْرِضْ عَلَيَّ ما شِئتَ من القوافي الصّعبة. فقلت: قُلْ أبياتاً على مثل البلاغ. فقال من ساعته: [الخفيف]

أَيُّ عَيْشٍ يكونُ أَبْلَغَ من عَيْـ ـشٍ كَفَافٍ، قُوتٍ بِقَدْرِ البلاغِ[1]
صَاحِبُ البَغْيِ ليسَ يَسْلَمُ منه وعلى نَفْسِهِ بَغَى كُلُّ باغِي[2]
رُبَّ ذِي نِعْمَةٍ تَعَرَّضَ منها حَائِلٌ بينه وبين المَسَاغِ[3]
أَبْلَغَ الدَّهْرُ في مَوَاعِظِهِ بل زَادَ فِيهِنَّ لي على الإبلاغِ
غَبَنَتْنِي الأيّامُ عَقْلِي ومَالِي وشَبَابِي وصِحَّتِي وفرَاغِي

[أبو العتاهية ينشد شعر الغزل لمسلم بن الوليد فيكبره]

أخبرنا يحيى إجازةً قال: حَدّثنا عليّ بن مَهْدِيّ قال: حَدّثني أبو عليّ اليَقْطِيني قال: حَدّثني أبو خَارِجةَ بنُ مسلم قال: قال مسلم بن الوليد: كنت مُسْتَخِفّاً بشعر أبي العتاهية، فَلَقِيَني يوماً فسألني أن أصيرَ إليه، فصِرتُ إليه فجاءني بلَونٍ واحدٍ فأكلناه، وأحضرَني تمراً فأكلناه، وجلسنا نتحدّثُ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل، وسألته أن يُنْشِدني، فأنشدني قولَه: [البسيط]

بِاللّهِ يا قُرَّةَ العَيْنَيْنِ زُورِيني قبلَ المَمَاتِ وإلاّ فاسْتَزِيريني[4]
إنّي لأَعْجَبُ مِنْ حُبٍّ يُقَرِّبُني مِمَّنْ يُباعِدُني مِنْهُ ويُقْصِيني
أَمَّا الكثير فما أرجوه مِنْكِ ولو أَطْمَعْتِني في قليلٍ كان يكفِيني

ثم أنشدني أيضاً: [الطويل]

رأيتُ الهوى جَمْرَ الغَضَى غيرَ أنّه على حَرِّهِ في صَدْرِ صاحِبِهِ حُلْوُ[5]

(١) البلاغ: الكفاية. والكفاف: ما يكفي من القوت والزّاد.
(٢) البغي: الظلم.
(٣) المساغ: ما يتلذّذه المتذوّق من الطعام والشراب.
(٤) استزارَه: سألَهُ أن يزوره.
(٥) الغَضَا: نوع من الشجر خشبه صلب وجمره شديد الالتهاب لا ينطفىء بسرعة.

صوت

[الطويل]

أَخِلاَّيَ بي شَجْوٌ وليسَ بكُمْ شجْوُ وكلُّ امْرِىءٍ عن شَجْوِ صاحِبِهِ خِلْوُ(١)
وما مِنْ مُحِبٌ نَالَ مِمَّنْ يُحِبُّهُ هَوًى صَادِقاً إلاّ سَيَدْخُلُهُ زَهْوُ(٢)
بُلِيتُ وكانَ المَزْحُ بَدْءَ بَلِيَّتِي فَأَحْبَبْتُ حَقّاً والبَلاءُ له بَدْوُ
وعُلِّقْتُ مَنْ يزهو عَلَيَّ تَجَبُّراً وإنّي في كُلِّ الخِصالِ له كُفْوُ(٣)
رأيتُ الهوى جَمْرَ الغَضَى غير أنّه على كُلِّ حالٍ عِنْدَ صاحِبِهِ حُلْوُ

ـ الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق في مَجْرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو، ولعمرو بن بانة رَملٌ بالوسطى من كتابه، ولعَريب فيه خفيفُ ثقيلٍ من كتاب ابن المُعتزّ ـ قال مسلم: ثم أنشدني أبو العتاهية:

صوت

[الطويل]

خَليلَيَّ مالي لا تَزالُ مَضَرَّتي تكونُ على الأقْدارِ حتْماً منَ الحَتْمِ(٤)
يُصَابُ فؤادي حين أَرْمِي ورَمْيَتِي تَعُودُ إلى نَحْرِي ويَسْلَمُ مَنْ أَرْمِي
صَبَرْتُ ولا واللّهِ ما بي جَلادَةٌ على الصَّبرِ لَكِنِّي صَبَرْتُ على رَغْمِي(٥)
ألاَ في سَبيلِ اللّهِ جِسْمِي وقُوّتي ألاَ مُسْعِدٌ حتى أنوحَ على جِسْمي
تُعَدُّ عِظَامِي واحداً بعدَ واحدٍ بِمَنْحًى مِنَ العُذّالِ عَظْماً على عَظْمِ
كَفَاكَ بِحَقِّ اللّهِ ما قد ظَلَمْتَني فهذا مَقَامُ المُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلْمِ

ـ الغناء لِسياط في هذه الأبيات، وإيقاعه من خفيف الثّقيل الأوّل بالسَّبابة في مجرى البِنْصر عن إسحاق ـ قال مسلم: فقلت له: لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي مَنْ أحسنَ أن يقولَ مثل هذا الشّعر ما فاته من الدّنيا، فقال: يابن أخي، لا تقولنّ مثل هذا؛ فإن الشّعر أيضاً من بعض مَصايد الدّنيا.

---

(١) الشَّجو: الحزن. والخلو: الخالي البال.
(٢) الزّهو: التّيه والفخر.
(٣) يزهو: يتكبّر. وكفو: كفؤ (مخفّفة).
(٤) مضرّتي: الإساءة إليّ.
(٥) الجلادة: شدة الصبر. والرَّغم: الإكراه.

[إنشاده للرشيد في عدّة مناسبات واهتزاز الرشيد طَرَباً]

أخبرنا يحيى إجازةً قال: حَدّثني عليّ بن مهديّ قال: حَدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال: حَدّثني ابن الأعرابيّ قال: اجتمعتِ الشّعراءُ على باب الرّشيدِ، فأذِنَ لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبو العتاهية: [السريع]

يا مَنْ تَبَغّى زَمَناً صَالِحاً   صَلاحُ هارونَ صَلاحَ الزَّمَنْ[1]
كُلُّ لِسَانٍ هو في مُلْكِهِ   بِالشُّكْرِ في إِحْسَانِهِ مُرْتَهَنْ

قال: فاهتزَّ له الرَّشِيدُ، وقال له: أَحْسَنْتَ واللهِ! وما خرجَ في ذلك اليوم أحدٌ من الشّعراء بِصِلَةٍ غيره.

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: حَدّثنا عليّ بن مهديّ قال: حَدّثنا عامر بن عِمْران الضَّبيّ قال: حدّثني ابن الأعرابيّ قال: أجرى هارونُ الرّشيد الخَيْلَ؛ فجاءه فرسٌ يقال له المُشَمِّر سابقاً، وكان الرّشيد مُعْجباً بذلك الفرس، فأمر الشّعراء أن يقولوا فيه، فبدرهم أبو العتاهية فقال: [البسيط]

جاءَ المُشَمِّرُ والأَفْرَاسُ يَقْدُمُها   هَوْناً على رِسْلِهِ منها وما انْبَهَرا[2]
وخَلَّفَ الرِّيحَ حَسْرَى وَهْيَ جَاهِدةٌ   ومَرَّ يَخْتَطِفُ الأَبْصَارَ والنَّظَرَا[3]

فأجزلَ صِلَتَهُ، وما جَسَر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً.

[رثاؤه لصديقه علي بن ثابت وتضمينه المعاني الفلسفية]

أخبرني يحيى إجازةً قال: حَدّثني الفضلُ بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال: كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجَاوبات كثيرة في الزّهد والحِكمة، فتُوفِّيَ عليّ بن ثابت قبله، فقال يَرثيه: [مجزوء الخفيف]

مُؤْنِسٌ كانَ لي هَلَكْ   والسَّبِيلُ الّتي سَلَكْ
يا عَليَّ بنَ ثابِتٍ   غَفَرَ اللَّهُ لِي ولَكْ
كُلُّ حَيٍّ مُمَلَّكٍ   سوفَ يَفْنَى وما مَلَكْ[4]

---

(١) تبغّى: طلب أن يَنالَ، انتظر.
(٢) يقدمُها: يسبقها. على رِسْلِه: على مهله. وما انبهر: لم يتعب.
(٣) حَسْرَى: متعبة.
(٤) مُمَلَّك: عنده أملاك.

قال الفَضْل: وحضر أبو العتاهية عليَّ بن ثابت وهو يَجُودُ بنفسه، فلم يَزَلْ مُلتزِمَه حتى فاضَ[1]؛ فلما شُدَّ لَحْياهُ بكى طويلاً، ثم أنشد يقول: [الخفيف]

يا شَريكِي في الخَيْرِ قَرَّبَكَ اللَّـ ـهُ فَنِعْمَ الشَّرِيكُ في الخَيْرِ كُنْتَا
قد لَعَمْرِي حَكَيْتَ لي غُصَصَ المَوْ تِ فَحَرَّكْتَنِي لها وسَكَنْتَا[2]

قال: ولمّا دُفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء، ويردِّد هذه الأبياتَ:

[الوافر]

ألاَ مَنْ لي بِأُنْسِكَ يا أُخَيَّا ومَنْ لي أَنْ أَبُثَّكَ ما لَدَيَّا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كذاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وطَيَّا
فلو نَشَرَتْ قُواكَ لِيَ المَنَايا شَكَوْتُ إليكَ ما صَنَعَتْ إلَيَّا
بَكَيْتُكَ يا عَلِيٌّ بِدَمْعِ عَيْنِي فما أَغْنَى البُكَاءُ عَلَيْكَ شَيَّا
وكانت في حَياتِكَ لي عِظَاتٌ وأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب[3]: هذه المعاني أخذها كُلَّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لمّا حضروا تابوت الإسكندر، وقد أُخرج الإسكندر لِيُدْفَن: قال بعضهم: كان الملكُ أمسِ أَهْيَبَ منه اليومَ، وهو اليوم أَوْعَظُ منه أمس. وقال آخر: سَكَنَتْ حركةُ الملك في لذّاته، وقد حرّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده. وهذان المعنيان هما اللَّذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار.

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثني جعفر ابن الحسين المُهلَّبيّ قال: لَقِينَا أبو العتاهية فقلنا له: يا أبا إسحاق، مَنْ أَشْعَرُ النّاسِ؟ قال: الذي يقول: [الكامل]

اللَّهُ أَنْجَحُ ما طَلَبْتَ بِهِ والبِرُّ خَيْرُ حَقيبةِ الرَّحْلِ

فقلت: أَنْشِدْني شيئاً من شِعرك؛ فأنشدني: [البسيط]

يَا صاحب الرُّوحِ ذِي الأَنْفَاسِ في البَدَنِ بينَ النَّهَارِ وبَيْنَ اللَّيلِ مُرْتَهَنِ
لَقَلَّما يَتَخَطَّاكَ اختلافُهما حَتَّى يُفَرِّقَ بينَ الرُّوحِ والبَدَنِ

---

(١) فاض: مات.
(٢) غُصَص الموت: حزنه وهمّه.
(٣) هو أبو الفرج الأصبهاني.

لَتجذِبَنِّي يَدُ الدُّنيا بِقُوَّتِها إلى المَنَايا وإن نَازَعْتُها رَسَنِي
لِلّهِ دُنْيا أُنَاسٍ دَائِبِينَ لها قَدِ ارْتَعَوْا في رِيَاضِ الغَيِّ والفِتَنِ
كَسَائِمَاتٍ رِتَاعٍ تَبْتَغِي سِمَناً وحَتْفُها لو دَرَتْ في ذلك السِّمَنِ[١]

قال: فكتبتُها، ثم قلت له: أنْشِدني شيئاً من شِعرك في الغزل؛ فقال: يابن أخي، إنّ الغزلَ يُسرعُ إلى مثلك، فقلت له: أرجو عصمةَ الله جلّ وعزّ. فأنشدني:

[السريع]

كَأنَّها مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ أخْرَجَهَا اليَمُّ إلى السَّاحِلِ
كأنّ في فِيهَا وفي طَرْفِها سَوَاحِراً أقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ
لم يُبْقِ مِنّي حُبُّها ما خَلاَ حُشَاشَةً في بَدَنٍ نَاحِلِ[٢]
يا مَنْ رَأى قَبْلِي قَتِيلاً بَكَى مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ على القَاتِلِ

فقلت له: يا أبا إسحاق، هذا قولُ صاحبنا جَميل: [الطويل]

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هل رَأَيْتُما قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلِي

فقال: هو ذاك يابنَ أخي وتبسّمَ.

[تَحَسُّره على الشباب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حَدّثني أبي قال: حَدّثني أبو عِكْرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال: دخلتُ مسجدَ المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسنَةٍ فإذا شيخٌ عليه جماعةٌ وهو يُنشد: [مجزوء الكامل]

لَهفي على وَرَقِ الشَّبابِ وغُصُونِهِ الخُضْرِ الرِّطَابِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وبَانَ عَنْـ ـنِي غَيْرَ مُنْتَظَرِ الإيابِ
فَلأَبْكِيَنَّ عَلَى الشَّبا بِ وطِيبِ أيّامِ التَّصَابِي
ولأَبْكِيَنَّ مِنَ البِلَى ولأَبْكِيَنَّ مِنَ الخِضابِ
إنّي لآمُلُ أن أُخَـ ـلَّدَ والمَنِيَّةُ في طِلاَبِي

قال: فجعل يُنشِدُها وإنّ دموعَه لَتَسيلُ على خدّيه، فلمّا رأيت ذلك لم أصبر

---

(١) السائمات: جمع السائمة: الإبل التي تُرعى وتُعلف. ورتاع: جمع راتعة أي: راعية.
(٢) الحشاشة: ما بَقِيَ من الروح في البدن.

أنْ مِلتُ فكتبتُها، وسألت عن الشيخ فقيل لي: هو أبو العتاهية.

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال: حَدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال: حدّثني أبو العباس محمد بن أحمد قال: كان ابن الأعرابيّ يعيب أبا العتاهية ويَثْلُبه فأنشدته: [الكامل]

كم من سَفِيهٍ غاظَني سَفَهاً ... فَشَفَيْتُ نَفْسِي منه بالحِلْمِ
وكَفَيْتُ نَفْسِي ظُلْمَ عادِيَتِي ... وَمَنَحْتُ صَفْوَ مَوَدَّتِي سِلْمِي[1]
ولقد رُزِقْتُ لِظالِمي غِلَظاً ... ورَحِمْتُهُ إذ لَجَّ في ظُلْمِي[2]

أخبرني محمد بن عِمران قال: حَدّثني العنَزيّ قال: حَدَّثني محمد بن إسحاق قال: حَدَّثني محمد بن أحمد الأزديّ قال: قال لي أبو العتاهية: لم أقلْ شيئاً قطّ أحبَّ إليّ من هذين البيتين في معناهما: [الخفيف]

لَيتَ شِعْرِي فَإنَّني لَستُ أَدْرِي ... أَيُّ يَومٍ يكونُ آخِرَ عُمْرِي
وبِأَيِّ البِلادِ يُقْبَضُ رُوحِي ... وبِأَيِّ البِقاعِ يُحْفَرُ قَبْرِي[3]

[يتذاكر الشّعر مع فتيان في الكوفة في بداية شبابه]

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثني محمد بن الفضل قال: حَدّثنا محمد بن عبد الجبّار الفَزَاريّ قال: اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فخّار يدور به في الكوفة ويَبيع منه، فمرّ بفتيان جُلوس يتذاكرون الشّعرَ ويتناشدونه، فسلّمَ ووضع القفص عن ظهره، ثم قال: يا فتيانُ أراكم تَذاكرون الشّعرَ، فأقول شيئاً منه فتُجيزونه، فإن فعلتم فلكم عشرةُ دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم، فهَزِئوا منه وسَخِروا به وقالوا نعم. قال: لا بدّ أن يُشْتَرى بأحد القِمَارَيْنِ رُطَبٌ يُؤكل فإنه قِمار حاصل، وجعل رَهْنَه تحت يد أحدهم، ففعلوا. فقال: أجِيزوا:

* ساكِنِي الأجداثِ أَنْتُمْ *

---

(١) العادية: الحدة والغضب.

(٢) لجّ في الأمر: ألحّ عليه.

(٣) معنى البيتين مستوحى من الآية الكريمة ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت﴾.

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضِع إذا بلغته الشّمسُ ولم يُجيزوا البيتَ، غُرِّمُوا الخطَرَ[١]؛ وجعل يهزأ بهم وتَمَّمه: [مجزوء الرمل]

. . . . مِـثْـلَـنـا بِـالأَمْـسِ كُـنْـتُـمْ
لَـيْـتَ شِـعْـرِي مـا صَـنَـعْـتُـمْ أَرَبِـحْـتُـمْ أَمْ خَـسِـرْتُـمْ

وهي قصيدة طويلة في شعره.

[هجاء أبي حَبَش له وذمّه لشعره]

أخبرني عمّي قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خَيْثَم العَنَزيّ قال: لمّا حَبَس الرّشيدُ أبا العتاهية وحلَفَ ألاّ يُطْلِقَهُ أو يقولَ شِعْراً، قال لي أبو حبش: أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر، تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم، ويقول هذا المُخَنَّثُ المُفكَّك تلك الأشعارَ بالشفاعة، ثم أنشدني: [الوافر]

أبـا إسـحـاقَ رَاجَـعْـتَ الـجـمـاعَـهْ وعُـدْتَ إلى الـقـوافـي والـصِّـنَـاعَـهْ
وكـنـتَ كـجـامِـحٍ فـي الـغَـيِّ عَـاصٍ وأنـتَ الـيـومَ ذو سَـمْـعٍ وطـاعَـهْ
فَـجُـرَّ الـخَـزَّ مـمّـا كُـنْـتَ تُـكْـسَـى وَدَعْ عـنـكَ الـتَّـقَـشُّـفَ والـبَـشَـاعَـهْ
وشَـبِّـبْ بـالّـتـي تَـهْـوَى وخَـبِّـرْ بـأنّـكَ مَـيِّـتٌ فـي كُـلِّ سَـاعَـهْ
كَـسَـدْنـا مـا نُـرادُ وإنْ أَجَـدْنـا وأنـتَ تـقـولُ شِـعْـرَكَ بِـالـشَّـفَـاعَـهْ

[رحلته مع المهدي إلى الصيد وهجاؤه له]

أخبرني أحمد بن العبّاس العَسْكريّ قال: حَدّثنا العَنزيّ قال: حَدّثنا محمد بن عبد الله قال: حدّثني أبو خَيْثَم العَنَزيّ، وكان صديقاً لأبي العتاهية، قال: حَدّثني أبو العتاهية قال: أخرجني المهديُّ معه إلى الصَّيْدِ، فوقعنا منه على شيءٍ كثيرٍ فتفرّقَ أصحابُه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يَلْتَقُوا، وعرضَ لنا وادٍ جَرَّارٌ وتَغَيَّمتِ السّماءُ وبدأت تُمطر فتحيَّرْنا، وأشرفْنا على الوادي فإذا هو ملاّحٌ[٢] يُعَبِّرُ النّاسَ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق، فجعل يُضَعِّفُ رأيَنا، ويُعَجِّزُنا في بَذْلِنا أنفسنا في ذلك الغَيْم لِلصّيد حتى أبْعدَنا، ثم أدخَلَنا كُوخاً له، وكاد المهديُّ يموت

---

(١) الخَطَر: الرَّهْنُ بعينه.
(٢) المَلاّح: في الأصل النّوبيّ وهنا الدليل الذي يرشد الناسَ.

برداً؛ فقال له: أُغَطِّيكَ بجُبَّتي هذه الصّوف؟ فقال: نعم، فغطّاه بها، فتماسك قليلاً ونام. فافتقده غِلمانهُ وتَبِعوا أثَرَه حتى جاؤونا، فلمّا رأى الملاّحُ كثرتَهم عَلِمَ أنه الخليفةُ فهرب، وتبادر الغِلمان فنَحَّوا الجُبَّةَ عنه وألقَوْا عليه الخَزَّ والوَشْيَ. فلما انتبه قال لي: وَيْحَكَ! ما فعل الملاّحُ؟ فقد والله وَجَبَ حَقُّه علينا. فقلت: هَرَبَ والله خوفاً من قُبح ما خاطبنا به. قال: إنّا لله! والله لقد أردتُ أن أُغْنِيَهُ، وبأيِّ شيءٍ خَاطَبَنا، نحن والله مُستحقون لأقبحَ مما خاطبنا به! بحياتي عليك إلاّ ما هجوتَني. فقلت: يا أمير المؤمنين، كيف تَطيبُ نفسي بأن أهجوكَ! قال: والله لتَفْعَلنَّ؛ فإني ضعيفُ الرأي مُغْرَمٌ بالصّيد، فقلت: [السريع]

يا لابسَ الوَشْيِ على ثَوْبِهِ ... ما أَقْبَحَ الأَشْيَبَ في الرَّاحِ

فقال: زِدْني بحياتي، فقلت:

لو شِئْتَ أيضاً جُلْتَ في خَامةٍ ... وفي وِشَاحَيْنِ وأَوْضاحِ[1]

فقال: وَيْلَكَ! هذا معنى سَوْء يَرْويه عنك الناسُ، وأنا أستأهلُ، زِدْني شيئاً آخر. فقلت: أخاف أن تغضَبَ. قال: لا والله. فقلت:

كَمْ مِنْ عَظيمِ القَدْرِ في نَفْسِهِ ... قد نامَ في جُبَّةِ مَلاَّحِ

فقال: معنى سَوْء عليكَ لعنةُ اللَّهِ! وقمنا وركبنا وانصرفنا.

[رسالة شِعرية إلى المأمون من أبي العتاهية]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدّثنا محمد بن يزيد قال: حَدّثنا جماعة من كتّاب الحسن بن سهل قالوا: وقعتْ رقعةٌ فيها بَيْتا شعرٍ في عسكر المأمون؛ فَجِيءَ بها إلى مُجَاشِع بن مَسْعدة، فقال: هذا كلام أبي العتاهية، وهو صديقي، وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير الفضل بن سهل. فذهبوا بها، فقرأها وقال: ما أعرف هذه العلامة. فبلغ المأمونَ خبرُها فقال: هذه إليّ وأنا أعرف العلامة. والبيتان:

(١) الأوضاح: حَلْيٌ من الدراهم الصحاح.

صوت

[الخفيف]

ما على ذا كُنّا افترقنا بِسَنْدَا ... نَ وما هكذا عَهِدْنَا الإِخَاءَ(١)
تَضْرِبُ النّاسَ بالمُهَنَّدَةِ البِيـ ... ـضِ على غَدْرِهِمْ وتَنْسَى الوَفَاءَ

قال: فبعث إليه المأمون بمالٍ.

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل رمَلٌ من رواية ابن المُعتزّ.

[استعجاله عطاء ابن يقطين شِعراً]

قال: وكان عليّ بن يَقطين صديقاً لأبي العتاهية، وكان يَبَرُّهُ في كلّ سنة بِبِرٍّ واسع، فأبطأ عليه بالبِرِّ في سنة من السنين، وكان إذا لَقِيَهُ أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرُّ به ويرفع مجلسَه ولا يَزيده على ذلك. فلقيه ذات يوم وهو يريد دارَ الخليفة، فاستوقفه فوقف له فأنشده:

[البسيط]

حتّى مَتَى لَيْتَ شِعْرِي يابْنَ يَقْطِينِ ... أُثْنِي عليكَ بِمَا لا مِنْكَ تُولِينِي
إنَّ السَّلامَ وإنَّ البِشْرَ مِنْ رَجُلٍ ... في مِثْلِ ما أَنْتَ فيه ليس يَكْفِينِي
هذا زَمَانٌ أَلَحَّ النّاسُ فيه على ... تِيهِ المُلوكِ وأَخْلاقِ المَسَاكِينِ
أَمَا عَلِمْتَ جَزَاكَ اللّهُ صَالِحَةً ... وزَادَكَ اللّهُ فَضْلاً يابْنَ يَقْطِينِ
أَنّي أُرِيدُكَ لِلدُّنيا وعاجِلِها ... ولا أُرِيدُكَ يومَ الدِّينِ لِلدِّينِ

فقال عليّ بن يَقطين: لستُ واللّهِ أبرحُ ولا تَبرحُ من موضعنا هذا إلاّ راضياً، وأمرَ له بما كان يبعث به إليه في كل سنة، فَحُمِلَ من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تَسَلَّمَهُ.

[شعرٌ قاله في الحبسِ أفرج عنه]

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهْرُ الْمُبَرِّد قال: حَدّثنا محمد بن يزيد قال: بلغني من غير وجه: أنَّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبسه، وَكَّلَ به صاحبَ خَبَرٍ يكتبُ إليه بكلّ ما يسمعه. فكتب إليه أنه سمعه ينشد:

[الوافر]

أَمَا واللّهِ إنّ الظُّلْمَ لُومُ ... وما زالَ المُسِيءُ هوَ الظَّلُومُ

(١) سَنْدَان: مدينة ملاصقة للسند (معجم البلدان ٣: ٢٦٧).

إلى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي وعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ

قال: فبكى الرّشيدُ، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمرَ له بألفَيْ دينار.

[منصور بن عمار يتّهمه بالزندقة لشعرٍ قالهُ في عتبة]

أخبرني محمد بن جعفر قال: حَدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال: لمّا قال أبي في عُتْبَة[1]: [السريع]

كَأنَّ عُتَّابَةَ مِنْ حُسْنِهَا دُمْيَةُ قَسٍّ فَتَنَتْ قَسَّهَا[2]
يَا رَبِّ لو أنْسَيْتَنِيهَا بِمَا في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ لَمْ أنْسَهَا

شَنَّع عليه منصور بن عمّار بالزّندقة، وقال: يتهاون بالجنة ويبتذل ذِكْرَها في شعره بمثل هذا التهاون! وشَنَّعَ عليه أيضاً بقوله: [مجزوء الكامل]

إنَّ المَلِيكَ رَآكِ أحْـ ـسَنَ خَلْقِهِ ورَأى جَمَالَكْ
فَحَذَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ حُورَ الجِنَانِ عَلَى مِثَالِكْ

وقال: أيُصَوِّرُ الحُورَ على مثال امرأة آدميةٍ واللَّهُ لا يحتاج إلى مثال! وأوقع له هذا على ألْسنة العامّة، فَلَقِيَ منهم بلاءً.

حدّثني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حَدّثنا خليل بن أسد قال: حَدّثني أبو سَلْمَة الباذغيسيّ قال: قلتُ لأبي العتاهية: في أيِّ شعرٍ أنت أشعرُ؟ قال: قولي: [المتقارب]

النَّاسُ في غَفَلاتِهِمْ ورَحَا المَنِيَّةِ تَطْحَنُ

[أحسن شعر قاله في الموت]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال: حَدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال: حدّثني يحيى بن عبد الله القُرَشيّ قال: حَدّثني المُعَلّى بن أيّوب قال: دخلْتُ على المأمون يوماً وهو مُقْبِلٌ على شيخ حَسَن اللِّحْيَةِ خَضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئةٌ[3]، فقلت للحسن بن أبي سعيد ـ قال: وهو ابن خالة المُعَلّى بن

---

(١) عُتبة: جارية المهدي أحبها أبو العتاهية وقال فيها الكثير من الشعر.
(٢) القَسّ: الراهب.
(٣) اللاّطئة: قلنسوة صغيرة توضع على الرأس وتلتصق به.

أيوب، وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة - مَنْ هذا؟ فقال: أمَا تعرفه؟! فقلت: لو عرفتُه ما سألتُك عنه. فقال: هذا أبو العتاهية. فسمعت المأمونَ يقول له: أنْشِدني أحسنَ ما قلتَ في الموت؛ فأنشده: [مجزوء الكامل]

أَنْسَاكَ مَحْيَاكَ المَمَاتَا ... فَطَلَبْتَ في الدُّنيا الثَّبَاتَا
أَوَثِقْتَ بِالدُّنيا وأنـ ... ـتَ تَرَى جَمَاعَتَها شَتَاتَا[1]
وعَزَمْتَ مِنْكَ على الحيا ... ةِ وطُولِها عَزماً بَتَاتَا[2]
يا مَنْ رأى أَبَوَيْهِ فِيـ ... ـمَنْ قد رَأى كانَا فَمَاتَا
هَلْ فِيهِمَا لكَ عِبْرَةٌ ... أَمْ خِلْتَ أَنَّ لكَ انْفِلاَتَا[3]
ومَنِ الَّذِي طَلَبَ التَّفَلُّـ ... ـتَ مِنْ مَنِيَّتِهِ فَفَاتَا
كُلٌّ تُصَبِّحُهُ المَنِـ ... ـيَّةُ أو تُبَيِّتُهُ بَيَاتَا[4]

قال: فلمّا نهضَ تَبِعْتُه فقبضتُ عليه في الصَّحْن أو في الدِّهْليز، فكتبتها عنه.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال: حَدّثني عليّ بن مَهْدِيّ قال: حدّثني الجاحظ عن ثُمَامة قال: دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده:

[السريع]

ما أَحْسَنَ الدُّنيا وإِقْبَالَها ... إذا أَطَاعَ اللَّهَ مَنْ نَالَها
مَنْ لم يُوَاسِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِها ... عَرَّضَ لِلإدبارِ إِقْبَالَها

فقال له المأمون: ما أجودَ البيتَ الأوّل! فأما الثّاني فما صنعتَ فيه شيئاً، الدّنيا تُدبرُ عَمّن واسَى أو ضَنَّ بها، وإنما يُوجِبُ السماحةُ بها الأجرَ، والضَّنُّ بها الوِزْرَ، فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، أهلُ الفضلِ أَوْلَى بالفضل، وأهلُ النَّقْصِ أولى بالنقص. فقال المأمون: ادْفَعْ إليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحقّ. فلمّا كان بعد أيام عاد فأنشده: [السريع]

كَمْ غَافِلٍ أَوْدَى بِهِ المَوتُ ... لَمْ يَأْخُذِ الأُهْبَةَ لِلفَوْتِ[5]
مَنْ لَمْ تَزُلْ نِعْمَتُهُ قَبْلَهُ ... زَالَ عَنِ النِّعْمَةِ بِالمَوْتِ

---

(١) شتات: متفرّقة.
(٢) بتاتاً: قاطعاً أكيداً.
(٣) العِبرة: الدرس. والانفلات: الخلاص والنجاة.
(٤) تبيّته بياتاً: تهجم عليه ليلاً.
(٥) أودى به: أهلكه. والفوت: الأوان.

فقال له: أحسنتَ! الآنَ طَيَّبْتَ المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم.

[استعجاله لهدية المأمون]

أخبرني أحمد بن العبّاس العَسْكرِيّ قال: حَدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال: حدّثني ابنُ سِنانٍ العِجْليّ عن الحسن بن عَائِذ قال: كان أبو العتاهية يَحُجُّ في كلِّ سنة، فإذا قَدِمَ أَهْدى إلى المأمون بُرْداً ومِطْرَفاً ونَعلاً سوداء ومساويكَ أَرَاكٍ، فيبعَث إليه بعشرين ألف درهم. وكان يُوصّل الهديّةَ من جهته مِنْجابٌ مولى المأمون ويَجيئُه بالمال، فأهدى مرّةً له كما كان يُهدي كلَّ سنة إذا قَدِمَ، فلم يُثِبْه ولا بعث إليه بالوظيفة، فكتب إليه أبو العتاهية: [الرمل]

خَبِّرونِي أَنَّ مِنْ ضَرْبِ السَّنَهْ ... جُدُداً بِيضاً وصُفْراً حَسَنَهْ[1]

أُحْدِثَتْ لَكِنَّنِي لَمْ أَرَهَا ... مِثْلَ مَا كُنْتُ أرى كُلَّ سَنَهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف دِرهم، وقال: أغفلْناه حتى ذَكَّرَنا.

[أبو العتاهية يستعطف الهادي بعد تسلّمه الخلافة]

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثنا المُغيرة بن محمد المُهلَّبيّ قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: أخبرني عُرْوة بن يوسف الثَّقفيّ قال: لمّا وَلِيَ الهادي الخلافةَ كان واجداً على أبي العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ وانقطاعه إليه وتَرْكِه موسى، وكان أيضاً قد أمر أن يخرُجَ معه إلى الرَّيّ[2] فأبى ذلك؛ فخافه وقال يَستعطفه: [الطويل]

أَلاَ شَافِعٌ عِنْدَ الخَلِيفَةِ يَشْفَعُ ... فَيَدْفَعَ عَنَّا شَرَّ مَا يُتَوَقَّعُ

وإنِّي عَلى عُظْمِ الرَّجَاءِ لَخَائِفٌ ... كأنّ على رأسي الأَسِنَّةَ تُشْرَعُ[3]

يُرَوِّعُنِي موسى على غَيْرِ عَثْرَةٍ ... وما لي أَرَى موسى مِنَ العَفْوِ أَوْسَعُ

ومَا آمِنٌ يُمْسِي ويُصْبِحُ عائِذاً ... بِعَفْوِ أَميرِ المؤمنينَ يُرَوَّعُ

---

(١) ضرب السنة: يريد أن المهدي ضرب السّكّة هذه السنة، والسّكّة: حديدة منقوشة تضرب عليها النقود.

(٢) الرّيّ: مدينة مشهورة وهي محطّ الحاج على طريق السابلة وحقبة بلاد الجبال (معجم البلدان ١١٦:٣).

(٣) تُشرع: تُسَدّد وتُصَوَّب.

حدَّثني الصُّوليّ قال: حَدّثني عليّ بن الصَّباح قال: حَدَّثني محمد بن أبي العتاهية قال: دخل أبي على الهادي فأنشده: [مجزوء الرمل]

يـا أَمِـيـنَ الـلَّـه مَـا لِـي ... لَـسْـتُ أَدرِي الـيـومَ مَـا لِـي
لـم أَنَـلْ مِـنْـكَ الّـذي قـد ... نـالَ غَـيْـرِي مِـنْ نَـوالِ
تَـبْـذُلُ الـحَـقَّ وتُـغْـطِـي ... عَـنْ يَـمِـيـنٍ وشِـمـالِ
وأنـا الـبَـائِـسُ لا تَـنْـظُـرُ فـي رِقَّـةِ حَـالِـي

قال: فأمر المُعَلَّى الخازنَ أن يُعْطِيَه عشرةَ آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيته فأبى أن يُعطِيَها، ذلك أنّ الهادي امتحنني في شيءٍ من الشّعر، وكان مهيباً، فكنتُ أخافه فلم يُطِعْني طَبْعي، فأمر لي بهذا المال، فخرجتُ، فلمّا مَنَعَنِيه المُعلَّى صِرتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عقال، وكان يُجالس الهادي، فقلت له: [الكامل]

أَبْـلِـغْ سَـلِـمْـتَ أبـا الـوَلِـيـدِ سَـلاَمِـي ... عَـنِّـي أَمِـيـرَ الـمُـؤمـنـيـنَ إمـامِـي
وإذا فَـرَغْـتَ مِـنَ الـسَّـلام فَـقُـلْ لـه ... قـد كـانَ مـا شـاهَـدْتَ مـن إفـحـامـي(١)
وإذا حَـصِـرْتُ فـلـيـسَ ذاكَ بِـمُـبْـطِـلٍ ... مـا قـد مَـضَـى مِـنْ حُـرْمَـتِـي وذِمَـامِـي(٢)
ولَـطَـالَـمـا وَفَـدَتْ إلـيـكَ مَـدَائِـحـي ... مَـخْـطُـوطَـةً فَـلْـيَـأْتِ كُـلُّ مَـلام
أَيَّـامَ لِـي لَـسَـنٌ ورِقَّـةُ جِـدَّةٍ ... والـمَـرْءُ قـد يَـبْـلَـى مَـعَ الأيّـامِ(٣)

قال: فاستخرج لي الدراهمَ وأنفذها إِلَيَّ.

حدَّثني الصّوليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالا: حَدَّثنا العَنَزيّ قال: حَدَّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: وُلِدَ للهادي ولد في أوّل يومٍ وَلِيَ الخلافةَ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده: [السريع]

أَكْـثَـرَ مـوسـى غَـيْـظَ حُـسَّـادِهِ ... وزَيَّـنَ الأرْضَ بـأولادِهِ
وجَـاءَنَـا مِـنْ صُـلْـبِـهِ سَـيِّـدٌ ... أَصْـيَـدُ فـي تَـقْـطِـيـعِ أَجْـدادِهِ(٤)
فَـاكْـتَـسَـتِ الأَرضُ بـه بَـهْـجَـةً ... واسْـتَـبْـشَـرَ الـمَـلْـكُ بِـمِـيـلادِهِ
وابـتـسـمَ الـمِـنْـبَـرُ عَـنْ فَـرْحـةٍ ... عَـلَـتْ بـهـا ذَرْوَةُ أَعـوادِهِ
كـأنّـنـي بـعـدَ قـلـيـلٍ بـه ... بـيـنَ مَـوالِـيـهِ وقُـوَّادِهِ

---

(١) إفحامي: إسكاتي.
(٢) حَصِرَ: عجز عن النطق ولم يقدر عليه. والذِّمام: العهد.
(٣) اللَّسَن: الفصاحة.
(٤) يقال: مَلِكٌ أصيد: لا يلتفت من زَهْوِهِ يميناً ولا شمالاً.

فـي مَـحْـفِـلٍ تَـخْـفِـقُ رَايـاتُـهُ ... قـد طَـبَّـقَ الأرضَ بِـأجـنـادِهِ

قال: فأمر له موسى بألف دينار وطِيبٍ كثيرٍ، وكان ساخطاً عليه فرضي عنه.

[أبو العتاهية يشفع لأبي عبيد الله عند المهدي]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: حَدّثني عليّ بن مَهْديّ قال: حَدّثني عليّ بن يزيد الخَزْرجيّ الشّاعر عن يحيى بن الرَّبيع قال: دخل أبو عُبَيد الله على المهديّ، وكان قد وَجَدَ عليه في أمر بلَغه عنه، وأبو العتاهية حاضرٌ المجلسَ، فجعل المهديّ يشتمُ أبا عُبيد الله ويتغيّظُ عليه، ثم أُمِرَ به فَجُرَّ برجله وحُبِسَ، ثم أطرق المهديّ طويلاً، فلما سكن أنشده أبو العتاهية: [الوافر]

أَرَى الـدُّنـيـا لِـمَـنْ هِـيَ فـي يَـدَيْـهِ ... عَـذَابـاً كُـلَّـمـا كَـثُـرَتْ لَـدَيْـهِ

تُـهِـيـنُ الـمُـكْـرِمـيـنَ لـهـا بِـصُـغْـرٍ ... وتُـكْـرِمُ كُـلَّ مَـنْ هَـانَـتْ عَـلَـيْـهِ[1]

إذا اسْـتَـغْـنَـيْـتَ عـن شَـيءٍ فَـدَعْـهُ ... وخُـذْ مـا أنـتَ مُـحـتـاجٌ إلـيـهِ

فتبسَّمَ المهديّ وقال لأبي العتاهية: أحسنتَ، فقام أبو العتاهية ثم قال: والله يا أميرَ المؤمنين؛ ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدّنيا ولا أصْوَن لها ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جُرَّ برجله السّاعةَ. ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزّ الناس، فما بَرِحتُ حتى رأيتُه أذلّ الناس، ولو رَضِي من الدنيا بما يَكفيه لاستوت أحوالُه ولم تتفاوت. فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عُبيد الله فرَضِيَ عنه. فكان أبو عُبيد اللّه يشكر ذلك لأبي العتاهية.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني محمد بن الحسن قال: حَدّثني إسحاق بن حَفْص قال: أنشدني هارون بن مُخَلَّد الرّازيّ لأبي العتاهية: [الكامل]

مـا إنْ يَـطِـيـبُ لِـذِي الـرِّعـايـةِ لِـلـ ... أيّـامِ لا لَـعِـبٌ ولا لَـهْـوُ

إذْ كَـانَ يَـطْـرَبُ فـي مَـسَـرَّتِـهِ ... فـيـمـوتُ مـن أجـزائـه جُـزْوُ[2]

فقلت: ما أحسنَهما! فقال: أهكذا تقول! واللّه لهما رُوحانيّان يطيران بين السماء والأرض.

---

(١) الصُغْر: التحقير والمذلّة.

(٢) في الديوان «يُسرِفُ» بدل «يطرب» والإسراف: مجاوزة الحدّ. والجزو: الجزء (مخفّفة).

[أبو العتاهية أشعر المحدِثين برأي ابن مناذر]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حَدّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بِشْر المازنيّ قال: لَقِيتُ ابنَ مُناذِر بمكة، فقلت له: مَنْ أشعرُ أهل الإسلام؟ فقال: أترى مَنْ إذا شِئتَ هَزَلَ، وإذا شِئْتَ جَدَّ؟ قلت: مَنْ؟ قال: مثلُ جَرير حين يقول في النَّسيب: [الكامل]

إنَّ الَّذين غَدَوْا بِلُبِّكَ غادَروا ... وَشَلاً بِعَيْنِكَ ما يَزالُ مَعِينَا[1]

غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وقُلْنَ لِي ... ماذا لَقِيتَ مِنَ الهَوَى ولَقِينا

ثم قال حين جَدَّ:

إنّ الّذي حَرَمَ المَكارِمَ تَغْلِباً ... جَعَلَ النُّبوَّةَ والخِلافَةَ فِينا

مُضَرٌ أَبِي وأبو المُلوكِ فهلْ لَكُمْ ... يا آلَ تَغْلِبَ مِنْ أبٍ كَأبِينا

هذا ابنُ عَمِّي في دِمَشْقَ خَلِيفَةٌ ... لو شِئْتُ سَاقَكُمُ إلَيَّ قَطِينا[2]

ومن المُحْدِثين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعرَه من كُمِّه. فقلت: مَنْ؟ قال: أبو العتاهية. قلت: في ماذا؟ قال: قوله: [المنسرح]

اللّهُ بَيْنِي وبينَ مَوْلاتِي ... أَبْدَتْ لِيَ الصَّدَّ والمَلالاتِ

لا تَغْفِرُ الذَّنْبَ إنْ أَسَأْتُ ولا ... تَقْبَلُ عُذْرِي ولا مُوَاتَاتِي

مَنَحْتُها مُهْجَتِي وخَالِصَتي ... فكانَ هِجْرَانُها مُكافاتِي

أَقْلَقَنِي حُبُّها وصَيَّرَنِي ... أُحْدُوثَةً في جَمِيعِ جَارَاتِي

ثم قال حين جَدَّ:

وَمَهْمَهٍ قَدْ قَطَعْتُ طَامِسَهُ ... قَفْرٍ على الهَوْلِ والمُحَامَاةِ[3]

بِحُرَّةٍ جَسْرَةٍ عُذَافِرَةٍ ... خَوْصَاءَ عَيْرَانَةٍ عَلَنْدَاةِ[4]

تُبادر الشَّمْسَ كلَّما طَلَعَتْ ... بِالسَّيرِ تَبْغِي بِذَاكَ مَرْضَاتِي

(١) الوَشَل: الماء السائل شيئاً بعد شيء. والمعين: الظاهر.

(٢) القطين: الخدم والرقيق والحَشَم.

(٣) المهمه: الفلاة. والطامس: الدارس الممحو. والقفر: الخالي.

(٤) الحُرّة من الإبل: الأصيلة العتيقة. والجسرة: الناقة الضخمة الشجاعة. والعُذافرة: الناقة الشديدة. والخوصاء: الغائرة العين. والعيرانة: السريعة. والعلنداة: الضخمة الطويلة.

يـا نَـاقُ خُـبِّـي بِـنَـا ولا تَـعِـدِي ... نَـفْـسَـكِ مِـمَّـا تَـرَيْـنَ رَاحَـاتِ[١]
حـتّـى تُـنَـاخِـيْ بِـنَـا إلـى مَـلِـكٍ ... تَـوَّجَـهُ الـلَّـهُ بِـالـمَـهَـابـاتِ
عـلـيـه تـاجـانِ فـوق مَـفْـرِقِـهِ ... تَـاجُ جَـلالٍ وتَـاجُ إخْـبَـاتِ[٢]
يـقـول لِـلـرِّيـح كُـلَّـمـا عَـصَـفَـتْ ... هـل لَـكِ يـا رِيـحُ فـي مُـبـاراتـي
مَـنْ مِـثْـلُ مَـنْ عَـمُّـهُ الـرَّسُـولُ ومَـنْ ... أَخْـوالُـهُ أَكْـرَمُ الـخُـؤولاتِ

أخبرني وكِيع قال: قال الزُّبَير بن بَكّار: حَدّثني أبو غَزيّة وكان قاضياً على المدينة، قال: كان إسحاق بن عزَيْز يتعشّق عبّادة جارية المُهَلَّبيّة، وكانت المهلبيّة مُنقطعةً إلى الخَيْزُران، فركِبَ إسحاق يوماً ومعه عبدُ اللّه بن مُصْعَب يُريدان المهدِيَّ فلقيا عَبّادة، فقال إسحاق: يا أبا بكر، هذه عبّادة، وحَرَّكَ دابّته حتى سبَقها فنظر إليها، فجعل عبد اللّه بن مُصعب يتعجّبُ من فِعله. ومضيا فدخلا على المهديّ، فحدّثه عبد اللّه بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل. فقال: أنا أشتريها لكَ يا إسحاق. ودخل على الخَيْزُران فدعا بالمهلبيّة فحضرَتْ، فأعطاها بعبّادة خمسين ألف درهم، فقالت له: يا أمير المؤمنين، إن كنتَ تُريدها لنفسك فبِها فداك الله، وهي لك. فقال: إنما أريدها لإسحاق بن عُزَيْز، فبكت وقالت: أَتُؤثِرُ عليّ إسحاق بن عُزَيز وهي يَدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي! فقالت لها الخيزران عند ذلك: ما يُبكيكِ؟ والله لا وَصَلَ إليها ابنُ عُزَيز أبداً، صار يتعشّق جواريَ النّاس! فخرج المهديّ فأخبر ابن عُزَيز بما جرى، وقال له: الخمسون ألف درهم لك مكانَها، وأمر له بها، فأخذها عن عبّادة. فقال أبو العتاهية يُعَيِّرُه بذلك:

مَـنْ صَـدَقَ الـحُـبَّ لأَحْـبَـابِـهِ ... فَـإنَّ حُـبَّ ابْـنِ عُـزَيْـزٍ غُـرُوز
أَنْـسَـاهُ عَـبَّـادةَ ذاتَ الـهَـوَى ... وأَذْهَـبَ الـحُـبَّ الّـذي فـي الـضّـمِـيـرْ
خـمـسـون أَلـفـاً كُـلُّـهـا رَاجِـحٌ ... حُـسْـنـاً لـهـا فـي كـلِّ كِـيـسٍ صَـرِيـر[٣]

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً: [المنسرح]

حُـبُّـك لـلـمـالِ لا كَـحُـبِّـكَ عـبَّـ ... ـادةَ يـا فـاضـحَ الـمُـحِـبِّـيـنـا

(١) خبّي: سيري سيرَ الخبب: وهو ضرب من السير السريع.
(٢) الإخبات: التواضع.
(٣) الصرير: الصوت.

لـو كـنـتَ أَضْـفَـيْـتَـهـا الـوِدَادَ كـمـا   قُـلْـتَ لَـمَـا بِـعْـتَـهـا بِـخَـمْـسِـيـنَـا

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني جَبَلة بن محمد قال: حدّثني أبي قال: رأيتُ أبا العتاهية بعدما تخلّص من حَبْس المهديّ وهو يَلزم طبيباً على بابنا ليكحَل عينه، فقيل له: قد طال وجَع عينِك، فأنشأ يقول:

صوت [الطويل]

أَيَا وَيْحَ نَفْسِي وَيْحَها ثمّ وَيْحَها   أَمَا مِنْ خَلاَصٍ مِنْ شِبَاكِ الحَبَائِلِ
أيا وَيْحَ عَيْنِي قد أَضَرَّ بها البُكَا   فلم يُغْنِ عنها طِبُّ ما في المَكَاحِلِ

في هذين البيتين لإبراهيم الموصلّي لحنٌ من الثقيل الأوّل.

[الهادي يجزل العطاءَ لأبي العتاهية]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: كان الهادي واجِداً على أبي العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ في خلافة المهديّ، فلمّا ولي موسى الخلافةَ، قال أبو العتاهية يمدَحه:

صوت [المنسرح]

يَـضْـطَـرِبُ الـخَـوْفُ والـرَّجَـاءُ إذا   حَـرَّكَ مُـوسَـى الـقَـضِـيـبَ أَوْ فَـكَّـرْ
مـا أَبْـيَـنَ الـفَـضْـلَ فـي مُـغَـيَّـبِ مـا   أَوْرَدَ مِـنْ رَأْيِـهِ ومـا أَصْـدَرْ

ـ في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحن من الثقيل الأوّل في نهاية الجَوْدة، وما بان به فضلُه في الصّناعة ـ.

فـكـم تَـرَى عَـزَّ عِـنْـدَ ذلـك مِـنْ   مَـعْـشَـرِ قـوم وذَلَّ مِـنْ مَـعْـشَـرْ
يُـثْـمِـرُ مِـنْ مَـسِّـهِ الـقَـضِـيـبُ ولـو   يَـمَـسُّـهُ غَـيْـرُهُ لَـمَـا أَثْـمَـرْ
مَـنْ مِـثْـلُ مـوسـى ومِـثْـلُ والِـدِه الـ   ـمـهـديّ أو جَـدِّهِ أبـي جَـعْـفَـرْ

قال: فَرَضِيَ عنه، فلمّا دخل عليه أنشده: [مجزوء الكامل]

لَـهْـفِـي عـلـى الـزَّمَـنِ الـقَـصِـيـرِ   بـيـن الـخَـوَرْنَـقِ والـسَّـدِيـرِ[1]

---

(١) الخورنق: قصر النعمان بظهر الحيرة، والسدير: سدير النّخل (معجم ما استعجم ص ٥١٥).

إذْ نَحْنُ في غُرَفِ الجِنَا ... نِ نَعُومُ في بَحْرِ السُّرورِ
في فتيةٍ مَلَكُوا عنا ... نَ الدَّهْرِ أمثالَ الصُّقورِ
ما منهُمُ إلاّ الجَسو ... رُ على الهَوَى غيرُ الحَصورِ
يتعاوَرُونَ مُدامَةً ... صَهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ العَصِيرِ[(١)]
عَذْرَاءَ رَبَّاها شُعا ... عُ الشَّمْسِ في حَرِّ الهَجِيرِ
لم تُدْنَ مِنْ نَارٍ ولم ... يَعْلَقْ بِها وَضَرُ القُدُورِ[(٢)]
ومُقرطَقٍ يَمْشِي أمَا ... مَ القومِ كالرَّشأ الغَريرِ[(٣)]
بِزُجاجةٍ تَسْتَخْرِجُ السِّـ ... ـرَّ الدَّفِينَ مِنَ الضَّمِيرِ
زَهْراءَ مِثْلِ الكَوْكَبِ الدُّ ... رِّيِّ في كَفِّ المُدِيرِ
تَدَعُ الكَرِيمَ وليس يَد ... رِي ما قَبِيلٌ مِنْ دَبِيرِ[(٤)]
ومُخَصَّرَاتٍ زُرْنَنا ... بعد الهُدوِّ مِنَ الخُدورِ
رَيَّا رَوَادِفُهُنَّ يَلْـ ... بَسْنَ الخواتمَ في الخُصورِ[(٥)]
غُرِّ الوُجوهِ مُحَجَّبا ... تٍ قاصِرَاتِ الطَّرْفِ حُورِ
مُتَنَعِّماتٍ في النَّعيـ ... ـمِ مُضَمَّخاتٍ بالعَبيرِ
يَرْفُلْنَ في حُلَلِ المَحا ... سِنِ والمَجاسِدِ والحَريرِ[(٦)]
ما إنْ يَرَيْنَ الشَّمْسَ ... إلاَّ الفَرْطَ مِنْ خَلَلِ السُّتورِ
وإلى أمينِ اللَّهِ مَهـ ... ـرَبُنا مِنَ الدَّهْرِ العَثُورِ
وإليه أتْعَبْنا المَطا ... يا بالرَّوَاحِ وبالبُكُورِ
صُعْرَ الخُدودِ كأنَّما ... جُنِّحْنَ أجْنِحَةَ النُّسورِ
مُتَسَرْبِلاتٍ بالظَّلا ... مِ على السُّهولةِ والوُعورِ[(٧)]
حتّى وَصَلْنَ بنا إلى ... رَبِّ المَدائنِ والقُصورِ[(٨)]

---

(١) المُدَامة: الخمر، والصّهباء: الخمر التي عصرت من عنب أبيض أو التي يضرب لونها إلى البياض.
(٢) الوضر: الأثر غير الطيب من الدسم واللبن وغيره الذي يعلق في أواني الطعام.
(٣) المقرطق: الذي يضع عليه القُرْطَق وهو القباء أي الثوب الذي يلبس فوق الثياب. والرّشأ: ولد الظبية إذا قَوِيَ وكبر.
(٤) ما يعرفُ قبيلاً من دبير: ي ما يعرف من يقبل عليه ممّن يدبر.
(٥) ريّا روادفهن: ممتلئة.
(٦) المجاسد: القمصان التي تلي الجسد مباشرة.
(٧) متسربلات: لابسات.
(٨) رب المدائن والقصور: يعني به موسى الهادي.

مـــا زالَ قـــبـــلَ فِـــطـــامِـــهِ فِـــي سِـــنِّ مُـــكْـــتَـــهِـــلٍ كـــبـــيـــرِ

ـ قال: قيل لو كان جَزْل اللّفظ لكان أشعر الناس ـ فأجزل صِلته. وعاد إلى أفضل ما كان عليه.

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال: حَدَّثني الكُرَانيّ عن أبي حاتم قال: قَدِمَ علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون، فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه فكان أوّل ما أنشدهم: [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ رَيْـبَ الـدَّهْـرِ فـي كُـلِّ سَـاعـةٍ لـه عَـارِضٌ فـيـه الـمَـنِـيَّـةِ تَـلْـمَـعُ[1]
أَيـا بَـانِـيَ الـدُّنـيـا لِـغَـيْـرِكَ تَـبْـتَـنِـي ويـا جَـامِـعَ الـدُّنـيـا لِـغَـيْـرِكَ تَـجْـمَـعُ
أَرَى الـمَـرْءَ وَثَّـابـاً عـلـى كُـلِّ فُـرْصـةٍ ولِـلْـمَـرْءِ يَـوْمـاً لاَ مَـحَـالَـةَ مَـصْـرَعُ
تَـبَـارَكَ مَـنْ لا يَـمْـلِـكُ الـمُـلْـكَ غَـيْـرُهُ مَتَى تَنْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيسَ يَشْبَعُ
وأَيُّ امْـرِىءٍ فـي غـايـةٍ لـيـسَ نَـفْـسُـهُ إلـى غَـايـةٍ أُخْـرَى سِـوَاهـا تَـطَـلَّـعُ

قال: وكان أصحابنا يقولون: لو أنَّ طَبْعَ أبي العتاهية بجزالة لفظٍ لكان أشعرَ النَّاس.

[الفضل بن الربيع يتمثّل بشعر أبي العتاهية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن مَهْرُويه قال: حَدَّثني سليمان بن جعفر الجَزَريّ قال: حَدَّثني أحمد بن عبد الله قال: كانت مَرْتبةُ أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار المأمون. فقال الفضل لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقَهما! قال: وما هما؟ قال: قولك:

[الكامل]

مـا الـنَّـاسُ إلا لِـلْـكَـثِـيـرِ الـمَـالِ أو لِـمُـسَـلَّـطٍ مـا دَامَ فـي سُـلْـطَـانِـهِ[2]
فـإذا الـزَّمَـانُ رَمَـاهُـمَـا بِـبَـلِـيَّـةٍ كـان الـثِّـقَـاتُ هـنـاكَ مِـنْ أَعْـوَانِـهِ[3]

---

(١) العارض: ما يعترض في الأفق من سحاب أو غيره.

(٢) المُسَلَّط: صاحب السلطان.

(٣) الشطر الأول في الديوان:

فـإذا الـزّمـان رمـى الـفـتـى بِـمُـلِـمَّـةٍ

والمُلِمَّة: المصيبة، والثقات: أهل الثّقة.

يعني: من أعوان الزَّمان. قال: وإنّما تَمَثَّلَ الفضلُ بن الرَّبيع بهذين البيتين لانْحطاطِ مرتبتِه في دار المأمون وتَقَدُّمِ غيره. وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه.

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان أبي لا يُفارق الرشيدَ في سَفَرٍ ولا حَضَر إلا في طريق الحجّ، وكان يُجرِي عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاوِن[1]. فلمّا قَدِمَ الرشيدُ الرَّقّةَ[2]، لَبِسَ أبي الصّوفَ وتزهَّد وترك حُضورَ المُنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه فَحُبِسَ، فكتب إليه من وقته:

صوت [الطويل]

أنا اليَومَ لي والحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهُرُ ... يَرُوحُ عَلَيَّ الهَمُّ مِنكُمْ ويَبْكُرُ
تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ حَقّي وحُرْمَتِي ... وما كُنتَ تُولِينِي لَعَلَّكَ تَذْكُرُ
لَيَالِيَ تُدْنِي مِنكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسي ... وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ البَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِيَ بِالعينِ الّتي كُنتَ مَرَّةً ... إلَيَّ بها في سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

قال: فلمّا قرأ الرشيدُ الأبياتَ قال: قولوا له: لا بأس عليك، فكتب إليه.

صوت [الوافر]

أَرِقْتُ وطارَ عن عَيْنِي النُّعَاسُ ... ونَامَ السَّامِرونَ ولم يُوَاسُوا
أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْنٍ ... عليكَ مِنَ التُّقَى فيه لِباسُ
تُسَاسُ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ بِرٍّ ... وأنتَ بِه تَسُوسُ كما تُسَاسُ
كَأَنَّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ ... لَه جَسَدٌ وأنتَ عليه رَاسُ
أَمِينَ اللَّهِ إنَّ الحَبْسَ بَأْسٌ ... وقد أَرْسَلْتَ: لَيسَ عليكَ بَاسُ[3]

ـ غَنَّى في هذه الأبيات إبراهيم، ولحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى

---

(١) المعاون: جمع المعونة: الإعانة.
(٢) الرَّقة: مدينة على الفرات مشهورة (معجم البلدان ٣: ٥٩).
(٣) في الديوان: «وقد وقّعتَ». وبأسٌ: شدّة. وباس: حَرَج.

الوسطى. وفيه أيضاً ثقيلٌ أوّل عن الهِشاميّ ـ قال: وكتب إليه أيضاً في الحبس:

[الطويل]

وكَلَّفْتَني ما حُلْتَ بيني وبَينَهُ وقُلْتُ سَأَبْغِي ما تُرِيدُ وما تَهْوَى
فلو كانَ لي قَلْبانِ كَلَّفْتُ واحداً هَوَاكَ وكَلَّفْتُ الخَلِيَّ لِمَا يَهْوَى[1]

قال: فأمر بإطلاقه.

حدّثني عَمّي قال: حَدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حدّثني الزبير بن بَكّار قال: حَدّثني ثابت بن الزُّبَير بن حبيب قال: حَدّثني ابن أُخت أبي خالد الحَرْبيّ قال: قال لي الرشيد: احْبِسْ أبا العتاهية وضَيِّقْ عليه حتى يقولَ الشّعرَ الرقيقَ في الغزل كما كان يقول. فحبسْتُهُ في بيتٍ خمسة أشبارٍ في مثلها؛ فصاح: الموت، أَخرجوني، فأنا أقول كلَّ ما شئتم. فقلت: قُلْ، فقال: حتى أتنفّسَ. فأخرجته وأعطيته دواةً وقِرْطاساً فقال أبياته التي أوّلها:

صوت

[الخفيف]

مَنْ لِعَبْدٍ أَذَلَّهُ مَوْلاهُ ما لَهُ شَافِعٌ إليه سِواهُ
يَشْتَكِي ما بِهِ إليه، ويَخْشَا هُ ويَرجُوهُ مِثْلَ ما يَخْشَاهُ

قال: فدفعتُها إلى مَسرور الخادم فأَوْصلها وتقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنّى فيها، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأُحْضِرَ؛ فلما أُحْضِرَ قال له: أَنشِدْني قولَك:

صوت

[الكامل]

يا عُتْبَ سَيِّدَتِي! أَمَا لَكِ دِينُ؟ حَتَّى مَتَى قَلْبِي لَدَيْكِ رَهِينُ
وأَنا الذَّلُولُ لِكُلِّ ما حَمَّلْتِني وأَنا الشَّقِيُّ البَائِسُ المِسكِينُ
وأنا الغَدَاةَ لِكُلِّ بَاكٍ مُسْعِدٌ ولِكُلِّ صَبٍّ صَاحِبٌ وخَدِينُ
لا بَأْسَ إنَّ لِذَاكَ عِنْدِي رَاحَةً لِلصَّبِّ أَنْ يَلْقَى الحَزِينَ حَزِينُ
يا عُتْبَ! أينَ أَفِرُّ مِنْكِ أَمِيرَتي وعَلَيَّ حِصْنٌ مِنْ هَواكِ حَصِينُ

ـ لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشاميّ ـ فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم.

(١) الخَلِيُّ: الطليق الحرّ.

ولأبي العتاهية في الرّشيد لمّا حبسه أشعارٌ كثيرة، منها قوله: [الرّمل]

يَا رَشِيدَ الأَمْرِ أَرْشِدْنِي إلى ... وَجْهِ نُجْحِي لا عَدِمْتَ الرَّشَدا
لا أراكَ اللَّهُ سُوءاً أَبَداً ... ما رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنٌ أَحَدَا
أَعِنِ الخَائِفَ وارْحَمْ صَوْتَهُ ... رافِعاً نَحْوَكَ يَدْعُوكَ يَدَا
وَابَلائي مِنْ دَعَاوَى أَمَلٍ ... كُلَّما قُلْتُ تَدَانَى بَعُدَا
كم أُمَنِّي بِغَدٍ بَعْدَ غَدٍ ... يَنْفَدُ العُمْرُ، ولَمْ أَلْقَ غَدَا

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال: حدّثني الحُسين بن أبي السَّرِيّ قال: مرّ القاسم بن الرّشيد في مَوْكبٍ عظيم وكان من أَتْيهِ[1] الناس، وأبو العتاهية جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق. فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له، فلم يَزَلْ قائماً حتى جاز، فأجازه ولم يتلفت إليه؛ فقال أبو العتاهية: [المتقارب]

يَتِيهُ ابْنُ آدَمَ مِنْ جَهْلِهِ ... كَأَنَّ رَحَا المَوْتِ لا تَطْحَنُهْ

فسمِعَ بعضُ مَنْ في موكبه ذلك فأخبر به القاسمَ، فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائةَ مقْرعةٍ[2] وقال له: يابنَ الفاعلة! أَتُعَرِّضُ بي في مثل ذلك الموضع! وحبَسه في داره. فدسَّ أبو العتاهية إلى زُبَيدة بنت جعفر، وكانت تُوجِب له حَقَّه[3] هذه الأبيات: [السريع]

حتّى مَتَى ذُو التِّيهِ في تِيهِهِ ... أَصْلَحَهُ اللَّهُ وعَافَاهُ
يَتِيهُ أَهلُ التِّيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ ... وهُمْ يَموتونَ وإنْ تاهُوا
مَنْ طَلَبَ العِزَّ لِيَبْقَى به ... فَإنَّ عِزَّ المَرْءِ تَقْواهُ
لم يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ ... مَنْ لَيسَ يَرْجُوهُ ويَخْشَاهُ

وكتب إليها بحاله وضِيقِ حبسه، وكانت مائِلةً إليه، فرثَتْ له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه؛ فأحضره وكساه ووصله، ولم يَرْضَ عن القاسم حتى بَرَّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه.

---

(١) أَتْيَه: الأكثر تيهاً وتكبّراً.
(٢) المقرعة: السّوط.
(٣) توجب له حَقَّه: تراعيه.

[مدح الرشيد ثم الفضل فأجازاه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال: حدّثني عليُّ بن مهديّ قال: حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال: بعث الرشيدُ بالحَرَشِيِّ إلى ناحية المَوْصِل، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج، فوافَى به باب الرشيد، فأمر بصرفِ المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم النّاسُ ذلك وتحدّثوا به؛ فرأيتُ أبا العتاهيةِ وقد أخذه شِبْهُ الجنون، فقلتُ له: ما لكَ وَيْحَكَ؟! فقال لي: سبحان الله، أَيُدْفَعُ هذا المال الجليل إلى امرأة، ولا تتعلّقُ كَفِّي بشيء منه! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيّام فأنشده: [مجزوء الكامل]

اللّهُ هَوَّنَ عِندَكَ الدُّنيـا وبُغْضَها إليكا
فأَبَيْتَ إلاّ أن تُصَغِّرَ كُلَّ شَيءٍ في يَدَيْكا
ما هَانَتِ الدُّنيا على أَحَدٍ كما هَانَتْ عَلَيْكا

فقال له الفضل بن الربيع: يا أميرَ المؤمنين، ما مُدِحتِ الخلفاءُ بأصْدقَ من هذا المدح. فقال: يا فضل، أعْطِه عشرين ألف درهم. فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده: [الوافر]

إذا ما كُنتَ مُتَّخِذاً خَليلاً فَمِثْلُ الفَضْلِ فاتَّخِذِ الخَليلاَ
يَرَى الشُّكرَ القَليلَ له عَظِيماً ويُعطِي مِنْ مَواهِبِهِ الجَزِيلاَ
أَرَاني حَيْثُما يَمَّمْتُ طَرْفي وَجَدْتُ على مَكارِمِهِ دَليلاَ

فقال له الفضل: والله لولا أنْ أُساويَ أميرَ المؤمنين لأعْطَيْتُكَ مثلها، ولكن سأُوصلها إليك في دَفَعات ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد، وزاد له خمسةَ آلاف درهم من عنده.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثنا المُبَرَّد قال: حَدَّثني عبد الصّمد ابن المُعَذَّل قال: سمعتُ الأميرَ عليَّ بن عيسى بن جعفر يقول: كنت صبيّاً في دار الرشيد، فرأيت شيخاً يُنشد والناسُ حوله: [الرمل]

لَيس لِلإنسانِ إلاّ ما رُزِقْ أَسْتَعِينُ اللّهَ بِاللّهِ أَثِقْ
عَلِقَ الهَمُّ بِقَلْبي كُلِّهِ وإذا ما عَلِقَ الهَمُّ عَلِقْ
بِأَبِي مَنْ كانَ لي من قَلْبِهِ مَرَّةً وُدٌّ قَليلٌ فَسُرِقْ
يا بَنِي الإسْلامِ فِيكُمْ مَلِكٌ جَامِعُ الإسلامِ عنه يَفْتَرِقْ

لَـنَـدَى هَـارونَ فِـيكُـمْ ولَـهُ ... فِـيكُـمُ صَـوْبٌ هَـطُـولٌ ووَرِقْ[١]
لـم يَـزَلْ هـارونُ خَـيْـراً كُـلُّـهُ ... قُـتِـلَ الـشَّـرُّ بـه يـومَ خُـلِـقْ

فقلتُ لبعض الهاشميّين: أمَا ترى إعجابَ النّاس بشِعْرِ هذا الرجل؟ فقال: يا بُنيّ، إنّ الأعناقَ لَتُقْطَعُ دون هذا الطبع. قال: ثم كان الشيخ أبا العتاهية، والذي سأله إبراهيمَ بن المهديّ.

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال: لَبِسَ أبو العتاهية كساءَ صُوفٍ ودُرَّاعة[٢] صوفٍ، وآلَى على نفسه ألاّ يقول شِعراً في الغَزَل، وأمر الرشيدُ بحبسه والتضييق عليه؛ فقال:

صوت

[الخفيف]

يـابْنَ عَـمِّ الـنَّـبِـيِّ سَـمْـعـاً وطَـاعَـهْ ... قـد خَـلَـعْـنَـا الـكِـسَـاءَ والـدُّرَّاعَـهْ
ورَجَـعْـنَـا إلـى الـصِّـنَـاعَـةِ لَـمَّـا ... كـانَ سُـخْـطُ الإمـامِ تَـرْكَ الـصِّـنَـاعَـهْ

وقال أيضاً: [الطويل]

أمَـا رَحِـمَـتْـنِـي يَـوْمَ وَلَّـتْ فَـأَسْـرَعَـتْ ... وقَـدْ تَـرَكَـتْـنِـي وَاقِـفـاً أَتَـلَـفَّـتُ
أُقَـلِّـبُ طَـرْفِـي كَـيْ أَرَاهَـا فـلا أرى ... وأَحْـلِـبُ عَـيْـنِـي دَرَّهـا وأُصَـوِّتُ[٣]

فلم يَزَلِ الرشيد مُتَوانياً في إخراجه إلى أن قال: [الوافر]

أَمَـا والـلَّـهِ إنَّ الـظُّـلْـمَ لُـومُ ... ومـا زالَ الـمُـسِـيءُ هـوَ الـظَّـلُـومُ[٤]
إلـى دَيَّـانِ يـومِ الـدِّيـنِ نَـمْـضِـي ... وعِـنْـدَ الـلَّـهِ تَـجْـتَـمِـعُ الـخُـصـومُ
لأمْـرٍ مَـا تَـصَـرَّفَـتِ الـلَّـيـالـي ... وأَمْـرٍ مَـا تُـوُلِّـيَـتِ الـنُّـجـومُ[٥]
تَـمـوتُ غَـداً وأنـتَ قَـرِيـرُ عَـيْـنٍ ... مِـنَ الـغَـفَـلاَتِ فـي لُـجَـجٍ تَـعُـومُ
تَـنَـامُ ولـم تَـنَـمْ عَـنْـكَ الـمـنـايـا ... تَـنَـبَّـهْ لِـلْـمَـنِـيَّـةِ يـا نَـؤُومُ

(١) الندى: الكرم. والصَّوْبُ: المطر الذي ينفع ولا يؤذي. والوَرِق: الفضة مضروبة أو غير مضروبة.
(٢) الدُّرّاعة: جبّة من صوف مشقوقة المقدّم.
(٣) حَلبَ درّ عينيه: كناية عن ذرف الدموع.
(٤) لوم: لؤم.
(٥) تصرّفت: تحوّلت وتغيّرت. وتُوُلِّيت: أُعطيت أمراً تتولاّه.

سَلِ الأَيّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ ... سَتُخْبِرُكَ المَعَالِمُ والرُّسُومُ
تَرومُ الخُلْدَ في دارِ المنايا ... وكَمْ قَدْ رَامَ غَيْرُكَ ما تَرُومُ
ألاَ يا أَيُّهَا المَلِكُ المُرَجَّى ... عليهِ نواهِضُ الدُّنيا تَحُومُ
أَقِلْنِي زَلَّةً لم أَجْرِ منها ... إلى لَوْمٍ وما مِثْلِي مَلُومُ[(١)]
وخَلِّصْنِي تُخَلَّصْ يومَ بَعْثٍ ... إذا لِلنّاسِ بُرِّزَتِ الجَحِيمُ[(٢)]

فَرَقَّ وأمر بإطلاقِهِ.

[أبو نواس يشهد لأبي العتاهِية]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ قال: حَدّثني عليّ بن مهديّ قال: حَدَّثني ابن أبي الأَبْيض قال: أتيتُ أبا العتاهية فقلت له: إنّي رجلٌ أقول الشِّعْرَ في الزُّهد، ولي فيه أشعارٌ كثيرة، وهو مذهب أستحسِنُه، لأني أرجو ألاّ آثَمَ فيه، وسمعتُ شِعرَكَ في هذا المعنى فأحببت أن أستزيدَ منه، فأُحِبّ أن تُنشدني من جَيِّد ما قلتَ؛ فقال: اعلَمْ أنّ ما قلته رديء. قلت: وكيف؟ قال: لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشّار وابن هَرْمة، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظُه مما لا تَخْفَى على جُمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعار التي في الزُّهد؛ فإن الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلاَّب الغريب؛ وهو مذهب أَشْغَفُ النّاسِ به الزُّهّادُ وأصحاب الحديث والفقهاءُ وأصحاب الرِّياء والعامّة، وأَعْجَبُ الأشياء إليهم ما فهِموه. فقلت: صدقتَ. ثم أنشدني قصيدتَه: [الوافر]

لِدُوا لِلمَوْتِ وابْنُوا لِلخَرَابِ ... فَكُلُّكُمُ يَصِيرُ إلى تَبابِ[(٣)]
أَلاَ يا مَوْتُ لم أَرَ مِنْكَ بُدّاً ... أَتَيْتَ وما تَحِيفُ وما تُحَابي[(٤)]
كأنَّكَ قد هَجَمْتَ على مَشِيبي ... كما هَجَمَ المَشِيبُ على شَبَابي

قال: فصِرتُ إلى أبي نُوَاس فأَعلمْتُه ما دار بيننا؛ فقال: والله ما أحسبُ في

(١) أَقِلْني: اصفح عني.
(٢) في الديوان «النجوم» بدل «الجحيم».
(٣) التباب: الهلاك.
(٤) تحيف: تجور وتظلم. وتحابي: تعطف على وتميل إلى.

شعره مثلَ ما أنشدك بيتاً آخر، فصرتُ إليه فأخبرته بقول أبي نواس؛ فأنشدني قصيدتَه التي يقول فيها: [البسيط]

طُولُ التَّعَاشُرِ بينَ النَّاسِ مَمْلُولُ ... ما لابْنِ آدَمَ إنْ فَتَّشْتَ معقولُ
يا رَاعِيَ الشَّاءِ لا تُغْفِلْ رِعَايَتَها ... فأنتَ عن كُلِّ ما اسْتُرْعِيتَ مَسْؤُولُ
إنّي لَفِي مَنْزِلٍ ما زِلْتُ أَعْمُرُهُ ... على يَقِينٍ بأنّي عنه مَنْقُولُ
وليسَ من مَوْضِعٍ يأتيهِ ذُو نَفَسٍ ... إلاّ ولِلْمَوتِ سَيْفٌ فيه مَسْلُولُ
لم يُشْغَلِ الموتُ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لنا ... وكُلُّنا عَنْهُ بِاللَّذَّاتِ مَشْغُولُ
ومَنْ يَمُتْ فهو مَقْطُوعٌ ومُجْتَنَبٌ ... والحَيُّ ما عَاشَ مَغْشِيٌّ ومَوْصولُ
كُلُّ ما بَدَا لكَ فالآكَالُ فانِيَةٌ ... وكُلُّ ذِي أُكُلٍ لا بُدَّ مَأْكُولُ

قال: ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه، فصِرتُ إلى أبي نُوَاس فأخبرته؛ فتغيّرَ لونُه وقال: لِمَ خَبَّرتَه بما قلتُ! قد والله أجاد! ولم يَقُلْ فيه سوءاً.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حَدَّثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال: حَدَّثني هارون بن سَعْدان مولى البَجَلِيِّين قال: كنتُ مع أبي نُواس قريباً من دُور بني نِيبَخْت بنهر طابق[1] وعنده جماعةٌ، فجعل يَمُرُّ به القُوّادُ والكُتّابُ وبنو هاشم فيُسَلِّمون عليه وهو مُتَّكِىءٌ ممدودُ الرجل لا يتحرّك لأحدٍ منهم، حتى نظرنا إليه قد قبض رِجلَيه ووثَبَ وقام إلى شيخٍ قد أقبل على حمارٍ له، فاعتنقَ أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه، فلم يَزَلْ واقِفاً معه يُراوِح بين رجليه يرفع رجلاً ويضع أُخرى، ثم مضى الشيخُ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوّهُ. فقال له بعضُ مَنْ حضر: والله لأنتَ أشعرُ منه. فقال: والله ما رأيتُه قطّ إلا ظَنَنْتُ أنه سَماءٌ وأنا أرْض.

[بشّار يراه أشعرَ أهل زمانه]

قال محمد بن القاسم: حَدَّثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال: حدّثني السَّرِيّ بن الصَّبّاح مولى ثَوْبَان بن عليّ قال: كنت عند بَشّار فقلتُ له: مَنْ أشعرُ أهل زماننا؟ فقال: مخنَّثُ أهل بغداد (يعني أبا العتاهية).

أخبرني يحيى بن عليّ ين يحيى المُنَجِّم إجازةً: قال: حَدّثني عليّ بن مهديّ

(١) نهر طابق: محلّة في الجانب الغربي ببغداد (معجم البلدان ٥: ٣٢١).

قال: حَدَّثني الخَزْرَجِيّ الشّاعر[١] قال: حَدَّثني عبد اللّٰه بن أيّوب الأنصاريّ قال: حَدَّثني أبو العتاهية قال: ماتت بنتُ المهديّ فحزِنَ عليها حُزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب، فقلتُ أبياتاً أُعَزّيه بها؛ فوافيته وقد سَلا وضحك وأكل وهو يقول: لا بدّ من الصّبر على ما لا بدّ منه، ولَئِنْ سَلَوْنا عَمّن فقدنا لَيَسْلُوَنَّ عنّا من يَفْقِدُنا، وما يأتي اللّيلُ والنهارُ على شيء إلا أبْلَيَاه. فلمّا سمِعتُ هذا منه قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذَن لي أن أُنشدك؟ قال: هاتِ، فأنشدته: [البسيط]

ما لِلجَدِيدَيْنِ لا يَبْلَى اخْتِلافُهُمَا ... وكُلُّ غَضّ جَدِيدٍ فِيهِمَا بَالِي[٢]
يا مَنْ سَلاَ عن حَبِيبٍ بَعْدَ مِيتَتِهِ ... كم بعدَ مَوْتِكَ أيضاً عنكَ مِنْ سَالي
كأَنَّ كُلَّ نَعِيم أنتَ ذَائِقُهُ ... مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ يَحْكِي لُمْعَةَ الآلِ[٣]
لا تَلْعَبَنَّ بكَ الدُّنْيا وأنتَ تَرَى ... ما شِئْتَ مِنْ عِبَرٍ فيها وأمْثَالِ
ما حِيلَةُ المَوْتِ إلاّ كُلُّ صَالِحَةٍ ... أوْ لاَ فما حِيلَةٌ فيه لِمُحْتَالِ

فقال لي: أحسنتَ وَيْحَكَ! وأصبتَ ما في نفسي ووعظتَ وأَوْجزتَ! ثم أمرَ لي لكلّ بيت بألف درهم.

[أبو العتاهية يشعر وإبراهيم الموصلي يغنّي]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال: حَدَّثنا العَنَزيّ قال: حَدّثني أحمد بن خَلاّد قال: حَدّثني أبي قال: لمّا مات موسى الهادي، قال الرشيد لأبي العتاهية: قُلْ شِعراً في الغزل؛ فقال: لا أقول شعراً بعد موسى أبداً، فحبَسه. وأمر إبراهيمَ المَوْصِليّ أن يغنّي؛ فقال لا أُغَنّي بعد موسى أبداً، وكان مُحسِناً إليهما، فحبسه. فلمّا شخَص إلى الرَّقَّة حفَرَ لهما حَفِيرةً واسعةً وقطَعَ بينهما بحائطٍ، وقال: كونَا بهذا المكان لا تَخْرُجا منه حتى تَشعُرَ أنت ويُغَنّي هذا. فصَبَرا على ذلك بُرْهةً؛ وكان الرشيدُ يشرب ذاتَ يوم وجعفرُ بن يحيى معه، فغنَّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطَرِبَا عليه طَرَباً شديداً، وكان بيتاً واحداً. فقال الرشيد: ما كان أَحوجه إلى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغِناءُ فيه فنَسْتَمتِع مدّة طويلة به! فقال له جعفر: قد أصبتُه. قال: مِن أين؟ قال: تبعَث إلى أبي العتاهية فيُلحِقه به لِقُدْرته على الشعر وسرعته. قال: هو

(١) هو علي بن زيد الخزرجيّ.
(٢) الجديدان: الليل والنهار. والغَضّ: الطريّ الناعم.
(٣) الآل: السَّراب. ويحكي: يشبه.

أنكدُ من ذلك، لا يُجيبنا وهو محبوسٌ ونحن في نعيم وطربٍ. قال: بلى! فاكتُبْ إليه حتى تعلم صحّة ما قلتُ لك. فكتب إليه بالقِصّةِ وقال: ألحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً. فكتب إليه أبو العتاهية: [الرمل]

شُغِلَ المِسْكِينُ عَنْ تِلكَ المِحَنْ فَارقَ الرُّوحَ وأَخْلَى مِنْ بَدَنْ
ولقد كُلِّفتُ أَمراً عَجَباً أَسْأَلُ التَّفْرِيحَ مِنْ بَيتِ الحَزَنْ

فلمّا وصلتْ قال الرشيد: قد عرّفتك أنه لا يفعل، قال: فتُخرِجه حتى يفعل. قال: لا! حتى يَشْعُرَ؛ فقد حَلَفْتُ. فأقام أياماً لا يفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم: إلى كم هذا نُلاَجُّ[1] الخلفاءَ! هَلُمَّ أَقُلْ شِعراً وتَغَنَّ فيه، فقال أبو العتاهية: [الرمل]

بِأَبِي مَنْ كانَ في قَلْبِي لَهُ مَرَّةً حُبٌّ قَلِيلٌ فَسُرِقْ[2]
يا بَنِي العَبَّاسِ فِيكُمْ مَلِكٌ شُعَبُ الإِحسانِ منه تَفْتَرِقْ
إِنَّمَا هارونُ خَيْرٌ كُلُّهُ مَاتَ كُلُّ الشَّرِّ مُذْ يَوْمَ خُلِقْ[3]

وغنّى فيه إبراهيم. فدعا بهما الرشيدُ؛ فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم، فأعطى كلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب.

حدّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد اللّه بن العبّاس ابن الفَضْل بن الرَّبيع، فقال فيه: غَضِبَ الرشيد على جاريةٍ له فحلَف ألاّ يدخُل إليها أيّاماً، ثم ندِم فقال: [الرمل]

صَدَّ عَنِّي إذ رَآنِي مُفْتَتَنْ وأطالَ الصَّدَّ لَمَّا أَنْ فَطَنْ
كانَ مَمْلُوكِي فَأَضْحَى مالِكِي إنَّ هَذا مِنْ أعاجِيبِ الزَّمَنْ

وقال لجعفر بن يحيى: اطلُبْ لي مَنْ يَزيد على هذين البيتين. فقال له: ليس غيرُ أبي العتاهية. فبَعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصِلَتِهِ. فقال: الآن طاب القولُ؛ ثم قال: [الرمل]

عِزَّةُ الحُبِّ أَرَتْهُ ذِلَّتِي في هَوَاهُ ولَه وَجْهٌ حَسَنْ[4]

---

(١) نُلاَجُّ: نخاصم ونخالف.

(٢) في الديوان «وُدٌّ قليلٌ».

(٣) في الشطر الثاني في الديوان:

قُتِلَ الشَّرُّ بِهِ يومَ خُلِقْ

(٤) في الديوان «الودّ» بدل «الحب»، و «نواه» بدل «هواه». و «رأي» بدل «وجه».

ولــهــذا صِــرْتُ مَــمْــلُـوكــاً لــه   ولــهــذا شَــاعَ مــا بــي وَعَــلَــنْ

فقال: أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي! وأضْعَفَ صِلَتَه.

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال: حَدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني الهَيْثَم بن عثمان قال: حَدّثني شَبِيب بن منصور قال: كنتُ في الموقِفِ واقفاً على باب الرّشيد، فإذا رجلٌ بَشِعٌ الهيئة على بغل قد جاء فوقف، وجعل الناسُ يُسَلّمون عليه ويُسائلونه ويُضاحكونه، ثم وقف في الموقِف، فأقبل الناس يَشْكُون أحوالَهم: فواحد يقول: كنت مُنقطِعاً إلى فلان فلم يصنع بي خيراً. ويقول آخر: أمّلْتُ فلاناً فخابَ أملي وفعل بي، ويشكو آخرُ من حاله؛ فقال الرجل:

[الكامل]

فَـتَّـشْـتُ ذِي الـدُّنْـيـا فـلـيـسَ بـهـا   أَحَــدٌ أَرَاهُ لآخَــرٍ حَــامِــدْ

حــتَّــى كَــأَنَّ الــنَّــاسَ كُــلَّــهُــمُ   قــد أُفْــرِغُــوا فــي قَــالَــبٍ وَاحِــدْ

فسألت عنه فقيل: هو أبو العتاهية.

[أبو العتاهية يذمّ سلماً الخاسر ويتّهمه بالبخل]

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن مَهْرُويه قال: حَدَّثني أحمد بن خَلاَّد عن أبيه عن عبد اللّه بن الحسن قال: أُنشِدَ المأمونُ بيتَ أبي العتاهية يُخاطب سَلْماً الخاسر: [الوافر]

تَـعَـالَـى الـلّـهُ يـا سَـلْـمَ بْـنَ عَـمْـرٍو   أَذَلَّ الـحِـرْصُ أَعْـنَـاقَ الـرِّجَـالِ

فقال المأمون: إنَّ الحِرْصَ لَمُفْسِدٌ للدِّين والمروءة، والله ما عرفتُ من رجلٍ قطّ حرصاً ولا شَرَهاً فرأيت فيه مُصْطَنَعاً. فبلغ ذلك سَلْماً فقال: ويلي على المُخَنَّثُ الجَرّار الزّنديق! جمع الأموالَ وكنزَها وعبّأ البدورَ في بيته ثم تَزهَّدَ مُراءاةً ونِفاقاً، فأخذ يهتِفُ بي إذا تَصَدَّيْتُ لِلطلب.

[الجمّاز ينتقم لخاله سلم الخاسر]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قالا: حَدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال: حَدّثني محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكيّ قال: حَدّثني العبّاس بن عبيد اللّه بن سِنَان بن عبد الملك بن مِسْمَع قال:

كنّا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزّهد، فقال قُثَم: يا عبّاس، اطْلُبِ السّاعةَ الجَمَّازَ حيث كان، ولكَ عندي سَبَقٌ[1]. فطلبته فوجدته عند رُكن دار جعفر بن سليمان، فقلت: أَجِبِ الأميرَ؛ فقام معي حتّى أتى قُثَم؛ فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده؛ فأنشأ الجَمَّازُ يقول: [السريع]

مـا أَقْـبَـحَ الـتَّـزْهِـيـدَ مِـنْ واعـظٍ ... يُـزَهِّـدُ الـنّـاسَ ولا يَـزْهَـدُ
لـو كـانَ فـي تَـزْهِـيـدِهِ صـادقـاً ... أَضْـحَـى وأَمْـسَـى بَـيْـتُـهُ الـمَـسْـجِـدُ
يـخـافُ أَنْ تَـنْـفَـدَ أَرزاقُـهُ ... والـرِّزْقُ عِـنْـدَ الـلّـهِ لا يَـنْـفَـدُ
والـرِّزْقُ مَـقْـسُـومٌ عـلـى مَـنْ تَـرَى ... يَـنـالُـهُ الأَبْـيَـضُ والأَسْـوَدُ

قال: فالتفت أبو العتاهية إليه فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا الجمّاز وهو ابن أختِ سَلْم الخاسر، اقْتَصَّ لِخاله منك. فأقبل عليه وقال: يابن أخي، إني لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظَنَّ خالُكَ، ولا أردتُ أن أهتِفَ به، وإنما خاطبته كما يُخاطب الرّجل صديقَه، فالله يغفر لكما، ثم قام.

[مخارق يغني بشعر أبي العتاهية]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال: حَدّثني محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْرِيّ عن أبيه قال: كنتُ عند مُخَارِق، فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة فقال: لي حاجةٌ وأُريد الصَّلاةَ؛ فقال مُخَارق: لا أبرحُ حتّى تعودَ. قال: فرجَعَ وطرحَ ثيابَه، وهي صوفٌ، وغسلَ وجهَه، ثم قال له: غَنِّني:

صوت [الخفيف]

قَـالَ لـي أَحْـمَـدٌ ولـم يَـدْرِ مـا بـي ... أَتُـحِـبُّ الـغَـدَاةَ عُـتْـبَـةَ حَـقّـا
فَـتَـنَـفَّـسْـتُ ثـمَّ قُـلْـتُ: نَـعَـمْ حُـ ... ـبّـاً جَـرَى فـي الـعُـروقِ عِـرْقـاً فَـعِـرْقَـا

فجَذبَ مُخارق دواةً كانت بين يديه فأَوْقع عليها ثم غَنّاه؛ فاستعاده ثلاثَ مَرّاتٍ فأعاده عليه، ثم قام وهو يقول: لا يَسمعُ والله هذا الغناءَ أحدٌ فَيُفْلِحُ. وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عنه.

---

[1] السَّبَق: الرهان يوضع بين أهل السباق.

وحدّثنا به أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيى عن ابن مهرويه عن ابن عَمَّار قال: حَدّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسَّان الضَّبِّيّ قال: حَدّثنا مُخارق قال: لَقِيَني أبو العتاهية فقال: بلغني أنك خَرَّجْتَ قولي:

قـال لـي أحـمـدٌ ولـم يَـدْرِ مـا بـي أَتُـحِـبُّ الـغَـدَاةَ عُـتْـبَـةَ حَـقًّـا

فقلت: نعم، فقال: غَنِّهِ. فَمِلْتُ معه إلى خَرَابٍ، فيه قوم فقراء سكّان، فغَنَّيْتُه إيّاه؛ فقال: أحسنتَ والله! منذ ابتدأتَ حتّى سَكَتَّ؛ ثم قال لي: أمَا ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب!

أخبرني جَحْظَة قال: حدَّثني مَيْمُون بن هارون قال: قال مُخارِق: لَقِيتُ أبا العتاهية على الجِسْرِ، فقلت له: يا أبا إسحاق، أتُنشدني قولَك في تَبْخيلك النّاسَ كلَّهم؟ فضحِك وقال لي: هاهنا؟ قلت: نعم. فأنشدني: [مجزوء الكامل]

إنْ كُـنْـتَ مُـتَّـخِـذاً خَـلِـيـلاً فَـتَـنَـقَّ، وانْـتَـقِـدِ الـخَـلِـيـلا[1]
مَـنْ لـم يَـكُـنْ لـكَ مُـنْـصِـفـاً فـي الـوُدِّ فَـابْـغِ بـه بَـدِيـلا
ولَـرُبَّـمَـا سُـئِـلَ الـبَـخِـيـلُ الـشَّـيءَ لا يَـسْـوَى فَـتِـيـلا[2]
فَـيَـقُـولُ لا أَجِـدُ الـسَّـبِـيـلَ إلَـيـه يَـكْـرَهُ أَنْ يُـنِـيـلا
فَـلِـذَاكَ لا جَـعَـلَ الإلَـٰـهُ لـه إلَـى خَـيْـرٍ سَـبِـيـلا
فَـاضْـرِبْ بِـطَـرْفِـكَ حـيـثُ شِـئْـتَ فـلَـنْ تَـرَى إلاّ بَـخِـيـلا

فقلتُ له: أَفْرَطْتَ يا أبا إسحاق! فقال فَدَيْتُكَ! فأَكْذِبْني بجوادٍ واحد. فأحببتُ مُوَافقتَه، فالتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قلت: ما أَجِدُ؛ فقَبَّلَ بين عينيّ وقال: فَدَيْتُكَ يا بُنَيّ! لقد رَفُقْتَ حتى كِدتَ تُسرِفُ.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثني هارون بن مُخَارِق قال: كان أبو العتاهية لمّا نسَكَ يقول لي: يا بُنَيّ، حَدِّثْني؛ فإن ألفاظَكَ تُطْرِبُ كما يُطرِبُ غِناؤُك.

[عتبٌ واعتذار]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيثَم الأنباريّ قال: حَدّثني أبو هَفَّان قال: حَدّثني

(١) تَنَقَّ: اختر. وانتقد: مَيِّز الحسن من القبيح.
(٢) لا يسوى فتيلاً: لا يساوي شيئاً.

موسى بن عبد الملك قال: كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية، فلمّا خدَم المأمونَ وخُصَّ به، رأى منه أبو العتاهية جَفْوةً، فكتب إليه: [الطويل]

أبا جَعْفَرٍ إنَّ الشَّريفَ يَشِينُهُ ... تَتَايُهُهُ على الأَخِلاَّءِ بِالوَفْرِ[1]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُرجَى له الغِنَى ... وأنَّ الغِنَى يُخْشَى عليه مِنَ الفَقْرِ

فإنْ نِلْتَ تِيهاً بالّذي نِلْتَ مِنْ غِنًى ... فَإنَّ غِنَايَ في التَّجَمُّلِ والصَّبْرِ

قال: فبعث إليه بألفي درهم، وكتب إليه يعتذر مما أنكره.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حَدّثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفيّ قال: حَدّثني أبو جعفر المَعْبَديّ قال: قلت لأبي العتاهية: أَجِزْ لي قولَ الشّاعر: [الوافر]

وكانَ المَالُ يَأتِينَا فَكُنَّا ... نُبَذِّرُهُ ولَيسَ لَنا عُقولُ

فلمَّا أنْ تَوَلَّى المَالُ عَنَّا ... عَقَلْنا حِينَ لَيسَ لَنا فُضُولُ

قال: فقال أبو العتاهية على المكان: [الوافر]

فَقَصِّرْ ما ترى بِالصَّبْرِ حَقًّا ... فَكُلٌّ إنْ صَبَرْتَ لَه مُزِيلُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن مَهْرُويه قال: حَدّثني الحسن بن الفَضْل الزَّعْفَرَانيّ قال: حَدّثني مَنْ سَمِعَ أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضِبَ عليه اذهَبْ فإنك ثقيلُ الظّلّ جامد الهواء.

[نعلٌ كُتِبَ عليها الشعر، هديةٌ للأمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا ابن مَهرُويه قال: حَدّثني يحيَى بن خليفة الرَّازي قال: حَدّثنا حَبِيب بن الجَهْم النُّمَيْريّ قال: حضرتُ الفضلَ بن الرّبيع مُتَنَجِّزاً[2] جائزتي وفَرْضي، فلم يدخلْ عليه أحدٌ قبلي، فإذا عَوْنٌ حاجِبُه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يُسَلِّمُ عليك وقد قدِمَ من مكّة؛ فقال: أَعْفِنِي منه الساعةَ يشْغَلُني عن ركوبي. فخرج إليه عَوْنٌ فقال: إنّه على الرّكوب إلى أمير المؤمنين. فأخرَج من كُمِّهِ نعلاً عليها شِرَاكٌ فقال: قل له إنّ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلتُ

(١) تتايهه: تكبّره. والوَفْر: الغِنى وسعة العيش.

(٢) نَجزَ الحاجة يَنْجُزُها: قضاها.

فداءك. قال: فدخل بها؛ فقال: ما هذه؟ فقال: نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب. فقال: يا حبيب، اقرأ ما عليها، فقرأته فإذا هو: [المنسرح]

نَـعْـلٌ بَـعَـثْـتُ بـهـا لِـيَـلْـبَـسَـهـا قَـرْمٌ بـهـا يَـمْـشِـي إلـى الـمَـجْـدِ[١]
لـو كـانَ يَـصـلُـحُ أَنْ أُشَـرِّكَـهـا خَـدِّي جَـعَـلْـتُ شِـرَاكَـهـا خَـدِّي[٢]

فقال لحاجبه عَوْن: احْمِلْها معنا، فحملها. فلمّا دخلَ على الأمين قال له: يا عبّاسيّ، ما هذه النّعل؟ فقال: أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أَوْلَى بِلبْسها لِما وُصِفَ به لابِسُها. فقال: وما هما؟ فقرأهما. فقال: أجاد والله! وما سَبَقه إلى هذا المعنى أحد، هَبُوا له عشرة آلاف درهم، فأُخرجتْ والله في بَدْرة وهو راكب على حماره، فقبضها وانصرف.

[قلّة معرفته بغير الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حَدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال: حَدّثنا عمروس صاحب الطّعام وكان جارَ أبي العتاهية، قال: كان أبو العتاهية من أقلّ الناسِ معرفةً، سمعتُ بِشْراً المِرِّيسيّ يقول له: يا أبا إسحاق، لا تُصَلِّ خلفَ فلانٍ جارِك وإمام مسجدِكم؛ فإنه مُشَبِّهٌ[٣]. قال: كَلاّ! إنّه قرأ بنا البارحةَ في الصّلاة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ وإذا هو يظنّ أنّ المشبه لا يقرأ ﴿قُلْ هو الله أحد﴾.

أخبرني الحسن قال: حَدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حَدّثني أحمد بن يعقوب الهاشميّ قال: حَدّثني أبو شَيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال: كتب بَكْر بن المُعْتَمِر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضِيقَ القَيْدِ وغَمّ الحبس؛ فكتب إليه أبو العتاهية: [مجزوء الوافر]

هِـيَ الأَيّـامُ والـعِـبَـرُ وأَمْـرُ الـلّـهِ يُـنْـتَـظَـرُ
أَتَـيْـأَسُ أَنْ تَـرَى فَـرَجـاً فَـأيـنَ الـلّـهُ والـقَـدَرُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حَدّثنا أحمد بن عُبَيْد

---

(١) القَرْم: السيد العظيم، وفي الديوان «قَدَمٌ» بدل «قَرْمٌ».
(٢) الشِّراك: سير النعل على ظاهر القدم.
(٣) المُشَبِّه: الذي ينتسب إلى المشبّهة، وهي فرقة دينية يشبّه أصحابها الخالق بالمخلوقات.

ابن ناصح قال: كنت أَمشي مع أبي العتاهية يدُه في يدي وهو متكىءٌ عَلَيَّ ينظر إلى الناس يذهبون ويجيئون، فقال: أمَا تراهم هذا يتيه فلا يتكلم، وهذا يتكلم بِصَلَفٍ[١]! ثم قال لي: مَرَّ بعضُ أولاد المهلَّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ، فقال: يا بُنَيَّ، لو خَفَّضْتَ بعضَ هذه الخُيلاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التي قد شهَرْتَ بها نفسك؟! فقال له الفتى: أوَ ما تعرف مَنْ أنا؟! فقال له: بلى، واللّه أعرِفُكَ معرفةً جيدة، أوَّلُكَ نطفة مَذِرَة[٢]، وآخرك جِيفَةٌ قَذِرَة، وأنت بين ذينك حامِلٌ عَذِرَة[٣]. قال: فأرخى الفتى أُذُنَيْه وكَفَّ عمّا كان يفعل وَطَأْطَأَ رأسَه ومشى مُسترسِلاً، ثم أنشدني أبو العتاهية: [الهزج]

أَيَـا وَاهـاً لِـذِكْـرِ الـلَّـهِ يَـا وَاهـاً لـه وَاهَـا[٤]
لـقـد طَـيَّـبَ ذِكْـرُ الـلَّـهِ بِـالـتَّـسْـبِـيـح أَفـواهـا
فـيـا أَنْـتَـنَ مِـنْ حُـشٍّ عـلـى حُـشٍّ إذا تَـاهَـا[٥]
أرى قَـومـاً يَـتِـيـهُـونَ حُـشـوشـاً رُزِقُـوا جَـاهَـا[٦]

[إسماعيل بن محمد يمدح شِعرَ أبي العتاهية ويستنشده]

حدّثني اليَزيديّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال: قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا: يا أبا إسحاق، شِعرُكَ كلُّه حَسَنٌ عجيب، ولقد مرّت بي منذ أيام أبياتٌ لك استحسنتها جدّاً؛ وذلك أنها مقلوبةٌ أيضاً، فأواخِرُها كأنها رأسُها، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً والله لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعراً. قال: وما هي؟ قلت: [الكامل]

الـمَـرْءُ فـي تـأخـيـرِ مُـدَّتِـهِ كـالـثَّـوْبِ يَـخْـلُـقُ بـعـدَ جِـدَّتِـهِ[٧]
وحـيـاتُـهُ نَـفَـسٌ يُـعَـدُّ لـه ووَفَـاتُـهُ اسْـتِـكْـمَـالُ عِـدَّتِـهِ

---

(١) الصَّلَف: التِّيه والتكبّر.
(٢) المَذِرَة: القَذِرة.
(٣) العَذِرة: الغائط.
(٤) واهاً: كلمة تقال تعجّباً من طِيب الشيء.
(٥) الحُشّ: النخل المجتمع وكان يُكَنّى به عن بيت الخلاء لأن العرب كانوا يتغوّطون في البساتين. وفي الديوان «من زبلٍ على زبل».
(٦) في الديوان «بِهاماً» بدل «حشوشاً».
(٧) في الديوان «لَذّته» بدل «مدّته». ويخلق: يبلى.

ومَصِيرُهُ مِنْ بَعْدِ مُدَّتِهِ ... لِبِلَى وذا مِنْ بَعْدِ وَحْدَتِهِ
مَنْ مَاتَ مَالَ ذَوُو مَوَدَّتِهِ ... عَنْهُ وحَالُوا عن مَوَدَّتِهِ
أَزِفَ الرَّحِيلُ ونحنُ في لَعِبٍ ... ما نَسْتَعِدُّ له بِعُدَّتِهِ
ولَقَلَّما تُبْقِي الخُطُوبُ على ... أَشَرِ الشَّبَابِ وحَرِّ وَقْدَتِهِ[1]
عَجَباً لِمُنْتَبِهٍ يُضَيِّعُ ما ... يَحْتَاجُ فيه لِيومِ رَقْدَتِهِ

قال اليزيديّ: قال عمّي وحدّثني الحسين بن الضحّاك قال: كنت مع أبي نُوَاس فأنشدني أبياته التي يقول فيها:

يا بَنِي النَّقْصِ والغِيَرْ ... وبَنِي الضَّعفِ والخَوَرْ

فلمّا فرَغ منها قال لي: يا أبا عليّ، والله لكأنها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية).

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني حُذَيْفَة بن محمد الطائيّ قال: حَدَّثني أبو دُلَف القاسم بن عيسى العجْليّ قال: حَجَجْت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابيّ في ظل مِيلٍ[2] وعليه شَمْلَةٌ[3] إذا غَطَّى بها رأسَه بَدَتْ رِجلاه، وإذا غَطَّى رجليه بدا رأسُه. فقال له أبو العتاهية: كيف اخترت هذا البلَد القَفْر على البُلدان المُخصِبة؟ فقال له: يا هذا، لولا أنّ الله أقنع بعضَ العباد بِشرِّ البلاد، ما وَسِعَ خيرُ البلاد جميعَ العباد، فقال له: فمن أين مَعَاشُكم؟ فقال: منكم معشرَ الحاجّ، تمرّون بنا فننال من فُضولِكم، وَتَنْصرفون فيكون ذلك. فقال له: إنما نمُرُّ ونَنْصرِف في وقت من السنة، فمن أين معاشكُم؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال: لا والله لا أدري ما أقول إلاَّ أنَّا نُرْزَقُ من حيث لا نَحتسب أكثَر مما نُرزق من حيث نحتسب. فولَّى أبو العتاهية وهو يقول: [الهزج]

ألاَ يا طَالِبَ الدُّنيا ... دَعِ الدُّنيا لِشَانِيكَا
وما تَصْنَعُ بِالدُّنيا ... وظِلُّ المِيلِ يَكْفِيكَا

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: لمّا قال أبو العتاهية:

تَعَالَى اللَّهُ يا سَلْمُ بْنَ عَمْرٍ ... أَذَلَّ الحِرْصُ أعناقَ الرِّجَالِ

(١) الأَشَر: المَرَح والبَطَر وفي الديوان «أثر».
(٢) الميل: منار يُبْنَى للمسافرين في أطراف الأرض ليهتدي بها المسافرون.
(٣) الشَّملة: مِئْزَر من صوف أو شَعَر يُؤْتَزَر به.

قال سَلم: ويلي على ابنِ الفاعِلة! كَنَز البُدورَ ويَزْعُمُ أنّي حريصٌ وأنا في ثَوْبَيَّ هذين!

[أبو العتاهية ينشد لنفسه

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحَرَمِيّ بن أبي العلاء قالا: حَدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حَدّثني عمرو بن أدعَجَ قال: قلت لعبد اللّه بن عبد العزيز العُمَرِيّ وسمعته يتمثّل كثيراً من شعر أبي العتاهية: أشهدُ أنّي سمعته يُنْشدُ لنفسه: **[مجزوء الخفيف]**

مَــرَّتِ الــيــومَ شَــاطِــرَهْ ... بَــضَّــةُ الــجِــسْــمِ سَــاحِــرَهْ[1]

إنَّ دنــيــا هِــيَ الّــتــي ... مَــرَّتِ الــيــومَ سَــافِــرهْ

سَــرَقُــوا نِــصْــفَ اسْــمِــهَــا ... فَــهْــيَ دُنْــيَــا وآخِــرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز: وكَلَهُ اللّهُ إلى آخرتها. قال: وما سُمِعَ بعد ذلك يَتَمَثّل ببيتٍ من شعره.

قال عليّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه الأبيات لأبي عُيَيْنة المُهَلَّبيّ، وكان يُشَبِّبُ بدنيا في شعره، فإما أن يكون الخبرُ غلطاً، وإما أن يكون الرجل أنشدها العُمَرِيَّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له.

[الموازنة بينه وبين أبي نواس

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حَدّثنا عيسى بن إسماعيل قال: قال لي الحِزْمازِيّ: شَهِدْتُ أبا العتاهية وأبا نُوَاس في مجلس، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة، وكان أبو نواس أسرعَهما في قول الشعر؛ فإذا تَعَاطَيَا جميعاً السرعة فَضَلَهُ أبو العتاهية، وإذا توقّفا وتمهّلا فضلَه أبو نواس.

[عداوته مع صالح المسكين

أخبرني أحمد بن العبّاس عن ابن عُلَيْل العَنَزِيّ قال: حَدّثنا أبو أَنَس كَثِيرُ بن محمد الحِزَاميّ قال: حَدّثني الزُّبَير بن بكّار عن مَعْروف العامِلِيّ قال: قال أبو العتاهية: كنتُ منقطعاً إلى صالح المسكين، وهو ابنُ أبي جعفر المنصور، فأصبت في ناحيته مائةَ ألف درهم، وكان لي ودوداً وصديقاً، فجئتُه يوماً، وكان لي في

(١) الشاطرة: التي أعيت أهلها خبثاً، والبَضّة: الطريّة الجسم، الرقيقة الجلد.

مجلسه مَرْتَبةٌ لا يجلس فيها غيري، فنظرت إليه وقد قَصَّرَ بي عنها، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك، ورأيت نظرَه إليّ ثقيلاً، فنهضتُ وقلت: [مجزوء الوافر]

أرَانـي صَـالـحٌ بُـغْـضَـا فَـأَظْـهَـرْتُ لـه بُـغْـضَـا
ولا والـلَّـهِ لا يَـنْـقُـضُ إلاّ زِدْتُـهُ نَـقْـضَـا[1]
وإلاّ زِدْتُـهُ مَـقْـتـاً وإلاّ زِدتُـهُ رَفْـضَـا[2]
ألاَ يـا مُـفْـسِـدَ الـوُدِّ وقـد كـانَ لـه مَـحْـضَـا[3]
تَـغَـضَّـبْـتَ مِـنَ الـرِّيـحِ فـمـا أطـلُـبُ أنْ تَـرْضَـى
لَـئِـنْ كـانَ لـكَ الـمَـالُ الـ ـمُـصَـفَّـى إنَّ لِـي عِـرْضَـا

قال أبو العتاهية: فَنُمِيَ الكلامُ إلى صالح فنادى بالعداوة؛ فقلت فيه: [الوافر]

مَـدَدْتُ لِـمُـعْـرِضٍ حَـبْـلاً طـويـلاً كَـأَطْـوَلِ مـا يـكـونُ مِـنَ الـحِـبَـالِ[4]
حِـبـالٍ بِـالـصَّـرِيـمَـةِ لـيسَ تَـفْـنَـى مُـوَصَّـلَـةٍ عـلـى عَـدَدِ الـرِّمَـالِ[5]
فَـلا تَـنْـظُـرْ إلَـيَّ ولا تُـرِدْنِـي ولا تُـقْـرِبْ حِـبَـالَـكَ مِـنْ حِـبـالـي
فـلـيتَ الـرَّدْمَ مِـنْ يَـأْجُـوجَ بـيـنـي وبـيـنَـكَ مُـثْـبَـتـاً أُخْرى الـلَّـيـالِـي[6]
فَـكَـرِّشْ إنْ أرَدْتَ لـنـا كَـلامـاً ونَـقْـطَـعُ قِـحْـفَ رَأْسِـكَ بِـالـقَـذَالِ[7]

حدّثني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال: حَدّثنا عليُّ بن سليمانَ النَّوْفَليّ قال: قال مُسَاوِر السبَّاق، وأخبرني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبَير عن مُسَاوِر السبَّاق قال: شَهِدتُ جنازةً في أيّام الحاجّ وقت خروج الحسين بن عليّ بن الحسن ابن الحسن بن الحسن المقتول بِفَخّ[8]، فرأيتُ رجلاً قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال

---

(١) ينقض: ينكث العهدَ.

(٢) المقت: الكره والبغض.

(٣) المَحْض: الخالص الصافي.

(٤) المعرِض: الذي يصدّ ويميل. والحبل: كناية عن العلاقة.

(٥) الصّريمة: القطعة من معظم الرمل.

(٦) الرّدم: سَدّ يأجوج ومأجوج.

(٧) كَرِّش: قَطِّبْ وجهه. والقِحْف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة، وقيل إنه لا يسمّى قحفاً إلا إذا انفلقت الجمجمة فبان العظم. وفي الديوان «بالقتال» بدل «بالقذال». والقَذَال: جماع مؤخّر الرأس ما بين نقرة القفا إلى الأذن.

(٨) فَخّ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال، وبه كانت وقعة الحسين وعُقْبة (معجم ما استعجم ص ١٠١٥).

لآخر: هذا الرجل الذي صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية. فالتفت إليه فقلتُ له: أنت أبو العتاهية؟ فقال: لا، أنا أبو إسحاق، فقلت له: أنْشِدْني شيئاً من شعرك؛ فقال لي: ما أحمقَكَ! نحن على سَفَرٍ وعلى شَفِير قَبْرٍ، وفي أيام العشر، وببلدكم هذا تَستنشدني الشعر! ثم أدْبَر عنّي ثم عاد إليّ فقال: وأُخرى أَزِيدُكها، لا والله ما رأيت في بني آدم قطُّ أسمجَ منك وجهاً!

قال النوفليّ في خبره: وصدق أبو العتاهية، كان مُسَاوِرٌ هذا مُقَبَّحاً طويلَ الوجه كأنّه ينظُر في سيف.

أخبرني عمّي الحسن بن محمد وَجَحْظَة قالا: حَدَّثَنا مَيْمونُ بن هارونَ قال:

قَدِمَ أبو العتاهية يوماً منزلَ يحيى بن خَاقَانَ، فلمّا قام بادر له الحاجب فانصرف. وأتاه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل، فسلّم عليه ودخل إلى منزله ولم يأذَنْ له؛ فأخذ قِرْطاساً وكتب إليه: [الوافر]

أَرَاكَ تُـرَاعُ حـيـن تَـرَى خَـيَـالـي ... فـمـا هـذا يَـرُوعُـكَ مِـنْ خَـيَـالِـي
لـعَـلَّـكَ خَـائِـفٌ مِـنّـي سُـؤالـي ... ألاَ فَـلَـكَ الأَمَـانُ مِـنَ الـسُّـؤَالِ
كَـفَـيْـتُـكَ إنَّ حَـالَـكَ لـم تَـمِـلْ بـي ... لأَطْـلُـبَ مِـثْـلَـهـا بَـدَلاً بِـحَـالـي
وإنّ الـيُـسْـرَ مِـثْـلُ الـعُـسْـرِ عِـنـدي ... بِـأَيِّـهِـمَـا مُـنِـيـتُ فـلا أُبَـالـي

فلمّا قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجبَ بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجِع معه، ولم يَلْتَقِيا بعد ذلك.

أخبرني عبد الله بن محمد الرَّازِيّ قال: حَدّثنا أحمد بن الحارث قال: حَدّثنا المدَائنيّ قال: اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمَقْمَق في بيت ابن أُذَيْن، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشَّمَقْمَق شَرٌّ، فخبّأُوه من أبي العتاهية في بيت. ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ، فظنّ أنّه جاريةٌ، فقال لابن أُذَيْن: متى استطرفْتَ[1] هذه الجاريةَ؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق، فقال: قُلْ فيها ما حضرَ؛ فمدّ أبو العتاهية يدَه إليه وقال: [السريع]

مَـدَدْتُ كَـفِّـي نَـحْـوَكُـمْ سَـائـلاً ... مـاذا تَـرُدّونَ عـلـى الـسَّـائِـلِ

فلم يَلْبَثْ أبو الشّمقمق حتى ناداه من البيت:

---

(١) استطرفتَ: استحدثتَ.

[السريع]

نَـــرْدُ فـــي كَـــفِّـــكَ ذا فَـــيْـــشَـــةٍ يَشْفِي جَوًى في اسْتِكَ مِنْ دَاخِلِ(١)

فقال أبو العتاهية: شمقمق والله! وقام مُغْضَباً.

[إعجابه بشعر ابن أبي أمية]

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال: حَدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفَليّ قال: حَدَّثني سليمانُ بن عَبّاد قال: حَدّثنا سليمان بن مُناذر قال: كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلني الله فِداكَ! معكم شاعرٌ يُعْرَفُ بابن أبي أُميّة أُحِبُّ أن أسمعَه يُنْشِدُ؛ فقال له جعفر: هو أقربُ النّاس منك. فأقبل أبو العتاهية على محمد، وكان إلى جانبه، وسأله أن يُنْشِدَه، فكأنّه حَصِرَ(٢) ثم أنشده:

صوت

[الرمل]

رُبَّ وَعْـــدٍ مِـــنْـــكَ لا أَنْـــسَـــاهُ لـــي أَوْجَـــبَ الـــشُّـــكْـــرَ وإنْ لـــم تَـــفْـــعَـــلِ

أَقْـــطَـــعُ الـــدَّهْـــرَ بِـــوَعْـــدٍ حَـــسَـــنٍ وأُجَـــلِّـــي غَـــمْـــرَةً مـــا تَـــنْـــجَـــلـــي

كُـــلَّـــمـــا أَمَّـــلْـــتُ وَعْـــداً صَـــالِـــحـــاً عَـــرَضَ الـــمَـــكْـــرُوهُ دُونَ الأَمَـــلِ

وأرى الأيَّـــامَ لاَ تُـــدْنِـــي الّـــذي أَرْتَـــجِـــي مِـــنْـــكَ وتُـــدنِـــي أَجَـــلِـــي

- في هذه الأبيات لأبي حَبَشة رَمَلٌ - قال: فأقبل أبو العتاهية يُرَدّد البيت الأخير ويُقَبّل رأسَ ابن أبي أميّة ويَبكي، وقال: وَدِدْتُ والله أنّه لي بكثيرٍ من شِعْرِي.

[أسماء أبنائه]

أخبرني حَبِيبُ بن نَصْر قال: حَدَّثنا عمرُ بن شَبّة قال: كانت لأبي العتاهية بنتان، اسم إحداهما «لِلّه»، والأُخرى «بالله»؛ فخطَب منصورُ بن المهدِيّ «لله» فلم يُزوِّجْهُ، وقال: إنما طلبها لأنّها بنتُ أبي العتاهية، وكأنّي بها قد مَلَّها، فلم يكنْ لي إلى الانتصافِ منه سبيلٌ، وما كنت لأُزوّجها إلا بائعَ خَزَفٍ وجِرَارٍ، ولكنّي أختاره لها مُوسِراً.

---

(١) الفَيْشَةُ: الذَّكَرُ المتفخ.

(٢) حَصِرَ: عجز عن النطق.

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يقالُ له محمد وكان شاعراً، وهو القائل:

[مخلع البسيط]

قد أَفلَحَ السَّالِمُ الصَّموتُ ... كَلامُ راعِي الكَلامِ قُوتُ
ما كُلُّ نُطقٍ له جَوَابٌ ... جَوَابُ ما يُكرَهُ السُّكوتُ
يا عَجَباً لامْرِىءٍ ظَلُومٍ ... مُستَيقِنٍ أَنَّهُ يَموتُ

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثنا زكريّا بن الحُسَين عن عبد الله بن الحسن بن سَهْل الكاتب قال: قلت لأبي العتاهية: أَنشِدْني من شعرك ما تستحسن، فأنشدني:

[السريع]

مَا أَسرَعَ الأَيّامَ في الشَّهرِ ... وأَسرَعَ الأَشهُرَ في العُمرِ

صوت

ليسَ لِمَنْ لَيسَتْ له حِيلةٌ ... موجودةٌ خَيرٌ مِنَ الصَّبرِ
فَاخْطُ مع الدَّهرِ إذا مَا خَطَا ... واجْرِ مَعَ الدَّهرِ كما يَجْرِي
مَنْ سَابَقَ الدَّهرَ كَبَا كَبْوةً ... لم يَسْتَقِلْها آخِرَ الدَّهرِ(١)

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيفُ ثَقيلٍ وثقيلٌ أوّل.

قال عبد الله بن الحسن: وسمعتُ أبا العتاهية يحدِّثُ قال: ما زال الفضلُ بن الربيع من أَمْيَلِ النّاسِ إِلَيَّ، فلمّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه، فاستنشدني فأنشدتُه:

[البسيط]

أَفنَيتَ عُمرَكَ إدباراً وإِقبالاً ... تَبْغِي البَنِينَ وتَبْغِي الأَهْلَ والمالاً
المَوْتُ هَوْلٌ فَكُنْ ما شِئتَ مُلْتَمِساً ... مِنْ هَوْلِهِ حِيلةً إنْ كنتَ مُحتالا
ألم تَرَ المَلِكَ الأَمْسِيَّ حين مَضَى ... هل نالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنيا كَمَا نَالا(٢)
أفناه مَنْ لم يَزَلْ يُفْنِي القُرونَ فَقَدْ ... أَضحَى وأَصْبَحَ عنه المُلْكُ قد زَالاَ
كم من ملوكٍ مَضَى رَيْبُ الزَّمَانِ بهم ... فأصبحُوا عِبَراً فِينَا وأَمثالا(٣)

---

(١) كبا: انكبّ على وجهه. ولم يستقلها: لم ينهض منها.
(٢) الأمسيّ: نسبة إلى الأمس.
(٣) ريب الزمان: مصائبه. والعِبَر: الدروس والمواعظ.

فاستحسنها وقال: أنت تعرفُ شُغْلِي، فَعُدْ إليّ في وقت فراغي أقعدْ معكَ وآنَسْ بك. فلم أزَلْ أراقِبُ أيامَه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه؛ فبينما هو مُقْبِلٌ عليّ يَستنشدني ويسألني فأحدّثه، إذْ أنشدتُه: [الكامل]

وَلّى الشَّبَابُ فما له مِنْ حِيلةٍ ... وَكَسَا ذُؤَابَتِيَ المَشِيبُ خِمَارَا[1]
أينَ البرامكةُ الّذين عَهِدْتُهُمْ ... بالأمْسِ أعْظَمَ أهْلِهَا أخْطَارا

فلمّا سمع ذكرى البرامكة تَغَيّر لونُه ورأيتُ الكراهية في وجهه، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك.

قال: وكان أبو العتاهية يُحَدِّثُ هذا الحديثَ ابنَ الحسن بن سَهْل؛ فقال له: لئن كان ذلك ضَرَّكَ عند الفَضْل بن الربيع لقد نَفَعك عندنا؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجْرَى له كلَّ شهر ثلاثة آلاف درهم، فلم يَزَلْ يَقْبَلُها دارَّةً إلى أن مات.

[يُعَرِّض بمجاشع بن مسعدة بعد أن انقطع عنه]

قال عبد الله بن الحسن بن سهل: وسمعت عمرو بن مَسْعَدة يقول: قال لي أخي مُجاشِع: بينما أنا في بيتي إذ جاءتني رُقْعَةٌ من أبي العتاهية فيها:

[مجزوء الوافر]

خَلِيلٌ لِي أُكَاتِمُهُ ... أرَانِي لا أُلائِمُهُ
خَلِيلٌ لا تَهُبُّ الرِّيـ ... حُ إلاّ هَبَّ لائِمُهُ
كذا مَنْ نَالَ سُلطاناً ... ومَنْ كَثُرَتْ دَرَاهِمُهُ

قال: فَبعثتُ إليه فأتاني، فقلت له: أمَا رَعَيْتَ حقّاً ولا ذِماماً ولا موَدّة! فقال لي: ما قلتُ سوءاً. قلتُ: فما حَملكَ على هذا؟ قال: أَغِيبُ عنك عشرة أيّام فلا تسألُ عنّي ولا تبعَثُ إليّ رَسولاً! فقلت: يا أبا إسحاق، أنَسِيتَ قولك:

[مجزوء الكامل]

يَأبَى المُعَلَّقُ بالمُنَى ... إلاّ رَوَاحاً وادِّلاجَا[2]
أرْفُقْ فَعُمْرُكَ عُودُ ذِي ... أَوَدٍ رَأَيْتُ به اعْوِجَاجَا[3]

---

(١) الذُؤابة: الشعر في مقدّم الرأس. والخِمار: السّتر والعمامة.
(٢) الادلاج: السير ليلاً.
(٣) الأود: الاعوجاج.

مَـــنْ عَـــاجَ مِـــنْ شَـــيءٍ إلـــى شَـــيءٍ أصـــابَ لـــه مـــعَـــاجَـــا[١]

فقال: حَسْبُكَ! حَسْبُكَ! أوسَعْتَني عُذْراً.

[عاب شعر ابن مناذر]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ الزَّارع قال: حَدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال: حَدّثني محمد بنِ عِمْران بن عبد الصّمد الزّارع قال: حَدَّثنا ابن عائشة قال: قال أبو العتاهية لابن مُناذر: شِعْرُكَ مُهَجَّنٌ لا يَلْحَقُ بالفحول، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحْدَثين. فإن كنت تَشبَّهْتَ بالعَجّاج ورُؤْبة فما لَحِقْتَهما ولا أنتَ في طريقهما، وإن كنت تذهب مَذْهبَ المُحْدَثين فما صنعتَ شيئاً أَخْبِرْني عن قولك:

* ومَـنْ عـاداك لاقـى الـمَـرْمَـرِيـسـا[٢] *

أَخْبِرْني عن المرمريس ما هو؟ قال: فخجل ابن مناذر وما راجعه حَرْفاً. قال: وكان بينهما تَنَاغُر[٣].

[قصّته مع عبيد الله بن إسحاق]

نسختُ من كتابِ هارون بن عليّ بن يحيى قال: حَدّثني الحُسَين بن إسماعيل المَهْديّ قال: حَدّثني رَجاء بن سَلَمة قال: وَجَد المأمونُ عَلَيَّ في شيء، فاستأذنتُه في الحجِّ فأذن لي، فقَدِمْتُ البصرة وعُبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمي عليها وإليه أمرُ الحج، فزاملتُه إلى مكة. فبينا نحن في الطواف رأيت أبا العتاهية، فقلت لعُبيد الله: جُعِلْتُ فِداكَ! أتُحِبّ أن ترى أبا العتاهية؟ فقال: والله إنّي لأُحِبُّ أن أراه وأُعاشِرَه. قلت: فافرُغْ من طَوافك واخرُجْ، ففعل. فأخذتُ بيد أبي العتاهية فقلت له: يا أبا إسحاق، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف؟ قال: وكيف لي بذلك؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عُبيد الله، وكان لا يعرفه، فتحدّثا ساعةً، ثم قال له أبو العتاهية: هل لك في بيتين تُجيزهما؟ فقال له عُبيد اللّه: إنه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدَالَ في الحجّ. فقال له: لا نَرْفثُ ولا نفسقُ ولا

---

(١) المَعَاج: المكان الذي يُعَاج إليه ويُسْكَنُ فيه.

(٢) المرمريس: الداهية.

(٣) التناغر: التناكر.

نُجادِلُ. فقال: هات إذاً فقال أبو العتاهية: [الكامل]

إنّ المنونَ غُدُوَّها ورَوَاحَها ... في النّاسِ دَائِبَةٌ تُجيلُ قِداحَها
يا ساكنَ الدُّنيا لقد أوطنتَها ... ولَتنزَحَنَّ وإن كَرِهتَ نَزَاحَها

فأَطْرَق عبيد الله ينظُر إلى الأرض ساعةً، ثم رفع رأسه فقال: [الكامل]

خُذْ لا أَبَا لكَ لِلمَنِيَّةِ عُدَّةً ... واحتَلْ لِنَفسِكَ إنْ أَرَدْتَ صَلاحَها
لا تغتررِ فَكَأنّني بِعُقابِ رَيـ ... ـبِ المَوْتِ قد نَشَرَتْ عليكَ جَنَاحَهَا

قال: ثم سمعتُ الناس يَنْحَلون أبا العتاهية هذه الأربعةَ الأبيات كلّها، وليس له إلاّ البيتان الأوّلان.

[قصته مع داعية عيسى بن زيد في السجن]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال: حَدّثنا مَيْمون بن هارون قال: حَدَّثني إبراهيم بن رَبَاح قال: أخبرني إبراهيم بن عبد اللّه، وأخبرني محمد بن خَلَف وكِيع قال: حَدّثنا هارون بن مُخَارِق قال: حَدّثني إبراهيم بن دَسْكَرة، وأخبرني أحمد بن عُبَيد اللّه بن عَمَّار قال: حَدّثني أحمد بن سُليمان بن أبي شَيخ قال: قال أبو العتاهية: حبَسني الرشيدُ لمّا تركتُ قولَ الشعر، فأُدخِلْتُ السّجنَ وأُغلِقَ الباب عليّ، فدَهِشْتُ كما يدهَش مثلي لتلك الحال، وإذا أنا برجل جالسٍ في جانب الحبس مُقَيّد، فجعلت أنظر إليه ساعةً، ثم تمثّل:

صوت

[الطويل]

تَعَوَّدْتُ مُرَّ الصَّبْرِ حَتّى أَلِفْتُهُ ... وَأَسْلَمَنِي حُسنُ العَزَاءِ إلى الصَّبْرِ
وصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِياً ... لِحُسْنِ صَنيعِ اللّهِ مِنْ حَيْثُ لا أدري

فقلت له: أَعِدْ، يَرحمُكَ الله، هذين البيتين. فقال لي: ويلكَ أبا العتاهية! ما أسوأَ أدبَك وأقلَّ عقلكَ! دخلتَ عليّ الحَبْسَ فما سَلَّمْتَ تسليمَ المُسْلم، ولا سألتَ مسألةَ الحُرّ للحرّ، ولا توجّعت توجُّع المُبتَلى للمُبتَلى، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشعر الذي لا فضلَ فيك غيرُه، لم تصبرْ عن استعادتهما، ولم تُقَدِّمْ قبلَ مسألتك عنهما عُذْراً لنفسك في طلبهما! فقلتُ: يا أخي إنّي دَهِشْتُ لهذه الحال، فلا تَعْذِلْني واعذرْني مُتَفَضِّلاً بذلك. فقال: أنا والله أولى بالدَّهَش والحَيْرة منك؛ لأنك

حُبِستَ في أن تقول شعراً به ارتفعتَ وبلَغتَ، فإذا قُلْتَ أُمِّنْتَ، وأنا مأخوذٌ بأن أدُلَّ على ابن رسول الله ﷺ لِيُقْتَلَ أو أُقْتَلَ دُونَه، ووالله لا أدُلُّ عليه أبداً، والساعة يُدعى بي فأُقتل، فأيُّنا أحَقُّ بالدَّهَش؟ فقلت له: أنت والله أولى، سَلَّمَكَ اللَّهُ وكفاك، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتُك. قال: فلا نَبْخَلُ عليك إذاً؛ ثم أعاد البيتين حتى حَفِظتُهما. قال: فسألته مَنْ هو؟ فقال: أنا خاصّ دَاعيةُ عيسى بن زيد وابنِه أحمد. ولم نَلْبثْ أن سمعنا صوْتَ الأقفال، فقام فسكَبَ عليه ماء كان عنده في جَرّة، ولبِس ثوباً نظيفاً كان عنده، ودخل الحَرَسُ والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً، وقُدِّمَ قبلي إلى الرشيد. فسأله عن أحمد بن عيسى؛ فقال: لا تَسألْني عنه واصنَعْ ما أنت صانع، فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفتُه عنه. وأمر بضَرْب عُنقه فضُرِبَ. ثم قال لي: أظنّك قد ارتعتَ يا إسماعيل! فقلت: دون ما رأيته تَسِيل منه النفوس. فقال: ردّوه إلى مَحْبِسه فرُدِدْتُ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما:

إذا أنا لم أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلَّ ما ... تَكَرَّهْتُ منه طَالَ عَتْبِي على الدَّهْرِ

لِزُرْزُور غلامِ المَارقيّ في هذين البيتين المذكورين خفيفُ رَمل، وفيهما لعرِيب خفيفُ ثَقِيل.

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهْديّ قال: حدّثني ناجيَةُ بن عبد الواحد قال: قال لي أبو العبّاس الخُزَيْميّ: كان أبو العتاهية خِلْفاً في الشّعر، بينما هو يقول في موسى الهادي:

لَهْفِي على الزَّمَنِ القَصِيرِ ... بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

إذ قال: [مجزوء الرجز]

أَيَا ذَوِي الوَخَامَهْ ... أَكْثَرْتُمُ المَلامَهْ[1]

فليسَ لِي على ذا ... صَبْرٌ ولا قُلامَهْ[2]

نَعَمْ عَشِقْتُ مُوقاً ... هل قامَتِ القِيَامَهْ[3]

لأَرْكَبَنَّ فِيمَنْ ... هَوِيتُهُ الصَّرَامَهْ[4]

(١) الوخامة: الثقل.
(٢) القُلامة: مثل للضعف والقلّة.
(٣) المُوق: الحمق في غباوة.
(٤) الصّرامة: المضيّ في الأمر والجَلَد فيه.

ونسختُ من كتابه: حدّثني عليّ بن مَهديّ قال: حدّثني أحمد بن عيسى قال: حدّثني الجَمّاز قال: قال سَلْمٌ الخاسِر: صار إليّ أبو العتاهية فقال: جِئتُك زائراً؛ فقلت: مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه، فَأَقِمْ. فقال: إنّ هذا مما يَشتَدّ عليّ. قلت: ولَمْ يشتدُّ عليك ما يَسْهُلُ على أهلِ الأدب؟ فقال: لِمَعرِفتي بضيق صدرك. فقلت له وأنا أَضحك وأعجب من مُكابرته «رَمَتْني بدائِها وانْسَلَّتْ»[1]. فقال: دَعْنِي من هذا واسْمَعْ منّي أبياتاً، فقلت: هاتِ؛ فأنشدَنِي: [الخفيف]

نَـغَّـصَ الـمَـوْتُ كُـلَّ لَـذَّةِ عَـيْـشِ ... يَـا لَـقَـومِـي لِـلْـمَـوتِ مَـا أَوْحَـاه[2]
عَـجَـبـاً أَنَّـهُ إذا مَـاتَ مَـيْـتٌ ... صَـدَّ عـنـه حَـبِـيـبُـهُ وجَـفَـاهُ
حَـيْـثُـمـا وُجِّـهَ امْـرُؤٌ لِـيَـفُـوتَ الـ ... ـمَـوْتَ، فـالـمَـوْتُ وَاقـفٌ بِـحِـذَاهُ[3]
إنّـمـا الـشَّـيْـب لابْـنِ آدَمَ نَـاعٍ ... قَـامَ فـي عَـارِضَـيْـهِ ثـمّ نَـعَـاهُ
مَـنْ تَـمَـنَّـى الـمُـنَـى فَـأَغْـرَقَ فـيـهـا ... مـاتَ مِـنْ قَـبْـلِ أَنْ يَـنَـالَ مُـنَـاهُ
مـا أَذَلَّ الـمُـقِـلَّ فـي أَعْـيُـنِ الـنّـا ... سِ لإقْـلالِـهِ ومَـا أَقْـمَـاه[4]
إنّـمـا تَـنْـظُـرُ الـعُـيـونُ مِـنَ الـنّـا ... سِ إلـى مَـنْ تَـرْجُـوه أو تَـخْـشَـاهُ

ثم قال لي: كيف رأيتَها؟ فقلت له: لقد جَوَّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقِيَّة. فقال: والله ما يُرَغِّبني فيها إلاّ الذي زهّدَك فيها.

[مرور حميد الطوسي به وقوله الشعر في التكبّر]

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال: حَدّثني عبد الله بن عطيّة عن محمد بن عيسى الحربيّ قال: كنت جالساً مع أبي العتاهية، إذ مرّ بنا حُمَيْدٌ الطُّوسيّ في موكِبه وبين يديه الفُرْسانُ والرَّجّالةُ، وكان بِقُرب أبي العتاهية سَوادِيٌّ[5] على أتان، فضربوا وجه الأتان ونَحَّوْهُ عن الطّريق، وحُميد واضعٌ طَرْفَهُ على مَعْرَفَةِ[6] فرسه والنّاسُ ينظرون إليه يعجَبون منه وهو لا يتلفت تِيهاً؛

(١) المثل في تمثال الأمثال رقم ٢٦٠ صفحة ٤٤٢ وفي المستقصى ٢: ١٠٣ وفصل المقال ص ٩٢. وهو يُضرَب لمن يعيّر آخرَ عيباً هو فيه.
(٢) الوَحَى: السرعة.
(٣) حِذاه: مخفّفة من حِذاءه: قربه.
(٤) ما أقماه: ما أقمأه: ما أذلّه وأحقره.
(٥) السَّوَادِيّ: الرّجل من عامة الناس.
(٦) مَعْرَفَةُ الفرس: المكان الذي ينبت فيه العُرْف، وهو أيضاً الوجه.

فقال أبو العتاهية: [مجزوء الكامل]

لِـلـمَـوْتِ أَبـنَـاءٌ بِـهِـمْ ما شِئْتَ مِنْ صَلَفٍ وتِيهِ
وكـأنَّـنـي بِـالـمَـوْتِ قَـدْ دَارَتْ رَحَاهُ عـلـى بـنِـيـهِ

قال: فلمّا جاز حُميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية: [الخفيف]

مَا أَذَلَّ المُقِلَّ في أَعْيُنِ النَّا سِ لإِقْلالِهِ وما أَقْمَاهُ
إنَّما تَنْظُرُ العيونُ مِنَ النَّا سِ إلى مَنْ تَرْجُوهُ أو تَخْشَاهُ

[بخله وحِرصه]

قال عليّ بن مهديّ: وحدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال: قيل لأبي العتاهية: ما لكَ تَبخَلُ بما رزقك الله؟ قال: والله ما بَخلت بما رزقني الله قطّ، قيل له: وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يُحْصَى؟ قال: ليس ذلك رزقي، ولو كان رزقي لأنفقتُه.

قال عليّ بن مهدي: وحدّثني محمد بن جعفر الشَّهْرَزُورِيّ قال: حَدّثني رَجَاء مولى صالح الشَّهْرَزُورِيّ قال: كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوريّ وآنس الناس به، فسأله أن يُكَلِّم الفضلَ بن يحيى في حاجة له؛ فقال له صالح: لست أُكَلِّمُهُ في أشباه هذا، ولكن حَمِّلني ما شئت في مالي. فانصرف عنه أبو العتاهية وقام أيّاماً لا يأتيه، فكتب إليه أبو العتاهية: [الكامل]

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيقَ ولا تُطِلْ إتيانَهُ فَتَلِجَّ في هِجْرانِهِ[1]
إنّ الصَّدِيقَ يَلِجُّ في غِشْيانِه لِصَدِيقِهِ، فَيُمَلُّ مِنْ غِشْيَانِهِ[2]
حَتَّى تَرَاهُ بَعْدَ طُولِ مَسَرَّةٍ بِمكانِهِ مُتَبرِّماً بِمَكانِهِ[3]
وأَقَلُّ ما يُلْفى الفَتَى ثِقَلاً عَلَى إخوانِهِ ما كَفَّ عَنْ إخوانِهِ[4]
وإذا تَوانَى عن صِيانَةِ نَفْسِهِ رَجُلٌ تُنُقِّصَ واسْتُخِفَّ بِشَانِهِ

---

(١) الشطر الثاني في الديوان «هِجرانه فَيَلِجُّ في هِجرانِه».
(٢) لجّ في الأمر: لازمه وأبى الانصراف عنه.
(٣) الشطر الثاني في الديوان:
«وكـأنّـه مُـتَـبـرِّمٌ بـمـكـانـه»
(٤) البيت في الديوان:
وأخفّ ما يلقى الفتى، قُرباً على إخوانِهِ، ما خَفَّ من إخوانِهِ

فلمّا قرأ الأبياتَ قال: سبحانَ الله! أتهجُرني لِمنعي إيّاك شيئاً تعلم أنّي ما ابتذلتُ نفسي له قطّ، وتَنْسَى مودّتي وأُخوّتي، ومِنْ دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تَعْذِرني! فكتب إليه: [الكامل]

أَهْلَ التَّخَلُّقِ لو يَدومُ تَخَلُّقُ ... لَسَكَنْتُ ظِلَّ جَنَاحِ مَنْ يَتَخَلَّقُ[1]
ما النَّاسُ في الإمساكِ إلاّ واحدٌ ... فَبِأَيِّهِمْ إنْ حُصِّلُوا أَتعلَّقُ[2]
هذا زمانٌ قد تَعَوَّدَ أَهْلُهُ ... تِيهَ المُلوكِ وفِعْلَ مَنْ يَتَصَدَّقُ[3]

فلمّا أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدّثه بالحديث؛ فقال له: لا والله ما على الأرض أَبْغضُ إليّ من إسداء عارفةٍ إلى أبي العتاهية؛ لأنه ممن ليس يظهر عليه أثرُ صنيعةٍ، وقد قضيتُ حاجتَه لك؛ فرجعَ وأرسلني بقضاء حاجته. فقال أبو العتاهية: [الطويل]

جَزَى اللَّهُ عَنّي صَالِحاً بِوَفَائِهِ ... وأَضْعَفَ أَضْعَافاً له في جَزَائِهِ
بَلَوْتُ رِجالاً بَعْدَهُ في إِخَائِهِمْ ... فَمَا ازْدَدْتُ إلاّ رَغْبَةً في إخائِهِ
صَدِيقٌ إذا ما جِئْتُ أَبغيهِ حَاجةً ... رَجَعْتُ بِمَا أَبْغِي ووَجْهِي بِمائِهِ

أخبرني الصُّوليّ قال: حَدّثني محمد بن موسى قال: حَدّثني أحمد بن حرب قال: أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحاً هذا في تأخيره قضاء حاجته:

صوت

[الطويل]

أَعَيْنَيَّ جُودَا وابْكِيا وُدَّ صَالِحٍ ... وهِيجَا عليه مُعْوِلاتِ النَّوائِحِ
فَمَا زَالَ سُلْطَاناً أَخٌ لي أَوَدُّهُ ... فَيقْطَعُني جُرْماً قَطِيعَةَ صالحِ[4]

الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصَر.

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال: حَدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جَدّه قال: كان الرشيدُ مُعْجَباً بشعر أبي العتاهية، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُقْعتانِ على

(١) التخلّق: التطبّع بأخلاق الآخرين.
(٢) الإمساك: البخل.
(٣) يتصدّق: يطلب الصَّدَقة. والتيه: الضلال والكبرياء.
(٤) في الديوان «حَزماً» بدل «جرماً».

نسخةٍ واحدة، فبَعث بإحداهما إلى مُؤدِّبِ لوَلَده، وقال: لِيُرَوِّهمْ ما فيها، ودفَع الأُخرى إليّ وقال: غَنِّ في هذه الأبيات. ففتحتُها فإذا فيها: [مجزوء الرمل]

صوت

قُــلْ لِــمَــنْ ضَــنَّ بِــوُدِّهْ وكَــوَى الــقَــلْــبَ بِــصَــدِّهْ
مــا ابْــتَــلَــى الــلَّــهُ فــؤادي بِــكَ إلاّ شُــؤْمَ جَــدِّهْ(١)
أيُّــهــا الــسَّــارِقُ عَــقْــلِــي لا تَــضَــنَّــنَّ بِــرَدِّهْ
مــا أرَى حُــبَّــكَ إلاّ بَــالِــغــاً بــي فَــوقَ حَــدِّهْ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حَدّثني عبد الله بن الأُمَوِيّ العُتْبِي قال: قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات: لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق: ذهب والله أبوك يا هارون! للّهِ درُّ أبي العتاهية حيث يقول: [الكامل]

الـمَـوْتُ بـيـنَ الـخَـلْـقِ مُـشْـتَـرَكُ لا سُـوقَـةٌ يَـبْـقَـى ولا مَـلِـكُ(٢)
مـا ضَـرَّ أصـحـابَ الـقـلـيـلِ ومـا أغْـنَـى عَـنِ الأمْـلاكِ مـا مَـلَـكُـوا

[خمسُ أبيات لأبي العتاهية لا يشركه فيها أحد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمِّي الحسن والكوْكَبِيّ قالوا: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي أبو تَمّام الطائيّ: لأبي العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شَرِكَهُ فيها أحدٌ، ولا قَدَر على مثلها مُتَقدِّم ولا متأخِّر، وهو قوله:

الــنَّــاسُ فــي غَــفَــلاتِــهِــمْ ورَحَــى الــمَــنِــيَّــةِ تَــطْــحَــنُ

وقولِهِ لأحمد بن يوسف: [المتقارب]

ألـم تَـرَ أنَّ الـفَـقْـرَ يُـرْجَـى لـه الـغِـنَـى وأنَّ الـغِـنَـى يُـخْـشـى عـلـيـه مـنَ الـفَـقْـرِ

وقوله في موسى الهادي: [المتقارب]

ولــمّــا اسْــتَــقَــلُّــوا بِــأثْــقــالِــهِــمْ وقــد أزْمَــعُــوا لِــلّــذي أزْمَــعُــوا
قَــرنْــتُ الــتِــفــاتــي بــآثــارِهــم وأتْــبَــعْــتُــهــمْ مُــقْــلَــةً تَــدْمَــعُ

---

(١) الجَدّ: الحظ.
(٢) السُّوقة: الرّعية أي عامة الناس.

وقوله: [الطويل]

هَبِ الدُّنيا تَصِيرُ إليكَ عَفْواً أَلَيسَ مَصِيرُ ذاكَ إلى زَوَالِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حَدّثني محمد بن سعيد المَهْديّ عن يحيى بن سَعِيدٍ الأنصاريّ قال: مات شيخٌ لنا ببغداد، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعزُّونه، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد، فَعَزَّاه ثم أنشده: [المجتث]

لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ والْبَسْ لِكُلِّ حِينٍ لِبَاسَا
لَيَدْفِنَنَّا أُنَاسٌ كما دَفَنَّا أُنَاسَا

قال: فانصرفَ الناس، وما حفِظوا غيرَ قول أبي العتاهية.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حَدَّثني حبيب ابن عبد الرحمن عن بعض أصحابه: قال: كنت في مجلس خُزَيمة[1]، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء، فقال: والله ما لنا عند الله عذرٌ ولا حُجَّةٌ إلاّ رجاء عفوه ومغفرته. ولولا عِزُّ السلطان وكراهةُ الذلّة، وأن أصير بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعاً، ما كان في الأرض أزهَدُ ولا أعبدُ منّي؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه بِرُقعةٍ من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ: [الطويل]

أَراكَ امْرَأً تَرجُو مِنَ اللَّهِ عَفْوَهُ وأنتَ على مَا لاَ يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التَّقْوَى وأنتَ مُقَصِّرٌ أَيَا مَنْ يُدَاوِي النَّاسَ وهو سَقِيمُ
وإنَّ امْرَأً لم يُلْهِهِ اليومُ عن غَدٍ تَخَوُّفَ مَا يَأْتِي به لَحَكِيمُ
وإنَّ امْرَأً لم يَجْعَلِ البِرَّ كَنْزَهُ وإنْ كانَتِ الدّنيا له لَعَدِيمُ[2]

فغضِبَ خُزَيمةُ وقال: والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحِف من كنوز البِرّ فيرغَب فيه حرٌّ. فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: لأنّه من الذين يكنِزون الذهب والفِضّة ولا يُنفقونها في سبيل الله.

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال: حَدَّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ

(١) خزيمة بن خازم: من كبار القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون، انحاز إلى المأمون أثناء الفتنة بينه وبين الأمين (ت ٢٠٣ هـ). (الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٢٠٣).

(٢) البِرّ: الأعمال الصالحة. وعديم: فقير معدم.

قال: قال لي الفضل بن العبّاس: قال لي أبو العتاهية: دخلتُ على يزيدَ بن مَزْيَد، فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها: [الطويل]

وما ذاكَ إلاَّ أنَّني وَاثِقٌ بما لَدَيْكَ وأنِّي عَالِمٌ بِوَفائِكا
كأنَّكَ في صَدْرِي إذا جِئْتُ زَائِراً تُقَدِّرُ فيه حاجتي بِابْتِدَائِكا
وإنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وغَيْرَهُ لَيَعْلَمُ في الهَيْجَاءِ فَضْلَ غَنائِكا[1]
كأنَّكَ عِنْدَ الكَرِّ في الحَرْبِ إنَّما تَفِرُّ مِنَ السِّلْمِ الّذي مِنْ وَرائِكا
فما آفَةُ الأمْلاكِ غَيْرُكَ في الوَغَى ولا آفَةُ الأموال غَيْرُ حِبائِكَا[2]

قال: فأعطاني عشرة آلاف درهم، ودابةً بِسرْجها ولِجامها.

وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق وعمِّي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلَّبي قالوا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: مرّ عابدٌ براهبٍ في صَوْمعة؛ فقال له: عِظْني. فقال: أعِظُكَ وعليكم نَزل القرآن، ونبيُّكم محمدﷺ قريب العهد بكم؟ قلت: نعم. قال: فاتَّعِظْ ببيتٍ من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول: [الطويل]

تَجَرَّدْ مِنَ الدُّنيا فَإنَّكَ إنَّما وَقَعْتَ إلى الدُّنيا وأنتَ مُجَرَّدُ

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال: حَدَّثنا العَنَزيّ قال: حَدَّثني الفضل ابن محمد الزَّارع قال: حَدّثني جعفر بن جَمِيل قال: قَدِم العَتَّابي الشاعر على المأمون، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثَوَابةَ بن يونس، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه. فجرى ذات يوم ذِكْرُ الشعراء فقال: لَكُمْ يا أهلَ العراق شاعرٌ مُنَوَّهُ الكُنْية، ما فعل؟ فذكر القوم أبا نُوَاس؛ فانتهرهم ونفض يده وقال: ليس ذلك، حتى طال الكلام؛ فقلت: لعلّك تريد أبا العتاهية؟ فقال: نعم! ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين في وقته.

[قصته مع أبي نواس]

أخبرني محمد بن عِمْران قال: حَدّثني العَنَزِيّ قال: حَدَّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنْديّ قال: جلس أبو العتاهية يوماً يعْذُلُ أبا نُوَاس ويلومه

(١) الهيجاء: الحرب. والغَنَاء: الاكتفاء.
(٢) في الديوان «الآجال» بدل «الأملاك» والآجال: مفردها الأجل، وقت الموت. والحباء: العطاء.

في استماع الغِناء ومجالستهِ لأصحابه؛ فقال له أبو نواس: [مجزوء الكامل]

أتُـرَانِـي يَـا عَـتَـاهِـي تَـارِكـاً تِـلْـكَ الـمَـلاَهِـي
أتُـرانِـي مُـفْـسِـداً بِـالـنُّـسْـكِ عِـنْـدَ الـقَـوْمِ جَـاهِـي

قال: فوثَبَ أبو العتاهية وقال: لا بارَكَ الله عليك! وجعل أبو نواس يضحك.

[عاتب إبراهيم بن المهدي لأنه اتّهمه بالزندقة فردّ عليه شعراً]

أخبرني جَحْظةُ قال: حَدَّثني هِبَةُ اللَّه بن إبراهيم بن المهديّ قال: بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكَره بها؛ فبعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق الموصلي، فأدّى إليه إسحاق الرّسالة؛ فكتب إليه أبي: [الكامل]

إنَّ الـمَـنِـيَّـة أمْـهَـلَـتْـكَ عَـتَـاهِـي والـمَـوْتُ لا يَـسْـهُـو وقَـلْـبُـكَ سَـاهِـي
يـا وَيْـحَ ذِي الـسِّـنِّ الـضَّـعِـيـفِ أمَـالَـهُ عَـنْ غَـيِّـهِ قَـبْـلَ الـمَـمَـاتِ تَـنَـاهِـي
وُكِّـلْـتَ بِـالـدُّنـيـا تُـبَـكِّـيـهـا وتَـنْـدُبُـهـا وأنـتَ عَـنِ الـقـيـامـةِ لاهِـي
والـعَـيْـشُ حُـلْـوٌ والـمَـنُـونُ مَـريـرةٌ والـدَّارُ دَارُ تَـفَـاخُـرٍ وتَـبَـاهِـي
فَـاخْـتَـرْ لِـنَـفْـسِـكَ دُونَـهـا سُـبُـلاً ولا تَـتَـحَـامَـقَـنَّ لـهـا فَـإنَّـكَ لاَهِـي
لا يُـعْـجِـبَـنَّـكَ أنْ يُـقـالَ مُـفَـوَّهٌ حَـسَـنُ الـبَـلاغـةِ أو عَـرِيـضُ الـجَـاهِ
أصْـلِـحْ جَـهُـولاً مِـنْ سَـرِيـرَتِـكَ الَّـتي تَـخْـلُـو بِـهـا وازْهَـبْ مَـقَـامَ الـلَّـهِ
إنِّـي رَأَيْـتُـكَ مُـظْـهِـراً لِـزَهَـادَةٍ تَـحْـتَـاجُ مِـنْـكَ لـهـا إلـى أشْـبـاهِ

[عبد اللّه بن العباس بن الفضل يتغنّى بشعر أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدّثني الْحُسَين بن يحيى الصوليّ قال: حدّثني عبد الله بن العبَّاس بن الفضل بن الرَّبيع قال: رآني الرشيد مشغوفاً بالغِناء في شعر أبي العتاهية:

صوت [الخفيف]

أحْـمَـدٌ قـالَ لـي ولَـمْ يَـدْرِ مـا بـي أتُـحِـبُّ الـغَـدَاةَ عُـتْـبَـةَ حَـقًّـا
فـتَـنَـفَّـسْـتُ ثـمّ قُـلْـتُ نَـعَـمْ حُـبّـاً جَـرَى فـي الـعُـروقِ عِـرْقـاً فَـعِـرْقَـا

لو تَجُسِّينَ يا عُتَيبَةُ قلبي ... لَوَجَدْتِ الفُؤادَ قَرْحاً تَفَقَّا[١]
قد لَعَمْرِي مَلَّ الطَّبِيبُ ومَلَّ الأَ ... هْلُ مِنِّي مِمَّا أُقاسِي وأَلْقَى
لَيْتَني مُتُّ فاسْتَرَحْتُ فإنِّي ... أَبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقًّى[٢]

ولا سيما من مُخَارِق، وكان يُغَنِّي فيه رَمَلاً لإبراهيم أخذه عنه. وفيه لحنٌ لِفَرِيدة رمل. هكذا قال الصُّولي: «فريدة» بالياء، وغيره يقول: «فِرِندة» بالنون.

[قال شعراً ليغنيه الملاحون فبكى له الرشيد]

حدّثني الصُّولي قال: حَدّثنا محمد بن موسى قال: حَدّثنا محمد بن صالح العَدَوِيّ قال: أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيدُ مما يُعجِبه غِناءُ المَلاَّحين في الزَّلاَّلات[٣] إذا رَكبها، وكان يتأذَّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يُغَنُّون فيه. فقيل له: ليس أحدٌ أقْدَرَ على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحَبْس. قال: فَوجَّه إليّ الرشيد: قُلْ شعراً حتَّى أسمَعه منهم، ولم يأمُرْ بإطلاقي، فغاظني ذلك فقُلْتُ: والله لأقولنَّ شعراً يَحْزُنه ولا يُسَرُّ به، فعَمِلْتُ شعراً ودفعتُه إلى مَنْ حَفَّظه الملاَّحين. فلمَّا رَكِب الحَرَّاقة[٤] سَمِعَه وهو: [مجزوء الرمل]

خانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أَيُّها القَلْبُ الجَمُوحُ[٥]
لِدَوَاعِي الخَيْرِ والشَّـ ... ـرِّ دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ ... تَوْبَةٌ منه نَصُوحُ
كيفَ إصلاحُ قُلُوبٍ ... إنَّما هُنَّ قُرُوحُ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنا أَنَّ ... الخَطَايَا لا تَفُوحُ
فإذَا المَسْتُورُ مِنَّا ... بينَ ثَوْبَيْهِ نَضُوحُ[٦]

---

(١) القرح: الجرح. وتفقَّا: تفقأ.
(٢) المُلَقّى: الممتحَن المصاب دائماً بالمكاره.
(٣) الزلالات: نوع من السفن كما يبدو من سياق الكلام.
(٤) الحرّاقة: نوع من السفن الحربية وكان منها أنواع عند الخلفاء تستخدم في الرياضة والتنزه والتنقل.
(٥) الجموح: الذي ينقاد لهواه فلا يمكن ردّه.
(٦) في الديوان «فَضُوح» بدل «نضوح».

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عنه الكُشُوحُ(١)
صَاحَ منه بِرَحِيلٍ صَائِحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
مَوْتُ بعضِ النَّاسِ في الأرْ ضِ على قومٍ فُتُوحُ
سَيَصِيرُ المَرْءُ يوماً جَسَداً ما فيه رُوحُ
بين عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ عَلَمُ المَوْتِ يَلُوحُ
كُلُّنا في غَفْلَةٍ والْـ ـمَوْتُ يَغْدُو ويَرُوحُ
لِبَنِي الدُّنيا مِنَ الدُّنْـ ـيَا غَبُوقٌ وصَبُوحُ(٢)
رُحْنَ في الوَشْيِ وأَصْبَحْـ ـنَ عليهِنَّ المُسُوحُ(٣)
كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْـ ـرِ له يَوْمٌ نَطُوحُ
نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسْـ ـكِينُ إنْ كُنْتَ تَنُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وإنْ عُمِّـ ـرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ

قال: فلمّا سمِع ذلك الرشيدُ جعل يبكي ويَنْتَحِب، وكان الرشيدُ من أغزر الناس دموعاً في وقت المَوْعِظة، وأشدِّهم عَسْفاً في وقت الغَضَب والغِلْظة. فلمّا رأى الفضلُ بن الرَّبيع كثرةَ بكائه، أومأ إلى المَلاَّحين أن يسكتوا.

حدّثني الصُّوليّ: قال: حَدّثني الحسن بن جابر كاتِب الحسن بن رَجَاء قال: لمّا حَبَس الرشيدُ أبا العتاهية دَفَعَه إلى منجاب، فكان يَعْنُف به؛ فقال أبو العتاهية:

[مجزوء الكامل]

مِنْجَابُ ماتَ بِدائِهِ فَاعْجَلْ له بِدَوائِهِ
إنَّ الإمامَ أَعَلَّهُ ظُلْماً بِحَدِّ شَقائِهِ
لا تُعْنِفَنَّ سِيَاقَهُ ما كُلُّ ذاكَ بِرَائِهِ(٤)
ما شِمْتُ هذا في مَخَا يِلِ بَارِقاتِ سَمَائِهِ(٥)

(١) الكشوح: جمع الكَشْح: ما بين الخاصرة إلى الضِلَعِ الخَلْفي، وطوى فلانٌ عني كَشْحَهُ: إذا قطعني، وطويت كشحي على الأمر: إذا أضمرته وسترتُه.
(٢) الغبوق: ما يشرب في العشي من الخمرة. والصَّبوح: ما يشرب صباحاً.
(٣) المسوح: الأثواب الخشنة البالية من الشّعر أو غيره.
(٤) برائه: برأيه.
(٥) المخايل: جمع المخيلة: السحابة المنذرة بالمطر.

[مدحه للرشيد وأبنائه الثلاثة]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال: حَدّثنا العَنَزِيّ قال: حَدَّثني أحمد بن مُعَاويةَ القُرشيّ قال: لمّا عَقَد الرشيدُ ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة: الأمين، والمأمون، والمؤتمن، قال أبو العتاهية: [الطويل]

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ المُحِيلِ قَعُودِي ... إلى ذي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وجُنُودِ[1]
وَراعٍ يُرَاعِي اللَّيلَ في حِفْظِ أُمَّةٍ ... يُدَافِعُ عنها الشَّرَّ غَيْرِ رَقُودِ
بِألْوِيَةٍ جِبريلُ يَقْدُمُ أَهْلَها ... ورَاياتِ نَصْرٍ حَوْلَهُ وبُنُودِ
تَجَافَى عَنِ الدُّنْيا وأَيْقَنَ أنَّها ... مُفَارِقَةٌ ليستْ بِدَارِ خُلُودِ
وشَدَّ عُرَا الإسلام منه بِفِتْيةٍ ... ثَلاثةِ أَمْلاكٍ وُلاةِ عُهُودِ
هُمُ خَيْرُ أولادٍ، لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ ... لَهُ خَيرُ آباءٍ مَضَتْ وجُدودِ
بَنُو المُصطفَى هارونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ ... فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وقُعُودِ
تُقَلِّبُ ألْحَاظَ المَهَابةِ بينهم ... عُيونُ ظِبَاءٍ في قُلوبِ أُسُودِ
جُدُودُهُمُ شَمْسٌ أَتَتْ في أَهِلَّةٍ ... تَبَدَّتْ لِرَاءٍ في نُجومِ سُعُودِ[2]

قال: فوصله الرشيدُ بِصلَةٍ ما وَصَل بمثلها شاعراً قَطُّ.

[بيتان من شعر أبي العتاهية كُتبا على أبواب مجلس ملك الروم]

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدِيّ إجازةً قال: حدّثني الرِّياشيّ قال: قَدِم رسولٌ لِمَلِك الرُّوم إلى الرشيد، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره، وكان يُحْسِن العَربية، فمضى إلى ملك الرُّوم وذَكره له؛ فكَتَب ملكُ الرُّوم إليه، ورَدَّ رسولَه يسأل الرشيد أن يُوَجِّهَ بأبي العتاهية ويأخذَ فيه رهائن مَنْ أراد، وألَحَّ في ذلك. فكلَّمَ الرشيدُ أبا العتاهية في ذلك، فاستعفى منه وأباه. واتَّصل بالرشيد أنّ مَلِكَ الرُّوم أمر أن يُكْتَبَ بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مَجَالِسِه وبابِ مدينته، وهما:

(١) القعود: الناقة التي يقتعدها الراكب في كل حاجة. والزحوف: جمع الزحف: الجموع الكثيرة العدد.
(٢) الجدود: جمع الجَدّ: الحظ.

صوت

[المنسرح]

مـا اخـتـلـفَ الـلَّـيْـلُ والـنَّـهـارُ ولا دَارَتْ نُـجُـومُ الـسَّـمَـاءِ فـي الـفَـلَـكِ
إلاّ لِـنَـقْـلِ الـسُّـلْـطـانِ عَـنْ مَـلِـكٍ قَـدِ انـقَـضَـى مُـلْـكُـهُ إلـى مَـلِـكِ

أخبرني عمّي قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثنا الرَّبيع بن محمد الخُتَّليّ الوَرَّاق قال: أخبرني ابن أبي العتاهية: أنّ الرشيدَ لمّا أطلق أباه من الحَبْس، لَزِم بيتَه وقَطَع الناسَ؛ فذكَره الرشيد فَعُرِّفَ خبرَه، فقال: قولوا له: صِرْتَ زِيرَ نِساءٍ وحِلْسَ بَيْتٍ[1]؛ فكتب إليه أبو العتاهية: [السريع]

بَـرِمْـتُ بِـالـنَّـاسِ وأَخْـلاَقِـهِـمْ فَـصِـرْتُ أَسْـتَـأْنِـسُ بِـالـوَحْـدَهْ
مـا أكـثَـرَ الـنَّـاسَ لَـعَـمْـرِي ومـا أَقَـلَّـهُـمْ فـي مُـنْـتَـهـى الـعِـدَّهْ

ثم قال: لا ينبغي أنْ يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له، فقَرَن هذين البيتين بأربعةِ أبيات مدحه فيها، وهي: [المديد]

صوت

عـادَ لـي مـن ذِكْـرِهـا نَـصَـبُ فـدمـوعُ الـعَـيْـنِ تَـنْـسَـكِـبُ[2]
وكـذاكَ الـحُـبُّ صَـاحِـبُـهُ يَـعْـتَـرِيـهِ الـهَـمُّ والـوَصَـبُ[3]
خَـيْـرُ مَـنْ يُـرْجَـى ومَـنْ يَـهَـبُ مَـلِـكٌ دَانَـتْ لـه الـعَـرَبُ
وحَـقِـيـقٌ أَنْ يُـدَانَ لـه مَـنْ أبـوه لِـلـنَّـبِـيِّ أَبُ

[الرشيد يبكي لشعر قاله أبو العتاهية]

حدّثنا الصُّوليّ قال: حَدّثنا عَوْن بن محمد قال: حَدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال: قال الرشيدُ لأبي: عِظْنِي! فقال له: أخافك، فقال له: أنت آمِن، فأنشده:

[البسيط]

لا تَـأْمَـنِ الـمَـوْتَ في طَـرْفٍ ولا نَـفَـسِ إذَا تَـسَـتَّـرْتَ بِـالأَبْـوابِ والـحَـرَسِ

(١) حِلس البيت: الملازم له لا يبرحه وهذه مذمّة للرجل.
(٢) النَّصَب: التعب.
(٣) الوَصب: المرض والوجع.

واعْلَمْ بأنّ سِهَامَ المَوْتِ قَاصِدةٌ ... لِكُلِّ مُدَّرِعٍ مِنّا ومُتَّرِسِ[1]

تَرجُو النَّجَاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقَتها ... إنّ السَّفِينةَ لا تَجْرِي على اليَبَسِ

قال: فبكى الرشيد حتى بل كُمَّه.

[الحسين ابن الضحاك يحكم لأبي العتاهية على أبي نواس]

حدّثني عَمِّي قال: حَدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: قال لي أحمد بن أبي فَنَنٍ: تناظرتُ أنا والفَتْحُ بن خاقان في منزله: أيُّما الرجلين أشعر: أبو نُوَاس أم أبو العتاهية. فقال الفتح: أبو نواس، وقلت: أبو العتاهية. ثم قلت: لو وُضِعَتْ أشعارُ العربِ كلُّها بإزاء شعر أبي العتاهية لَفَضَلها، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلِّ قصيدة جَيِّداً وَوَسطاً وضعيفاً، فإذا جُمع جَيِّده كان أكثَر من جَيِّد كلِّ مُجَوِّد. ثمّ قلتُ له: بمَن تَرْضَى؟ قال: بالحسين بن الضحَّاك. فما انقطع كلامُنا حتّى دخل الحسين بن الضحّاك؛ فقلتُ: ما تقول في رجلين تَشَاجَرا، فَفَضَّلَ أحدُهما أبا نُوَاس وفضَّل الآخَرُ أبا العتاهية؟ فقال الحسين: أُمُّ مَنْ فَضَّلَ أبا نُوَاسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ؛ فخَجِلَ الفَتْح حتى تبيَّنَ ذلك فيه، ثم لم يُعَاوِدْني في شيءٍ من ذِكْرِهما حتّى افترقنا.

[خبر بداية تزهّده]

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم، فقال: حدّثني هارون بن مُخَارِق قال: حَدَّثني أبي قال: جاءني أبو العتاهية فقال: قد عزمتُ على أنْ أتزوَّد منك يوماً تَهَبُهُ لي، فمتى تَنْشَطُ؟ فقلتُ: مَتَى شِئتَ. فقال: أخاف أن تقطع بي. فقلت: والله لا فعلتُ وإنْ طَلَبني الخليفة، فقال: يكون ذلك في غدٍ، فقلت: أفعل. فلمّا كان من غدٍ باكرني رسولُه فجِئْتُهُ، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فَرْشٌ نظيفٌ، ثم دعا بمائدة عليها خُبْزٌ سَمِيذٍ[2] وخَلٌّ وبَقْلٌ ومِلْحٌ وجَدْيٌ مَشْوِيٌّ فأكلنا منه، ثم دعا بسَمَكٍ مَشْوِيّ فأصبنا منه حتّى اكتفينا، ثم دعا بحَلْواء فأصبنا منها وغَسَلْنا أيدينَا، وجاؤونا بفاكهةٍ وَرَيْحان وألوانٍ من الأنبذة، فقال: اخْتَرْ ما يصلُح لك منها؛

---

(١) المدَّرع: الذي يلبس الدرع، المتَّرس: الذي يلبس الترس.

(٢) السميذ: الدقيق الأبيض.

فاخترتُ وشرِبت؛ وصبَّ قَدَحاً ثم قال: غَنِّني في قولي: [الخفيف]

أَحْـمَـدٌ قـال لـي ولـم يَـدْرِ مـا بـي أَتُـحِـبُّ الـغَـدَاةَ عُـتْـبَـةَ حَـقًّـا

فغَنَّيْتُه، فَشَرِب قدحاً وهو يبكي أَحَرَّ بكاء. ثم قال: غَنِّني في قولي: [السريع]

لـيـس لِـمَـنْ لَـيْـسَـتْ لـه حِـيـلـةٌ مـوجـودةٌ خَـيْـرٌ مِـنَ الـصَّـبْـرِ

فغنَّيته وهو يبكي ويَنْشِجُ، ثم شرِبَ قدحاً آخر ثم قال: غَنِّني، فديتك، في قولي: [الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ مـا لـي لا تَـزَالُ مَـضَـرَّتِـي تـكـونُ مـع الأَقـدارِ حَـتْـمـاً مِـنَ الـحَـتْـمِ

فغنَّيته إيّاه. وما زال يقترح عليّ كلَّ صوتٍ غُنِّيَ به في شِعْره فأُغَنِّيه ويشرَبُ ويبكي حتى صارت العتمة. فقال: أُحِبُّ أن تَصْبِرَ حتَّى ترى ما أصنع فجلست. فأمر ابنَه وغلامه فَكَسَرا كلَّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والمَلاَهي، ثم أمر بإخراج كلِّ ما في بيته من النَّبيذ وآلته، فأُخْرِجَ جميعهُ، فما زال يكسِره ويَصُبُّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيءٌ، ثم نَزَعَ ثيابهَ واغتسلَ، ثم لَبِسَ ثياباً بِيضاً من صُوف، ثم عانقني وبكى، ثم قال: السلامُ عليك يا حبيبي وفَرَحي من النّاس كلِّهم سلامَ الفِراق الذي لا لِقاءَ بعده؛ وجعل يبكي، وقال: هذا آخِرُ عَهْدِي بك في حال تَعَاشُرِ أهل الدُّنيا؛ فظننتُ أنّها بعضُ حماقاته، فانصرفتُ، وما لَقيته زماناً؛ ثم تشوّقته فأتيته فاستأذنتُ عليه فأذن لي فدخلتُ، فإذا هو قد أخذ قَوْصَرَتَيْنِ[1] وثَقَب إحداهما وأدخل رأسَه ويديه فيها وأقامها مقام القميص، وثَقَبَ الأُخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السَّراويل. فلمّا رأيته نَسِيتُ كلَّ ما كان عندي من الغَمّ عليه والوَحْشة لِعِشْرته، وضَحِكْتُ والله ضحكاً ما ضَحِكت مثلَه قَطُّ. فقال: مِنْ أيِّ شيءٍ تَضْحَك؟ فقلت: أسخن الله عينَكَ[2]! هذا أيُّ شيء هو؟ مَنْ بَلَغَكَ عنه أنَّه فَعَلَ مثلَ هذا من الأنبياء والزُّهّاد والصَّحابة والمجانين، إنْزِعْ عنك هذا يا سَخِين العين! فكأنه استحيا منِّي. ثم بَلَغني أنّه جَلَس حَجَّاماً، فَجهِدتُ أن أراه بتلك الحال فلم أرَه. ثم مَرِضَ، فبلَغَني أنه اشتهى أنْ أُغَنِّيَه، فأتيتُه عائداً، فخرج إليّ رسولُه يقول: إن دخلتَ إليَّ جَدَّدْتَ لي حزناً وتاقتْ نفسي من سَماعك إلى ما قد غلبتُها عليه،

(١) القوصرة: وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

(٢) أسخن الله عينكَ: نوع من الدعاء يُقصد به أن ينزل به ما يُبكيه ويحزنه.

وأنا أستودعك اللّهَ وأعتذر إليك من ترك الالتقاء، ثم كان آخر عهدي به.

[آخرُ أيّامه]

حدّثني جحظة قال: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يجيءَ مُخَارِق فَيَضَعَ فمه على أذني ثم يُغَنِّيني: [الطويل]

سَيُعْرَضُ عن ذِكْرِي وتُنْسَى مَوَدَّتي ... ويَحْدُثُ بعدي للخليلِ خليلُ
إذَا ما انْقَضَتْ عَنِّي منَ الدَّهْرِ مُدَّتِي ... فإنَّ غَنَاءَ الباكياتِ قليلُ[1]

وأخبرني به أبو الحسن الأسدِيّ قال: حَدّثنا محمد بن صالح بن النَّطّاح قال: قال بِشْر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فذَكَر مثلَ الأوّل.

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح: أنّ بِشْراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب.

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليُّ بن مَهْدِيّ قال: حَدّثني عبد اللّه بن عَطِيّة قال: حَدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: آخرُ شعرٍ قاله أبي في مَرَضه الذي مات فيه: [الوافر]

إلهي لا تُعَذِّبْنِي فإنِّي ... مُقِرٌ بالَّذِي قَدْ كانَ مِنِّي
فما لي حِيلَةٌ إلاّ رَجائي ... لِعَفْوِكَ، إنْ عَفَوْتَ، وحُسْنُ ظَنِّي
وكَم مِنْ زَلَّةٍ لي في الخَطَايا ... وأنتَ عَلَيَّ ذو فَضْلٍ ومَنِّ[2]
إذَا فَكَّرْتُ في نَدَمِي عليها ... عَضَضْتُ أنامِلي وقَرَعْتُ سِنِّي[3]
أُجَنُّ بِزَهْرةِ الدُّنْيا جُنُوناً ... وأَقْطَعُ طُولَ عُمْرِي بالتَّمَنِّي
ولَوْ أنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عنها ... قَلَبْتُ لأَهْلِها ظَهْرَ المِجَنِّ[4]
يَظُنُّ النَّاسُ بي خَيْراً وإنِّي ... لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لم تَعْفُ عنِّي

أخبرني محمد بن عِمْران الصيْرَفيّ قال: حَدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال: حَدّثني

---

(١) المدّة: الأجل.

(٢) في الديوان «البرايا» بدل «الخطايا» والبرايا: البشر.

(٣) قرعت سنّي: عضضتُ عليها ندماً.

(٤) قلب له ظهر المجنّ: أظهر له العداء. والمجنّ: الترس.

أحمد بن حمزة الضُّبَعيّ قال: أخبرني أبو محمد المؤدِّب قال: قال أبو العتاهية لابنته رُقَيَّة في عِلّته التي مات فيها: قُومِي يا بُنَيَّة فانْدُبي أباك بهذه الأبيات؛ فقامتْ فَنَدبَته بقوله: [الكامل]

لَعِبَ البِلَى بِمَعَالِمي ورُسُومي وقُبِرْتُ حَيًّا تحتَ رَدْمِ هُمُومِي

لَزِمَ البِلَى جِسْمِي فَأَوْهَنَ قُوَّتي إنّ البِلَى لَمُوَكَّلٌ بِلُزومي

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال: حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال: حدّثني عليّ بن محمد قال: حَدّثني مُخَارِق المُغَني قال: تُوُفِّيَ أبو العتاهية، وإبراهيم الموصلّي، وأبو عَمْرو الشَّيْباني عبد السلام في يومٍ واحد في خِلافة المأمون، وذلك في سنة ثلاثَ عَشْرَة ومائتين.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن مَهْرُويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قُتَيْبَةَ قال: مات أبو العتاهية، ورَاشِدٌ الخَنَّاق، وهشيمة الخَمَّارة في يومٍ واحدٍ سنة تِسْع ومائتين.

وذكر الحارثُ بن أبي أُسامةَ عن محمد بن سَعْد كاتب الوَاقديّ أنَّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْنَ من جُمَادَى الأُولى سنة إحدَى عَشْرَةَ ومائتين، ودُفِنَ حيالَ قَنْطَرة الزَّيَّاتين في الجانب الغَرْبيّ ببغداد.

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشَّيْباني عن محمد بن أبي العتاهية: أنَّ أباه توفِّي سنة عَشْرٍ ومائتين.

[شعرٌ كُتِبَ على قبره]

أخبرني الصُّوليّ قال: حَدَّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد اللّه بن الجُنَيْد عن إسحاق بن عبد اللّه بن شُعَيْب قال: أمرَ أبو العتاهية أنْ يُكْتَبَ على قَبْره: [مجزوء الخفيف]

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعِي إسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي

أنا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي فَاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي

عِشْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً أَسْلَمَتْني لِمَضْجَعي

كَمْ ترى الحَيَّ ثابتاً في دِيَارِ التَّزَعْزُعِ

ليس زَادٌ سِوَى التُّقَى فَخُذِي منه أَوْ دَعِي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال: لمَّا مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال: [مجزوء الخفيف]

يــا أبــي ضَــمَّــكَ الــثَّــرَى وطَــوَى الــمَــوْتُ أَجْــمَــعَــكْ
لَــيْــتَــنــي يــومَ مُــتَّ صِــرْ تُ إلــى حُــفْــرةٍ مَــعَــكْ
رَحِــمَ الــلَّــهُ مَــصْــرَعَــكْ بَــرَّدَ الــلَّــهُ مَــضْــجَــعَــكْ

أخبرني الحسن قال: حَدَّثني أحمد بن زُهَير قال: قال محمد بن أبي العتاهية: لَقِيَني محمد بن أبي محمد اليَزيدِيّ فقال: أَنْشِدْني الأبياتَ التي أَوْصَى أبوك أن تُكْتَبَ على قَبْره؛ فأنشأتُ أقول له: [الوافر]

كَـذَبْـتَ عـلَـى أَخٍ لـكَ فـي مَـمَـاتِـهْ وكَـمْ كَـذِبٍ فَـشَـا لـكَ فـي حَـيَـاتِـهْ
وأَكْـذَبُ مـا تـكُـونُ عـلـى صَـدِيـقٍ كَـذَبْـتَ عـلـيـه حَـيًّـا فـي مَـمَـاتِـهْ

فَخجِل وانصرف. قال: والنّاس يقولون: إنّه أَوْصَى أن يُكْتَبَ على قبره شِعرٌ له، وكان ابنهُ يُنْكِر ذلك.

وذكر هارون بن عليّ بن مَهْدِيّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبياتَ العينيّة التي أوّلها:

* أُذْنَ حَــــيٍّ تَــــسَــــمَّــــعِــــي *

على حَجَرٍ عند قبر أبي العتاهية.

ولم أذكُرْ ها هنا مع أخبار أبي العتاهية أخبارَه مع عُتبةَ، وهي من أعظم أخباره؛ لأنّها طويلة، وفيها أغانٍ كثيرة، وقد طالت أخباره ها هنا فأفردتُها.

أخبار فريدة

قال مؤلف هذا الكتاب: هما اثنتان مُحسِنتان لهما صَنْعةٌ تُسَمَّيان بفَرِيدة. فأمّا إحداهما، وهي الكبرى، فكانت مُوَلَّدةً نشأتْ بالحجاز، ثم وقعتْ إلى آل الربيع، فعُلِّمَتِ الغِنَاءَ في دُورهم، ثم صارتْ إلى البرامكة. فلمّا قُتِلَ جعفر بن يحيى ونُكِبُوا هَرَبَتْ وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلمّا قُتِلَ خرجتْ، فتزوّجها الهَيْثَم بن مُسْلِم فولدتْ له ابنَه عبد اللّه، ثم مات عنها، فتزوَّجها السِّنْدِيُّ ابن الحَرَشِيّ وماتت عنده. ولها صنعةٌ جيِّدة، منها في شعر الوليد بن يَزِيد:

صوت

[مجزوء الرمل]

وَيْـحَ سَـلْـمَـى لـو تَـرَانِـي لَـعَـنَـاهـا مـا عَـنَـانِـي
وَاقِـفـاً فـي الـدَّارِ أَبْـكِـي عَـاشِـقـاً حُـورَ الـغَـوانِـي

ولَحْنُها فيه خفيفُ رَمَلٍ.

ومن صَنْعتها:

صوت

[الطويل]

أَلاَ أَيُّـهـا الـرَّكْـبُ الـنِّـيـامُ أَلاَ هُـبُّـوا نُسَائِلكُمْ هل يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ
أَلاَ رُبَّ رَكْـبٍ قـد وَقَـفْـتُ مَـطِـيَّـهُـمْ عَليكِ ولولا أنتِ لم يَقفِ الرَّكْبُ[1]

لحنُها فيه ثاني ثقيل. وفيه لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى.

فحدّثني محمد بن العباس اليَزِيديّ قال: حَدَّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال: حَدَّثني العُمَرِيّ قال: حَدَّثني الهيثم بن عَدِيّ قال: قال صالح بن حَسّان يوماً: ما نِصْفُ

(١) الشعر لجميل بثينة في ديوانه ص ٢٨ (دار الكتاب العربي) باختلاف في الرواية.

بيتٍ كأنّه أعرابيّ في شَمْلةٍ، والنصفُ الآخَرُ كأنّه مُخَنَّثٌ مُفَكَّك؟ قلت: لا أدري. فقال: أَجَّلْتُك حولاً. فقلت: لو أجَّلتني عشرةَ أحوالٍ ما عرفتُه. فقال: أَوَّهْ! أُفٍّ لكَ! قد كنتُ أَحْسَبُكَ أجودَ ذِهْناً مما أرى! فقلت: فما هو الآن؟ قال: قولُ جميل:

* ألاَ أيّـهـا الـرَّكْـبُ الـنّـيـامُ ألاَ هُـبُّـوا *

هذا كلام أعرابيّ، ثم قال:

* أُسائلكم هل يقتلُ الرّجلَ الحبُّ *

كأنّه والله من مُخَنّثي العَقيق.

[فريدة الثانية هي صاحبة اللحن المختار

وأمّا فريدةُ الأُخرى فهي الّتي أرى بل لا أَشُكُّ في أنّ اللَّحْنَ المُختارَ لها؛ لأنّ إسحاق اختار هذه المائةَ الصّوتِ للواثق، فاختار فيها لِمُتَيَّم لحناً، ولأبي دُلَف لحناً، ولِسُلَيْم بن سَلاَّم لحناً، ولِرِياض جاريةِ أبي حَمَّاد لحناً. وكانت فريدةُ أثِيرةَ عند الواثق وحَظِيّةً لَدَيْهِ جِدًّا، فاختار لها هذا الصوت، لمكانها من الواثق، ولأنّها ليستْ دون مَنْ اختار له من نُظَرائها.

أخبرني الصُّولِيّ قال: حَدَّثنا الحسين بن يحيى عن رَيِّق: أنّها اجتمعت هي وخِشْفُ الوَاضِحِيّة يوماً، فتذاكرتا أحسنَ ما سَمِعتاه من المُغَنِّيات؛ فقالت رَيِّق: شَارِيةُ أحْسَنُهنّ غِناءً ومُتَيَّمُ، وقالت خِشْفُ: عَرِيبُ وفرِيدة؛ ثم اجتمعتا على تَسَاوِيهنّ، وتقديم مُتَيَّم في الصَّنْعة، وعَرِيبَ في الغَزَارة والكثرة، وشاريةَ وفَرِيدَةَ في الطِّيب وإحكام الغناء.

حدّثني جَحْظةُ قال: حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال: كانت فَرِيدةُ جارية الواثق لِعَمْرو بن بانة، وهو أهداها إلى الواثق، وكانت من الموصوفات المُحسِنات، ورُبِّيتْ عند عمرو بن بانة مع صاحبةٍ لها اسمُها «خِلّ»، وكانت حسنةَ الوجه، حَسَنَةَ الغِناء، حادّة الفِطْنةِ والفَهْم.

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانةَ قال: غَنَّيْتُ الواثقَ: [الرمل]

قُـلْـتُ حِـلاًّ فَـاقْـبَـلِـي مَـعْـذِرَتـي ... مـا كَـذَا يَـجْـزِي مُـحِـبٌّ مَـنْ أَحَـبْ

فقال لي: تَقَدَّمْ إلى السِّتارة فأَلْقِهِ على فَريدةَ، فألقيتُه عليها؛ فقالت: هو حِلٌّ أو خِلٌّ كيف هو؟ فعلمتُ أنها سألتني عن صاحبتها في خَفَاءٍ من الواثق.

ولمّا تزوَّجها المتوكل أرادها على الغناء، فأبَتْ أن تُغَنِّي وفاءً للواثق، فأقام على رأسها خادماً وأمَره أن يضربَ رأسها أبداً أو تُغَنِّيَ؛ فاندفعتْ وغَنَّتْ: [الوافر]

فَلا تَبْعَدْ فكُلُّ فَتًى سَيأتي عليهِ المَوتُ يَطْرُقُ أو يُغَادي[1]

[قصة لها مع الواثق والمتوكل]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حَدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال: حَدّثني محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر قال: كانت لي نوْبة في خدمة الواثق في كل جمعة، إذا حَضرَتْ رَكِبتُ إلى الدّار؛ فإنْ نَشِطَ إلى الشُّرْب أقمتُ عنده، وإن لم يَنشَطِ انصرفتُ. وكان رَسْمُنا ألاّ يحضر أحدٌ منّا إلاّ في يوم نوبته. فإنِّي لَفِي منزِلِي في غير يوم نوبتي إذا رُسُلُ الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي: احضُرْ. فقلت: أَلِخَيْرٍ؟ قالوا: خير. فقلت: إنّ هذا يومٌ لم يُحْضِرْني فيه أمير المؤمنين قطُّ، ولعلكم غلِطْتُمْ. قالوا: الله المُستعان، لا تُطِلْ وبادِرْ، فقد أَمَرَنا ألاّ نَدَعَك تستقرّ على الأرض. فداخلني فزع شديد؛ وخِفتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بي، أوْ بَلِيَّةٌ قد حدثَتْ في رأي الخليفة عليّ؛ فتقدّمتُ بما أردت وركبت حتى وافيتُ الدارَ؛ فذهبت لأدخل على رَسْمي من حيث كنتُ أدخل، فمُنِعتُ، وأخذ بيدي الخَدَم فأدخلوني وعدَلوا بي إلى مَمرّات لا أعرفها، فزاد ذلك في جَزَعِي وغَمِّي. ثم لم يَزَلِ الخَدَمُ يُسْلِمونني من خدم إلى خَدَم حتى أفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحن مُلْبَسة الحيطان بالوَشْي المنسوج بالذهب، ثم أفضيتُ إلى رِوَاقٍ أرضُه وحيطانُه مُلْبَسةٌ بمثل ذلك، وإذا الواثق في صَدْره على سَريرٍ مُرصَّعٍ بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فَرِيدة جاريتُه، عليها مثلُ ثيابه وفي حِجْرِها عُودٌ. فلمّا رآني قال: جَوَّدْتَ[2] والله يا محمد إلينا. فقبّلْتُ الأرض ثم قلت: يا أمير المؤمنين خيراً! قال: خيراً، أمَا ترانا! طلبتُ والله ثالثاً يُؤنِسُنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك، فبحياتي بَادِرْ فكُل شيئاً وبادِرْ إلينا، فقلتُ: قد والله يا سيِّدي أكلتُ وشرِبْتُ أيضاً. قال: فاجْلِسْ فجلستُ، وقال: هاتوا لمحمد رِطْلاً في قَدَحٍ، فأُحْضِرتُ ذلك،

(١) لا تَبْعَدْ: لا تهلكْ. ويطرق: يأتي ليلاً. ويغادي: يأتي في الغداة.
(٢) جَوَّدْتَ: أسرعت.

واندفعتْ فريدةُ تُغَنِّي: [الطويل]

أَهَـابُـكِ إجـلالاً ومـا بـكِ قُـدْرَةٌ عَـلَيَّ ولـكِـنْ مِـلءُ عَـيْـنٍ حَـبِـيـبُـهـا
ومـا هَـجَـرتُـكِ الـنَّـفْـسُ يـا لَـيْـلُ أَنَّـهـا قَـلَـتْـكِ ولا أَنْ قَـلَّ مِـنْـكِ نَـصِـيـبُـهـا[1]

فجاءت والله بالسِّحْر، وجعل الواثق يُجاذِبُها، وفي خلال ذلك تُغَنِّي الصّوتَ بعد الصوت، وأُغَنِّي أنا في خلال غِنائها، فمرّ لنا أحسنُ ما مَرَّ لأحد. فإنا لكذلك إذ رَفَعَ رِجْلَه فضربَ بها صَدْرَ فَريدةَ ضربةً تدحرجتْ منها من أعلَى السرير إلى الأرض وتَفتَّتَ عُودُها ومَرَّتْ تعدو وتَصِيح؛ وبَقِيتُ أنا كالمنزوع الرُّوح؛ ولم أشُكَّ في أنّ عينَه وقعتْ عَلَيَّ وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إليّ؛ فأطرقَ ساعة إلى الأرض متحيِّراً وأطرقتُ أتوقَّع ضرب العُنُقِ. فإنِّي لكذلك إذ قال لي: يا محمد، فوثبتُ. فقال: وَيْحَكَ! أرأيتَ أغربَ مما تِهَيَّأَ علينا! فقلتُ: يا سيِّدي، الساعةَ والله تخرج رُوحي، فعلى مَنْ أصابنا بالعين لعنةُ الله! فما كان السبب؟ أَلِذَنْبٍ؟ قال: لا والله! ولكن فكّرتُ أنَّ جعفراً يقعدُ هذا المقعدَ ويقعدُ معها كما هي قاعدة معي، فلم أُطِقِ الصَّبرَ وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيتَ. فَسُرِّيَ عَنِّي وقلت: بل يقتُلُ اللَّهُ جعفراً، ويحيا أمير المؤمنين أبداً، وقبَّلتُ الأرض وقلت: يا سيِّدي اللَّهَ اللَّهَ! إرْحَمْها ومُرْ بِرَدِّها. فقال لبعض الخَدَم الوقوفِ: مَنْ يجيءُ بها؟ فلم يكن بأسرعَ من أن خرجت وفي يدها عُودُها وعليها غيرُ الثياب التي كانت عليها. فلما رآها جذبها وعانقها، فبكتْ وجعل هو يبكي، واندفعتُ أنا في البكاء. فقالت: ما ذَنْبِي يا مولاي ويا سيِّدي؟ وبأيِّ شيءٍ استوجبتُ هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي. فقالت: سألتُك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ ضربتَ عُنقي السّاعةَ وأَرَحْتَني من الفكر في هذا، وأرحتَ قلبك من الهمِّ بي؛ وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينَهما ورجعَتْ إلى مكانها؛ وأومأ إلى خَدم وُقوفٍ بشيءٍ لا أعرفه، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ وَوَرِقٌ[2]، ورُزَماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادمٌ بِدُرْجٍ ففتحه وأخرَج منه عِقْداً ما رأيتُ قطُّ مثلَ جوهرٍ كان فيه، فألبسَها إيَّاه، وأُحْضِرت بَدْرة فيها عشرةُ آلافِ درهم فَجُعِلَتْ بين يَدَيَّ وخمسةُ تُخُوتٍ[3] فيها ثياب، وعُدْنا إلى أمرنا وإلى أحسنِ مما كنا؛ فلم نَزَلْ كذلك إلى اللّيل، ثم تفرّقنا.

---

(١) قلى: أبغض وكره.
(٢) العين: الدنانير المضروبة من الذهب. والوَرِق: الدراهم المضروبة من الفضة.
(٣) التخوت: جمع التخت: كلمة فارسية تعني الصندوق الذي توضع فيه الثياب.

وضرَبَ الدّهر ضَرْبَهُ[1] وتقلَّد المتوكل. فواللَّهِ إني لَفِي منزلي بعد يوم نَوْبَتي إذ هَجَم عليَّ رُسُلُ الخليفة، فما أمهلوني حتى رَكِبْتُ وصِرْتُ إلى الدّار، فأُدْخِلْتُ واللَّهِ الحجرةَ بعينها، وإذا المتوكِّلُ في الموضع الذي كان فيه الواثقُ على السرير بعينه وإلى جانبه فريدةُ. فلمّا رآني قال: ويَحَكَ! أمَا ترى ما أنا فيه من هذه! أنا منذ غُدْوَةٍ أُطَالِبُها بأن تُغَنِّيَني فتأبى ذلك! فقلت لها: يا سبحانَ الله! أتُخالفين سيِّدكِ وسيِّدنا وسيّد البشر! بحياته غَنِّي! فعرفتْ واللَّهِ ثم اندفعتْ تُغَنِّي: [الوافر]

مُـقِـيـمٌ بِـالـمَـجَـازَةِ مِـنْ قَـنَـوْنَـى وأَهْـلُـكِ بِـالأُجَـيْـفِـرِ فَـالـثِّـمَـادِ[2]
فَـلا تَـبْـعَـدْ فَـكُـلُّ فَـتًـى سَـيَـأْتِـي عَـلَـيـه الـمَـوْتُ يَـطْـرُقُ أَوْ يُـغَـادي

ثم ضربَتْ بالعود الأرضَ، ثم رَمَتْ بنفسها عن السرير ومَرَّتْ تعدو وهي تصيح واسيِّدَاه! فقال لي: ويحَكَ! ما هذا؟ فقلتُ: لا أدري والله يا سيِّدي. فقال: فما ترى؟ فقلت: أرى أن أنصرفَ أنا وتحضُرَ هذه ومعها غيرُها؛ فإنّ الأمر يؤولُ إلى ما يُريد أمير المؤمنين. قال: فانْصَرِفْ في حِفْظ الله! فانصرفتُ ولم أدرِ ما كانت القصة.

أخبرني جعفر بن قدامةَ قال: حدّثني محمد بن عبد الملك قال: سمعتُ فريدة تُغَنّي: [الطويل]

أَخِلاَّيَ بي شَجْوٌ وليسَ بِكُمْ شَجْوُ وكـلُّ امْـرِىءٍ مِـمَّـا بِـصـاحِـبِـهِ خِـلْـوُ
أَذابَ الهَوَى لَحْمِي وجِسْمِي ومَفْصِلِي فلم يَبْقَ إلاَّ الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ[3]

فما سَمِعْتُ قبله ولا بعده غناءً أحسنَ منه.

الشعر لأبي العَتاهية، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهِشاميّ، وله أيضاً فيه خفيفٌ ثَقِيلٍ بالسبّابة والبِنْصَر عن ابن المكيّ، وفيه لعمرو ابن بانةَ رملٌ بالوسطى من مجموع أغانيه، وفيه لعَرِيبَ خفيفُ ثَقِيلٍ آخَرُ صحيحٌ في

---

(١) ضرب الدهر ضربه: مرّ وذهب بعضه وتحوّل.
(٢) المجازة: منزل من منازل طريق مكة على طريق البصرة (معجم البلدان ٥:٥٦). وقنونى: وادٍ من أودية السراة في أوائل أرض اليمن من جهة مكة، يصب إلى البحر (معجم البلدان ٤:٤٠٩). والأجيفر: موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس لبني أسد. والثماد: موضع قرب المروت في ديار بني تميم (معجم البلدان ٢: ٨٣).
(٣) الجسد النّضو: المهزول السقيم.

غنائها من جَمْع ابنِ المعتز وعليّ بن يحيى. وتمام هذه الأبيات:

وما مِنْ مُحِبٌّ نالَ مِمَّنْ يُحِبُّهُ ... هَوًى صَادِقاً إلاّ سَيَدْخُلُه زَهْوُ

ـ وفيها كلِّها غناء مُفْتَرِقُ الألحان في أبياته ـ

بُلِيتُ وكانَ المَزْحُ بَدْءَ بَلِيَّتي ... فأَحْبَبْتُ جَهْلاً والبَلايا لها بَدْوُ

وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهُو عَلَيَّ تَجَبُّراً ... وإنِّيَ في كلِّ الخِصالِ له كُفْوُ

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه: [المنسرح]

باتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طوارقها ... أَكُفُّ عَيْنِي والدَّمْعُ سَابِقُها

لِمَا أَتَاهَا مِنَ اليَقِينِ ولَمْ ... تَكُنْ تَرَاهُ يُلِمُّ طارِقُها

الشعر لأُميّة بن أبي الصَّلْت، والغِناءُ للهُذَليّ خفيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالوسطى، وفيه لابن مُحْرِز لحنان: هَزَجٌ وثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وحبش. وذكر يونس أنّ فيه لابن مُحْرز لحناً واحداً مُجَنَّساً.

ذِكر أُمَيّة بن أبي الصَّلت ونسبه وخبره

[توفي ٥ هـ/ ٦٢٦ م]

واسمُ أبي الصَّلت عبدُ اللّه بن أبي ربيعة بن عَوْف بن عُقْدةَ بن عَنزَةَ بن قَسِيّ، وهو ثَقِيفُ بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن. هكذا يقول مَنْ نَسَبهم إلى قَيْس[1]، وقد شُرِحَ ذلك في خبر طُرَيح. وأُمّ أميّة بن أبي الصلت رُقَيَّةُ بنت عبد شمس بن عبد مَنَاف. وكان أبو الصَّلت شاعراً، وهو الّذي يقول في مدح سيف بن ذي يَزَن:

[البسيط]

لِيَطْلُبِ الثَّأْرَ أَمْثَالُ ابنِ ذِي يَزَنٍ ... إذْ صَارَ في البَحْرِ لِلأَعْداءِ أَحْوَالا

وقد كُتِب خبر ذلك في موضعه.

[أبناء أمية]

وكان له أربعة بنين: عمروٌ وربيعة وَوَهبُ والقاسم. وكان القاسم شاعراً، وهو الذي يقول ـ أنشدَنيه الأَخْفَش وغيرُه عن ثَعْلَبٍ، وذكر الزُّبير أنّها لأُميّة ـ:

صوت

[الكامل]

قَوْمٌ إذا نَزَلَ الغَرِيبُ بِدَارِهِمْ ... رَدُّوه رَبَّ صَواهِلٍ وقِيَانِ[2]

لا يَنْكُتونَ الأَرضَ عِنْدَ سُؤالِهِمْ ... لِتَلَمُّسِ العِلاَّتِ بِالعِيدانِ

يمدَح عبدَ اللّه بن جُدْعان بها، وأوّلها:

---

(١) قيس: هو قيس عيلان الجدّ الأعلى لهوازن.

(٢) الصواهل: جمع الصاهل: الفرس. والقيان: جمع القينة: الجارية.

قَـوْمِـي ثَـقِـيـفٌ إنْ سَـأَلْـتَ وأُسْـرَتِـي ... وبِـهِـمْ أُدَافِـعُ رُكْـنَ مَـنْ عَـادَانـي

غنَّاه الغَرِيض، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر، ولابن مُحْرِزٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى، عن الهشاميّ جميعاً.

وكان ربيعة ابنُه شاعراً، وهو الذي يقول: [الطويل]

وإنْ يَـكُ حَـيًّـا مِـنْ إيَـادٍ فَـإنَّـنـا ... وَقَـيْـسـاً سَـوَاءٌ ما بَـقِـيـنَـا وما بَـقُـوا

ونَـحْـنُ خِـيـارُ الـنَّـاسِ طُـرًّا بِـطَـانَـةً ... لِـقَـيْـسٍ وهُـمْ خَـيْـرٌ لـنـا إنْ هُـمُ بَـقُـوا[1]

[استخدامه الألفاظ الغريبة]

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال: حَدّثنا عبد اللّه بن مُسْلِم قال: كان أُمَيّة بن أبي الصَّلْتِ قد قرأ كتاب الله عزّ وجلّ الأوّل، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تَعْرِفها العرب؛ فمنها قولُه:

* قَـمَـرٌ وسَـاهُـورٌ يُـسَـلُّ ويُـغْـمَـدُ[2] *

وكان يُسَمِّي اللَّهَ عزَّ وجلَّ في شعره السِّلِطِيط، فقال:

* والـسِّـلْـطِـيـطُ فـوق الأرض مُـقْـتَـدِرُ *[3]

وسمّاه في موضع آخَرَ التّغرور فقال: «وأَيَّده التّغرور». وقال ابن قُتَيْبَة: وعلماؤنا لا يحتجّون بشيء من شعره لهذه العِلّة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال: قال أبو عُبَيدة: اتَّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل الْمُدن أهلُ يَثْرِب ثم عبدُ القيس ثم ثَقيف، وأنّ أشعرَ ثَقِيف أميّة بن أبي الصَّلْت.

---

(١) طُرًّا: كافّةً. والبطانة: السريرة.

(٢) صدر البيت:

لا نـقـصَ فـيـه غـيـر أن خـبـيـئـه ... .

والسّاهور: للقمر كالغلاف للشيء، وهو دارة القمر.

(٣) صدر البيت:

إنّ الأنـامَ رعـايـا الله كـلّـهـم ... .

والسّلطيط: المسلّط.

أخبرنا الحرمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَيْر قال: قال يحيى بن محمد: قال الكُمَيْتُ: أُمَيَّةُ أشعرُ الناس، قال كما قُلْنا ولم نَقُلْ كما قال.

[طمعه في النبوة]

قال الزُّبَيْر وحَدَّثني عَمِّي مُصْعَب عن مَصْعَب بن عثمان قال: كان أُميّة بن أبي الصلت قد نَظَر في الكُتُب وقرأها، ولَبِس المُسُوحَ تَعَبُّداً، وكان ممن ذكرَ إبراهيمَ وإسماعيل والحَنِيفيّة، وحَرَّمَ الخمرَ وشَكَّ في الأوثان، وكان مُحَقِّقاً، والتمسَ الدِّين وطَمِعَ في النبوّة؛ لأنه قرأ في الكُتب أنّ نَبِيًّا يُبْعَثُ من العرب، فكان يرجو أن يكونَه. قال: فلمّا بُعِثَ النبيُّ ﷺ قيل له: هذا الذي كُنْتَ تَستَرِيثُ[1] وتقولُ فيه: فحسَده عدوُّ الله وقال: إنّما كنتُ أرجو أنْ أكونَه؛ فأنزل الله فيه عزَّ وجلَّ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فانْسَلَخَ مِنْها﴾[2]. قال: وهو الذي يقول:

كُلُّ دِينٍ يومَ القِيامةِ عِنْدَ اللّـ ـهِ إلاّ دِينَ الحَنِيفَةِ زُورُ

قال الزُّبير: وحَدّثني يحيى بن محمد قال: كان أُميّة يُحَرّضُ قريشاً بعد وَقْعَة بَدْرٍ، وكان يَرْثِي مَنْ قُتِلَ من قريش في وَقْعة بدر؛ فمن ذلك قولُه:

ماذا بِبَدْرٍ والعَقَنْـ ـقَلِ مِنْ مَرَازِبةٍ جَحَاجِحْ[3]

وقال: وهي قصيدةٌ نهى رسولُ الله ﷺ عن رواياتها. ويقال: إنّ أُمَيّة قَدِمَ على أهل مكة «باسْمِكَ اللّهُمَّ»؛ فجعلوها في أوّل كُتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم).

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال: قال الحجّاج على المِنْبَر: ذَهَب قومٌ يَعْرِفونَ شِعْرَ أُميّة، وكذلك اندراسُ الكلام.

[معرفته ببعثة الرسول وتكدّره للخبر]

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدّثنا الزُّبير عن عُمَر بنِ أبي بكر المُؤَمِّلِي وغيرِه قال:

---

(١) تستريث: تستبطىء.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٥.

(٣) العقنقل: كثيب رمل ببدر، والمرازبة: جمع المرزبان: الفارس الشجاع المقدّم على قومه. والجحاجح: جمع الجحجح: السيّد الذي يسارع إلى المكارم.

كان أُميّة بن أبي الصَّلت يلتمسُ الدِّينَ ويطمَعُ في النبوّة، فخرج إلى الشأم فمرّ بكنيسة، وكان معه جماعةٌ من العرب وقريش، فقال أُميّة: إنّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني، فدخل الكنيسةَ وأبطأ، ثم خرج إليهم كاسفاً مُتَغَيِّرَ اللَّون، فرمَى بنفسه، وأقاموا حتى سُرِّيَ عنه، ثم مَضَوْا فَقَضَوْا حوائجهم ثم رجعوا. فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم: انتظروني، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى؛ فقال أبو سُفيان بن حَرْب: قد شَقَقْتَ على رُفقائِكَ. فقال: خَلُّوني؛ فإنّي أرتاد على نَفْسِي لِمَعَادي، إنّ ها هنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام سِتُّ رَجَعَاتٍ، وقد مضتْ منها خَمْسٌ وبَقِيَتْ واحدةٌ، وأنا أطمعُ في النبوّة وأخافُ أن تُخْطِئَنِي، فأصابني ما رأيتَ. فلمّا رجعتُ ثانيةً أتيتُه فقال: قد كانتِ الرّجعة، وقد بُعِث نبيٌّ من العرب؛ فيئستُ من النبوّة، فأصابني ما رأيتَ إذ فاتني ما كنتُ أطمع فيه.

قال: وقال الزُّهْرِيّ: خرج أميّة في سفر فنزلوا منزِلاً، فَأَمَّ أميّة وجهاً وصَعِدَ في كَثيب، فرُفِعَتْ له كنيسةٌ فانتهى إليها، فإذا شيخٌ جالسٌ، فقال لأميّة حين رآه: إنّك لَمَتبوعٌ، فَمِنْ أين يأتيكَ رَئِيُّكَ[1]؟ قال: من شِقِّي الأيسر. قال: فأيُّ الثياب أَحَبُّ إليك أن يَلقَاكَ فيها؟ قال: السّواد. قال: كِدْتَ تكون نَبِيَّ العرب ولستَ به، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بِمَلَكٍ، وإنّ نبيَّ العرب صاحبَ هذا الأمر يأتيه من شِقِّه الأيمن، وأَحَبُّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البياضُ.

قال الزُّهْرِيّ: وأتى أُمَيَّةُ أبا بكر فقال: يا أبا بكر، عَمِيَ الخبرُ، فهل أحسستَ شيئاً؟ قال: لا والله! قال: قد وجدتُه يخرُجُ العامَ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شبَّة قال: سمعتُ خالد بن يزيد يقول: إنّ أُميّة وأبا سُفْيان اصطحبا في تجارة إلى الشأم؛ ثم ذكر نحوه، وزاد فيه فخرج من عند الراهب وهو ثقيل. فقال له أبو سفيان: إنّ بكَ لَشَراً، فما قِصَّتُك؟ قال: خيرٌ، أخْبِرْني عن عُتْبَةَ بن رَبِيعةَ كَمْ سِنُّه؟ فذكر سِنًّا. وقال: أَخْبِرْني عن ماله، فذَكَر مالاً. فقال له: وَضَعْتَهُ[2]. فقال أبو سفيان: بل رفعتُه. فقال له:

---

(١) الرَّئِيُّ: جِنّيٌّ يتعرّض للرجل يُريه كهانةً وطِبًّا.

(٢) وضعتَه: حططتَ من قدره.

إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ. قال وكان الراهبُ أشْيَبُ، وأخبره أنَّ الأمر لرجلٍ من قريش.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدّثني الزُّبير قال: حُدِّثْتُ عن عبد الرحمن بن أبي حَمَّاد المِنْقَرِيّ قال: كان أُميّة جالساً معه قوم، فمرّتْ بهم غَنَمٌ فثَغَتْ منها شاة؛ فقال للقوم: هل تَدْرُون ما قالتِ الشّاةُ؟ قالوا: لا. قال: إنّها قالت لِسَخْلَتِها[1]: مُرّي لا يَجِيءَ الذّئبُ فيأكلَك كما أكلَ أُختَك عامَ أوّلَ في هذا الموضع. فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له: أخْبِرْني عن هذه الشّاة التي ثَغَتْ ألَها سَخْلَةٌ؟ فقال: نعم، هذه سخلتها. قال: أكانت لها عامَ أوّلَ سَخْلةٌ؟ قال: نعم، وأكلها الذّئب في هذا الموضع.

قال الزُّبَير: وحدثني يحيى بن محمد عن الأَصْمَعيّ قال: ذهب أُمَيّة في شعره بعامّة ذِكْر الآخرة، وذهب عَنْتَرةُ بعامّة ذكر الحَرْب، وذهب عُمَر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب.

قال الزبَيْر: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال: حَدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال: كان أميّة نائماً فجاء طائران فوقَعَ أحدُهُما على باب البيت، ودخل الآخَرُ فَشَقّ عن قلبه ثم ردّه الطائر؛ فقال له الطائر الآخَر: أوَعَى؟ قال: نعم. قال: زَكَا؟ قال: أَبَى.

[خبره مع المرأة اليهودية]

أخبرني عَمّي قال: حَدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن دَأْبٍ قال: خرج رَكْبٌ من ثَقِيفٍ إلى الشّأم، وفيهم أميّة بن أبي الصَّلْت، فلمّا قَفلوا راجعين نزلوا منزلاً لِيَتَعَشَّوْا بعَشَاء، إذ أقبلَتْ عَظَايةٌ[2] حتّى دَنَتْ منهم، فَحَصبَها[3] بعضهم بشيءٍ في وجهها فرجعتْ؛ وكَفَتُوا[4] سُفْرتَهم ثم قاموا يرحَلون مُمْسِين؛ فطلعتْ عليهم عجوزٌ من وراء كَثِيبٍ مُقَابِلٍ لهم تتوكّأ على عصاً، فقالت: ما منعكم أن تُطْعِموا رَجِيمةَ الجارية اليتيمة التي جاءتكم عَشِيَّةً؟ قالوا: وَمَنْ أنت؟ قالت: أنا

---

(١) السّخلة: ولد الضأن والمعز ساعة يولد وهو للذكر والأنثى.

(٢) عَظاية: دويبة سريعة في المشي تعرف بالسحلية أو السقّاية.

(٣) حصبها: ضربها بالحصاة.

(٤) كفتوا سفرتهم: ضمّوها استعداداً للرحيل.

أُمّ العَوّام، إمْتُ[1] منذ أعوام؛ أمّا وربِّ العباد، لَتَفْتَرِقُنَّ في البلاد؛ وضربَتْ بعصاها الأرض ثم قالت: بَطِّئي إيابَهم، ونَفِّري رِكابَهم؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِرْوَةِ كلِّ بعير منها شيطاناً ما يُمْلَكُ منها شيءٌ، حتى افترقتْ في الوادي. فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نَكَدْ. فلمّا أَنَخْنَاها لِنَرْحَلَها[2] طلعتْ علينا العجوزُ فضربَتِ الأرضَ بعصاها ثم قالت كقولها الأوّل؛ ففعلت الإبلُ كفعلها بالأمس، فلم نجمعها إلاّ الغَدَ عَشِيّة. فلمّا أَنَخْنَاها لِنَرْحَلَها أقبلتِ العجوزُ ففعلتْ كفعلها في اليومين ونفرت الإبلُ. فقُلْنا لأُميّة: أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك؟ فقال: اذهَبُوا أنتم في طلب الإبل ودَعُوني. فتوجَّهَ إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاَه وهَبَط منه إلى وادٍ، فإذا فيه كنيسةٌ وقناديل، وإذا رجلٌ مضطجعٌ معترض على بابها، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللِّحْيَة؛ فلمَّا رأى أُمَيّةَ قال: إنّك لَمَتبوعٌ، فمن أين يأتيك صاحبُك؟ قال: من أُذني اليسرى. قال: فبأيّ الثياب يأمرك؟ قال: بالسواد. قال: هذا خطيب الجنّ؛ كِدتَ والله أن تكونَه ولم تفعلْ؛ إنّ صاحب النبوّة يأتيه صاحبُه من قِبَل أُذنه اليمنى، ويأمر بلباس البياض؛ فما حاجتك؟ فحدّثه حديثَ العجوز؛ فقال: صدقْتَ، وليست بصادقة! هي امرأةٌ يهودية من الجِنّ هَلَك زوجُها منذ أعوام، وإنّها لن تزال تصنَع ذلك بكم حتى تُهلِكَكم إن استطاعت. فقال أُميّة: وما الحِيلة؟ فقال: جَمِّعوا ظَهْرَكُمْ[3]، فإذا جاءتكم ففعلَتْ كما كانت تفعل فقولوا لها: سَبْعٌ من فوقُ، وسبعٌ من أسفل، باسْمِكَ اللَّهُمَّ؛ فلن تَضُرَّكُمْ. فرجع أميّة إليهم وقد جمعوا الظَّهْر، فلمّا أقبلتْ قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تَضُرَّهم. فلمّا رأتِ الإبلَ لم تتحرّك قالت: قد عرفتُ صاحبكم، ولَيَبْيَضَّنَّ أعلاه، ولَيَسْوَدَّنَّ أسفلُه؛ فأَصبح أُميّة وقد بَرِصَ في عِذَارَيْهِ[4] واسوَدَّ أسفلهُ. فلمّا قَدِموا مكّةَ ذكروا لهم هذا الحديث؛ فكان ذلك أوَّل ما كَتَب أهلُ مكة «باسمِكَ اللَّهُمَّ» في كُتبهم.

[خبر الطائرين اللذين حاورهما]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شبّة قال: حَدثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال: حَدّثنا عبد العزيز بن عِمْران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن

(١) إمتُ: صرتُ أيماً: فقدتُ زوجي.

(٢) نرحلها: نضع الرَّحْلَ على ظهورها.

(٣) الظهر: الركاب التي تحمل الأثقال على ظهورها.

(٤) العذاران: جانبا اللّحية.

عامر بن مسعود عن الزُّهْرِيّ قال: دخل يوماً أُميّة بن أبي الصَّلت على أخته وهي تهيىءُ أدَماً لها، فأدركه النومُ فنام على سرير في ناحية البيت، قال: فانْشَقَّ جانبٌ من السّقف في البيت، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخرُ مكانَه، فشَقَّ الواقعُ صدرَه فأخرجَ قلبَه فشَقَّهُ، فقال الطّائرُ الواقفُ للطائر الذي على صدره: أوَعَى؟ قال: وعَى. قال: أقَبِلَ؟ قال: أبَى. قال: فرَدَّ قلبه في موضعه فنَهضَ، فأتبعهما أُميَّةُ طَرْفَه فقال [مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُمَا هَأَنَذا لَدَيْكُما

لا بَرِيءٌ فأعْتَذِر، ولا ذو عَشِيرةٍ فأنْتَصِر، فرجع الطّائر فوقع على صدره فشقَّهُ، ثم أخرج قلبه فشقَّه؛ فقال الطائر الأعلى: أوَعَى؟ قال: وَعَى. قال: أقَبِلَ؟ قال: أبى، ونَهَض، فأتبعهما بَصرَه وقال:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُمَا هَأَنَذا لَدَيْكُما

لا مالٌ يُغْنِيني، ولا عشيرةٌ تَحْمِيني. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقَّه، فقال الطائر الأعلى: أوعَى؟ قال: وَعَى. قال: أقَبِلَ؟ قال: أبى، ونَهَض؛ فأتبعهما بصره وقال:

لَبَّيْكما لَبَّيْكُما هَأَنَذا لَدَيْكُمَا

محفوفٌ بِالنِّعَم، مَحُوطٌ مِنَ الرِّيَبِ. قال: فرجعَ الطائر فوقع على صدره فشقّه وأخرج قلبَه فشقّه؛ فقال الأعلى؛ أوَعَى؟ فقال: وَعَى، قال: أقَبِلَ؟ قال: أبى. قال: ونَهَض، فأتبعهما بصرَه وقال:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما هأنَذا لَدَيْكُمَا
إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّا وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا ألَمّا[1]

قالت أُخته: ثم انطبَق السَّقْفُ وجلَسَ أُمَيَّة يمسح صدرَه، فقلت: يا أخي، هل تجد شيئاً، قال: لا، ولكنّي أجدُ حَرّاً في صَدْرِي، ثم أنشأ يقول: [الخفيف]

لَيتني كُنْتُ قبلَ ما قد بَدا لي في قِنَانِ الجِبال أرْعَى الوُعولا[2]

(١) ألمّ: من اللّمَم: صغار الذنوب.
(٢) القِنان: جمع القنّة: أعلى الجبل.

إجْعَلِ المَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ واحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إنَّ لِلدَّهْرِ غُولا[١]

[النبي ﷺ صَدّق على شِعر أمية]

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال: حَدَّثنا ابن حُمَيد قال: حَدّثني سَلَمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبة عن عِكْرمة عن ابن عبّاس: أنّ رسول الله ﷺ صَدَّق أمَيَّةَ في قوله:

رَجُلٌ وثورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينه والنَّسْرُ لِلأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله ﷺ: «صَدَق».

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحَرانيّ قال: حَدّثنا أبو يوسف - وليس بالقاضي - عن الزهْريّ عن عُرْوة عن عائشة عن النبيّ ﷺ بمثل هذا.

[قول النبي ﷺ: إن كاد أمية ليسلم]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثني الزُّبَير قال: حَدّثنا جعفر بن الحسين المُهلَّبيّ قال: حَدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكْرَمة قال: أُنشِد النبيُّ ﷺ قولَ أُمَيَّة: [البسيط]

الحَمْدُ لِلَّهِ مُمْسَانا ومُصْبَحَنا بالخيرِ صَبَّحَنا رَبِّي ومَسَّانا
رَبُّ الحَنِيفَةِ لم تَنفَدْ خَزائِنُها مَمْلوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سُلْطَانا
ألاَ نَبِيٌّ لَنَا مِنَّا فَيُخْبِرَنا ما بَعْدَ غايتنا مِنْ رَأْسِ مَحْيانا
بَيْنَا يُرَبِّينَنَا آباؤُنا هَلَكُوا وبينما نَقْتَنِي الأوْلادَ أَفْنَانَا
وقد عَلِمْنا لَوَ آنَّ العِلْمَ يَنفَعُنَا أنْ سَوفَ يَلْحَقُ أُخْرَانَا بِأَوْلانا

فقال النبيّ ﷺ: «إنْ كاد أُمَيَّةُ لَيُسْلِم»[٢].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني أحمد بن مُعاوية قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن أبي بكر، وحدّثنا خالدُ بن عُمارةَ: أنّ أُميَّة عَتبَ على ابنٍ له فأنشأ يقول: [الطويل]

---

(١) الغول: من السّعالي، وكل ما اغتالَ الإنسان فأهلكه فهو غول.

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده ٤:٣٨٨ والترمذي في الشمائل ١٢٧، ١٢٨، والبخاري في الأدب المفرد ٨٦٩.

غَـذَوْتُـكَ مَـوْلُـوداً ومُـنـتُـكَ يـافـعـاً ... تعـلُّ بـمـا أَجْـنِـي عَـلـيـكَ وتَـنْـهَـلُ[١]
إذا لَـيْـلَـةٌ نَـابَـتْـكَ بِـالـشَّـكْـوِ لـم أَبِـتْ ... لِـشَـكْـواكَ إلاّ سَـاهِـراً أَتَـمَـلْـمَـلُ
كـأنّـي أَنَـا الـمَـطْـرُوقُ دُونَـكَ بِـالّـذي ... طُـرِقْـتَ بـه دُونِـي فَـعَـيْـنِـيَ تَـهْـمُـلُ
تَـخَـافُ الـرَّدَى نَـفْـسِـي عَـلـيـكَ وإنَّـنـي ... لأَعْـلَـمُ أنّ الـمَـوتَ حَـتْـمٌ مُـؤَجَّـلُ
فَـلـمَّـا بَـلَـغْـتَ الـسِّنَّ والـغَـايـةَ الّـتـي ... إلـيـهـا مَـدَى مـا كُـنْـتُ فِـيـكَ أُؤَمِّـلُ
جَـعَـلْـتَ جَـزائِـي غِـلْـظَـةً وفَـظَـاظَـةً ... كـأنَّـكَ أنـتَ الـمُـنْـعِـمُ الـمُـتَـفَـضِّـلُ

قال الزبير: قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال أبو بكر الهُذَليّ قال: قلتُ لعِكْرِمة: ما رأيتُ مَنْ يُبَلِّغُنا عن النبيّ ﷺ أنه قال لأُميّة: «آمَنَ شِعْرُه وكَفَرَ قلبُه» فقال: هو حقٌّ. وما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلتُ له: أنكرنا قوله: [الكامل]

والـشَّـمْـسُ تَـطْـلُـعُ كُـلَّ آخِـرِ لَـيْـلَـةٍ ... حَـمْـراءَ مَـطْـلَـعُ لَـوْنِـهـا مُـتَـوَرِّدُ
تَـأْبَـى فـلا تَـبْـدو لَـنَـا فـي رِسْـلِـهـا ... إلاّ مـعـذَّبـةً وإلاّ تُـجْـلَـدُ

فما شأنُ الشّمس تُجْلَد؟ قال: والذي نفسي بيده ما طلعتْ قطُّ حتّى يَنْخُسها سبعون ألف مَلَكٍ يقولون لها: اطْلُعي؛ فتقول: أأَطْلُعُ على قومٍ يعبدونني من دون الله! قال: فيأتيها شيطانٌ حين تستقبل الضِّياء يريد أن يَصُدَّها عن الطُّلوع فتطلعُ على قَرْنَيْه فيُحْرِقه الله تحتها. وما غَرَبتْ قطُّ إلاّ خَرَّتْ للّهِ ساجدةً، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يَصُدَّها عن السجود، فتغرُبُ على قَرْنيه فيُحْرِقه الله تحتها؛ وذلك قول النبيّ ﷺ: «تطلعُ بين قَرْنَيْ شيطانٍ وتغرُب بين قَرْنَيْ شيطانٍ»[٢].

حدَّثني أحمد بن محمد بن الجعْد قال: حَدَّثنا محمد بن عبّاد قال: حَدَّثنا سُفْيان بن عُيينة عن زِيَاد بن سَعْد أنه سمِع ابن حاضِر[٣] يقول: اختلف ابن عبّاس وعمرو بن العاصي عند معاوية؛ فقال ابن عباس: ألاَ أُغنيك؟ قال: بلى! فأنشده:

[الكامل]

والـشَّـمْـسُ تَـغْـرُبُ كُـلَّ آخِـرِ لَـيـلَـةٍ ... فـي عَـيْـنِ ذِي خُـلُـبٍ وثَـأْطٍ حَـرْمـدِ[٤]

---

(١) في شرح ديوان الحماسة «وعِلْتُكَ» بدل «ومنتكَ».
(٢) الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي ٣: ٢٤٥.
(٣) هو عثمان بن حاضر الحميري.
(٤) الخُلُب: الطين الصلب اللازب وقيل الأسود. والثّأط: الطين الأسود وكذلك الحرمد. وقد أورد ابن منظور البيت في اللسان باختلاف بسيط وقال: قال تُبّع أو غيره.

أخبرني الحَرمِيّ قال: حَدّثنا عمِّي عن مُصْعَب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال: لمّا مَرِضَ أُمَيَّة مَرَضَه الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أَجَلِي، وهذه المَرْضةُ مَنِيَّتي، وأنا أعلم أنّ الحنيفيَّة حَقٌّ، ولكن الشّكُّ يُدَاخِلُني في محمد. قال: ولمّا دَنَتْ وفاته أُغْمِيَ عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما هأنَذا لَدَيْكُمَا

لا مالٌ يَفْدِيني ولا عشيرةٌ تُنْجيني، ثم أُغْمِيَ عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظَنّ مَنْ حَضَره من أهله أنّه قد قَضَى، ثم أفاق وهو يقول:

لَبَّيْكُما لبّيْكما هأنَذا لَدَيكُما

لا بَرِيءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم إنّه بقي يُحَدِّث مَنْ حَضرَه، ساعةً، ثم أُغْمِيَ عليه مثل المرتين الأُولَيَيْنِ حتّى يَئِسُوا من حياته، وأفاق وهو يقول:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما هأنَذا لَدَيْكُما

محفوفٌ بِالنِّعَمِ.

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا

ثم أقبل على القوم فقال: قد جاء وقتي، فكونوا في أُهْبتي، وحدَّثهم قليلاً حتّى يئس القوم من مَرَضه، وأنشأ يقول: [الخفيف]

كُلُّ عَيْشٍ وإنْ تطاوَلَ دَهْراً مُنْتَهى أَمْرِهِ إلَى أَنْ يَزُولا
لَيْتَني كُنْتُ قَبْلَ ما قد بَدَا لي في رُؤوسِ الجِبَالِ أَرْعَى الوُعولاَ
اجْعَلِ المَوْتَ نُصْبَ عَيْنَيْكَ واحذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إنَّ لِلدَّهْرِ غُولا

ثم قَضَى نَحْبَه، ولم يُؤْمن بالنبيﷺ. وقد قِيلَ في وفاة أُميّة غيرُ هذا.

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال: حَدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت في خبر أُميّة بن أبي الصّلْت، حين بُعِثَ النبيّﷺ أنه أخذ بِنْتَيه وهرَبَ بهما إلى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطّائف، فبينما هو يشرَبُ مع إخوانٍ له في قَصْر غَيْلان[1] بالطّائف، وقد أودع ابنتَيْه اليمنَ ورجع إلى بلاد الطائف، إذ سَقَطَ غرابٌ

(١) غيلان: بن سلمة الثقفي، وكان حكيماً شاعراً جاهلياً، أسلم يوم الطائف، وقد وفد على كسرى فأعجب بكلامه واشترى تجارته بأضعاف ثمنها وأرسل معه من الفرس من بنى له هذا القصر بالطائف، وهو أوّل قصر بني هناك.

على شُرْفةٍ في القصر فنَعَب نَعْبةً؛ فقال أُميّة: بفِيك الكَثْكَثُ! ـ وهو التُّراب ـ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يقول إنّك إذا شَربتَ الكأس التي بيدك مِتَّ، فقلتُ: بفِيك الكَثْكَث، ثم نَعبَ نعبةً أُخرى، فقال أُميّة نحو ذلك؛ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: زَعَمَ أنّه يقعَ على هذه المَزْبَلة أسفلَ القصر، فيستثير عَظْماً فيبتلعه فيَشْجَى به فيموت، فقلتُ نحو ذلك. فوقع الغرابُ على المَزْبلَة، فأثار العَظْمَ فشَجِي به فمات، فانكسر أُميّة، ووضع الكأس من يده، وتغيَّر لونُه. فقال له أصحابه: ما أكثرَ ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً؛ فألحُّوا عليه حتى شرِب الكأس، فمال في شِقٍّ وأُغمِيَ عليه ثم أفاق، ثم قال: لا بَرِيءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم خرجتْ نفسُه.

صوت
من المائة المختارة

تَبَلَتْ فؤادَكَ في المَنَام خَرِيدَةٌ ... تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبارِدٍ بَسَّامِ[1]
كَالمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابةٍ ... أو عَاتِقٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدامِ[2]

عَرُوضه من الكامل. الشّعرُ لِحَسَّان بن ثابت، والغِناء لموسى بن خارجةَ الكوفيّ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنْصر. وذكر حمَّاد عن أبيه أنّ فيه لحناً لعَزّة الميلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا ممن خدمَ الخلفاء.

(١) تبلت فؤادك: أسقمته. والخريدة: البكر أو المرأة الحييّة.
(٢) العاتق: الخمر المعتّقة.

أخبار حسّان بن ثابت ونسبه

[توفي ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م]

[نسبه وكنيته]

هو حَسَّان بن ثابت بن المُنْذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عَدِيّ بن عمرو بن مالك بن النَّجّار، واسمهُ تَيْمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزْرَج بن حارثةَ ابن ثعلبة، وهو العَنْقاء بن عمرو، وإنما سمِّيَ العنقاء لطُولِ عُنُقه، وعمرو هو مُزَيْقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البِطريق بن ثعلبة البهْلول بن مازن بن الأزد وهو ذري ـ وقيل: ذِرَاء ممدود ـ بن الغَوْث بن نَبْت ابن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قَحْطان.

قال مُصْعَبُ الزُّبَيْريّ فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَيْر عمِّه قال: بنو عَدِيٍّ بن عمرو بن مالك بن النَّجّار يُسَمَّوْن بني مَعَالَة. ومعالةُ أُمّه، وهي امرأةٌ من القَيْنِ وإليها كانوا يُنْسَبون. وأُمّ حَسّان بن ثابت بن المنذر، الفُرَيْعةُ بنت خالد بن قيس بن لَوْذان بن عبْد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرج بن ساعِدة بن كعب ابن الخزرج. وقيل: إنّ اسم النجّار تيْمُ اللاَّت، وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت:

[الطويل]

وأُمّ ضِـرَارٍ تَـنْـشُـدُ الـنَّـاسَ وَالِـهـاً ... أَمَـا لابْـنِ تَـيْـمِ الـلَّـهِ مـاذا أَضَـلَّـتِ

يعني ضِرَار بنَ عبد المُطَّلب، وكان ضَلَّ فنَشَدَتْهُ أُمُّه، وإنما سمّاه رسولُ الله ﷺ تَيْمَ اللَّهِ، لأنّ الأنصار كانت تنْسب إليه فكَرِهَ أن يكون في أنسابها ذكرُ اللاَّت.

ويُكْنَى حَسّان بن ثابت أبا الوليد[١]، وهو فَحْلٌ من فُحول الشعراء. وقد قيل: إنّه أشعر أهل المَدَر[٢]. وكان أحدَ المُعَمَّرين من المُخَضْرَمِين، عُمِّر مائةً وعشرين سنةً: ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام.

[عاش مائة وعشرين سنة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدة قال: عاش ثابتُ ابن المنذر مائةً وخمسين سنةً، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة. ومما يحقِّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهَير قال: حَدَّثني الزُّبير بن بكار قال: حَدّثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارةَ عن حسّان بن ثابت قال: إنّي لَغُلامٌ يَفَعَةٌ ابن سَبْعِ سنين أو ثمانٍ، إذا بيهوديٍّ بِيثْرِبَ يَصْرُخ ذاتَ غَداةٍ: يا معشَرَ يَهُود؛ فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلك! ما لكَ؟ قال: طَلعَ نجمُ أحمد الذي يُولَدُ به في هذه اللّيلة، قال: ثم أدركه اليهوديّ ولم يُؤْمِنْ به. فهذا يدلُّ على مُدّة عُمره في الجاهليّة، لأنه ذكر أنه أدركَ ليلةَ وُلِد النبيﷺ، وله يومئذ ثمان سِنِينَ، والنبيّﷺ بُعِثَ وله أربعون سنةً، وأقام بمكة ثلاثَ عشرَة سنةً، فَقَدِمَ المَدِينةَ ولحسَّان يومئذ، على ما ذكره، سِتّون سنةً، أو إحدى وستون سنة، وحينئذ أسلم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدَّثنا الزُّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد اللّه قال: حَدَّثني ابن أبي الزّناد قال: عُمِّرَ حسّانُ بن ثابت عشرينَ ومائةَ سنةٍ: سِتِّينَ في الجاهليّة، وسِتّين في الإسلام.

قال أخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرني أحمد بن زُهَير قال: حَدَّثَ سليمان ابن حَرْب عن حمّاد بن زيد عن يَزيد بن حازم عن سليمان بن يَسار قال: رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ[٣] قد سَدَلَها بين عينيه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثني عليُّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه قال: كان حسّان بن ثابت يَخْضِبُ شارِبَهُ وعَنْفَقَته[٤] بالحِنَّاءِ، ولا يَخْضِبُ

(١) وكُنّيَ أيضاً بالحسام لأنه ناضل عن رسول الله وقطّع أعراض المشركين، وبأبي عبد الرحمن وبذي الأُكلة.

(٢) أهل المَدَر: أهل المدن وسكّان البيوت المبنية.

(٣) الناصية: الشعر الطويل في مقدّم الرأس.

(٤) العنفقة: الشعرات التي بين الشفة السفلى والذقن.

سائِرَ لِحيته، فقال له ابنه عبد الرحمن: يا أبتِ، لِمَ تفعل هذا؟ قال: لأكونَ كأنّي أسَدٌ والِغ[1] في دَمٍ.

[حسان أشعر أهل المدر]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال: فَضَلَ حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهليّة، وشاعرَ النبيّ ﷺ في النبوّة، وشاعرَ اليمن كلّها في الإسلام.

قال أبو عُبَيدة: وأجمعتِ العربُ على أنّ حسّان أشعر أهلِ المَدَر. أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شبّة عن أبي عُبَيدة قال: اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المَدَر أهلُ يَثْرِب، ثم عبدُ القيس ثم ثَقِيفُ، وعلى أنّ أشعر أهلِ يَثْرِب حَسّان بن ثابت.

أخبرني حبيب بن نَصر المُهَلَّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا عَفّان قال: حَدّثنا عبد الواحد بن زِيَاد قال: حَدّثنا مَعْمَر عن الزُّهْري عن سَعِيد بن المُسَيِّب قال: جاء حَسّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُريرةَ، فقال: أَنْشُدُكَ الله أَسَمِعْتَ رسولَ اللّه ﷺ يقول: «أَجِبْ عَنّي» ثم قال: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ»[2]؟ قال أبو هريرة: اللَّهُمَّ نعم.

[حسان يأخذ الإذن من الرسول ﷺ في معارضة شعراء قريش]

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا: حَدَّثنا عُمَر بن شَبّة قال: حدّثنا وَهْب بن جَرير قال: حَدّثنا أبي قال: سَمِعْتُ محمد بن سِيرينَ، قال أبو زيد وحدَّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال: حَدَّثَنا عَوْف عن محمد بن سيرين قال: كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثةُ رَهْطٍ من قريش: عبد اللّه بن الزِّبَعْرَى، وأبو سُفيان بن الحارث ابن عبد المُطَّلِب، وعمرُو بن العاصي، فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه: أُهْجُ عَنَّا القومَ الذين قد هَجَوْنا. فقال عليٌّ رَضِيَ الله عنه: إنْ أَذِنَ لي رسولُ الله ﷺ فَعَلْتُ. فقال رجلٌ: يا رسول الله، ائْذَنْ لِعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم

(١) الوالغ: الذي يدخل لسانه في الإناء ويحرّكه ويشرب بطرف لسانه.

(٢) الحديث أورده ابن كثير في تفسيره ١:١٧٥، ١٧٦، والسيوطي في الدر المنثور ١:٨٧.

الذين قد هجونا. قال: «ليس هُنَاك» أو «ليس عنده ذلك»، ثم قال للأنصار: «ما مَنَعَ القَوْمَ الّذين نَصَروا رسول الله ﷺ بسلاحِهم أن يَنْصُرُوه بألسنتِهم»؟ فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطَرَف لسانه وقال: والله ما يَسُرُّني به مِقْوَلٌ[1] بين بُصْرَى وصَنْعَاء. فقال: «كيف تهجوهم وأنا منهم»[2]؟ فقال: إنّي أَسُلُّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعَرةُ من العَجِين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حَسّان بن ثابت، وكَعْبُ بن مالك، وعبدُ اللّه بن رَوَاحةَ. فكان حَسّان وكَعْبٌ يُعَارِضانِهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعَيِّرانهم بِالمَثَالِبِ[3]، وكان عبد الله بن رَوَاحةَ يُعَيِّرُهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولَ حسان وكعب، وأهوَنُ القول عليهم قولَ ابن رواحة. فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المُهَلّبي قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن بكر بن حبيب السَّهْمي قال: حَدّثنا أبو يونسَ القُشَيْري وهو حاتم بن أبي صَغيرةَ قال: حَدَّثنا سِمَاكُ بن حَرْب قال: قامَ حَسّان أبو الحُسَام فقال: يا رسولَ الله، ائذَنْ لي فيه، وأخرج لساناً له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شِئتُ لَفَرَيْتُ به المَزَادَ[4]، ائْذَنْ لي فيه. فقال: «اذْهَبْ إلى أبي بكر فَلْيُحَدِّثْكَ حديثَ القوم وأيّامِهم وأحسابِهم ثم اهْجُهم وجبريلُ معك»[5]. قال أبو زيد: قال ابن وَهْب وحَدَّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدِّيّ عن البَرَاء بن عازِبٍ وعن سِمَاكِ ابن حَرْب ـ فأنا أشكّ: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً ـ قال أبو زيد: وحدّثنا عليّ بن عاصم قال: حَدّثنا حاتم بن أبي صغِيرَة عن سِمَاك بن حَرْبٍ بنَحْوه، وزادَ فيه: فأخرج لسانَه أسودَ، فوضعه على طَرَف أرْنَبَتِه[6]، وقال: يا رسولَ الله، لو شِئتَ لَفَرَيْتُ به المَزَاد؛ فقال: «يا حَسَّان وكيف وهو منّي وأنا منه»؟ قال: والله لأَسُلَّنَّهُ منك كما يُسَلُّ الشَّعرُ من العجين! قال: «يا حسَّان فَأْتِ أبا بَكر فإنّه أعلمُ

(١) المِقْوَل: اللسان.
(٢) الحديث في الدر المنثور ٥: ١٠١.
(٣) المثالب: العيوب والنقص.
(٤) فرى: الشيءَ يَفريه: شقّه وأفسده. المزاد: جمع المَزَادة: الرّاوية، وتكون من جلدين تُفْأَمُ بجلد ثالث لِتتسع.
(٥) الحديث في الدر المنثور للسيوطي ٥: ١٠٠ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤: ١٣١.
(٦) الأرنبة: طرف الأنف، ويُقال إن حسان كان له أنفٌ طويل.

بأنساب القوم منك» فأتى أبا بكر فأعلمَهُ ما قال رسولُ الله ﷺ؛ فقال: كُفَّ عن فُلانة واذْكُرْ فلانة. فقال: [الوافر]

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عنه ... وعِنْدَ اللَّهِ في ذاكَ الجَزَاءُ
فَإِنَّ أَبي ووالِدَهُ وعِرْضِي ... لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ له بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِدَاءُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال: حَدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حَدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: لمَّا أُنْشِدَتْ قريشٌ شِعْرَ حَسّان قالت: إنّ هذا الشَّتْمَ ما غاب عنه ابن أبي قُحافَةَ.

قال الزُّبير: وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجلٍ من بني العَجْلان قال: لما بلغ أهلَ مكّة شعر حسان ولم يكونوا عَلِموا أنّه قولهُ، جعلوا يقولون: لقد قال أبو بكر الشِّعْرَ بعدنا.

[عمر بن الخطاب يسمح لحسان بقول الشعر]

قال الزّبَيْر: وحدّثني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال: حَدّثنا الزبَير بن بَكّار قال: حَدّثني محمد بن فَضَالَة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فَضَالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس قال: نَهَى عمرُ بن الخطّاب النَّاسَ أن يُنْشِدوا شيئاً من مُنَاقضة الأنصار ومُشْرِكي قُرَيْش، وقال: في ذلك شَتْمُ الحَيِّ بالمَيّت، وتجديدُ الضَّغائن، وقد هدَمَ اللَّهُ أَمْرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام، فقَدِمَ المدينةَ عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ وضِرَار بن الخطّاب الفِهْريّ ثم المُحارِبيّ، فنزلا على أبي أحمد بن جَحْش، وقالا له: نُحِبُّ أن تُرْسِلَ إلى حَسّان ابن ثابت حتَّى يأتيكَ، فنُنْشِدَه ويُنشِدَنا مما قلنا له وقال لنا. فأرسل إليه فجاءه؛ فقال له: يا أبا الوليد، هذانِ أخوَاك ابنُ الزِّبَعْرَى وضِرَارُ قد جاءا أن يُسْمعاكَ وتُسمِعَهما ما قالا لك وقلتَ لهما. فقال ابن الزِّبَعْرَى وضِرارٌ: نَعَمْ يا أبا الوليد، إن شِعْرَكَ كان يُحْتَمَلُ في الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا، وقد أحببنا أن نُسْمِعَك وتُسْمِعَنا. فقال حسّان: أفَتَبْدَآن أم أبدأ؟ قالا: نبدأ نحن. قال: ابتدئا؛ فأنشداه حتى فار فصار كالمرجَلِ غَضَباً، ثم استويا على رَاحِلَتَيْهما يريدان مكة، فخرج حسّان حتى دخل على عمر بن الخطّاب فقَصَّ عليه قِصَّتَهما وقِصَّتَه. فقال له عمر: لن يَذْهَبا عنك

بشيءٍ إن شاء الله، وأرسل مَنْ يَرُدُّهما، وقال له عمر: لو لم تُدْرِكْهما إلاّ بمكّة فارْدُدْهما عليّ. وخرجا فلمّا كانا بالرَّوْحاء[١] رَجَع ضِرَارٌ إلى صاحبه بِكُرهٍ، فقال له يابنَ الزِّبَعْرى: أنا أعرِف عمر وذَبَّهُ عن الإسلام وأهلِه، وأعرف حسّان وقِلّةَ صَبْرِه على ما فعلنا به؛ وكأنّي به قد جاء وشَكَا إليه ما فعلنا فأرسلَ في آثارنا وقال لرسوله: إن لم تَلْحَقْهُما إلاّ بمكة فارْدُدْهما عليّ، فارْبَحْ بنا تَرْكَ العناء وأَقِمْ بنا مكاننا؛ فإنْ كان الذي ظننتُ فالرجوعُ من الرَّوحاء أسهلُ منه من أبعد منها، وإنْ أخطأ ظَنّي فذلك الذي نُحِبُّ ونحن من وراء المُضيّ. فقال ابن الزِّبَعْرَى: نِعْمَ ما رأيتَ. قال: فأقاما بالرَّوْحاء، فما كان إلا كَمَرِّ الطائرِ حتّى وافاهما رسول عمر فردّهما إليه؛ فدعا لهما بحسّان، وعُمَرُ في جماعةٍ من أصحاب رسول اللهﷺ، فقال لحسّان: أَنْشِدْهما مما قلتَ لهما؛ فأنشدهما حتَّى فَرَغَ مما قال لهما فوقف. فقال له عمر: أَفَرغْتَ؟ قال: نعم. فقال له: أَنْشَداك فِي الخَلاء وأنشدتَهما في الملأ. وقال لهما عمر: إن شئتُما فَأَقِيمَا، وإن شئتما فانصرِفا. وقال لمن حَضرَه: إنّي قد كنتُ نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دَفْعاً للتضاغن عنكم وبَثِّ القبيح فيما بينكم، فأمَّا إذ أَبَوْا فاكْتُبوه واحتفظوا به، فدوّنوا ذلك عندهم. قال خَلاّد بن محمد[٢]: فأدركتُه والله وإنّ الأنصار لَتُجَدِّدُهُ عندها إذا خافتْ بِلاَه.

[يهجو أبا سفيان بن الحارث]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا عَفّان بن مُسْلم قال: حَدّثنا عمران بن زيد قال: سمعتُ أبا إسحاق قال في قصة حَسّان وأبي سُفْيان بن الحارث نحو ما ذكره مما قدّمنا ذِكْرَه، وزاد فيه: فقال حسّان فيه: **[الطويل]**

وإنّ سَنَامَ المَجْدِ مِنْ آلِ هاشمٍ ... بَنُو بِنْتِ مَخْزوم، ووالِدُكَ العَبْدُ[٣]

ومَنْ وَلَدَتْ أبناءَ زُهْرَةَ مِنكُمُ ... كِرَامٌ ولم يَلْحَقْ عَجَائِزَكَ المجْدُ[٤]

وإنّ امْرَأً كانَتْ سُمَيَّةُ أُمَّهُ ... وسَمْراءُ مَغْلُوبٌ إذا بَلَغَ الجَهْدُ[٥]

---

(١) الرّوحاء: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٣:٧٦).

(٢) هذا الاسم غير موجود في كتب التراجم ولعله خالد بن محمد.

(٣) بنت مخزوم: هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهي أم عبد الله (والد النبي). والعبد والد سفيان: هو الحارث بن عبد المطلب.

(٤) يريد مدح آمنة أم النبيﷺ وهالة أم حمزة وصفية وهما ابنتا وهب بن عبد مناف بن زهرة.

(٥) سميّة: أمّ الحارث بن عبد المطلب. وسمراء: أمّ أبي سفيان.

وأنتَ هَجِينٌ نِيطَ في آلِ هاشمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[١]

فقال العبّاس: وما لي وما لحسّان! يعني في ذكره نُتَيْلة[٢]، فقال فيها:

ولَسْتَ كَعبَّاسٍ ولا كَابْنِ أُمِّهِ ولَكِنْ هَجِينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ[٣]

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا القَعْنَبيّ قال: حَدَّثنا مَرْوان بن مُعاوية قال: حَدّثنا إياس السُّلميّ عن ابن بُرَيْدة قال: أعان جبريلُ عليه السلام حسّان بن ثابت في مَديح النبيّ ﷺ بسبعين بيتاً.

[مدح الرسول ﷺ لحسان]

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا عُمَر قال: حَدَّثنا محمد بن منصور قال: حَدَّثنا سعيد بن عامر قال: حَدّثني جُوَيْرية بن أسماء قال: بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: «أَمَرْتُ عبدَ اللّه بن رَوَاحةَ فقال وأَحْسَنَ، وأَمرتُ كَعْبَ بن مالك فقال وأحسن، وأمرتُ حسّان بن ثابت فَشفَى واشْتَفَى».

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا عمر قال: حَدَّثنا أحمد بن عيسى قال: حَدَّثنا ابن وهْب قال: أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مَرْوان بن عثمان ويَعْلَى بن شدّاد بن أوْس عن عائشة قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لِحسّان بن ثابت الشّاعر: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يزالُ يؤيِّدُكَ ما كافحْتَ عن اللّهِ عزَّ وجلَّ وعن رسول الله ﷺ»[٤].

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا عُمَر قال: حَدَّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال: حَدّثنا عَوْفُ بن محمد قال: قال النبيّ ﷺ ليلةً وهو في سَفَرٍ: «أين حسّان بن ثابت»؟ فقال حسّان: لَبَّيْكَ يا رسولَ الله وسَعْدَيْك. قال: «أُحْدُ»[٥]، فجعلَ يُنْشِدُ ويُصْغِي إليه النبيّ ﷺ ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائقٌ رَاحِلَتَه حتّى كان رأسُ الرَّاحلة

---

(١) نيطَ: نُسِبَ إلى القوم وهو ليس منهم.

(٢) نُتيلة: بنت كليب بن مالك بن خباب أم العباس وضرار ابني عبد المطّلب وهي إحدى نساء بني النمر بن قاسط.

(٣) ابن أمه: هو ضرار بن عبد المطلب.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة ١٥٧ والبيهقي في السنن الكبرى ١٠: ٢٣٨، والطبراني في المعجم الكبير ٤: ٤٥ والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٣٢٤٦).

(٥) أحدُ: من الحداء وهو الغناء للإبل.

يَمَسُّ الوَرِكَ حتّى فَرَغ من نشيده. فقال النبيﷺ: «لَهَذَا أَشَدُّ عليهم من وَقْعِ النَّبْلِ»[١].

[حسّان ينشد في المسجد وعمر ينتهره]

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا عمر قال: حَدَّثنا أبو عاصم النبيل قال: أخبرنا ابن جُرَيْج قال: أخبرنا زِيَاد بن أبي سهْل قال: حَدَّثني سعيد بن المُسَيّب: أنّ عمرَ مَرَّ بحسّان بن ثابت وهو يُنْشِد في مسجد رسول اللهﷺ فانتهره عمر؛ فقال حسّان: قد أنشدتُ فيه مَنْ هو خيرٌ منك؛ فانطلق عمر.

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا أبو دَاودَ الطَّيَالسِيّ قال: حَدَّثنا إبراهيم بن سَعْد عن الزُّهْريّ عن سعيد بن المُسَيّب: أنّ عمر مَرَّ على حسان وهو يُنْشِد في مسجد رسول اللهﷺ، فذكر مثلَه وزاد فيه: وعَلِمْتُ أنّه يريد النبيَّﷺ.

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا عمر قال: حَدّثنا محمد بن حاتم قال: حَدَّثنا شُجَاع بن الوليد عن الإفرِيقيّ عن مُسْلِم بن يَسَار: أنّ عمر مرّ بحسّان وهو يُنْشِد الشعرَ في مسجد رسول اللهﷺ، فأخذ بأُذُنه وقال: أَرُغَاءً كَرُغَاءِ البعيرِ! فقال حسّان: دَعْنَا عنك يا عمر! فوالله لَتَعْلَمُ أنّي كنت أُنشِد في هذا المسجد مَنْ هو خيرٌ منك فلا يُغَيِّرُ عَلَيَّ! فصدّقه عمر.

[مدح الزبير بن العوام]

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحَرَميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعةٌ غيرهم قالوا: حَدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حَدّثنا أبو غَزِيَّةَ محمد بن موسى قال: حَدّثني عبد الله بن مُصْعَب عن هشام بن عُرْوَة عن فاطمة بنت المُنذِر عن جَدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت: مرّ الزُّبَيْر بن الْعَوام بمجلسٍ من أصحاب رسول اللهﷺ، وحسّان بن ثابت يُنْشِدُهم من شِعْره وهم غيرُ نِشَاطٍ لمَا يسمعون منه، فجلس معهم الزُّبير فقال: ما لي أراكم غيرُ آذِنِينَ لِمَا تَسمَعونَ من شعر ابن الفُرَيْعَةِ! فلقد كان يَعْرِضُ لرسول اللهﷺ فيُحْسِنُ آستماعَه ويُجْزِلُ عليه ثوابَه، ولا يشتغل عنه بشيء، فقال حسّان:

---

(١) الحديث في الدر المنثور للسيوطي ٥: ١٠٠ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤: ١٣٢.

[الطويل]

أقامَ عَلى عَهْدِ النَّبِيِّ وهَدْيِهِ حَوَارِيُّهُ والقَوْلُ بِالفِعْلِ يُعْدَلُ(١)
أَقَامَ على مِنْهاجِه وطَرِيقِهِ يُوَالِي وَلِيَّ الحَقِّ والحَقُّ أَعْدَلُ
هو الفارسُ المَشهورُ والبَطَلُ الّذي يَصُولُ إذا ما كانَ يَومٌ مُحَجَّلُ(٢)
إذا كَشَفَتْ عن سَاقِها الحَرْبُ حَشَّها بِأبيضَ سَبّاقٍ إلى الموتِ يُرْقِلُ(٣)
وإنَّ امْرَأً كانَتْ صَفِيَّةُ أُمَّهُ ومِنْ أَسَدٍ في بَيتِها لَمُرَفَّلُ(٤)
له مِنْ رَسولِ اللّهِ قُرْبَى قَرِيبَةٌ ومِنْ نُصْرَةِ الإِسلامِ نَصْرٌ مُؤَثَّلُ(٥)
فكَمْ كُرْبَةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ عَنِ المُصْطفَى واللّهُ يُعْطِي فَيُجْزِلُ
فما مِثْلُهُ فيهم ولا كانَ قَبْلَهُ وليسَ يكونُ الدَّهرَ ما دامَ يَذْبُلُ(٦)
ثَنَاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ فِعالِ مَعَاشِرٍ وفِعْلُكَ يَابْنَ الهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ

[حسّان يحمي أعراض المسلمين ويجاهد معهم بلسانه ونفسه]

أخبرني أحمد بن عيسى العِجْليّ قال: حَدَّثنا واصلُ بن عبد الأعْلَى قال: حَدَّثنا ابن فُضَيْل عن مُجَالِد عن الشَّعْبِي قال: لما كان عامُ الأحزاب وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، قال النبيﷺ: «مَنْ يَحْمِي أعراضَ المسلمين»؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله، وقال عبد اللّه بن رَوَاحة: أنا يا رسول الله، وقال حَسّان بن ثابت: أنا يا رسول الله؛ فقال: «نعم أُهْجُهُمْ أنتَ فإِنَّهُ سَيُعِينُكَ عليهم رُوحُ القُدُسِ»(٧).

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال: حَدَّثنا أبو داودَ قال: حَدَّثنا حُدَيْج بن مُعاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جُبَيْر قال: كنّا عند ابن عبّاس فجاء حَسّان، فقالوا: قد جاء اللَّعين. فقال ابن عبّاس: ما هو بلعين؛ لقد نَصَر رسولَ اللهﷺ بلسانه ويده.

---

(١) الحواري: خاصةُ الرجلِ وناصره. وحواريّ رسول اللهﷺ: هو الزبير بن العوام لقولهﷺ: «لكلّ نبيٍّ حواريٌّ وإن حواريّي الزبير».
(٢) يوم مُحَجَّلٌ: مشهور.
(٣) حَشَّها: أضرم نارها وأسعر لهيبها. وأرقل: أسرع وجَدّ.
(٤) المُرَفَّل: المُسَوَّد المعظَّم.
(٥) نصرٌ مُؤَثَّل: أي مجموع ذو أصل وهو الدائم.
(٦) يَذْبُل: جبل مشهور في بلاد نجد (معجم البلدان ٥ : ٤٣٣).
(٧) ورد في كنز العمال ٣٣٢٥٣ وفي الضعفاء للعقيلي ١ : ٩٤.

حَدّثنيه أحمد بن الجَعْد قال: حَدّثنا محمد بن بَكّار قال: حَدّثنا حُدَيْج بن معاوية قال: حَدّثنا أبو إسحاق عن سَعيد بن جُبير قال: جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال: قد جاء اللعين حَسّان من الشّام، فقال ابن عباس: ما هو بلعين؛ لقد جاهد مع رسول الله ﷺ بلسانه ونفسه.

[الشعراء في مجلس الرسول]

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا عمر قال: حَدّثنا عبد الله بن عمرو وشُرَيْح بن النُّعمان قالا: حَدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد عن هشام بن عُرْوةَ عن أبيه عن عائشة قالت: لمّا قَدِمَ وفدُ بني تميم وضَع النبيّ ﷺ لحسّان مِنْبَراً وأجلسه عليه، وقال: «إنّ الله لَيُؤَيِّدُ حَسّان بِرُوحِ القُدُسِ ما كافحَ عن نَبِيِّه»[1] ﷺ. هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً. وأتَينا به على تمامه هاهنا؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه: أخبرنا به الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال: حَدّثنا الزُّبَيْر قال: حَدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال: قَدِمَ على النبيّ ﷺ وفدُ بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً، فيهم الأَقْرَع بن حابِس، والزِّبْرقان بن بَدْر، وعُطَارِد بن حاجب، وقَيْسُ بن عاصم، وعمرو بن الأَهْتَم، وانطلق معهم عُيَيْنة بن حصْنٍ، فقَدِموا المدينة، فدخلوا المسجدَ، فوقفوا عند الحُجُرات، فنادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ: أُخْرُجْ إلَيْنا يا محمد؛ فقد جئنا لِنُفَاخِرَك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا، فخرج إليهم رسول الله ﷺ فجلس. فقام الأَقْرَعُ بن حابِس فقال: واللّهِ إنَّ مَدْحِي لَزَيْنٌ، وإنّ ذَمِّي لَشَيْنٌ. فقال النبيّ ﷺ «ذلك الله». فقالوا: إنّا أكرم العرب. فقال رسول الله ﷺ: «أكْرَمُ منكم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ»[2]. فقالوا: ائذَنْ لِشاعرنا وخطيبنا. فقام رسول الله ﷺ فجلس وجلس معه الناس، فقام عُطارِد بن حاجِب فقال:

الحمدُ للّهِ الّذي له الفضلُ علينا وهو أهلُه، الّذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أَعَزَّ أهل المَشْرِق، وآتانا أموالاً عِظَاماً نفعل فيها المعروفَ ليس في النّاس مثلُنا، ألسنا برؤوس النّاس وذوي فَضْلهم! فمَنْ فَاخَرَنَا فَلْيَعْدُدْ مثلَ ما عَدَدْنا، ولو نشاء لأكثرنا،

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦: ٧٢.

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره ٤: ٢٩٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨: ٢٥٢ والسيوطي في الدر المنثور ٦: ٨٧.

ولكنّا نستحي من الإكثار فيما خَوَّلَنَا الله وأعطانا. أقول هذا، فأْتُوا بقَوْلٍ أفضلَ من قولنا، أو أمرٍ أبْيَنَ من أمرنا، ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شَمَّاس فقال: الحمدُ لله الذي السّموات والأرضُ خَلْقُه، قضَى فيهنّ أمرَه ووَسِع كُرْسِيَّه علمُه، ولم يَقْضِ شيئاً إلاّ من فضله وقُدْرته؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خَلْقِه لنا رسولاً أكرَمهم حَسَباً وأصدقَهم حديثاً وأحسنهم رأياً، فأنزل عليه كتاباً، وأْتَمَنه على خَلْقه، وكان خِيرةَ اللّهِ من العالمين. ثم دعا رسولُ اللهﷺ إلى الإيمان، فأجابه من قومه وذوي رَحِمِهِ المهاجرين أكرمُ الناس أنساباً، وأَصْبَحُ النّاس وجوهاً، وأفضلُ الناس فِعالاً. ثم كان أوّل مَن اتَّبع رسولَ اللهﷺ من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار؛ فنحن أنصارُ الله ووزراءُ رسولِه، نُقاتِل الناسَ حتى يُؤمنوا ويقولوا: لا إله إلاّ الله. فمَنْ آمن بالله ورَسُولِهِ مَنَعَ مِنَّا مالَه ودمَه، ومَنْ كَفَر بالله ورسوله جاهَدْناه في الله، وكان جهادهُ علينا يسيراً. أقول قولي هذا، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقام الزِّبْرِقان فقال: [البسيط]

نحنُ المُلُوكُ فلا حَيٌّ يقَارِبُنا ... مِنّا المُلوكُ وفينا يُؤخَذُ الرُّبُعُ[١]

تِلكَ المَكَارِمُ حُزْنَاهَا مُقَارَعةً ... إذا الكِرامُ على أمثالِها اقْتَرَعُوا

كَمْ قد نَشَدْنَا مِنَ الأحياءِ كُلِّهِمُ ... عِندَ النِّهابِ وفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

ونَنْحَرُ الكُومَ عُبْطاً في مَنازِلنا ... لِلنَّازِلينَ إذا ما اسْتَطْعَمُوا شَبِعُوا[٢]

ونحن نُطْعِمُ عِندَ المَحْلِ ما أَكلوا ... مِنَ العَبِيطِ إذا لم يَظْهَرِ القَزَعُ[٣]

ونَنصرُ النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتُهُمُ ... مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فتَمْضِي ثُمّ تُتَّبَعُ[٤]

فأرسل رسول اللهﷺ إلى حسّان بن ثابت فجاء، فأمره أن يُجيبه.

فقال حسان: [البسيط]

إنّ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ ... قد بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ

يَرْضَى بها كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الإلٰهِ وبِالأمرِ الّذي شَرَعُوا

---

(١) الرُّبُع: هو حصّة الرئيس في الغزوات من الغنيمة.

(٢) الكُوم: جمع الأكوم: البعير الضخم السنام. وعبطاً: أي وهي ما زالت فتيّة سمينة.

(٣) المحل: القحط. والعبيط: اللحم الطريّ السليم. والقَزَع: السحاب يأتي بعده المطر.

(٤) السّراة: الأشراف.

قَـوْمٌ إذا حَـارَبُـوا ضَـرُّوا عَـدُوَّهُـمُ أو حاولوا النَّفع في أَشياعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ إنّ الخلائقَ فَاعْلَمْ شَرُّها البِدَعُ
لا يَرْقَعُ النَّاسُ ما أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ عِنْدَ الدِّفاعِ ولا يُوهُون ما رَقَعُوا
إنْ كانَ في النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ فَكُلُّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْيِ عِفَّتُهمْ لا يَطْمَعون ولا يُزْري بهم طَمَعُ
ولا يَضِنُّونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمُ ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمِعٍ طَبَعُ
يَسْمُونَ لِلحَرْبِ تبدو وَهْيَ كَالِحةٌ إذا الزَّعَانِفُ مِنْ أظفارِها خَشَعُوا[1]
لا يَفْرَحون إذا نَالُوا عَدُوَّهُمُ وإنْ أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ[2]
كأنَّهم في الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ أُسُودُ بِيشَةَ في أَرساغِها فَدَعُ[3]
خُذْ مِنْهُمُ ما أَتَى عَفْواً وإنْ مَنَعُوا فلا يَكُنْ هَمُّكَ الأَمْرَ الَّذي مَنَعُوا
فَإنَّ في حَرْبِهِمْ - فَاتْرُكْ عَدَاوتَهُمْ - سُمًّا يُخَاضُ عليه الصَّابُ والسَّلَعُ[4]
أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رسولُ اللَّهِ قَائِدُهُمْ إذا تَفَرَّقَتِ الأَهْواءُ والشِّيَعُ
أَهْدَى لهم مِدَحِي قَلْبٌ يُؤَازِرُهُ فيما أرادَ لِسانٌ حائِكٌ صَنَعُ
فإنَّهم أَفْضَلُ الأحياءِ كُلِّهِمُ إنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ القَوْلِ أَوْ شَمَعُوا[5]

فقام عُطَارِد بن حاجب فقال: [الطويل]

أتيناكَ كَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ فَضْلَنَا إذا اجْتَمَعُوا وَقْتَ احْتِضَارِ المَوَاسِمِ
بِأنَّا فُروعُ النَّاسِ في كُلِّ مَوْطِنٍ وأَنْ ليسَ في أرضِ الحِجَازِ كَدَارِمِ[6]

فقام حسّان بن ثابت فقال: [الطويل]

مَنَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ على أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ ورَاغِمِ
هَلِ المَجْدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنَّدَى وجَاهُ المُلُوكِ واحْتِمَالُ العَظائِمِ[7]

(١) الزعانف: أرذال الناس.
(٢) خور: ضِعاف.
(٣) المكتنع: القريب. وبيشة: موضع من عمل مكة مما يلي اليمن، على مراحل من مكة وفيه شجر كثير وهو كثير الأسود (معجم البلدان ١:٥٢٩). والفَدَع: اعوجاج في الرسغ.
(٤) يُخاض: يُخلط، والصاب والسّلع: نوعان من الشجر المرّ.
(٥) شمعوا: مزحوا.
(٦) دارم: أبو حَيّ من تميم.
(٧) السّؤدُد العَوْد: المجد القديم.

قال: فقال الأقْرَع بن حابس: واللَّهِ إنّ هذا الرَّجلَ لَمُؤَتّى له[1]! واللَّهِ لَشاعرهُ أشعرُ من شاعرنا، ولَخَطِيبُه أخطبُ من خطيبنا؛ ولأصواتُهم أرفعُ من أصواتِنا! أَعطِني يا محمد فأعطاه. فقال: زِدْني فزادَه. فقال: اللَّهمَّ إنّه سَيّد العرب. فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2] ثم إنّ القوم أسلموا، وأقاموا عند النبيّ ﷺ يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدِّين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وقال: «أما بَقِيَ منكم أحدٌ»؟، وكان عمرو بن الأهْتَم في رِكَابهم، فقال قيس بن عاصم، وهو من رَهْطِه وكان مُشَاحِناً له: لم يَبْقَ أحدٌ إلاّ غلامٌ حديثُ السِّنِّ في ركابنا؛ فأعطاه رسول الله ﷺ مِثْلَ ما أعطاهم. فبلغ عمراً ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتَم لقيس: [البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْبَاءِ تَشْتُمُنِي ... عِنْدَ الرَّسُولِ فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ[3]
إنْ تُبْغِضُونَا فَإنَّ الرُّومَ أَصْلُكُمُ ... والرُّومُ لا تَمْلِكُ البَغْضَاءَ لِلعَرَبِ
فَإنَّ سُؤْدُدَنا عَوْدٌ وسُؤْدُدُكُمْ ... مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ العَجْبِ والذَّنَبِ[4]

فقال له قيس: [السريع]

لولاَ دِفَاعِي كُنْتُمُ أَعْبُداً ... دَارُكُمُ الحِيرةُ والسَّيْلَحُونْ[5]

[حسان يقول شعراً يقرّرُ فيه إيمانه بالرسل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نصر قالا: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني عمر بن عليّ بن مُقَدَّم عن يحيى بن سَعيد عن أبي حَيَّان التَّيْميّ عن حَبيب بن أبي ثابت، قال أبو زيد وحَدَّثنا محمد بن عبد اللَّه بن الزُّبير قال: حَدّثنا مِسْعَرٌ عن سعد بن إبراهيم قالوا: قال حَسّان بن ثابت للنبيّ ﷺ:

صوت

[الطويل]

شَهِدْتُ بِإذنِ اللَّهِ أنَّ مُحَمَّداً ... رَسُولُ الَّذي فوقَ السَّمواتِ مِنْ عَلُ

---

(١) مُؤَتّى له: مُسَهَّل له ومُيَسَّر.
(٢) سورة الحجرات، الآية ٤.
(٣) الهلباء: الاست.
(٤) السّؤدد: السيادة، والعَوْد: القديم. وعَجْبُ الشيء: مُؤخره.
(٥) السّيلحون: موضع قرب الحيرة بين الكوفة والقادسية (معجم البلدان ٣: ٢٩٨).

وأَنَّ أَخَا الأَحْقَافِ إِذْ يَعْذُلُونَهُ يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ فيهم فَيَعدِلُ[1]
وأنَّ أبا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلاهُما له عَمَلٌ في دِينِهِ مُتَقَبَّلُ[2]
وأنّ الّذي عَادَى اليَهُودَ ابنَ مَرْيَمٍ رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِندِ ذِي العَرْشِ مُرْسَلُ
وأنَّ الَّذي بِالجِزْعِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ ومَنْ دُونَهَا فِلٌّ مِنَ الخَيْرِ مَعْزِلُ[3]

ـ غَنَّى في هذه الأبيات مَعْبد خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر من رواية يونس وغيره ـ فقال النبيّ ﷺ: «أنا أشهدُ معكَ».

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا عمر قال: حَدّثنا زُهَيْر بن حَرْب قال: حَدّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحَى عن مَسْروق، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العِجْليّ قال: حَدَّثنا سُفْيان بن وكيع قال: حَدّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق قال: دخلتُ على عائشة وعندها حَسَّانُ وهو يَرْثِي بنتاً له، وهو يقول: [الطويل]

رَزَانٌ حَصَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحومِ الغَوَافِلِ[4]

فقالت عائشة: لكن أنت لست كذلك. فقلت لها: أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5]! فقالت: أمَا تراه في عذاب عظيم قد ذَهَبَ بصرُه!

[تنبّؤاته]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيع قال: حَدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال: حدّثنا ابن أبي أُوَيْس قال: حَدّثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعاً عن الرَّبيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال: بَيْنَا نحن جُلوسٌ عند حَسّان بن

---

(١) أخو الأحقاف: هو هود ﷺ وهو المشار إليه في سورة الأحقاف الآية ٢١. والأحقاف: وادٍ بين عُمان وأرض مَهْرَة (معجم البلدان ١:١١٥).

(٢) أبو يحيى: هو زكريا ﷺ.

(٣) الجِزع: قرية عن يمين الطائف وأُخرى عن شماله. وبطن نخلة: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة (معجم البلدان ١:٤٤٩). والفِلّ: الذي لا خير عنده.

(٤) امرأة رزان: ذات وقار وعفاف. والحصان: العفيفة البيّنة الحصانة. والغرثى: الجائعة، أي إنها لا تأكل من لحوم الغوافل فهي لا تغتابهم. وهذا البيت يَرِدُ في اعتذار حسان لعائشة بعد حديث الإفك، أو يرد منفرداً كما في هذا الموضع.

(٥) سورة النور، الآية ١١.

ثابت، وحسّان مضطجعٌ مُسْنِدٌ رِجْلَيهِ إلى فارع[١] قد رفعهما عليه، إذ قال: مَهْ! أمَا رأيتم ما مرَّ بكم السّاعةَ؟ قال مالك: قلنا: لا والله، وما هو؟ فقال حسّان: فَاخِتةٌ[٢] مَرَّت الساعةَ بيني وبين فارع فصدمتني، أو قال: فزَحَمتني. قال: قلنا: وما هي؟ قال: [الطويل]

سَتَأْتِيكُمْ غَدْواً أَحَادِيثُ جَمَّةٌ ... فَأَصْغُوا لها آذانَكُمْ وتَسَمَّعُوا

قال مالك بن أبي عامر: فصَبَحَنَا من الغَدِ حديثُ صِفِّين.

أخبرنا وكيع قال: حَدّثنا اللَّيث بن محمد عن الحَنْظَليّ عن أبي عَبْدَة عن العَلاء بن جَزْء العَنْبَري قال: بينَا حَسّان بن ثابت بِالخَيْفِ[٣] وهو مكفوفٌ، إذ زَفَر زَفرةً ثم قال: [الكامل]

وكأنَّ حَافِرَها بِكُلِّ خَمِيلةٍ ... صَاعُ يَكِيلُ به شَحِيحٌ مُعْدِمُ[٤]

عَارِي الأَشَاجِعِ مِنْ ثَقِيفِ أَصْلُهُ ... عَبْدٌ ويزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ يَقْدُمِ[٥]

قال: والمُغِيرة بن شُعبة جالسٌ قريباً منه يَسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فقال: مَنْ بَعَث بهذا؟ قال: المُغيرة بن شعبة سَمِع ما قلتَ. قال واسَوْءتاه! وقَبِلَها.

[الحارث بن عوف يستجير بالرسول من حسان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدّثني الأصمعيّ قال: جاء الحارث بن عَوْف بن أبي حارِثَة إلى النبيﷺ فقال: أَجِرْنِي من شِعرِ حسّان، فلو مُزِجَ البحرُ بِشعْرِه لَمَزَجَهُ. قال: وكان السببُ في ذلك ـ فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني عمِّي مُصْعَب ـ أنّ

(١) فارع: حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت.

(٢) الفاختة: نوع من الحمام المطوّق، تمشي موسّعة في مشيها وتفرّج يديها من إبطيها، وذُكِرَ في اللسان أن الفاختة مشتقة من الفَخْتِ الذي هو ظلّ القمر.

(٣) الخَيْفُ: عدة مواضع تحمل هذا الاسم وقد ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٢: ٤١٢) والخيف هنا مسجد الخيف من مِنًى.

(٤) الخميلة: رملةٌ تُنبتُ الشجر.

(٥) الأشاجع: عروق ظاهر الكفّ. ويَقْدُم: بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار وهو أبو قبيلة.

الحارث بن عَوْف أتى رسول الله ﷺ فقال: ابْعَثْ معي مَنْ يدعو إلى دِينِكَ وأنا له جار. فأرسل معه رجلاً من الأنصار. فَغَدَرتْ بالحارث عشيرتُه فقتلوا الأنصاريَّ، فقَدِمَ الحارثُ على رسول الله ﷺ، وكان عليه الصّلاة والسّلام لا يُؤَنِّبُ أحداً في وجهه، فقال: «ادْعُوا لي حَسّان»، فَدُعِيَ له، فلمّا رأى الحارث أنشده: [الكامل]

يَا حَارِ مَنْ يَغْدُرْ بِذِمَّةِ جَارِهِ ... مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّداً لم يَغْدِرِ[1]

إنْ تَغْدِرُوا فَالغَدْرُ مِنْكُمْ شِيمَةٌ ... والغَدْر يَنْبُتُ في أُصولِ السَّخْبَرِ[2]

فقال الحارث: اكْفُفه عنّي يا محمد، وأؤدّي إليك دِيَةَ الخُفَارة[3]؛ فأدّى إلى النبيّ ﷺ سبعين عُشَرَاء[4] وكذلك دِيةُ الخُفَارة، وقال: يا محمد أنا عائذٌ بك من شَرِّه، فلو مُزِجَ البحرُ بشِعْره مزجَه.

[بعد حادثة الإفك، ابن المعطّل يضربه والنبيّ ﷺ يسترضيه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شبّة قال: حَدّثني إبراهيم بن المُنذِر قال: حَدّثنا عبد الله بن وَهْب قال: أخبرنا العَطّاف بن خالد قال: كان حسّان بن ثابت يجلس إلى أُطُمِهِ فارع، ويجلسُ معه أصحابٌ له ويَضع لهم بِساطاً يجلِسون عليه؛ فقال يوماً، وهو يرى كثرة مَنْ يأتي إلى النبيّ ﷺ من العرب فيُسْلِمون: [البسيط]

أرَى الجَلاَبيبَ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا ... وابنُ الفُرَيْعَةِ أمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ[5]

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «مَنْ لي بأصحابِ البِساطِ بفارع»[6]؟. فقال

---

(١) يا حار: يا حارث.

(٢) السَّخْبَر: نوع من الشجر ينبت في أرضهم وهو عندما يطول ينحني ويسترخي فتختفي الحيّات في أصوله.

(٣) الخفارة: العهد والذمّة.

(٤) العشراء من النوق: التي مضى على حملها ثمانية أشهر أو عشرة.

(٥) الأُطُم: حصن مبني بالحجارة.

(٦) قال البكري في التنبيه: «كان المنافقون يسمّون المهاجرين الجلابيب» وفي اللسان: سِفْلَةُ الناس. وبيضةُ البلد: من أمثال العرب، فيقال: فلانٌ بيضة البلد فيضعونها مرةً في موضع المدح ومرة في موضع الذمّ. فإذا كان الرجل واحدُ بلده فيقصد بها المدح أما إذا نُسِبَ إلى الذلّ والضياع والانفراد فيقصد به الذمّ (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٢: ٧١٩) وفي الديوان: الخلابيس بدل الجلابيب والخلابيس: الأخلاط من كلّ وجه.

صَفْوان بن المعَطَّل: أنا لكَ يا رسول الله منهم؛ فخرج إليهم فاخترطَ سيفَه، فلمّا رَأَوْه عَرَفوا الشَّرَّ في وجهه ففَروا وتبدَّدُوا، وأدرك حَسّان داخلاً بيتَه، فضربه وفَلَق أَلْيَتَهُ. قال: فبلَغَنا أنّ النبيّ ﷺ عوّضَه وأعطاه حائطاً[١] فباعه من[٢] مُعاوية بعد ذلك بمالٍ كثير، فبناه معاوية قصراً، وهو الذي يقال له: «قصر الدّارَين». وقد قيل: إنّ صَفْوان بن المعَطَّل إنما ضربَ حسّان لما قاله فيه وفي عائشة زَوْج النبيّ ﷺ من الإفْك؛ لأن صفْوان هو الذي رَمَى أهلُ الإفك عائشةَ به.

وأخبرنا محمد بن جرير قال: حَدَّثنا محمد بن حُمَيْد قال: حَدَّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبةَ قال: اعترضَ صَفْوان بن المُعَطَّل حسّان بن ثابت بالسَّيف لِمَا قَذَفَهُ به من الإفْك حين بلَغه ما قاله. وقد كان حسّان قال شِعْراً يُعَرِّضُ بابنِ المُعَطَّل وبمن أسلمَ من العرب من مُضَر فقال: [البسيط]

أمسَى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيْعةِ أَمسَى بَيْضَةَ البَلَدِ
قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَه ... أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأَسَدِ
ما لِلقَتِيلِ الَّذِي أَعدُو فآخُذُه ... من دِيَةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ[٣]
ما البَحْرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شَامِيةً ... فَيَغْطَئِلُ ويَرْمِي العِبْرَ بالزَّبَدِ[٤]
يَوْماً بِأَغْلَبَ مِنّي حين تُبْصِرُني ... بِالسَّيفِ أَفرِي كَفَرْيِ العَارِضِ البَرِدِ[٥]

فاعترضه صَفْوان بن المعطَّل بالسّيف فضربه وقال: [الطويل]

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فإنّني ... غُلامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ[٦]

وحدّثنا محمد بن جرير قال: حَدَّثنا ابن حُمَيْد قال: حَدَّثنا سَلَمةُ عن محمد ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ: أنّ ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس أخا بَلْحارث بن الخَزْرَج وَثَبَ على صَفْوان بن المعطَّل في ضَرْبه حسّان فجمع يديه على عُنُقه، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فَلَقِيَه عبدُ اللّه ابن رَوَاحةَ فقال: ما هذا؟ فقال: ألاَ أُعَجِّبُكَ! ضَرَب حسّانَ بالسيف، والله ما أراه

(١) الحائط: الحديقة.

(٢) يقتضي سياق الكلام أن تكون «منه» بدل «من».

(٣) في الديوان «أغدو». والقَوَد: القصاص.

(٤) في الديوان «شاملة» بدل «شامية» ويغطئِلُّ: يركب بعضُه بعضاً. والعِبْر: الشّط.

(٥) أفري: آتي بالعجب. والعارض: السحاب. والبَرِد: الذي فيه بَرَد.

(٦) ذبابُ السيف: حَدُّه.

إلاّ قد قَتَلَهُ. فقال له عبد اللّه بن رَوَاحةَ: هل عَلِمَ رسولُ اللهﷺ بشيءٍ من هذا؟ قال: لا والله. قال: لقدِ اجترأتَ! أَطْلِقِ الرَّجُلَ، فأطلقه. ثم أتَوْا رسولَ اللهﷺ فذُكِرَ ذلك له، فدعا حسّان وصَفْوان بن المعطَّل؛ فقال ابن المعطَّل: يا رسولَ الله، آذاني وهجاني فضربتُه. فقال رسول اللهﷺ لحسّان: «يا حسّان أتَعِيبُ على قومي أنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ لِلإسلامِ»[1]! ، ثم قال: «أَحْسِنْ يا حسّان في الّذي أصابك». قال: هي لكَ يا رسول الله.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنا عمر بن شبَّة قال: حَدَّثني المَدَائنيّ قال: حَدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حَدَّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يَسَارٍ عن بعض رجال بني النجّار بمثل ذلك، وزاد في الشعر الذي قاله حسان زيادةً، ووافقه عليها مُصْعَب الزُّبَيري، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ، قال: قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حَدّثني عمي مُصْعب في القِصّة، فذكر أنّ فتيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يَسْقُون خيولَهم، فغَضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر.

وذكر الزُّهْرِيّ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعْد، قال: حَدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال: حَدّثنا محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عُقْبة عن ابن شهَاب الزّهْرِيّ أنّ هذا الخبر كان بعد غَزْوة النبيّﷺ بني المُصْطَلِق، قال: وكان في أصحاب رسول اللهﷺ رجلٌ يقال له: سِنَان، ورجل من بني غِفَار يقال له: جَهجاه[2]؛ فخرج جَهْجاهٌ بفرس لرسول اللهﷺ وفَرَسٍ له يومئذ يَسْقِيهما، فأوردهما الماء، فوجد على الماء فِئْيةً من الأنصار، فتنازعوا فاقتتلوا؛ فقال عبد اللّه بن أبَيّ ابن سَلُول: هذا ما جَزَوْنَا به، آويناهم ثم هم يُقاتلوننا! وبلغ حسّانَ بن ثابت الذي بين جَهْجاه وبين الفِتْية الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدِموا على رسول اللهﷺ في الإسلام ـ وهذا الشّعرُ من رواية مُصْعَب دون الزُّهْرِيّ:

[البسيط]

أمسى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيعةِ أَمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ
يَمشونَ بِالقَوْل سِرّاً في مُهَادَنةٍ ... تَهَدُّداً لِي كَأنّي لَسْتُ مِنْ أحَدِ

(١) في أسد الغابة «هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري من أهل المدينة».

قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأسَدِ
ما لِلقَتِيلِ الّذي أَسْمُوا فَأَقتُلُهُ مِنْ دِيَةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ
ما البَحْرُ حِينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطَئِلُ ويَرْمي العِبْرَ بِالزَّبَدِ
يوماً بِأَغْلَبَ مِنّي حين تُبْصِرُني أَفْرِي مِنَ الغَيْظِ فَرْيَ العَارِضِ البَرِدِ
أَمّا قُرَيْشٌ فإنّي لَسْتُ تارِكَهُمْ حَتّى يُنِيبُوا مِنَ الغَيّاتِ بِالرَّشَدِ[1]
ويَتْرُكُوا اللاّتَ والعُزّى بِمَعْزِلَةٍ ويَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
ويَشْهَدوا أنَّ ما قالَ الرّسولُ لهم حَقٌّ ويُوفُوا بِعَهْدِ اللّهِ في سَدَدِ[2]
أَبْلِغْ بَنِيَّ بِأنّي قد تَرَكْتُ لهم مِنْ خَيْرِ ما تَرَكَ الآباءُ لِلوَلَدِ[3]
الدّارُ واسِطَةٌ والنَّخْلُ شَارِعَةٌ والبِيضُ يَرْفُلْنَ في القَسّيِّ كَالبَرَدِ[4]

قال: فقال رسول اللهﷺ: «يا حسان نَفِسْتَ عَلَيَّ إسلام قومي»[5] وأغضبه كلامُه. فغدا صفوان بن المعطّل السُّلميّ على حسّان فضربه بالسيف، وقال صفوان: [الطويل]

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنّي فإنّني غلامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشاعرِ

فوثب قومُه على صفْوان فحبسوه، ثم جاءُوا سعدَ بن عُبَادَة بن دُلَيْم بن حارثة ابن أبي حَزِيمة بن ثعلبة بن طَريف بن الخَزْرَج بن سَاعِدَة بن كَعْب بن الخَزْرَج بن حَارِثَة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهو مُقْبِلٌ على نَاضِحه[6] بين القِرْبَتَيْن، فذكروا له ما فعَل حسّان وما فعلوا؛ فقال: أشاورْتُم في ذلك رسولَ اللهﷺ؟ قالوا: لا، فقعد إلى الأرض. وقال: وَٱنْقِطاعَ ظَهْراه! أتأخذون بأيديكم ورسولُ اللهﷺ بين ظَهْرَانَيْكم!؟ ودعا بِصَفْوان فَأُتِيَ به، فكساه وخلاّه. فجاء إلى النبيﷺ؛ فقال له رسول اللهﷺ: «مَنْ كَسَاكَ كساه الله»[7]. وقال حسّان لأصحابه: احمِلوني إلى رسول اللهﷺ أترضّاه ففعلوا؛ فأعرضَ عنه رسولُ اللهﷺ، فردّوه. ثم سألهم فحملوه إليه الثانية؛ فأعرض عنه رسولُ اللهﷺ، فانصرفوا به. ثم قال لهم: عُودوا بي إلى

(١) في الديوان «لِلرشَدِ».
(٢) في الديوان «بعهد الواحدِ الأحدِ». والسَّدَد: من السَّدَاد، يقال: قل قولاً سَدَداً أي صواباً.
(٣) في الديوان «بَلِّغْ عبيداً» يريد ابنه عبد الرحمن.
(٤) القَسّيّ: ثياب يخالطها الحرير من مصر، وجاء في الحديث أن الرسولﷺ نهى عن لبسها.
(٥) نَفِسَ عليه الشيء: حَسَدَه عليه.
(٦) الناضحة: الدابة يُستقى عليها.
(٧) ورد في دلائل النبوة للبيهقي ٤: ٧٧.

رسول الله ﷺ؛ فقالوا له: قد جئنا بك مرّتين كلٌّ ذلك يُعْرِضُ فلا نُبْرِمُهُ بك. فقال: احمِلوني إليه هذه المرّة وحدَها، ففعلوا. فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي! احْفَظْ قولي:

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عنه ... وعِنْدَ اللّهِ في ذَاكَ الجَزَاءُ
فَإِنَّ أَبِي ووالِدَهُ وعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ منكم وِقَاءُ

فَرَضِيَ عنه رسولُ الله ﷺ ووَهَب له سِيرينَ أُخت مارية أمِّ ولد رسول الله ﷺ إبراهيمَ. هذه روايةُ مُصعب. وأمّا الزُّهْريُّ فإنّه ذكر أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا بلغه ضربُ السُّلميّ حسّانَ قال لهم: «خُذُوه فإنْ هلك حسّان فاقتلوه». فأخذوه فأسروه وأوْثَقُوه؛ فبلَغ ذلك سعدَ بن عُبَادةَ، فخرج في قومه إليهم فقال: أرْسِلُوا الرجلَ، فأبوا عليه؛ فقال: أعمَدتم إلى قومِ رسول الله ﷺ تُؤْذُونهم وتَشْتُمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم! أرْسِلُوا الرجلَ؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ، ثم أرسلوه. فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حُلَّةً، ثم أرسله سعدٌ إلى أهله. فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ دخل المسجد لِيُصَلِّيَ فيه، فقال: «مَنْ كَسَاكَ كساه اللّهُ من ثياب الجنّة». فقال: كساني سعد بن عُبَادة. وذكر باقيَ الخبر نحوه.

[اعتذار مما رمى به عائشة]

وحدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال: حَدّثني ابن حُمَيْد قال: حَدّثنا سَلَمةُ عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث: أنّ رسول الله ﷺ أعطاه عِوَضاً منها بيرحاء[1]، وهي قصرُ بني جُدَيْلَة اليومَ بالمدينة، كانت مالاً لأبي طَلْحة بن سَهْلٍ تَصَدَّق بها إلى رسول الله ﷺ، فأعطاه حَسّان في ضَرْبته، وأعطاه سِيرينَ (أمَةً قِبطيّةً) فولدتْ له عبدَ الرحمن بن حَسّان. قال: وكانت عائشة تقول: لقد سُئِلَ عن صَفْوان بن المُعَطَّل، فإذا هو حَصُورٌ (لا يأتي النساء)؛ قُتِل بعد ذلك شهيداً. قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عُتْبَة: فقال حسّان يعتذر مِنَ الذي قال في عائشة:

[الطويل]

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحومِ الغَوَافِلِ
فإنْ كُنْتُ قد قُلْتُ الّذي قد زَعَمْتُمُ ... فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي

(١) بيرحاء: موضع بقرب المسجد بالمدينة (معجم البلدان ١: ٥٢٤).

وكيف وَوُدّي مِنْ قَدِيم ونُصْرَتي لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ المَحَافِلِ
فإنّ الّذي قَدْ قيلَ ليْسَ بِلائِطٍ ولكنّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِيَ مَاحِلِ[1]

قال الزّبير وحدّثني محمد بن الضحّاك: أنّ رجلاً هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المُعَطَّل فقال: [الوافر]

وإنَّ ابْنَ المُعَطَّلِ مِنْ سُلَيْمٍ أَذَلَّ قِيَادَ رَأْسِكَ بالخِطَامِ

[عائشة تدافع عنه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال: أخبرنا أبو عاصم قال: أخبرنا ابن جُرَيْج قال: أخبرني محمد بن السائب عن أمه: أنّها طافَتْ مع عائشة ومعها أُمُّ حكيم وعاتكة (امرأتان من بني مخزوم)، قالت: فابْتَدَرْنا حسَّانَ نَشْتُمُه وهو يطوفُ؛ فقالتْ: أَبْنَ الفُرَيْعةِ تَسْبُبْنَ! قُلْنَ: قد قال فِيكِ فَبرَّأكِ الله. قالت: فأين قولُه:

هَجَوْتَ محمّداً فأَجَبْتُ عنه وعندَ اللَّهِ في ذاكَ الجَزاءُ
فَإنَّ أَبِي ووالِدَه وعِرْضِي لِعِرْضِ محمّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال: حَدّثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ عن محمد بن السائب بن بَرَكَةَ عن أُمّه نحو ذلك، وزاد فيه: إني لأرجو أن يُدْخِلَهُ اللَّهُ الجنَّة بقوله.

أخبرني الحسن قال: حَدّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عمْران عن سُفيان بن عُيينة وسَلْم بن خالد عن يوسف بن مَاهَك عن أُمّه قالت: كنتُ أطوفُ مع عائشة بالبيت، فذكَرتُ حَسّان فسَبَبْتُه؛ فقالت: بِئْسَ ما قُلْتِ! أَتَسُبِّينَه وهو الذي يقول:

فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضِي لِعِرْضِ محمّدٍ منكم وِقَاءُ

فقلت: أليس مِمّن لَعَنَ اللَّهُ في الدّنيا والآخرة بما قال فيكِ؟ قالت: لم يَقُلْ شيئاً، ولكنه الّذي يقول: [الطويل]

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لحوم الغَوَافِلِ
فإنْ كانَ ما قد جاءَ عَنّيَ قُلْتُهُ فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أنامِلي

(١) لائط: لائق. وماحل: ساعٍ بالوشاية.

أخبرني الحسن قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني مُصْعَب عَمِّي قال: حَدّثني بعضُ أصحابنا عن هشام بن عُرْوةَ عن أبيه قال: كنتُ قاعداً عند عائشة، فَمُرَّ بجنازة حسّان بن ثابتٍ فنِلْتُ منه؛ فقالت: مَهْلاً! فقلتُ: أليس الذي يقول! قالت: فكيف بقوله:

فــإنّ أبــي ووالــدَه وعِــرْضــي لِــعِــرْضِ مــحــمّــدٍ مــنــكــم وِقــاءُ

أخبرني الحسن قال: حَدّثنا أحمد قال: حَدّثني أحمد بن سَلْمان عن سلمان ابن حَرْب قال: حَدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن محمد بن سِيرين: أنّ حسّان أخذ يوماً بطَرَفِ لسانه وقال: يا رسولَ الله، ما يَسرُّني أنّ لي به مِقْوَلاً بين صَنْعَاءَ وبُصْرَى، ثم قال: [الوافر]

لِـســانـي مِـغْـوَلٌ لا عَـيْـبَ فـيـه وبَـحْـرِي مـا تُـكَـدِّرُه الـدِّلاءُ[1]

[حكايات عن جُبْنِه]

أخبرنا محمد بن جرير قال: حَدّثنا محمد بن حُمَيد قال: حَدّثنا سَلَمة قال: حَدّثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه قال: كانت صَفِيّةُ بنت عبد المُطَّلب في فارعٍ (حِصْنِ حسّان بن ثابت) يعني يومَ الخَنْدَق، قالت: وكان حسّان معنا فيه والنساءِ والصِّبْيان، قالتْ: فمرّ بنا رجلٌ من يَهُود فجعل يُطِيفُ بالحِصْن، وقد حاربتْ بنو قُرَيْظة وقطعتْ ما بينها وبين رسول الله ﷺ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا، ورسولُ الله والمسلمون في نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذْ أتانا آتٍ. قالت: فقلتُ: يا حسّان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطيف بالحِصْن، وإنِّي والله ما آمَنُهُ أن يَدُلَّ على عَوْراتِنا مَنْ وراءنا مِنْ يَهُودَ، وقد شُغِلَ عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فانْزِلْ إليه فاقْتُلْه؛ فقال: يَغْفِرُ اللَّهُ لكِ يابنة عبد المُطَّلبِ! لقد عَرَفْتِ ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلمّا قال ذلك ولم أرَ عنده شيئاً احْتَجَزْتُ[2] ثم أخذتُ عموداً ثم نزلتُ إليه من الحِصْن فضربتُه بالعمود حتى قتلتُه، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسّان؛ انْزِلْ إليه فاسْلُبْه؛ فإنّه لم يمنعني من سَلْبِه إلاّ أنّه رجلٌ. قال: ما لي بِسَلْبِهِ من حاجةٍ يا بنتَ عبد المطّلب.

---

(١) في الديوان: «صارمٌ» بدل «مِغْوَلٌ» وفي سائر الأصول «لساني مِقْوَلٌ». والمِغْوَل: السيف الماضي الحَدّ.

(٢) احتجزتُ: شددتُ ردائي على وسطي.

وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهير قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثنا عليّ بن صالح عن جدِّي عبد الله بن مُصْعَب عن أبيه قال: كان ابن الزُّبير يحدِّث أنه كان في فَارِعٍ (أُطُم حسّان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عُمَرُ بن أبي سَلَمة. قال ابنُ الزُّبير: ومعنا حسّان بن ثابت ضارباً وَتِداً في آخر الأُطُم، فإذا حمل أصحابُ رسول اللهﷺ على المشركين حَمَل على الوَتِدِ فضربه بالسيفَ؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتِد حتَّى كأنه يُقاتل قِرْناً[1]، يتشبّه بهم كأنّه يُري أنّه مُجاهِدٌ حين جَبُنَ. وإنِّي لأظلمُ ابنَ أبي سلمةَ وهو أكْبَرُ منِّي بسنتين فأقول له: تَحْمِلُني على عُنقكَ حتَّى أنظُرَ، فإنِّي أحْمِلُكَ إذا نزلتُ قال: فإذا حملني ثم سألني أن يركَبَ قلتُ له: هذه المرّة أيضاً. قال: وإنِّي لأنظر إلى أبي مُعْلَماً بصُفْرةٍ، فأخبرتُها أبي بعدُ؛ فقال: أين كنتَ حينئذٍ؟ فقلتُ: على عُنُق ابن أبي سَلَمةَ يَحْملُني، فقال: أما والَّذي نَفْسي بيده إنَّ رسولَ اللهﷺ لَيَجْمَع لي أبَوَيْه[2].

قال ابن الزُّبير: وجاء يَهُوديٌّ يرتقي إلى الحِصْن، فقالت صَفِيّة له: أعْطِني السيفَ، فأعطاها، فلمّا ارتقى اليهوديّ ضربتْه حتى قتلتْه، ثم احتزَّتْ رأسَه فأعطته حسّانَ وقالتْ: طَوِّحْ به؛ فإنّ الرجلَ أقوى وأشدُّ رميةً من المرأة. تريد أن تُرْعِبَ به أصحابَه.

قال الزُّبَيْر: وحدّثني عمّي عن الوَاقِدِيّ قال: كان أكْحَلُ[3] حَسّانَ قد قُطِعَ فلم يكن يَضْرِب بيده.

[حسّان يتغنّى بالشجاعة]

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جَدّي أنّه سَمِع أن حَسَّانَ بن ثابت أنشد رسولَ اللهﷺ: [البسيط]

لقد غَدَوْتُ أَمَامَ القَوْم مُنْتَطِقاً ... بِصَارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاعِ[4]
يَحْفِزُ عَنِّي نِجَادَ السَّيْفِ سَابِغَةٌ ... فَضْفَاضَةٌ مِثْلُ لَوْنِ النِّهْيِ بِالقَاعِ[5]

---

(١) القِرْن: المماثل في الشجاعة والشدة.
(٢) أي إن الرسولﷺ كان يقول له وقتها: «فداك أبي وأمي».
(٣) الأكحل: عرق في وسط الذراع يكثر فصده، وإذا قُطِعَ في اليد لم يَرقأ الدّمُ.
(٤) في الديوان: «وقد أراني أمامَ الحيّ منتطقاً».
(٥) السابغة: الطويلة. والنِّهْيُ: الغدير. والشطر الثاني في الديوان:
«تَغْشَى الأنامِلَ مثلُ النِّهْيِ بالقَاعِ»

قال: فضحِكَ رسولُ اللهﷺ؛ فظنّ حسّان أنه ضَحِكَ من صفته نَفْسَه مع جُبْنِهِ.

قال الزُّبَيْر: وحدّثني محمد بن الحسن قال: قال حَسَّان بن ثابت: جِئتُ نابغةَ بني ذُبيان، فوجدتُ الخنساء بنتَ عَمْرو حين قامتْ من عنده، فأنشدتُه؛ فقال: إنّك لشاعرٌ، وإنّ أُختَ بني سُلَيم لَبَكَّاءة.

قال الزُّبير: وحدّثني يحيى بن طَلْحَةَ بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّديق قال أخبرني غير واحدٍ من مَشايخي: أنّ الحُطَيئةَ وقفَ على حَسّان بن ثابت وحَسَّانُ يُنْشِدُ من شِعْره، فقال له حسّان وهو لا يعرفه: كيف تَسْمَع هذا الشِّعْرَ يا أعرابيّ؟ قال الحُطَيْئة: لا أرى به بأساً. فغضِبَ حَسّان وقال: اسْمَعُوا إلى كلامِ هذا الأعرابيّ، ما كُنْيَتُكَ؟ قال: أبو مُلَيْكَة. قال: ما كنتَ قَطُّ أهْوَنَ عَلَيَّ منكَ حين كُنِّيتَ بامرأةٍ؛ فما اسْمُك؟ قال: الحُطَيْئة، فقال حسَّان: امْضِ بسلام.

[اتّهمه الأعشى بالبخل فانتقم منه]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حَدَّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ قال: حَدّثنا عبد الله به شَبِيب قال: حَدَّثني الزُّبير، وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدّثني الزُّبير قال: حَدّثني بعض القرشيين قال:

دخل حسّان بن ثابت في الجاهليّة بيتَ خَمَّارٍ بالشَّام ومعه أعْشَى بَكْر بن وائل، فاشتريا خمراً وشَرِبا؛ فنام حَسّان ثم انتبه، فسَمِعَ الأعشى يقول للخمّار: كَرِهَ الشّيخ الغُرْمَ[1] فتركه حسَّانُ حتَّى نام، ثم اشترى خمر الخمَّار كلَّها، ثم سَكَبها في البيت حتَّى سالتْ تحت الأعشى؛ فَعلِمَ أنّه سمِع كلامه فاعتذر إليه؛ فقال حَسّان:

[الطويل]

وَلَسْنَا بِشَرْبٍ فَوْقَهُمْ ظِلُّ بُرْدَةٍ ... يُعِدُّونَ لِلْخَمَّارِ تَيْساً ومِفْصَدَا[2]

ولكِنَّنا شَرْبٌ كِرَامٌ إذا انْتَشَوْا ... أَهَانُوا الصَّرِيحَ والسَّدِيفَ المُسَرْهَدَا[3]

---

(١) الغُرْم: الخسارة.

(٢) الشَّرْب: جماعة الشاربين. والمِفصَد: آلة الفصد، أي هم لا يفصدون التيس ويأكلون لحمه. وفي الديوان «للحانوت» بدل «للخمّار».

(٣) الصّريح: اللبن الخالص، وفي الديوان الصَّبُوح. والسّديف: لحم السنام. والمسرهد: السمين.

كـأنَّـهُـمُ مَـاتُـوا زَمَـانَ حَـلِـيـمَـةٍ ... فإنْ تَأْتِهِمْ تَحْمَدْ نِدَامَتَهُمْ غَدَا(٤)
وإنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيوتِهِمْ ... مِنَ المِسْكِ والجَادِي فَتِيتاً مُبَدَّدَا(٥)
تَرَى حولَ أَثْنَاءِ الزَّرَابِيِّ ساقطاً ... نِعَالاً وقُسُوباً ورَيْطاً مُنَضَّدَا(٦)
وذَا نُمْرُقٍ يَسْعَى ومُلْصِقَ خَدِّهِ ... بِديبَاجَةٍ تَكْفَافُها قد تَقَدَّدَا(٧)

وهذه القصيدة يقولها حَسّان بن ثابت في وَقْعَة بَدْرٍ يفخَرُ بها ويعَيِّر الحارث ابن هشام بِفَراره عن أخيه أبي جهل بن هشام. وفيها يقول:

صوت

[الكامل]

إنْ كُنْتِ كاذِبَةَ الّذي حَدَّثْتِنِي ... فنَجَوْتِ مَنْجَى الحَارِثِ بْنِ هشام
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ ... ونَجَا بِرأسِ طِمِرَّةٍ ولِجَامِ(٨)

ـ غنّاه يحيى المكيّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى، ولِعَزَّة المَيْلاء فيه خفيفُ رمل بالبِنْصَر، وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر لموسى بن خارجةَ الكوفيّ ـ فأجاب الحارث بن هشام، وهو مشركٌ يومئذٍ، فقال:

صوت

[الكامل]

اللّهُ يَعْلَمُ ما تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ ... حَتَّى رَمَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ(٩)
وعَلِمْتُ أَنّي إنْ أُقَاتِلْ وَاحِداً ... أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّيَ مَشْهَدي
فَفَرَرْتُ مِنهمْ والأَحِبَّةُ فيهِمُ ... طَمَعاً لهم بِعقَابِ يَومٍ مُرْصَدِ

---

(١) زمان حليمة: هو يوم من أيام العرب المشهورة وفيه قيل المثل المعروف «ما يوم حليمة بسرّ» وفي هذا اليوم أخرجت حليمة الطِّيبَ وطيّبت به كلّ جيش والدها الذي توجّه لقتال المنذر. والندامة: المنادمة. ورواية الديوان:
وتَحْسَبُهُمْ ماتوا زمانَ حليمةٍ ... وإن تأتِهِمْ تَحْمَدْ نِدامَهُمُ غدا
(٢) الجادي: الزعفران. ورواية الديوان:
إذا جلسوا ألفيتَ رَشْحَ جلودِهم ... مِنَ المسكِ والجاديّ جَفْناً مُبَدَّدا
(٣) الزرابي: الطنافس والوسائد. والقسّوب: الخِفاف. والرَّيْط: جمع الرّيطة: كل ثوب رقيق ليّن، والملاءة من قطعة واحدة.
(٤) رواية الديوان «وذو نَطَفٍ» والنّمرق: وسادة صغيرة أو ما يفترشه الراكب على الرَّحْل. وتقدّد: تقطّع.
(٥) الطِّمِرَّة: الفرس الطويلة القوائم المتوثبة للعدو.
(٦) الأشقر: من الدم: الذي صار علقاً ولم يعلُه الغبار. والزبد: البياض الذي يعلوه.

غنّى فيه إبراهيم المَوْصليّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبِنْصَر، وقيل: بل هو لفُلَيْح.

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال: حَدّثني سليمان بن أيوب قال: حَدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال: لمّا صار ابنُ الأشعث إلى رُتْبِيل[1]، تَمَثَّلَ رُتْبِيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام: [الكامل]

تَـرَكَ الأَحِـبَّـة أنْ يُـقَـاتِـلَ دُونَـهُـمْ ونَـجَـا بـرأسِ طِـمِـرَّةٍ ولِـجَـامِ

فقال له ابن الأشعث: أوَ ما سَمِعْتَ ما ردّ عليه الحارث بن هشام؟ قال: وما هو؟ فقال قال:

اللّـهُ يـعـلَـم مـا تَـرَكْـتُ قِـتـالَـهـم حـتّـى رَمَـوْا فَـرَسـي بِـأَشْـقَـرَ مُـزْبِـدِ
وَعَـلِـمْـتُ أَنّـي إنْ أُقَـاتِـلْ واحِـداً أُقْـتَـلْ ولا يَـضْـرُرْ عَـدُوّيَ مَـشْـهَـدي
فَـصَـدَدْتُ عَـنْـهُـمْ والأَحِـبَّـةُ فـيـهـمُ طَـمَـعـاً لـهـم بِـعـقـابِ يَـومِ مُـرْصَـدِ

فقال رُتْبِيل: يا معشرَ العرب، حَسَّنتم كلَّ شيء حتى حسَّنتم الفِرَار.

---

(١) رُتبيل: صاحب الترك بنواحي سجستان غزاه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في سنة ٨٠ هـ من قِبَل الحجاج فاستولى على الحصون وأخذ الغنائم.

ذكر الخبر عن غزاة بدر

[أخبار غزاة بدر]

حدّثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في المَغَازي قال: حَدّثنا محمد بن حُمَيد قال: حَدّثنا سَلمَةُ قال: حَدّثني محمد بن إسحاق قال: حَدّثني محمد بن مُسْلِم الزُّهريّ وعاصم بن عُمَر بن قَتَادة وعبدُ اللَّه بن أبي بكر ويزيد بن رُومانَ عن غزوةِ بدْرٍ وغيرُهم من علمائنا عن عبد الله بن عبّاس، كلٌّ قد حَدّثني بعض هذا الحديث، فاجتَمع حديثُهم فيما سمعتُ من حديث بدر، قالوا:

لمّا سَمِعَ رسولُ اللهِﷺ بأبي سُفْيان مُقْبِلاً من الشّام ندَبَ المسلمين إليهم، وقال: «هذه عِيرُ قريش فيها أموالُهم فاخرجُوا إليها؛ فلعلّ الله أن ينَفِّلكُموها»[1]، فانتدب النّاسُ، فخفَّ بعضُهم وثَقُل بعضهم؛ وذلك أنّهم لم يظنُّوا أنّ رسول اللهﷺ يَلْقَى حرباً. وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسَّسُ الأخبارَ، ويسأل مَنْ لَقِيَ من الرُّكبان، تَخوُّفاً على أموالِ الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً استنفر أصحابَه لك ولعيرك، فجَدَّ عند ذلك فاستأجر ضَمْضَمَ بن عَمْرو الغِفَاريّ فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتيَ قريشاً يَسْتَنْفِرهم إلى أموالهم ويُخبِرُهم أنّ محمداً قد عرضَ لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

[رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب]

قال ابن إسحاق: وحَدّثني مَنْ لا أَتَّهِمُ عن عِكْرمة مولى ابن عبّاس ويزيد بن رُومان عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَير قال: وقد رأتْ عاتكة بنت عبد المُطَّلِب قبل قدوم

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢:١. والسيوطي في الدر المنثور ٣:١٦٨، وابن كثير في تفسيره ٣:٥٥٧، والقرطبي في تفسيره ٧:٣٧٣، والطبري في تفسيره ٩:١٢٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٣:٢٥٦.

ضَمْضَم مكة بثلاثِ ليالٍ رُؤْيَا أَفزعتْها، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب، فقالت: يا أخي، واللّهِ لقد رأيتُ اللّيلةَ رؤيَا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخلَ على قومك منها شَرٌّ أو مُصِيبة، فاكتُمْ عني ما أُحَدِّثُكَ. قال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وَقَف بالأبطَح[١]، ثم صرَخ بأعلى صوته: أنِ انْفِروا يا آلَ غُدَر[٢] لمصارِعكم في ثلاث؛ وأرى النّاسَ قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناسُ يتبعونه؛ فبينما هُم حولَه مَثَلَ به بعيرُه على ظهر الكعبة، ثم صَرخَ بأعلى صوته: انفِرُوا يا آلَ غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث، ثم مَثَلَ به بعيرُه على رأس أبي قُبَيْس[٣] فصرَخَ بمثلها، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلتْ تَهْوِي، حتّى إذا كانت بأسفلِ الجبل ارْفَضَّت[٤]، فما بَقِيَ بيتٌ من بيوت مكةَ ولا دارٌ من دُورها إلاّ دخلتْها منها فِلْقَةٌ. قال العباس: إنّ هذه لَرُؤْيَا، وأنتِ فاكتُمِيها ولا تذكريها لأحدٍ. ثم خرج العبّاس فلَقي الوليدَ بن عُتْبة بن ربيعة، وكان له صديقاً، فذكَرها له واستكتمه إيَّاها؛ فذكرها الوليدُ لأبيه عُتْبة، ففشا الحديثُ بمكة حتى تحدّثت به قريش. قال العبّاس: فغدوتُ أطوف بالبيت، وأبو جهلٍ بن هشام ورَهْطٌ من قريش قعُودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة. فلمّا رآني أبو جهل قال: يا أبا الفَضْل، إذا فرغتَ من طَوَافِكَ فأَقْبِلْ إلينا؛ فلمّا فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم. فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النَّبِيّة؟! قال: قلتُ: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأتْ عاتكة. قلت: وما رأتْ؟ قال: يا بني عبد المطّلب، أما رَضِيتم أن تتنبَّأ رجالُكم حتى تتنبَّأ نساؤكم! قد زعمتْ عاتكة في رؤياها أنّها قالت: انْفِروا في ثلاثٍ فسنتربّصُ بكم هذه الثلاثَ، فإن يكن ما قالتْ حقّاً فسيكون، وإن تَمْضِ الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيء نَكْتُبْ كتاباً عليكم أنّكم أكذبُ أهلِ بيتٍ في العرب. قال العبّاس: فواللّهِ ما كان إليه منّي كبيرٌ إلاّ أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً. قال: ثم تفرّقنا. فلمّا أمسينا لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المُطّلب إلاّ أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيثِ أن يَقع في رجالكم، ويتناولَ النساءَ وأنت تسمع، ولم يكن عندك

(١) الأبطح: موضع قريب إلى مِنًى وهو يضاف إليها أو إلى مكة. (معجم البلدان ١: ٧٤).

(٢) غدر معدول عن غادر للمبالغة ويستعمل في النداء في الشتم فيقال يا آل غدر للجمع ويا غدر للمفرد.

(٣) أبو قبيس: جبل بمكة، وفي التهذيب: جبل مشرف على مسجد مكة سُمِّيَ برجلٍ من مذحج اسمه قبيس وهو أوّل مَنْ بنى فيه (تاج العروس، قبس).

(٤) ارفضّت: تفرّقت.

غيْرٌ[١] لشيء مما سمعتَ؟ قلتُ: قد والله فعلتُ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ، وايْمُ اللَّهِ لأتَعَرَّضنّ له؛ فإنْ عاد لأكْفِيَنَّكَّه. قال: فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حَدِيدٌ مغْضبٌ أرَى أنّي قد فاتني منه أمرٌ أُحبُّ أن أُدْرِكَه منه. قال: فدخلتُ المسجدَ فرأيتُه، فوالله إنّي لأمشي نحوَه العِرَضْنَة[٢] ليعود لبعضِ ما كان فأُوقِعَ به. وكان رجلاً خفيفاً حديدَ الوَجْهِ حديدَ اللّسان حديدَ النَّظَر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ، قال: قلت في نفسي: ما له لعَنه الله! أكُلُّ هذا فَرَقاً[٣] أنْ أُشاتِمَه! فإذا هو قد سمِع ما لم أسمَعْ، صوتَ ضَمْضَمَ بن عمرو الغفَارِيّ وهو يصرخُ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جَدَّعَ[٤] بعيرَه وحوَّلَ رَحْلَه وشَقَّ قَمِيصه وهو يقول: يا معشرَ قريش اللَّطِيمة[٥] اللَّطيمة! أموالُكم مع أبي سفيان بن حَرْب قد عَرَضَ لها محمد في أصحابه، لا أرَى أنْ تُدْرِكوها! الغَوْثَ الغوثَ! قال: فشَغلني عنه وشَغَله عنّي ما جاء من الأمر. قال: فتجهَّزَ الناسُ سِراعاً، وقالوا: لا يَظُنَّ محمدٌ وأصحابُه أن تكون كعِير ابن الحَضْرمِيّ، كلاً والله لَيَعْلَمُنَّ غيرَ ذلك! فكانوا بين رجلين: إمّا خارج وإمّا باعث مكانَه رجلاً. وأوعبتْ[٦] قريش فلم يتخلَّفْ من أشرافها أحدٌ إلا أبو لَهَب بن عبد المُطّلب تخلَّفَ فبعث مكانَه العاصي بن هشام بن المُغيرة، وكان لَطَّ[٧] له بأربعة آلاف درهم كانتْ له عليه، فأفلس بها، فاستأجره بها على أن يُجْزِىءَ عنه بعْثَه، فخرج عنه وتخلَّف أبو لهب، هكذا في الحديث. فذكر أبو عُبَيدة وابنُ الكلبيّ أنّ أبا لهبٍ قامَر العاصي بن هشام في مائةٍ من الإبل، فقَمَره[٨] أبو لهب، ثم عاد فَقَمره أيضاً، ثم عاد فقَمَره أيضاً الثالثةَ، فذهب بكلِّ ما كان يَمْلِكُه. فقال له العاصي: أرى القِداحَ[٩] قد حالفتْك يابنَ عبد المطَّلب، هَلُمَّ نجعَلْها على أيِّنا يكون عبداً لصاحبه، قال: ذلك لك؛ فدَحاها[١٠] فقَمَره أبو لهب،

---

(١) غَيْرٌ: غيرة.
(٢) العِرضنة: النشاط.
(٣) الفَرَق: الخوف.
(٤) جَدّعَه: قال له: جَدْعاً لكَ.
(٥) اللّطيمة: العير التي تحمل بضائع التجارة من مسك وغيره.
(٦) أوعبت: خرجت كلها.
(٧) لطَّ حقّه: ماطل فيه ومنعه.
(٨) قمره: غلبه.
(٩) القداح: جمع القدح: قطع من الخشب تستعمل في الميسر.
(١٠) دحاها: رماها.

فأسْلَمه قيناً، وكان يأخذ منه ضريبةً. فلما كان يومُ بَدْرٍ وأخذتْ قريش كلَّ منْ لم يخرُجْ بإخراج رجلٍ مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشَرطَ له العِتْقَ؛ فخرج فقَتَلَه عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه.

[رجع الحديث إلى وقعة بدر]

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح أنّ أُميّةَ بنَ خَلَفٍ كان قد أجمع القعودَ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فجاءه عُقْبةُ بن أبي مُعَيْط وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهْرانَيْ قومه بِمجْمرَةٍ يحملها، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ[1]، حتَّى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، اسْتَجْمِرْ فإنّما أنتَ من النساء! قال: قَبّحَكَ الله وقبّح ما جِئتَ به! ثم تجهّزَ وخرج مع الناس. فلمّا فرغوا من جهازهم وأجمعوا السيرَ، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة من الحرب، فقالوا: إنّا نخشَى أن يأتُوا من خَلْفِنا.

قال محمد بن إسحاق: فحدّثني يزيد بن رُومان عن عُرْوةَ بن الزُّبير قال: لمّا أجمعتْ قريش المسيرَ ذكرتِ الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مَنَاةَ، فكاد ذلك أن يُثَبِّطهُمْ، فتبدّى لهم إبليسُ في صورة سُراقَة بن جُعْشُم المُدْلجِيّ، وكان من أشراف بني كِنانةَ فقال: إنِّي جارٌ لكم مِنْ أن تأتيكم كِنانةُ من خَلْفِكم بشيءٍ تَكْرَهونه، فخرجوا سِرَاعاً.

[جيش النبي: عدده والطريق التي سلكها وأنصاره]

وخرج رسولُ اللهﷺ ـ فيما بَلَغني عن غير ابن إسحاق ـ لثلاث ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظَّم في ثلاثمائةٍ وبِضْعة عَشَرَ رجلاً من أصحابه. فاختُلِفَ في مبلغ الزيادة على العشرة؛ فقال بعضُهم: كانوا ثلاثمائة وثلاثةَ عَشَرَ رجلاً. وكان المهاجرون يومَ بَدْرٍ سبعةً وسبعين رجلاً، وكان الأنصار مائتين وستةً وثلاثين رجلاً، وكان صاحبُ راية رسول اللهﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان صاحبُ راية الأنصار سَعْدَ بن عُبادةَ.

حدّثنا محمد قال: حَدّثنا هارون بن إسحاق قال: حَدَّثنا مُصْعَب بن المِقْدام،

---

(١) المِجْمَر: العود يُتَبَخَّر به.

قال أبو جعفر وحدَّثني محمد بن إسحاق الأَهْوازيّ قال: حَدّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال: حَدَّثنا إسرائيل قال: حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال: كنا نتحدّثُ أنّ عدّة أصحابِ بَدْرٍ على عِدّة أصحابِ طالوتَ الذين جازوا معه النهر ـ ولم يَجُزْ معه إلاّ مؤمن ـ ثلاثمائةٍ وبِضْعةَ عَشرَ.

قال ابن إسحاق في حديثه عمّن روَى عنه: وخرج رسول اللهﷺ في أصحابه، وجعل على السّاقة[١] قَيْسَ بن أبي صَعْصَعَة أخا بني مازِن بن النجّار في ليالٍ مضت من رمضان، فسار حتّى إذا كان قريباً من الصَّفْراء بعَثَ بَسْبَس بن عمرو الجُهَنِيّ حليفَ بني ساعِدَة وعَدِيّ بن أبي الزَّغْباء حليفَ بني النّجّار إلى بدر يتجسَّسان له الخبرَ عن أبي سُفيان بن حَرْبٍ وغيرِه، ثم ارتحلَ رسول اللهﷺ وقدّمهما فلمّا استقبل الصَّفْراء[٢]، وهي قريةٌ بين جبلين، سأل عن جَبليْها، ما اسماهما؟ فقيل: يقال لأحدهما هذا مُسْلِح، وللآخر هذا مُخْرِىء؛ وسأل عن أهلها فقالوا: بنو النّار، وبنو حُرَاق (بطنان من غِفَار)؛ فكَرِهَهما رسولُ اللهﷺ والمرورَ بينهما، وتفاءلَ[٣] باسميهما وأسماءِ أهاليهما، فتَركهما والصفراء يساراً، وسلَكَ ذاتَ اليمين على وادٍ يقال له ذَفِرَان[٤] فخرج منه، حتّى إذا كان ببعضه نزَل، وأتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم، فاستشار النبيّﷺ النّاسَ وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المِقْدادُ بن عمرو فقال: يا رسولَ الله، امضِ لِمَا أمركَ الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى **﴿اذهَبْ أنت وربُّكَ فقاتِلاَ إنّا هاهُنا قاعدون﴾**[٥] ولكن اذهَبْ أنت وربُّك فقاتِلاَ إنّا معكما مقاتلون مُعْلَمون[٦]. فوالّذي بعَثَك بالحقّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ[٧] الغِمَاد ـ يعني مدينةَ الحبشة ـ لَجَالَدْنا

---

(١) ساقة الجيش: مؤخّرته.

(٢) الصفراء: وادٍ كثير النخل في طريق الحاج وقد سلكه رسول اللهﷺ أكثر من مرة، وبينه وبين بدر مرحلة (معجم البلدان ٣:٤١٢).

(٣) تفاءل: من الأضداد وهنا تطيّر.

(٤) ذَفِرَان: وادٍ قرب وادي الصفراء. (معجم البلدان ٣:٦).

(٥) سورة المائدة، الآية ٢٤.

(٦) معلمون: موسومون بسيما الحرب.

(٧) برْك الغماد: موضع وراء مكّة بخمس ليالٍ مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن (معجم البلدان ١:٣٩٩).

معك حتّى تَبْلُغَه. فقال رسول اللهﷺ خيراً ودعا له بخير.

حدّثنا محمد قال: حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحارِبيّ قال: حَدّثني إسماعيلُ بن إبراهيم أبو يحيى قال: حَدّثنا المُخَارِق عن طارق عن عبد اللّه بن مسعود قال: شَهِدْتُ من المِقْداد مَشْهداً لأنْ أكونَ صاحبَه أَحَبُّ إليّ مما في الأرض من كلِّ شيء، كان رجلاً فارساً، وكان رسول اللهﷺ إذا غَضِبَ احْمَارَّتْ وَجْنتاه، فأتاه المِقْدادُ على تلك الحال، فقال: أَبْشِرْ يا رسولَ الله، فوالله لا نقولُ لك كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى ﴿**اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلاَ إنَّا هاهنا قاعِدون**﴾ ولكن والّذي بَعَثَك بالحقِّ لَنكونَنّ بين يديك ومِنْ خَلْفك وعن يمينك وشِمالك أو يَفْتَحَ اللّهُ تبارك وتعالى.

ثم قال رسول اللهﷺ: «أَشِيروا عليَّ أيُّها النّاس»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنّهم كانوا عَدَدَ الناس، وأنّهم حين بايعوا بالعَقَبة قالوا: يا رسولَ الله إنا بُرَآء من ذِمامِكَ[1] حتّى تصيرَ إلى دارنا، فإذا وصلتَ فأنت في ذِمامنا، نَمْنَعُكَ مما نمنَع منه أنفسَنا وأبناءنا ونساءَنا. فكان رسولُ اللهﷺ يتخوّفُ ألاّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرتَه إلاّ ممن دَهِمه بالمدينة من عَدُوّه، وأنْ ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ في غير بلادهم. فلما قال ذلك رسول اللهﷺ قال له سَعْدُ بن مُعَاذ: والله لكأنك تُريدنا يا رسول الله. قال: «أجل». قال: فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشَهِدْنا أنّ ما جِئْتَ به هو الحقُّ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السّمع والطاعة، فامضِ بنا يا رسولَ اللّهِ لِمَا أردت فنحن معك. فوالّذي بعَثَكَ بالحقِّ لو استعرضتَ[2] بنا هذا البحرَ وخُضْتَه لَخُضْناه معك ما يتخلَّفُ منَّا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقَى بنا عدوّاً غداً؛ إنَّا لَصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللِّقاء، لعلّ اللّهَ تعالى أن يُرِيكَ منّا ما تَقرُّ به عَيْنُكَ؛ فَسِرْ بنا على بركةِ الله. فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ بقول سعد ونَشَّطه ذلك؛ ثم قال: «سِيرُوا على بَرَكَةِ اللّهِ وأَبْشِروا؛ فإنّ الله قد وَعَدني إحدى الطّائفتين، واللّهِ لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم»[3]. ثم ارتحلَ رسولُ اللهﷺ من ذَفِرَانَ، وسَلَك على ثَنَايَا

---

(١) الذِّمام: الحُرْمة.

(٢) استعرضت البحرَ: جئته من جانبه عرضاً.

(٣) أورده الطبري في تفسير الطبري ٩:١٢٩، والسيوطي في الدر المنثور ٣:١٦٩، وابن كثير في البداية والنهاية ٣:٢٦٢.

يُقال لها الأصافِر[١]، ثم انحطّ على بلدٍ يُقَالُ له الدَّبَّة[٢] ثم ترك الحنَّان بيمينٍ، وهو كَثيبٌ عظيم كالجبل، ثم نزل قريباً من بَدْرٍ، فَرَكِبَ هو ورجلٌ من أصحابه - قال الطّبريّ قال محمد بن إسحاق: حدّثني محمد بن يحيى بن حبّان - حتَّى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغَه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أُخبِرُكما حتى تُخبراني ممن أنتما. فقال له رسولُ اللهﷺ: «إذا أخبرتّنا أخبرناك». فقال: أوَ ذاكَ بذاكَ؟ فقال: نعم، قال الشيخ: فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإنْ كان صَدَقني الذي أخبرني، فهم اليومَ بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسولُ اللهﷺ)، وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي حدّثني صَدَقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش). فلمّا فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول اللهﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف الشيخ عنه، قال يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمِنْ ماء العراق؟ ثم رجع رسول اللهﷺ إلى أصحابه. فلما أمسى بعث عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والزّبَيْر بن العوّام، وسَعْدَ بن أبي وقَّاص في نَفَرٍ من أصحابه إلى بَدْرٍ يلتمسون له الخبر عليه - قال محمد بن إسحاق: حدّثني يزيد بن رُومانَ عن عُرْوةَ بن الزُّبير: فأصابوا رَاوِيةً[٣] لقريش فيها أَسْلَمُ غلامُ بني الحَجَّاج، وعَرِيضٌ أبو يَسَار غلامُ بني العاصي بن سعيد، فأتوْا بهما رسولَ اللهﷺ وهو يصلِّي، فسألوهما فقالا: نحن سُقَاةُ لقريش بعثونا نَسْقِيهم من الماء. فكَرِهَ القومُ خبرَهما ورجَوْا أن يكونا لأبي سُفْيان فضربوهما، فلمّا أذلقوهما[٤] قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، وركَعَ رسولُ اللهﷺ وسجد سجدتين ثم سلَّم، ثم قال: «إذا صَدَقاكم ضربتموهما، فإذا كَذَباكم تركتموهما، صَدَقَا واللّهِ إنَّهما لقريش أَخْبِراني أين قريش»؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصْوَى - والكثيبُ: العَقَنْقَل - فقال لهما رسولُ اللهﷺ: «كمِ

---

(١) الأصافر: هي جبال مجموعة تسمّى بهذا الاسم، وهي ثنايا سلكها النبيﷺ في طريقه إلى بدر. (معجم البلدان ١:٢٠٦).

(٢) الدّبّة: بلد بين الأصافر وبدر مَرّ منه الرسولﷺ لما سار إلى بدر. (معجم البلدان ٢:٤٣٨).

(٣) الحنّان: رمل بين مكة والمدينة قرب بدر، وهو كثيب عظيم كالجبل وقد سلكها الرسولﷺ في مسيره إلى بدر. (معجم البلدان ٢:٣١٠).

(٤) الراوية: قوم يستقون الماء على الدواب.

(٥) أذلقه: أرهقه وأضعفه.

القومُ»؟ قالا: لا ندري. قال: «كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم»؟ قالا: يوماً تسْعاً ويوماً عَشْراً. فقال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التِّسعمائة والألفِ». ثم قال لهما رسول الله ﷺ: «فمَنْ فيهم من أشراف قريش»؟ قالا: عُتْبةُ بن رَبيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو البَخْتريّ بن هشام، وحَكِيمُ بن حِزَام، ونَوْفَلُ بن خُوَيْلِد، والحارثُ بن عامر بن نَوْفَل، وطُعَيْمَةُ بن عَدِيّ، والنَّضْرُ بن الحارث، وزَمْعَة بن الأسْوَد، وأبو جهل بن هشام، وأُمَيَّةُ بن خَلَفٍ، ونُبَيْهُ ومُنَبِّه ابنا الحجّاج، وسُهَيْل بن عمرو، وعمرو بن وُدّ. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هذه مكّة قد رَمَتْ إليكم أفلاذَ كَبِدها»[١].

قال ابن إسحاق: وقد كان بَسْبَسُ بن عمرو وعَديّ بن أبي الزَّغْباء مَضيَا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تَلٍّ قريبٍ من الماء، ثم أخذا شَنّاً[٢] يستقيان فيه، ومَجْدِيُّ بن عمرو الجُهَنيّ على الماء، فسمع عَدِيٌّ وبَسْبَسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمانِ[٣] على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنّما تأتي العِيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعمَلُ لهم ثم أقْضِيك الذي لكِ. قال مَجْدِيٌّ: صَدَقْتِ، ثم خَلَّصَ بينهما. وسَمِعَ ذلك عديٌّ وبَسْبَس فجلسا على بَعِيريْهما ثم انطلقا حتى أتَيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سَمِعا. وأقبل أبو سُفيان قد تقدّم العِيرَ حَذِراً حتى ورد الماءَ، فقال لمجديّ بن عمرو: هل أحسستَ أحداً؟ قال: ما رأيتُ أحداً أُنْكِره، إلاَّ أنّي رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا في شَنٍّ لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مُنَاخَهما فأخذ من أبعار بعيريْهما فَفَتَّهُ فإذا فيه النَّوَى، فقال: هذه والله علائفُ يَثْرِب! فرجع إلى أصحابه سريعاً فصَرَف وجْهَ عِيرِهِ عن الطريق فساحَلَ بها[٤] وترك بدراً يَساراً ثم انطلق حتّى أسرع.

وأقبلت قريش، فلمّا نزلوا الجُحْفَة[٥] رأى جُهَيْم بن أبي الصَّلْت بن مَخْرَمة ابن عبد المُطَّلِب بن عبد مَنَافٍ رُؤيَا، فقال: إنّي رأيت فيما يرى النائم، وإنّي لَبَيْنَ

---

(١) دلائل النبوة ٣: ٤٣، وتفسير ابن كثير ٤: ١١، والبداية والنهاية لابن كثير ٣: ٢٦٥.

(٢) الشنّ: القِربة الصغيرة.

(٣) تتلازمان: تتعلق الواحدة بالأخرى.

(٤) سَاحَلَ: اتجه نحو الساحل.

(٥) الجُحْفة: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وقيل: هي على بعد ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة. (معجم البلدان ٢: ١١١).

النائم واليَقْظان إذْ نظرتُ إلى رجلٍ أقبلَ على فَرَسٍ ومعه بعيرٌ له ثم قال: قُتِلَ عُتْبةُ ابن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، وأبو الحكم بن هِشَام، وأُمَيَّةُ بن خَلَفٍ، وفلانٌ وفلان ـ فعدّد رجالاً ممن قُتِلَ يومئذٍ من أشراف قريش ـ ورأيتُه ضرَب في لَبّة[1] بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بَقِي خباءٌ من أخبية العسكر إلاّ أصابه نَضْحٌ من دمه. قال: فبلغَتْ أبا جهل فقال: وهذا أيضاً نبيٌّ آخَرُ من بني عبد المطّلب! سيعلم غداً مَنِ المقتول إنْ نحن التقينا. ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عِيرَه، أرسل إلى قريش: إنكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورِحَالَكم وأموالَكم فقد نَجَّاها الله فارجِعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً ـ وكان بدرٌ مَوْسِماً من مواسم العرب تجتمع به، لهم بها سُوقٌ كلَّ عام ـ فنُقيم عليه ثلاثاً، ونَنْحَرُ الجُزُرَ ونُطْعِمُ الطعامَ ونسقي الخمور، وتَعْزِف علينا القِيَان، وتسمَع بنا العربُ بمسيرِنا وجَمْعِنا، فلا يزالون يَهَابُوننا أبداً، فامْضُوا. فقال الأخْنَس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْبٍ الثَّقَفيّ، وكان حليفاً لبني زُهْرَةَ، وهم بالجُحْفة: يا بني زُهْرة قد نَجَّى اللَّهُ لكم عِيرَكُمْ وخَلَّصَ لكم صاحبكم مَخْرَمة بن نَوْفَل، وإنّما نَفرتم لتمنعوه ومالَه، فاجعلوا بي جُبْنَها وارجِعوا؛ فإنّه لا حاجةَ بكم في أن تخرُجوا في غير ضَيْعةٍ لما يقول هذا (يعني أبا جهل)، فلم يَشْهَدْها زُهْرِيّ، وكان فيهم مُطاعاً، ولم يكن بَقِي من قريش بطنٌ إلاّ نَفَر منهم ناسٌ، إلاّ بني عَدِيّ بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد. فرجعتْ بنو زُهْرة مع الأخْنَس بن شَرِيق، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد. ومضى القوم، وقد كان بين طالب بن أبي طالب ـ وكان في القوم ـ وبين بعض قريش محاورةٌ؛ فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم ـ وإنْ خرجتم معنا ـ أنّ هواكم لَمَعَ محمد؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع. وأمّا ابنُ الكلبيّ فإنه قال فيما حُدّثتُ عنه: شَخَص طالبُ بن أبي طالب إلى بَدْرٍ مع المشركين، أُخْرِجَ كَرْهاً، فلم يُوجَد في الأسرَى ولا في القَتْلَى ولم يرجع إلى أهله، وكان شاعراً، وهو الذي يقول: [الرجز]

يا رَبِّ إمّا يَغْزُوَنّ طَالِبْ ... في مِقْنَبٍ مِنْ هذه المَقَانِبْ[2]

فَلْيَكُنِ المَسْلُوبَ غيرَ السَّالِبْ ... وليكنِ المغلوبَ غيرَ الغالبْ

قال: ومضت قريش حتّى نزلوا بالعُدْوَةِ القُصْوى من الوادي خَلْفَ العَقَنْقَل،

(١) اللّبّة: المنحر من البعير وموضع القلادة في العنق.
(٢) المقنب: جماعة الفرسان والخيل وهي دون المائة.

وبطنُ الوادي، وهو يَليل[١] بين بَدْرٍ وبين العقنقل: الكثيب الذي خلْفَه قريشٌ. والقليب[٢] ببدر من العُدْوة الدُّنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة. وبعَثَ اللَّهُ عزّ وجلّ السماءَ، وكان الوادي دَهْساً[٣]، فأصاب رسولَ اللهﷺ وأصحابَه منها ما لَبَّدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ، وأصاب قريشاً منها ما لم يَقْدِروا على أن يرتحِلوا معه. فخرج رسولُ اللهﷺ يبادرهم إلى الماء حتّى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عشرة رجالٍ من بني سَلَمَة ذكروا أنّ الحُبَابَ بن المُنْذِر بن الجَمُوح قال: يا رسولَ الله، أرأيتَ هذا المنزلَ، أمنزلٌ أَنْزَلَكَهُ اللّهُ ليس لنا أن نَتقدّمه ولا نتأخَّرَ عنه، أم هو الرأي والحربُ والمَكِيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، فقال: يا رسولَ الله، إنّ هذا ليس لك بمنزِل، فانْهَضْ بالناس حتّى تأتيَ أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزلَهُ، ثم تُعَوِّرَ[٤] ما سواه من القُلُب ثم تبنيَ عليه حوضاً فتملأه ماءً، ثم نُقاتِلَ القومَ فنشرب ولا يشربوا. فقال رسولُ اللهﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي». فنهض رسولُ اللهﷺ ومَنْ معه من الناس حتّى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه، ثم أمَرَ بالقُلُب فَعُوِّرَتْ وبَنَوْا حوضاً على القَليب الذي نزل عليه فَمُلِىءَ ماءً ثم قذفوا فيه الآنية.

قال محمد بن إسحاق: فحدّثني محمد بن أبي بكر أنّ سعد بن مُعَاذ قال: يا رسول الله، نَبْنِي لك عَرِيشاً من جريدٍ فتكون فيه ونُعِدُّ عندك ركائبَكَ ثم نَلْقَى عدوَّنَا، فإن نحن أعزَّنا الله وأظهرَنا على عدوِّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأُخرى جلستَ على ركائبك فلَحِقْتَ بمن وراءنا من قومنا؛ فقد تخلَّفَ عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأشدَّ حُبّاً لك منهم، ولو ظنّوا أنّكَ تَلقَى حرباً ما تخلَّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يُناصحونك ويُجاهدون معك، فأثنى عليه رسول اللهﷺ خيراً، ودعا له بخير. ثم بُنِيَ لرسول اللهﷺ عَرِيشٌ فكان فيه. وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ وأقبلتْ. فلمّا رآها رسول اللهﷺ تَصَوَّبَ[٥] من العقنقل ـ وهو الكثيب الذي منه

---

(١) يليل: اسم قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة وفيه عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر العيون، وفيها نخيل ووادي يليل يصبّ في البحر. (معجم البلدان ٥ : ٤٤١).

(٢) القَلِيب: جبل الشربة، والقُلَيْب: ماء لبني ربيعة، والقُلَيِّب: ماء بنجد في ديار بني أسد. (معجم البلدان ٤ : ٣٩٤).

(٣) الدّهس: الأرض السهلة يثقل فيها المشي.

(٤) تعوّر: تردم.

(٥) تصوّب: انحدر من أعلى.

جاءوا ـ إلى الوادي قال: «اللّهُمّ هذي قريشٌ قد أقبلتْ بخُيَلائها وفَخْرها تُحادُّك وتكذِّبُ رسولَك، اللّهُمّ فَنَصْرَكَ الذي وعدتَني، اللّهُمَّ فأَحِنْهُمُ الغداة»[١]. وقد قال رسولُ اللهﷺ ورأى عُتْبَة بن ربيعةَ في القوم على جمل له أحمرَ: «إنْ يَكُنْ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يُطيعوه يَرْشُدوا»[٢]. وقد كان خُفاف بن إيماء بن رَحَضة الغِفَاريّ، أو أبوه أيْما بن رَحَضَة، بعث إلى قريش حين مَرُّوا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم: إنْ أحببتم أن نُمِدّكم بسلاح ورجالٍ فعلنا فأرسلوا إليه مع ابنه: أن وَصَلتْكَ رَحِمٌ! فقد قضيتَ الذي عليك فلَعَمْري لَئِنْ كنّا إنّما نُقاتل الناس فما بنا ضعفٌ عنهم ولئن كنا نُقاتل اللّهَ كما يزعمُ محمد فما لأحدٍ بالله من طاقةٍ، فلمّا نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوضَ حَوْضَ رسولِ اللهﷺ. فقال رسولُ اللهﷺ: «دَعُوهم»، فما شَرِبَ منهم رجلٌ إلاّ قُتِلَ يومئذ، إلاّ ما كان من حَكِيم بن حِزَام فإنّه لم يُقْتَلْ نجا على فرس له يقال له الوَجِيه، وأسلمَ بعد ذلك فحسُنَ إسلامُهُ؛ فكان إذا اجتهد في يمينه قال: والذي نجّاني من يوم بَدْرٍ.

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسَارٍ وغيرُه من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا: لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمَيْر بن وَهْبِ الجُمَحِيّ فقالوا: احْزُرْ[٣] لنا أصحابَ محمد؛ فاستجال بفرسه حولَ العسكر ثم رجَع إليهم، فقال: ثلاثمائة رجل يَزيدون قليلاً أو يَنْقُصونه، ولكن أمْهِلُوني حتّى أنظر: ألِلْقوْمِ كَمِينٌ أو مَدَدٌ. قال: فضرب في الوادي حتى أمعنَ، فلم ير شيئاً، فرجع فقال: لم أَرَ شيئاً، ولكن قد رأيتُ يا معشر قريش الوَلاَيا[٤] تحمِلُ المَنَايَا! نَواضِحُ[٥] يَثْرِب تحملُ الموتَ النّاقعَ! قومٌ ليس لهم مَنَعة ولا ملجأ إلاّ سيوفُهم. والله ما أُرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتّى يقتلَ رجلاً منكم! فإذا أصابوا منكم أعدَادهم، فما خيرُ العَيْشِ بعد ذلك، فَرَوْا رأيكُم. فلمّا سَمِع حَكِيم بن حِزَام ذلك مشى في الناس فأتى عُتْبَة بن ربيعة وقال: يا أبا الوليد، إنّكَ كبيرُ قريش الليلةَ وسيِّدها والمطاعُ فيها، هل لك

---

(١) البداية والنهاية ٣: ٢٦٨ ودلائل النبوة ٢: ٣٢١ و٣: ٥٠.

(٢) مجمع الزوائد ٦: ٧٦، والدر المنثور ٣: ١٦٧ وكنز العمال ٢٩٩٨٦.

(٣) احْزُر: خَمِّنْ.

(٤) الولايا: جمع الولية: البرذعة أو ما تحتها.

(٥) النواضح: جمع الناضح: البعير أو البعير الذي يستقى عليه.

إلى أمرٍ لا تزالُ تُذْكَرُ منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: تَرْجِعُ بالنّاسِ وتَحْمِل دَمَ حَلِيفك عمرو بن الحَضْرميّ. قال: قد فعلتُ، أنت على ذلك شهيدٌ، إنما هو حليفي فَعَلَيَّ عَقْلُه[1] وما أُصِيبَ من ماله، فَأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيَّة[2] فإنِّي لا أخشَى أن يَسْحَرَ النّاسَ غيرُه (يعني أبا جهل بن هشام).

حدّثنا محمد قال: حَدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال: حَدّثنا غمامةُ بن عمرو السَّهْمِي قال: حَدّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليَرْبُوعيّ عن أبيه عن سَعِيد بن المُسَيّب قال: بينَا نحن عند مَرْوانَ بنِ الحَكَم إذ دخل عليه حاجبهُ فقال: هذا أبو خالد حَكِيمُ بنُ حِزَام. قال: إئذَنْ له، فلمّا دخل حَكِيمُ بن حِزَام، قال: مرحباً بك يا أبا خالد، أُدْنُ؛ فحال له مَرْوان عن صَدْرِ المجلس حتَّى كان بينه وبين الوِسادة، ثم استقبله مروانُ فقال: حدّثنا حديثَ بَدْرٍ. قال: خرجْنا حتَّى إذا نزلنا الجُحْفة رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قُرَيشٍ بأَسْرِها، فلم يَشْهَد أحدٌ من مشركيهم بدراً، ثم خرجْنا حتّى نزلنا العُدْوَةَ التي قال الله عزّ وجلّ؛ فجئتُ عُتْبَة بن ربيعة فقلتُ: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهبَ بشَرَفِ هذا اليومِ ما بَقِيتَ؟ قال: أفعلُ ماذا؟ قال: قلتُ: إنّكم لا تطلبون من محمّد إلاَّ دَمَ واحدٍ: ابن الحضرميّ، وهو حليفُك، فتَحَمَّلْ دِيَتَه فيرجعَ الناسُ. قال: أنت وذاك، وأنا أتحمَّل دِيَتَه، فاذهَبْ إلى ابن الحَنْظَلِيّة (يعني أبا جهل) فقل له: هل لك أن تَرْجِع اليومَ بمن معك عن ابن عمِّك؟ فجئتُه فإذا هو في جماعة من بين يديه ومِنْ ورائه، فإذا ابنُ الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول: قد فسختُ عَقْدي من بني عبد شمس، وعَقْدِي إلى بني مخزوم. فقُلت له: يقول لك عُتْبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليومَ عن ابن عمِّك بمن معك؟ قال: أمَا وجد رسولاً غيرَك؟ قلتُ: لا، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرج مُبَادِراً إلى عُتْبة وخرجتُ معه لئلا يفوتَني من الخبر شيء، وعُتْبَةُ يتّكىء على إيماء بن رَحَضَة الغِفَاريّ، وقد أهدى إلى المشركين عَشْرَ جزائرَ، فطلَع أبو جهل والشَّرُّ في وجهه، فقال لعُتْبة: انْتَفَخَ سَحْرُكَ[3]! فقال عُتبة: فستعلم. فَسلَّ أبو جهل سيفَه فضرب به مَتْنَ فرسه؛ فقال إيماء بن رحَضَةَ: بئس المُقَامُ هذا، فعند ذلك قامتِ الحَرْب.

ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيباً، فقال: يا مَعْشَرَ قريش، والله ما تصنَعون بأن

(١) العقل: الدِّية.

(٢) الحنظلية: هي أم أبي جهل.

(٣) السَّحْر: الرئة وما حولها، ويكنى بانتفاخ السحر عن مجاوزة القدر وهنا كناية عن الجبن.

تَلْقُوا محمداً وأصحابه شيئاً! والله لئن أصبتموه، لا يزال الرجلُ منكم ينظرُ في وجه رجلٍ يكره النظرَ إليه، رجلٍ قَتَلَ ابنَ عمِّهِ أو ابنَ خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجِعُوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تَعْدمُوا منه ما تُريدون، قال حكيم: فانطلقتُ حتّى جئتُ أبا جهل، فوجدتُه قد نَثَلَ[١] دِرْعاً له من جِرَابِها وهو يُهَيِّئها؛ فقلت له: يا أبا الحكم، إنّ عتبةَ أرسلني إليك بكذا وكذا (الذي قال)؛ فقال: انتفخَ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه. كلاّ والله! لا مَرْجِعَ حتّى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه، وما بِعُتْبَة ما قال، ولكنه قد رأى أنّ محمدًا وأصحابَه أكلَةُ جَزُورٍ، وفيهم ابنُه قد تَخَوَّفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرميّ فقال له: هذا حَليفُكَ يُريد أن يرجِعَ بالناس وقد رأيتَ ثأرَك بعينك، فقُمْ فانشُدْ خُفْرتَكَ[٢] ومقتلَ أخيك. فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف[٣] ثم صَرَخَ: واعَمْراه! واعَمْراه! فحَميتِ الحربُ، وحَقِبَ[٤] أمر الناس، واستوسقُوا[٥] على ما هم عليه من الشرِّ، وأُفسِدَ على الناس الرَّأيُ الذي دعاهم إليه عُتْبة بن ربيعة. ولمّا بلغ عُتْبَة قولُ أبي جهل: «انتفخ سَحْرهُ» قال: سيعلم مُصْفَرُّ الإسْتِ مَنِ انتفخ سَحْرُه: أنا أم هو! ثم التمس عُتْبةُ بَيْضةً[٦] لِيُدْخِلَها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تَسَعُه من عِظَم هامته؛ فلمَّا رأى ذلك اعْتَجَر[٧] على رأسه ببُرْدٍ له. وقد خرج الأسْوَد بن عبد الأسَد المخزوميّ، وكان رجلاً شَرِساً سَيِّىءَ الخُلُق، فقال: أُعاهد الله لأشربَنَّ من حَوْضِهم أو لأهْدِمَنَّه أو لأموتَنَّ دونه. فلمّا خرج وخرج له حمزةُ بن عبد المُطّلِب، فلمَّا التَقَيا ضربه حمزةُ فأبانَ قَدَمه بنصف ساقه وهو دون الحَوْض فوقع على ظهره تَشْخَبُ رجلُه دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يُريد أن يُبِرَّ يمينَه.

(١) نثل: أخرج.
(٢) الخُفْرة: العهد والذمام.
(٣) اكتشف: ظهر للناس.
(٤) حقب أمر الناس: فسد وساء.
(٥) استوسقوا: اجتمعوا.
(٦) البيضة: الخوذة.
(٧) اعتجرَ: لفَّ على رأسه.

[مقتل بعض أعداء النبي]

وأتبعه حمزةُ فضربه حتَّى قتله في الحوض، ثم خرج بعده عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبَة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبَة، حتَّى إذا نَصَلَ من الصَّفِّ دعا إلى المُبارزة، فخرج إليه فِتْيَةٌ مِنَ الأنصار ثلاثةُ نَفَرٍ، وهم: عَوْف ومُعوِّذ ابنا الحارث، وأُمُّهما عَفراء، ورجلٌ آخر يقال هو عبد الله بن رَوَاحةَ؛ فقالوا: مَنْ أنتم؟ قالوا: رَهْطٌ من الأنصار قالوا: ما لنا بكم حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخْرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول اللهﷺ: «قُمْ يا حمزةُ بنَ عبد المطّلب، قُمْ يا عُبَيدةُ ابنَ الحارث، قم يا عليّ بن أبي طالب». فلمّا قاموا ودنَوْا منهم، قالوا: مَنْ أنتم؟ فقال عُبيدة: عُبَيْدَةُ، وقال حمزة: حمزة، وقال عليٌّ: عليّ. قالوا: نعمْ أكفاءٌ كِرَامٌ. فبارز عُبيدةُ بن الحارث، وكان أسنَّ القوم، عُتْبَة بن ربيعة؛ وبارز حمزةُ شيبةَ ابن ربيعة؛ وبارز عليٌّ الوليدَ بن عُتْبة، فأمّا حمزةُ فلم يُمْهِلْ شيبةَ أنْ قتله. وأما عليٌّ فلم يُمْهِل الوليدَ بن عُتْبَة أنْ قتله. واختلف عُبَيْدَةُ وعُتْبَةُ بينهما بضربتين كلاهما أثْبَتَ[1] صاحبَه، فَكَرَّ حمزةُ وعليٌّ على عتبة بأسيافهما فذَفَّفا[2] عليه فقتلاه، واحتملا صاحبِهما عُبيدة؛ فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطِعتْ رِجْلُه ومُخُّه يَسيل. فلمّا أتوْا بعُبيدة إلى رسول اللهﷺ قال: ألستُ شهيداً يا رسول الله؟ قال «بلى» فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيّاً لعلِم أنّي بما قال أحقُّ منه حيث يقول: [الطويل]

ونُسْلِمُه حتّى نُصَرَّع حولَه ... ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحَلائِلِ[3]

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني عاصِمُ بن عُمَر بن قَتَادة: أنّ عُتْبَة بن ربيعة قال للفِتْية من الأنصار حين انتسبوا له: أكفاءٌ كرامٌ، إنما نُريد قومنا. ثم تزاحفَ الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ـ وقد أمر رسولُ اللهﷺ أصحابَه ألاّ يحمِلوا حتى يأمُرَهم وقال: «إن اكتنفكم القومُ فانْضحُوهم بالنَّبْل»[4] ـ ورسولُ اللهﷺ في العَرِيش معه أبو بكر.

وكانت وَقْعَةُ بدرٍ يومَ الجمعة صَبِيحة سبعَ عَشْرة من شهر رمضان، قال ابن

---

(١) أثبت صاحبه: أثخنه بالجراح.

(٢) ذَفّفا عليه: أجهزا عليه.

(٣) الحلائل: جمع الحليلة: الزوجة.

(٤) البداية والنهاية ٣: ٢٧٤.

إسحاق كما حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين قال محمد بن جرير وحدّثنا ابن حُمَيد قال: حَدّثنا سَلمَةُ قال: قال لي محمد بن إسحاق حدّثني حبّان بن واسع ابن حَبّان عن أشياخ من قومه: أنّ رسولَ اللهﷺ عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدرٍ، وفي يده قِدْحٌ[1] يُعَدِّلُ به القومَ، فمرّ بسَواد بن غَزِيّة حليفِ بني عَدِيّ بن النّجار وهو مُسْتَنْتِلٌ[2] من الصفّ، فطعَنَ رسولُ اللهﷺ في بطنه بالقِدْح، ثم قال: «اسْتَوِ يا سواد ابن غزية»[3]، فقال: يا رسول الله، أوجَعْتَنِي! وقد بَعثكَ اَللَّهُ بالحقِّ؛ فأَقِدْني. قال: فكشَفَ رسولُ اللهﷺ عن بطنه وقال: «اسْتَقِدْ»، فاعتنقه وقبّل بطنَه، فقال: «ما حَمَلكَ على هذا يا سَوَاد»؟ فقال: يا رسول الله، حَضر ما ترى، فلم آمَنِ الموتَ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جِلْدي جلدَك؛ فدعا له رسولُ اللهﷺ بخير وقال له خيراً. ثم عدّل رسولُ اللهﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر وليس معه غيرُه، ورسولُ اللهﷺ يُناشد ربَّه ما وَعَده من النصر، ويقول فيما يقول: «اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هذه العصابة اليومَ ـ يعني المسلمين ـ لا تُعْبَد بعد اليوم»[4]، وأبو بكر يقول: يا نبيَّ الله خَلِّ بعضَ مُناشدتك ربَّك؛ فإنّ اللَّهَ مُنجِزٌ لك ما وعدك.

حدّثنا محمد بن جَرِير قال: حَدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَاربيّ قال: حَدّثنا عبد الله بن المُبَارك عن عِكْرِمة بن عمّار قال: حَدّثني سِمَاكٌ الحَنفيّ قال: سمعتُ ابنَ عبّاس يقول: حدّثني عمر بن الخطاب قال: لمّا كان يومُ بدر ونظر رسولُ اللهﷺ إلى المشركين وعِدّتهم وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثَلاثمائة، استقبلَ الكعبة وجعل يدعو ويقول: «اللَّهُمّ أَنجِزْ لِي ما وعدتَني، اللّهُمّ إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تُعْبَدْ في الأرض»[5]، فلم يَزَل كذلك حتى سَقَط رداؤه، فأخذ أبو بكر فوضع رداءَه عليه، ثم التزمه من ورائه فقال: كفاكَ يا نبيَّ اللَّهِ، بأبي أنت وأمّي، مناشدتُك لربّك، سَيُنْجِزُ لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُون رَبَّكُمْ

(١) القِدْح: السهم قبل أن ينصل ويراش.
(٢) مستنتل: متقدّم.
(٣) البداية والنهاية ٣:٢٧١.
(٤) البداية والنهاية ٣:٢٧١، ومسند أحمد بن حنبل ١:٣٢، وإتحاف السادة المتقين ٩:٢٢٨، وتفسير القرطبي ١٦:٢٦٣، وكنز العمال ٢٩٩٠.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٨٤)، وورد في الدر المنثور ٣:١٧٠، وتفسير الطبري ٩:١٢٧، وتفسير القرطبي ٤:١٩٣، وتفسير ابن كثير ٣:٣٥٨، والبداية والنهاية ٣:٢٧٢.

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[١].

حدّثنا محمد قال: حَدّثنا ابن وَكِيع قال: حَدّثنا الثَّقَفِيّ (يعني عبدَ الوهّاب) عن خالد عن عِكْرِمة عن ابنِ عَبّاس: أنّ النبيّ ﷺ قال وهو في قُبَّتِه يومَ بدرٍ: «اللَّهُمَّ أسألُك عهدَك ووَعْدَك. اللَّهمّ إن شئتَ لم تُعْبَدْ بعد اليوم»[٢]. قال: فأخذ أبو بكر بيده فقال: حَسْبُكَ يا نبيّ الله، فقد ألححتَ على رَبِّك، وهو في الدِّرْع؛ فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[٣].

[النبي يبشر بالنصر]

قال: وقد خَفَق رسولُ الله ﷺ خَفْقةً وهو في العَرِيش، ثم انتبه فقال: «يا أبا بكر أتاك نَصْرُ الله، هذا جبريلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِه يقوده وعلى ثناياه النَّقْعُ»[٤]. قال: وقد رُمِيَ مِهْجَعٌ مولى عُمَر بن الخَطّاب بسهم فقُتِلَ، فكان أوّل قَتِيلٍ من المسلمين. ثم رُمِي حارثة بن سُرَاقَةَ أحدُ بني عَدِيّ بن النجّار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نَحْرَه فقُتِلَ. ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم ونَفَّل كلَّ امرىءٍ ما أصاب، وقال: «والذي نَفْسِي بيده لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقْتَل صابراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غير مُدْبِرٍ إلاّ أدخله اللَّهُ الجنّة»[٥]. فقال عُمَيْر بن الحُمَام أخو بني سَلَمَة وفي يده تَمَراتٌ يأكلها: بَخٍ بخٍ! أمَا بيني وبين أن أدخلَ الجنَّة إلاّ أن يقتلَني هؤلاء! قال: ثم قَذَف التَّمَراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتلَ القومَ حتى قُتِل، وهو يقول: [الرجز]

رَكْضاً إلى اللَّهِ بغيرِ زَادِ ... إلاّ التُّقَى وعَمَلَ المَعَادِ
والصَّبْرَ في اللَّهِ على الجِهَادِ ... وكلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
* غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشَادِ *

حدّثنا محمد بن جَرير قال: حَدّثنا ابن حُمَيْد قال: حَدّثنا سَلَمةُ قال: حَدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمَر بن قَتَادَة: أنّ عَوْفَ بنَ الحارث، وهو ابنُ

(١) سورة الأنفال، الآية ٩.
(٢) الحديث في فتح الباري ٧:٢٨٧ ومسند أحمد ١:٣٢٩، ودلائل النبوة ٢:٣٣٣.
(٣) سورة القمر، الآية ٤٥.
(٤) البداية والنهاية ٣:٢٧٦.
(٥) نَفَّله: أعطاه غنيمة.
(٦) البداية والنهاية ٣:٢٧٨.

عَفْراء، قال: يا رسولَ الله، ما يُضْحِكُ الرَّبَّ من عبده؟ قال: «غَمْسَهُ يَدَه في العدوِّ حاسراً»؛ فنَزَعَ دِرْعاً كانت عليه فقَذَفها، ثم أخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتِلَ.

[هزيمة المشركين]

حدّثنا محمد قال: حَدّثنا ابن حُمَيْد قال: حَدّثنا سَلَمةُ عن ابن إسحاق قال: وحَدَّثني محمد بن مُسْلم الزُّهْرِيّ عن عبد الله بن ثَعْلَبة بن صُعَيْر العُذْرِيّ حليف بني زُهْرةَ قال: لمّا التقى النَّاسُ ودنا بعضُهم من بعض، قال أبو جهل: اللَّهُمّ أَقْطَعُنا لِلرَّحِمِ وآتانا بما لا يُعْرَف فأَحِنْهُ الغَدَاةَ؛ فكان هو المُسْتَفْتِحَ على نفسه. ثم إنّ رسولَ اللهﷺ أخذ حَفْنَةً من الحصباء واستقبل بها قريشاً، ثم قال: «شاهت الوجوهُ» ثم نَفَحهم[1] بها، وقال لأصحابه: «شُدُّوا»؛ فكانتِ الهزيمةُ، فقتلَ اللَّهُ مَنْ قَتَل من صَناديد قريش، وأَسَرَ مَنْ أَسر منهم. فلمّا وضع القومُ أيديهم يأسِرون ـ ورسولُ اللهﷺ في العرِيش، وسعدُ بن مُعاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسولُ الله ﷺ مُتَوَشِّحاً بالسيف في نَفَرٍ من الأنصار، يحرسُون رسولَ اللهﷺ، يخافون عليه كَرَّةَ العدوّ، رأى رسولُ اللهﷺ ـ فيما ذُكِرَ لي ـ في وجه سعد بن مُعَاذ الكراهةَ فيما يصنَعُ الناس؛ فقال له: «كأنّكَ كَرِهْتَ ما يصنَع الناس»! قال: أَجَلْ يا رسولَ الله! كانت أوّل وَقْعةٍ أوقعها الله عزّ وجلّ بأهل الشِّرك؛ فكان الإثخانُ في القَتْل أعجبَ إليّ مِنَ استبقاءِ الرجال.

حدّثنا محمد قال: حَدّثنا ابن حُمَيْد قال: حَدَّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق قال: وحدّثني العَبّاس بن عبد اللّه بن مَعْبَد عن بعض أهله عن ابن عبّاس: أنّ رسول اللهﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إنِّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرِجوا كَرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا؛ فمَنْ لَقِيَ منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُلْهُ، ومَنْ لَقِيَ أبا البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث فلا يقتُلْهُ، ومَنْ لَقِي العبَّاسَ بن عبد المُطَّلِب ـ عمّ رسول اللهﷺ ـ فلا يقتُلْهُ، فإنّما خرج مُسْتَكْرَهاً»[2]. قال: فقال أبو حُذَيفةَ بن عُتْبَةَ بن ربيعة: أَيُقْتَلُ آباؤنا وأبناؤنا وإخوانُنا وعشيرتُنا ونترك العبّاس! والله لَئِنْ لَقِيتُه لأُلْحِمَنَّه[3] السيف! فبلغتْ رسولَ اللهﷺ، فجعل يقول لعُمَر بن

---

(١) نفحهم: ضربهم.
(٢) البداية والنهاية ٣: ٢٨٤.
(٣) لألحمنّه السيفَ: لأجعلنّ لحمه طعاماً للسيف.

الخطّاب: «يا أبا حَفْص أمَا تسمعُ إلى قول أبي حُذَيفةَ يقول أضرِبُ وجهَ عمِّ رسول الله ﷺ بالسيف»[١]. فقال عمر: يا رسولَ الله، دَعْني فَلأَضْرِبنَّ عُنُقَه بالسيف، فواللّهَ لقد نافقَ. قال عمر: واللّه إنّه لأوّلُ يومٍ كَنّاني فيه رسولُ اللهﷺ بأبي حفص.

[مقتل أبي البختري بن هشام]

قال: فكان أبو حُذَيفةَ يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ ولا أزالُ منها خائفاً إلاّ أن تُكفِّرَها عَنّي الشّهادة؛ فقُتِلَ يومَ اليمامة شهيداً. قال: وإنّما نهى رسولُ اللهﷺ عن قتل أبي البَخْتَرِيّ، لأنه كان أكفَّ القومِ عن رسول اللهﷺ وهو بمكّة، كان لا يُؤْذِيه ولا يبلُغه عنه بمكة شيءٌ يكرَهُه، وكانَ ممن قامَ في نَقْض الصّحيفة التي كتبتْ قريش على بني هاشم وبني المُطَّلِب. فَلقِيه المُجَذَّر بن ذِياد البَلَوِيّ حليفُ الأنصار من بني عَدِيّ، فقال المجذَّر بن ذِياد لأبي البَخْتَرِي: إنّ رسولَ اللهﷺ قد نهى عن قتلك، ومع أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكة، وهو جُنَادةُ بن مُلَيْحَةَ بن زُهَيْر بن الحارث بن أسَد ـ وجُنادة رجلٌ من بني ليث. واسم أبي البَخْتَرِيّ العاصي بن هشام بن الحارث بن أسَد ـ قال: وزميلي؟ فقال المجذَّر: لا واللّهِ ما نحن بتاركي زميلِكَ؛ ما أمَرنا رسولُ اللهﷺ إلاّ بك وحدَك. قال: واللّهِ إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً! لا تتحدّثُ عَنّي نساءُ قريش بين أهل مكة أنّي تركتُ زميلي حرصاً على الحياة. فقال أبو البَخْتَريّ حين نازله المُجَذَّر وأبى إلاّ القتالَ وهو يَرْتَجِز: [الرجز]

لــن يُـسْـلِـمَ ابـنُ حُـرَّةٍ أَكِـيـلَـه   حـتّـى يـمـوتَ أو يـرى سـبـيـلَـهْ

فاقتتلا، فقتله المُجَذَّر بن ذِياد، ثم أتى المجذَّر بن ذِياد رسولَ اللهﷺ فقال: والّذي بعثك بالحقّ، لقد جَهِدْتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيكَ به، فأبى إلاّ القتالَ، فقاتلتُه فقتلته.

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه، قال: وحَدَّثَنِيه أيضاً عبدُ اللّه بن أبي بكر وغيرهُما عن عبد الرحمن بن عَوْف قال: كان أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ لي صديقاً بمكة، قال: وكان اسمي عبدَ عَمْرو، فَسُمِّيتُ حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكة. قال: وكان يلقاني بمكة فيقول: يا عبد

(١) البداية والنهاية ٣: ٢٨٥.

عمرو، أَرَغِبْتَ عن اسم سمّاك به أبَوَاك؟ فأقول: نعم؛ فيقول: فإنّي لا أعرف الرحمن، فاجعَلْ بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أمّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأوّل، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: فكان إذا دعاني: يا عبدَ عمرو، لم أُجبه. فقلت: اجعَلْ بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت، قال: فأنت عبدُ الإله، فقلت: نعم. قال: فكنتُ إذا مررتُ به قال: يا عبدَ الإله فأُجيبه فأتحدّث معه. حتى إذا كان يومُ بَدْرٍ، مررتُ به وهو واقفٌ مع عليٍّ ابنه آخذاً بيده، ومعي أدراعٌ قد سلبتُها وأنا أحمِلها، فلمّا رآني قال: يا عبدَ عمرو، فلم أُجِبْهُ، فقال: يا عبدَ الإله قلت: نعم. قال: هل لكَ فِيَّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع؟ قلتُ: نعم، هَلُمَّ إذاً. فطرحتُ الأدراعَ من يديَ وأخذتُ بيده وبيد ابنه عليٍّ، وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطُّ، أمَا لكم حاجةٌ في اللبن[1]؟ ثم خرجتُ أمشي بينهما.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الواحد بن أبي عَوْن عن سَعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عَوْف قال: قال لي أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبدَ الإله، من الرجلُ المُعْلَمُ منكم بريش نَعامةٍ في صدره؟ قال: قلت: ذلك حمزةُ بن عبد المُطّلب. قال: ذلك الذي فَعَلَ بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فواللّهِ إنّي لأقودهما إذ رآه بِلالٌ معي - وكان هو الذي يعذِّبُ بِلالاً بمكة على أن يترك الإسلام، فيُخرجه إلى رَمْضاءِ مكة إذا حَمِيتْ فَيُضْجِعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضَع على صدره، ثم يقول: لا تزالُ هكذا حتى تُفارقَ دينَ محمد؛ فيقول بِلالٌ: أَحَدٌ أَحَدٌ - فقال بلالٌ حين رآه: رَأسُ الكُفْر أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ، لا نجوتُ إن نَجَوا! قال: قلتُ: أيْ بلالُ، أبِأَسِيرَيّ! قال: لا نجوتُ إن نَجَوا! قلت: أي بلالُ، أبأسيرَيَّ تُسمِّعُ يابن السوداء! قال: لا نجوتُ إن نجوا! ثم صرَخ بأعلى صوته: يا أنصارَ الله، رأسُ الكفر أُميّة بن خلف، لا نجوتُ إن نَجَوا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسَكَة[2] وأنا أذُبُّ عنه. قال: فأخلَف رجلٌ السّيفَ فَضَرَب رِجْلَ ابنِهِ فوقَعَ، وصاح أُميّة صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطُّ. قال قلت: انْجُ بنفسك ولا نَجاءَ! فواللّهِ ما أُغْني عنك شيئاً. قال: فهَبَروهما[3] بأسيافهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول:

(١) قال ابن هشام: «يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن».
(٢) المَسَكَة: السوار.
(٣) هبروه: قطّعوه.

رَحِمَ الله بلالاً! ذَهَبَ بأذراعِي وفَجَعَني بأسيريّ.

قال ابن إسحاق: حَدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدَّث عن ابن عباس قال: حدّثني رجلٌ من بني غِفَار قال: أقبلتُ أنا وابنُ عمٍّ لي حتى أَصعدنا في جبلٍ يُشْرِفُ بنا على بَدْر، ونحن مشركان ننتظر الوَقْعةَ على مَنْ تكون الدَّبْرة[1]؛ فنَنْهَب مع من يَنْهَبُ. فبينا نحن في الجبل إذ دنتْ منّا سحابةٌ، فسَمِعْنا فيها حَمْحَمةَ الخيل، وسمعتُ قائلاً يقول: أَقْدِمْ حَيزُومُ[2]. قال: فأمّا ابن عَمّي فانكشف قِناع[3] قَلْبه فمات مكانه، وأما أنا فكِدْتُ أَهْلِك، ثم تماسكتُ.

قال محمد بن إسحاقُ: حدّثني أبي إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بني مَازِن ابن النجّار عن أبي داودَ المازِنيّ، وكان شَهِد بدراً، قال: إنِّي لأَتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بَدْرٍ لأضربَهُ، إذ وَقَعَ رَأسُه قبل أن يصلَ إليه سيفي، فعلمتُ أنه قد قَتَله غيري.

حدّثنا محمد بن جَرير قال: حَدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكَم المِصْريّ قال: حَدّثنا يحيى بن بُكَيْر قال: حَدّثني محمد بن إسحاق عن العَلاَء بن كَثِير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسوَر بن مَخْرَمة عن أبي أُمامةَ بن سَهْل بن حُنيف قال: قال لي أبي: يا بُنَيَّ، لقد رأيتُنا يومَ بَدْرٍ وإنّ أحدنا لَيُشيرُ إلى المُشْرِكِ بسيفه فيقَع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيفُ. حدّثنا محمد قال: حَدَّثنا ابن حميدٍ قال: حَدَّثنا سَلَمةُ عن محمد قال: وحَدَّثني الحسن بن عُمَارَةَ قال: أخبرنا سَلَمةُ عن الحَكَم بن عُتَيْبَةَ عن مِقْسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال: كانت سِيمَا الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم، ويومَ حُنَيْنٍ عمائمَ حُمْراً، ولم تُقاتِل الملائكةُ في يومٍ من الأيّام سِوى يومِ بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مَدَداً وعَدَداً ولا يضرِبون.

[مقتل أبي جهل]

حدّثنا محمد قال: حَدّثنا ابن حميد قال: حَدّثنا سَلَمةُ قال: قال محمد

(١) الدَّبْرة: الهزيمة.
(٢) حيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام.
(٣) قناع القلب: غشاؤه.

وحَدّثني ثَوْر بن زيد مولى بني الدِّيل عن عِكْرِمَةَ مولى ابنِ عبّاس عن ابن عباس، قال: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، قالا: كان مُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بني سَلَمةَ يقول: لمّا فَرغَ رسولُ اللهﷺ من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يُلْتَمَس في القَتْلَى، وقال: «اللَّهُمَّ لا يُعْجِزنَّكَ». وكان أوّلُ مَنْ لَقِيَ أبا جهل مُعاذَ بن عمرو بن الجَمُوح، قال: سمعتُ القوم ـ وأبو جهل في مثل الحَرَجة[١] ـ وهم يقولون: أبو الحَكَم لا يُخْلَصُ إليه. فلمّا سمعتها جعلتُها من شأني، فعَمَدتُ نحوَه، فلمّا أمكنني حملتُ عليه، فضربته ضربةً أَطَنَّتْ[٢] قدمَه بنصف ساقه، فوالله ما شَبَّهتها حين طاحت إلاّ كالنواة تَطِيح من تحت مِرْضَخة[٣] النَّوَى حين يُضْرَب بها. قال: وضربني ابنه عكْرِمةُ على عاتقي فطرحَ يدي، فتعلَّقتْ بجلدةٍ من جنبي، وأجهضني القتالُ عنها؛ فلقد قاتلتُ عامّةَ يومي وإنّي لأسحَبها خلفي، فلمّا آذتْني جعلتُ عليها رجلي ثم تَمَطَّيْتُ بها حتى طرحتُها. قال: ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عَفّان. قال: ثم مرّ بأبي جهلٍ، وهو عَقِيرٌ[٤]، مُعَوِّذ بن عفراء، فضربه حتى أثْبته، فتركه وبه رَمقٌ، وقاتل معوذ حتى قُتِل. فمرّ عبد اللّه بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول اللهﷺ أن يُلْتَمَسَ في القَتْلَى، وقال لهم رسول اللهﷺ فيما بلغني: «انْظُروا إنْ خَفِيَ عليكم في القَتْلَى إلى أثر جُرح بركبته؛ فإنّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبةٍ لعبد الله بن جُدْعان ونحن غلامان وكنت أَشَبَّ ـ أو أَشَفَّ ـ منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه فخُدِشَ في إحداهما خَدْشاً لم يَزَل أثرهُ فيها بعدُ»[٥]. فقال عبد الله بن مسعود: فوجدتُه بآخر رَمَق فعرفتُه، فوضعتُ رجلي على عُنقه. قال: وقد كان ضَبَثَ[٦] بي مَرّةً بمكة فآذاني ولَكَزني، ثم قلتُ: هل أخزاكَ اللَّهُ يا عدوّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني! أَعْمَدُ[٧] من رجلٍ قتلتموه! لمن الدَّبْرَةُ اليومَ؟ قال: قلت: لله ولرسولهﷺ.

حدّثنا محمد بن جَرير قال: حَدّثنا ابن حُمَيْد قال: حَدّثنا سَلَمةُ عن محمد

(١) الحَرَجة: مجتمع من الشجر الملتفّ كالغيضة.
(٢) أطنّت: قطعت.
(٣) المِرضخة: الحجر يُرضخ به النوى أي يكسر.
(٤) العقير: المجروح.
(٥) الخبر مع الحديث في البداية والنهاية ٣: ٢٨٧.
(٦) ضَبَثَ بي: قبض عليّ بكفّه.
(٧) أعمد: أأعمدُ: أي أأعجبُ للاستفهام.

قال: زعم رجالٌ من بني مخزومٍ أنّ ابن مسعود كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مُرْتَقًى صَعباً؛ ثم احتززتُ رأسه، ثم جئتُ به رسولَ اللهﷺ، فقلت: يا رسولَ الله، هذا رأسُ عدوّ الله أبي جهل. فقال رسول اللهﷺ: «آللَّهِ الذي لا إِله غيرُه»! ـ وكان يمينَ رسول اللهﷺ ـ قلت: نعم واللَّهِ الذي لا إِلَهَ غيرهُ، ثم ألقيتُ رأسَه بين يَدَيْ رسول اللهﷺ؛ قال: فَحمِد اللَّهَ.

[تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم]

قال محمد بن إسحاق وحَدَّثني يزيدُ بن رُومانَ عن عُرْوةَ بن الزُّبَير عن عائشة قالت: لمّا أمر رسول اللهﷺ بالقَتْلَى أن يُطرَحُوا في القَلِيبِ طُرِحوا فيها إلاّ ما كان من أُمَيّةَ بنِ خَلفٍ، فإنّه انتفخ في دِرْعه فملأها؛ فذهبوا بِهِ ليُخْرِجوه فتزايَلَ[1]، فأقرّوه وألقَوْا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة. فلمّا ألْقَوْهم في القَلِيب، وقف رسولُ اللهﷺ فقال: «يا أهلَ القَلِيب هلْ وجدتُّم ما وَعَدكم رَبُّكم حقّاً فإني وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً». فقال له أصحابُه: يا رسولَ الله، أتُكَلِّمُ قوماً موتى؟ قال: «لقد عَلِموا أنَّ ما وعدهم رَبُّهم حَقٌّ». قالت عائشة: والناسُ يقولون: «لقد سَمِعُوا ما قلتُ لهم»، وإنما قال رسولُ اللهﷺ: «لقد عَلِموا»[2].

قال ابن إسحاق وحدّثني حُمَيْدٌ الطويلُ عن أَنَس بن مالك قال: لمّا سَمِعَ أصحابُ رسول اللهﷺ وهو يقول من جَوْف اللّيل: «يا أهلَ القلِيب يا عُتْبةُ بن ربيعةَ ويا شيبةُ بن ربيعة ويا أبا جهلِ بن هشام ـ فعدّد منْ كان منهم في القليب ـ هل وجدتُم ما وَعَدكم ربُّكم حقّاً فإنّي قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً» قال المسلمون: يا رسولَ الله، أتُنادي قوماً قد جَيَّفُوا! فقال: «ما أنتمْ بأَسْمَعَ لِما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوني».

قال محمد بن إسحاق وحدّثني بعض أهل العلم: أنَّ رسولَ اللهﷺ يوم قال هذه المقالةَ قال: «يا أهلَ القَلِيب بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كنتم لِنبيِّكم! كذَّبتموني وصدّقني النَّاسُ، وأخرجتموني وآوَاني النّاسُ، وقاتلتموني ونصرني النّاسُ». ثم قال: «هل وجدتُمْ ما وَعَدَكم ربُّكم حقّاً»[3] للمقالة التي قالها. ولمّا أَمَر بهم رسولُ اللهﷺ أن

(١) تزايل: انفصلت أعضاؤه وتفرّقت.
(٢) مسند أحمد ٢: ١٣١ و ٦: ٢٧٦، والبداية والنهاية ٣: ٢٩٢.
(٣) في إتحاف السادة المتقين ١: ٣٨٠ وفتح الباري ٧: ٣٠٢، والبداية والنهاية ٣: ٢٩٢.

يُلقَوْا في القليب، أُخِذَ عُتْبَةُ فسُحِبَ إلى القليب، فنظر رسولُ اللهﷺ، فيما بلغني، إلى وجه أبي حُذَيفَة بن عُتْبَة، فإذا هو كئيبٌ قد تغيَّر؛ فقال رسولُ اللهﷺ: «يا أبا حُذَيْفَة لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال. قال فقال: لا والله يا رسولَ الله ما شَكَكْتُ في أبي ولا في مَصْرَعِهِ، ولكنّني كنتُ أَعْرِفُ من أبي رأياً وفضلاً وحِلْماً، فكنتُ أرجو أن يَهْدِيَهُ اللَّهُ إلى الإسلام، فلمّا رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له، أحزنني ذلك. قال: فدعا رسولُ اللهﷺ له بخير وقال له خيراً.

[اختلاف المسلمين على الفيء]

ثم إنّ رسولَ اللهﷺ أمر بما في العسكر مما جَمع الناسُ فجُمِعَ، واختلف المسلمون فيه: فقال مَنْ جَمَعه: هو لنا، وقد كان رسولُ اللهﷺ نَفَّلَ كلَّ امرىءٍ ما أصاب. فقال الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه، لَنَحنُ شَغَلْنا القومَ عنكم حتّى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرسُون رسول اللهﷺ مخافةَ أن يُخَالِفَ[1] إليه العدوّ: واللّهِ ما أنتم بأحقَّ منّا، ولقد رأينا أن نقتل العدوَّ إذ ولّانا الله ومَنَحنا أكتافَهم، ولقد رأينا أن نأخذُ المتاعَ حين لم يكن دونه مَن يَمْنَعُه، ولكن خِفْنا على رسول اللهﷺ كَرّةَ العدوّ، فقُمْنا دونه، فما أنتم بأحقَّ به منّا.

قال ابن إسحاق: وحَدّثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادةَ ويزيد بن رُومَانَ: أنّ رسول اللهﷺ جمع الأسارى من المشركين، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً، وكان من القَتْلَى مثلُ ذلك، وفي الأسارى عُقْبةُ بن أبي مُعَيْطٍ، والنَّضْرُ بن الحارث بن كَلَدة، حتّى إذا كان رسولُ اللهﷺ بالصَّفْراء[2]، قُتِلَ النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدة، قَتله عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه.

قال محمد بن إسحاق: حَدّثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن سَعْد بن زَرارة قال: قُدِمَ بالأسارى حين قُدِمِ بهم، وسَوْدةُ بنتُ زَمْعةَ (زوجُ النبيﷺ) عند آل عَفْراءَ في مَنَاحَتِهم على عَوْف ومُعَوِّذ ابني عفراء،

(١) يخالف إليه العدو: يأتيه من الخلف.

(٢) الصّفراء: وادٍ من ناحية المدينة بينه وبين بدر مرحلة وهو كثير النخل والزرع.

وذلك قبلَ أن يُضْرَبَ عليهنّ الحجاب. قال: تقول سَوْدةُ: واللّهِ إنّي لعندهم إذْ أُتِينَا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أُتي بهم، فَرُحْتُ إلى بيتي ورسولُ اللهﷺ فيه، وإذا أبو يَزِيدَ سُهَيْلُ بن عمرو في ناحية الحُجْرة مجموعةً يداه إلى عُنُقه بِحَبْلٍ. قالت: فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلتُ: يا أبا يزيد، أَعْطَيْتُمْ بأيديكم، ألاَ مُتُّمْ كِرَاماً! فواللّهِ ما أنبهني إلاّ قولُ رسول اللهﷺ من البيت: «يا سَوْدة أَعَلَى اللّه وعلى رسولِه»[1]! قالت فقلت: يا رسولَ الله، والذي بَعَثك بالحقِّ ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحَبْل أن قلتُ ما قلت.

قال محمد بن إسحاق: وكان أوّلُ مَنْ قَدِمَ مكةَ بمُصاب قريش، الحَيْسُمانَ[2] ابنَ عبد اللّه بن إياسَ بن ضُبَيْعَةَ بن رومَانَ بن كعب بن عمرو الخُزَاعيّ. قالوا: ما وراءكَ؟ قال: قُتِلَ عُتْبةُ بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هِشَام، وأُمَيّةُ بن خَلَفٍ، وزَمْعةُ بن الأَسْوَد، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجّاج. قال: فلمّا جعل يُعَدِّدُ أشرافَ قريش قال صَفْوانُ بن أمَيّةَ وهو قاعدٌ في الحِجْر: واللّهِ إن يَعْقِلْ هذا فسَلُوه عَنّي. قالوا: ما فعل صَفْوان بن أمَيّة؟ قال: هو ذلك جالس في الحِجْر، وقد واللّهِ رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا.

[أبو لهب وموته]

قال محمد بن إسحاق: حَدّثني حُسَين بن عبد اللّه بن عُبَيْد اللّه بن عبّاس عن عِكْرِمةَ مولى ابن عبّاس قال: قال أبو رافع مولى رسول اللهﷺ: كنتُ غلاماً للعبّاس ابن عبد المُطَّلِب، وكان الإسلامُ قد دَخَلَنا أهلَ البيت، فأسلم العبّاس وأسلمتْ أمّ الفضل، وأسلمتُ، وكان العبّاس يَهَابُ قومَه، ويكره خِلافَهم، وكان يكتُمُ إسلامَه، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لَهَبٍ عدوُّ الله قد تخلَّفَ عن بدر، وبعث مكانَه العاصيَ بن هشام بن المُغِيرة، وكذلك صَنَعوا، لم يتخلَّفْ رجلٌ إلاّ بَعث مكانَه رجلاً، فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أهل بَدرٍ من قريش، كَبَتَه الله وأخزاه، ووَجَدْنا في أنفسنا قوّةً وعِزًّا؛ وكنتُ رجلاً ضعيفاً، وكنتُ أعملُ القِدَاحَ أَنْحَتُها في حُجْرة زَمْزَم؛ فواللّهِ إنّي لجالسٌ فيها أَنْحَتُ القِدَاحَ، وعندي أمّ الفضل جالسة وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسقُ أبو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ يسير حتى

---

(١) في البداية والنهاية ٣: ٣٠٧، ومستدرك الحاكم ٣: ٢٢.(معجم الأدباء ٣: ٤١٢).

(٢) الحيسمان: بن إياس بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن مازن، كما جاء في أسد الغابة.

جلس على طُنُب[١] الحُجْرة، فكان ظهرُه إلى ظهري. فبينَا هو جالس إذ قال الناسُ: هذا أبو سُفْيان بن الحارث بن عبدِ المُطَّلِب قد قَدِمَ؛ فقال أبو لهب: هَلُمَّ إليَّ يابنَ أخي، فعندك لَعَمْرِي الخبر، فجلس إليه والنّاسُ قيامٌ عليه. فقال: يابنَ أخي أَخْبِرْني كيف كان أمْرُ الناس؟ قال: لا شيءَ والله، إنْ كان إلاّ أنْ لَقِينَاهم فَأَبَحْنَاهم أكتافَنا يقتُلون ويأسِرون كيف شاءوا، وايْمُ الله مع ذلك ما لُمْتُ الناسَ، لَقِينا رجالاً بِيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض ما تُلِيقُ[٢] شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعتُ طُنُبَ الحُجْرَة بيدي، ثم قلتُ: تلك واللَّهِ الملائكة! فرفع أبو لَهَبٍ يدَه فضرب وجهي ضربةً شديدة. قال: فساورتُه فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم بَرَكَ عليّ يضربني، وكنتُ رجلاً ضعيفاً؛ فقامت أُمُّ الفضل إلى عمود من عُمُدِ الحُجْرة فأخذتْه فضربَتْهُ به ضربةً، فشَجَّتْ في رأسه شَجَّةً مُنْكِرة وقالت: أتَسْتَضْعفُه أنْ غابَ عنه سيِّدُهُ! فقام ذليلاً. فوالله ما عاش فيها إلاّ سبعَ ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة[٣] فقتلَتْهُ؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً لا يَدفِنانه حتّى أنْتَنَ في بيته ـ وكانت قريش تَتَّقي العَدَسةَ كما يُتَّقَى الطّاعون ـ حتى قال لهما رجلٌ من قريش: وَيْحَكما! لا تَسْتَحْيِيان أنّ أباكما قد أنتنَ في بيته لا تُغَيِّبانه! فقالا: نخشى هذه القَرْحة. قال: فَانْطَلِقا فأنا معكما. فما غسَّلوه إلاّ قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمَسُّونه؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار، وقذفوا عليه الحجارَةَ حتَّى وارَوْه.

[الأسرى يفتدون أنفسهم بالمال]

قال محمد بن إسحاق وحَدَّثني العبّاس بن عبد اللّه بن مَعْبَد عن بعض أهله عن الحَكَم بن عُتَيْبَةَ عن ابن عبّاس قال: لمّا أمسى القومُ من يوم بَدْرٍ، والأسارى محبوسون في الوَثَاق، بات رسول اللهﷺ ساهراً أوّلَ ليلته. فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لكَ لا تنام؟ فقال: «سمعتُ تَضَوُّرَ العبّاس في وثَاقه»؛ فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه؛ فنام رسول اللهﷺ.

(١) طُنُبُ الحجرة: واحدُ أطناب الخيمة والأطناب: ما يُشَدُّ به البيتُ من الحبال بين الأرض والطرائق.

(٢) ما تُليقُ شيئاً: لا تبقي على شيء.

(٣) العَدَسة: بثرة قاتلة تخرج كالطاعون وقلّما يسلم صاحبها.

قال ابن إسحاق وحدّثني الحسن بن عُمَارةَ عن الحكم بن عُتَيْبَةَ عن ابن عبّاس قال: كان الذي أَسَر العبّاسَ أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بني سَلَمةَ، وكان رجلاً مجموعاً، وكان العبّاس رجلاً جسيماً. فقال رسول اللهﷺ لأبي اليَسَر: «كيف أَسَرْتَ العبَّاسَ يا با اليَسَر»؟ فقال: يا رسول الله، أعانني عليه رجلٌ ما رأيتُه قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا، فقال رسول اللهﷺ: «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم».

قال ابن إسحاق عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس: أنَّ رسول اللهﷺ قال للعبّاس بن عبد المطلب حين انْتُهِي به إلى المدينة: «يا عبّاس افْدِ نَفْسَك، وابنَ أخيك عَقِيل بن أبي طالب، ونوفلَ بن الحارث، وحليفَك عُتْبَةَ بن عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فِهْر؛ فإنك ذو مال». فقال: يا رسول الله، إنِّي كنتُ مُسْلِماً ولكنّ القومَ استكرهوني. فقال: «الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكُرُ حَقّاً فالله يَجْزِيك به، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا؛ فافْدِ نفسك». وكان رسول اللهﷺ قد أخذ منه عشرين أوقِيّةً من ذهب. فقال العبّاس: يا رسول الله، احْسُبْها لي في فِداثي. قال: «لا، ذلك شيء أعطاناه الله منك». قال: فإنه ليس لي مال. قال قال: «فأين المالُ الذي وضعته بمكة حين خرجتَ من عند أمِّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ، ثم قلت لها إن أُصِبْتُ في سَفْرتي هذه فلِلْفَضْل كذا ولعبد الله كذا ولِقُثَم كذا ولعُبَيد الله كذا»؟ قال: والذي بعثَك بالحقِّ ما عَلِمَ هذا أحدٌ غيري وغيرُها، وإنِّي لأعلم أنّك رسولُ الله. ففَدَى العبّاسُ نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه عن عائشةَ قالت: لمّا بَعَثَ أهلُ مكّة في فِدَاء أسْرَاهم، بعثتْ زينبُ بنت رسول اللهﷺ في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجةُ أدخلتْها بها على أبي العاصي حين بَنَى عليها. فلمّا رآها رسول اللهﷺ رَقَّ لها رِقّةً شديدة وقال: «إنْ رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرَها وتَرُدُّوا عليها الذي لها فافعلوا»[2]! فقالوا: نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها.

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عَبّاد عن أبيه قال: ناحتْ قريش على قَتْلاها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمداً وأصحابه فيَشْمَتُوا بكم، ولا تَبعثوا

(١) الخبر مع الأحاديث النبوية في مسند أحمد ٣:٣٥٣ وفتح الباري ٧:٣٢٢.

(٢) رواه أحمد في المسند ٦:٢٧٦، وأبو داود في سننه ٢٦٩٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٦:٣٢٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٣:٣١٢.

في فِداء أَسْراكم حتى تَسْتَأْنوا[1] بهم، لا يتأرَّب[2] عليكم محمد وأصحابُه في الفِداء. قال: وكان الأَسْوَد بن المُطَّلِب قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده: زَمْعَةُ وعَقِيلٌ والحارث بنو الأسود، وكان يُحِبُّ أن يبكي على بَنِيه. فبينا هو كذلك إذ سمع نائحةً في اللّيل، فقال لغلامه وقد ذهب بصرُه: أُنْظُرْ هل أُحِلَّ النَّحِيبُ؟ وهل بكت قريش على قَتْلاَها؟ لَعَلّي أبكي على أبي حَكِيمة (يعني زَمْعَةَ)؛ فإنّ جَوْفي قدِ احترق. فلمّا رجع إليه الغلامُ قال: إنما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أَضَلَّته؛ فذلك حين يقول الأَسْوَد: [الوافر]

أَتَبْكِي أَنْ أُضِلَّ لها بَعِيرٌ ... ويَمْنَعُها البُكاءُ مِنَ الهُجودِ
ولا تَبْكِي على بَكْرٍ ولَكِنْ ... على بَدْرٍ تَقاصَرتِ الجُدُودُ[3]
على بَدْرٍ سَرَاةَ بَنِي هُصَيْصٍ ... ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبي الوَلِيدِ[4]
وبَكِّي إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ ... وبَكِّي حارثاً أَسَدَ الأُسودِ
وبَكِّيهمْ ولا تُسْمِي جميعاً ... فما لأبي حكِيمةَ من نَدِيدِ[5]
ألا قد سادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولولاَ يومُ بَدْرٍ لم يَسُودُوا

ومما قيل في بَدْرٍ من الشِّعر وغُنِّيَ به قولُ هند بنت عُتْبَة ترثي أباها:

صوت

[مجزوء الكامل]

مَنْ حَسَّ لي الأَخَوَيْنِ كَالْـ ... ـغُصْنَيْنِ أو مَنْ رَاهُمَا[6]
قَرْمَانِ لا يَتَظالَمَا ... نِ ولا يُرامُ حِمَاهُما[7]
وَيْلِي على أَبَوَيَّ والْـ ... ـقَبْرِ الّذي وَارَاهُما
لا مِثْلَ كَهْلِي في الكُهُو ... لِ ولا فَتًى كَفَتَاهُما

ـ ذكر الهِشاميّ أنّ الغناء لابن سُرَيج رملٌ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى

---

(١) استأنى: انتظر وتربّص، وفي رواية «يستأنسوا بهم».
(٢) يتأرّب: يتشدّد.
(٣) البَكر: القوي من الإبل. وعلى بدر: على أهل بدر. والجدود: جمع الجدّ: الحظّ.
(٤) السَّرَاة: السّادة الكِرام.
(٥) النّديد: النظير والمِثْل.
(٦) حَسَّ: لمسَ. وراهما: رآهما.
(٧) القَرْم: السيد الكريم.

إسحاق أنه للغريض ـ وتمام هذه الأبيات:

أَسَـــدَانِ لا يَـــتَـــذَلَّـــلا ... نِ ولا يُـــرامُ حِـــمـــاهـــمـــا
رُمْـحَـيْـنِ خَـطِّـيَّـيْـن فـي ... كَـبِـدِ الـسَّـمَـاءِ تَـرَاهُـمـا
مـا خَـلَّـفَـا إذ وَدَّعـا ... فـي سُـودَدٍ شَـرْوَاهـمـا[١]
سـادًا بِـغَـيْـرِ تَـكَـلُّـفِ ... عَـفْـواً يَـفِـيضُ نَـدَاهُـمـا

[هند بنت عتبة تعاظم الخنساء بعكاظ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثني الحارث بن أبي أُسامة قال: حَدّثنا محمد بن سعد عن الوَاقِدِيّ، وأخبرني ابن أبي الأزهر قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِدِيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد قال: لمّا كانت وَقْعَةُ بَدْرٍ، قُتِلَ فيها عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، والوليدُ بن عتبة؛ فأقبلتْ هند بنت عُتبة تَرْثِيهم، وبَلَغها تَسْوِيمُ[٢] الخَنْساءِ هَوْدَجَها في المَوْسِم ومُعاظَمَتُها العربَ بِمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّرِيد وأَخَوَيْها صَخْرٍ ومُعاوية، وأنّها جعلتْ تَشْهَد الْمَوسِمَ وتَبْكيهم، وقد سوّمَتْ هودجَها برايةٍ، وأنها تقول: أنا أعظم العرب مصيبةً، وأنّ العربَ قد عرفتْ لها بعضَ ذلك. فلمّا أُصِيبَتْ هندُ بما أُصيبتْ به وبلغها ذلك، قالت: أنا أعظمُ من الخنساء مصيبةً، وأمرتْ بهودجها فسُوِّمَ براية، وشَهِدَتِ الموسمَ بعُكَاظ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب، فقالت: اقْرنوا جَمَلي بجمل الخنساء، ففعلوا. فلمّا أن دَنَتْ منها، قالت لها الخنساء: مَن أنتِ يا أُخَيَّة؟ قالت: أنا هند بنت عُتْبَة أعظمُ العرب مصيبةً، وقد بلغني أنّكِ تُعَاظِمين العرب بمصيبتك، فبِمَ تُعَاظِمِينَهم؟ فقالتِ الخنساء: بعَمْرِو بن الشَّرِيدِ، وصَخْرٍ ومُعَاوِيَة ابني عمرو، وبِمَ تُعَاظِمينَهم أنتِ؟ قالت: بأبي عُتْبَة بنِ ربيعة، وعَمِّي شيبةَ بنِ ربيعة، وأخي الوليد. قالت الخنساء: أَوَ سَوَاءٌ هُمْ عندكِ؟ ثم أنشدتْ تقول: [الطويل]

أُبَـكِّـي أبـي عَـمْـراً بـعـيـنٍ غَـزِيـرةٍ ... قـلـيـلٌ إذا نـام الـخَـلِـيُّ هُـجـودُهـا
وصِـنْـوَيَّ لا أَنْـسَـى مُـعَـاويـةَ الّـذي ... لـه مِـنْ سَـرَاةِ الـحَـرَّتَـيْـن وُفُـودُهـا[٣]

(١) شرواهما: مثلهما ونظيرهما.

(٢) التّسويم: اتّخاذ السِّمة ليُعْرَف بها.

(٣) الحرَّة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار، والحرار في بلاد العرب كثيرةٌ وقد ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٢: ٢٤٥).

وصخراً، ومَنْ ذا مِثْلُ صَخْرٍ إذا غَدَا بِسَاهِمَةِ الآطَالِ قُبّاً يَقُودُها[1]
فذلِكَ يا هِنْدُ الرَّزِيَّةُ فاعْلَمِي ونِيرانُ حَرْبٍ حين شَبَّ وَقُودُها

فقالت هندٌ تُجيبها: [الطويل]

أُبَكِّي عَمِيدَ الأَبْطَحَيْنِ كِلَيْهِما وحَامِيهِمَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيدُها
أَبِي عُتْبةُ الخَيْراتِ وَيْحَكِ فاعْلَمِي وشَيْبةُ والحامي الذِّمارَ وَلِيدُها
أُولئِكَ آلُ المَجْدِ مِنْ آلِ غالِبٍ وفي العِزِّ منها حين يَنْمِي عَدِيدُها

وقالت لها أيضاً يومئذ:

مَنْ حَسَّ لِي الأَخَوَيْنِ كَالْـ ـغُصْنَيْنِ أو مَنْ رَاهُما

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: حَدّثني بعض القُرَشِيِّين قال: قَدِمَ عبدُ اللّه بن جعفر على معاوية وافداً فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال: هذا ابنُ جعفر يشرَب النَّبِيذَ، ويسمَعُ الغناء، ويُحَرِّكُ رأسَه عليه. فجاء مُعاويةُ متَغَيِّراً حتّى دخل على ابن جعفر، وعَزَّة المَيْلاءُ بين يديه كالشّمس الطالعة في كِوَاء[2] البيت يُضيء بها البيتُ، تُغَنِّيه على عُودها:

تَبَلَتْ فُؤادَكَ في الظَّلامِ خَرِيدةٌ تَشْفِي الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

وبين يديه عُسٌّ[3]؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ قال: أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين لَتَشْرَبَنَّ منه، فإذا عسلٌ مَجْدُوحٌ[4] بِمِسْكٍ وكافور. فقال: هذا طَيِّبٌ، فما هذا الغِناء؟ قال: هذا شعرُ حَسَّانَ بن ثابت في الحارث بن هشام. قال: فهل تُغَنّي بغير هذا؟ قال: نعم، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيّ الجافي الأَذْفَر[5]، القبيحُ المَنْظَر، فيُشَافِهُكَ به، فتعْطيه عليه؛ وآخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فأُعطيه هذه الحَسنة الوجه، اللّيِّنة اللمْس، الطّيبة الريح، فَتُرَتِّلُهُ بهذا الصوت الحسن. قال: فما تحريكُكَ رأسَكَ؟ قال: أرِيَحِيَّةٌ أجِدُها إذا سمعت الغناء، لو

(١) الساهمة: الضامرة النحيلة. والآطال: جمع الإطل: الخاصرة. والقُبّ: الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن.
(٢) الكِواء: جمع الكوة: النافذة الصغيرة.
(٣) العُس: القدح الكبير.
(٤) مجدوح: مخلوط.
(٥) الأذفر: النتن الرائحة.

سُئلتُ عندها لأعْطَيتُ، ولو لَقِيتُ لأبْلَيْتُ، فقال معاوية: قَبَّحَ اللّهُ قوماً عَرَّضوني لك، ثم خرج وبَعَث إليه بِصِلَةٍ.

صوت
من المائة المختارة

[عُمَر ونعم] [الخفيف]

أَيُّهـا الـقَـلْـبُ لا أرَاكَ تُـفِـيـقُ طَـالَـمـا قَـدْ تَـعَـلَّـقَـتْـكَ الـعَـلُـوقُ[1]
مَـنْ يَـكُـنْ مِـنْ هَـوَى حَـبِـيـبٍ قَـرِيـبـاً فَـأَنَـا الـنَّـازِحُ الـبَـعِـيـدُ الـسَّـحِـيـقُ
قُـضِـيَ الـحُـبُّ بَـيْـنَـنَـا فـالْـتَـقَـيْـنَـا وكِـلانَـا إلَـى الـلِّـقَـاءِ مَـشُـوقُ

الشّعر في البيت الأوّل والثالث لعُمَر بن أبي ربيعة، والبيت الثاني ليس له، ولكن هكذا غُنِّيَ؛ وليس هو أيضاً مُشَاكِلاً لحكاية ما في البيت الثالث. والغِناء لبَابَوَيْهِ الكُوفيّ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل. وهذا الشّعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش، يقال لها نعم، كان كثيرَ الذِّكر لها في شعره. أخبرني بذلك محمد بن خَلَف ابن المَرْزُبان عن أبي عبد الله التَّمِيميّ عَنِ القَحْذَمِيّ والمَدَائنيّ. قال: وهي التي يقول فيها:

* أَمِـنْ آلِ نُـعْـمٍ أَنْـتَ غـادٍ فَـمُـبْـكِـرُ *[2]

قال: وكانتْ تُكْنَى أُمَّ بَكْر، وهي من بَنِي جُمَحَ، وتمامُ هذه الأبيات على ما حكاه ابن المَرْزُبان عمّن ذكرتُ: [الخفيف]

فـالْـتَـقَـيْـنـا ولـم نَـخَـفْ مـا لَـقِـيـنَـا لَـيْـلَـةَ الـخَـيْـفِ، والـمُـنَـى قـد تَـشُـوقُ
وجَـرَى بَـيْـنَـنَـا فَـجَـدَّدَ وَصْـلاً قُـلَّـبٌ حُـوَّلٌ أرِيـبٌ رَفِـيـقُ[3]
لا تَـظُـنِّـي أَنَّ الـتَّـرَاسُـلَ والـبَـذْ لَ لِـكُـلِّ الـنـسـاءِ عـنـدي يَـلِـيـق
هـل لـكَ الـيـومَ إنْ نَـأَتْ أُمُّ بَـكْـرٍ وَتَـوَلَّـتْ إلـى عَـزَاءٍ طَـرِيـقُ

(١) العَلُوق: ما يَعْلَقُ بالقلب من حُبٍّ وهيام.
(٢) عجز البيت:
غـداةَ غَـدٍ أم رائـحٌ فَـمُـهَـجِّـرُ
(٣) القُلَّب: الكثير التقلّب. والحُوَّل: المحتال البصير بتقليب الأمور.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حُدِّثْتُ عن محمد بن حمَيْد عن عبد الله بن سَوّار القاضي عن بِشْر بن المُفَضَّل قال: بَلَغَ عُمَرَ بنَ أبي ربيعة أَنَّ نُعْماً اغتسلَتْ في غَدِيرٍ، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرَب منه حتى جَفَّ.

أخبرني محمد بن خَلَف قال: قال محمد بن حَبِيبَ الرَّاوية: بَلَغني أَنَّ نُعْماً استقبلتْ عمرَ بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، وفي يدها خَلُوقٌ[1] من خَلُوق المسجد، فمسحَتْ به ثوبه، ومَضَتْ وهي تضحكُ؛ فقال عمر: [الخفيف]

أَدْخَلَ اللَّهُ رَبُّ موسى وعيسى ... جَنَّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلاَنِي خَلُوقَا
مَسَحَتْهُ مِنْ كَفِّهَا في قَمِيصي ... حِينَ طَافَتْ بِالبيتِ مَسْحاً رَفِيقَا
غَضِبَتْ أَنْ نَظَرْتُ نَحْوَ نِسَاءٍ ... لَيْسَ يَعْرِفْنَنِي سَلَكْنَ طَرِيقَا
وأَرَى بينها وبينَ نِساءٍ ... كُنْتُ أَهْذِي بِهِنَّ بَوْناً سَحِيقَا

وهذا البيت الأوّل مما عِيبَ على عمر.

ومما غُنِّي فيه من تَشْبِيبِ عُمَرَ بِنُعْمٍ هذه:

صوت

[الطويل]

دِينَ هذا القَلْبُ مِنْ نُعْمِ ... بِسَقَامٍ لَيْسَ كَالسُّقْمِ
إِنَّ نُعْماً أَقْصَدَتْ رَجُلاً ... آمِناً بِالْخَيْفِ إِذْ تَرْمِي[2]
بِشَتِيتٍ نَبْتُهُ رَتِلٍ ... طَيِّبِ الأَنْيَابِ والطَّعْمِ[3]
وبِوَحْفٍ مَائِلٍ رَجِلٍ ... كَعَنَاقِيدَ مِنَ الكَرْمِ[4]

ومنها:

صوت

[مجزوء الوافر]

خَلِيلَيَّ ارْبَعَا وسَلاَ ... بِمَغْنَى الحَيِّ قد مَثَلا[5]

(١) الخَلوق: نوع من الطِّيب معظم أجزائه من الزعفران.

(٢) أقصدت: أصابت فقتلت.

(٣) الثغر الشتيت: الذي بين أسنانه تباعدٌ. والرَّتِلُ: المُفَلَّج من الأسنان والحَسَنُ التَّنَضُّدِ الشديد البياض الكثير الماء من الثغور.

(٤) الوَحْف: الشعر الكثيف الأسود. والرَّجِلُ: الشعر ما بين السّبوطة والجعودة.

(٥) رَبَعَ: أقام. والمغنى: محلّ الإقامة. ومَثَلَ: أقام.

بِـأَعْـلَـى الـوَادِ عِـنْـدَ الـبِـئْـ ـرِ هَـيَّـجَ عَـبْـرَةً سَـبَـلاَ[١]
وقَـدْ تَـغْـنَـى بـه نُـعْـمٌ وكُـنْـتُ بِـوَصْـلِـهـا جَـذِلاَ
لَـيَـالِـيَ لا نُـحِـبُّ لَـنَـا بِـعَـيْـشٍ قـد مَـضَـى بَـدَلاَ
وتَـهْـوَانَـا ونَـهْـوَاهـا ونَـعْـصِـي قَـوْلَ مَـنْ عَـذَلاَ
وتُـرْسِـلُ فـي مُـلاَطَـفَـةٍ ونُـعْـمِـلُ نَـحْـوَهـا الـرُّسُـلاَ

غنّاه الهُذَلِيُّ، ولحنهُ من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوُسْطى عن إسحاق، وفيه لابن سُريج لحنانِ: رَمَلٌ بالبِنْصَر في مجراها عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها عن إسحاق ثاني ثقيلٍ، ولِسُلَيْم خفيفُ رملٍ، جميعاً عن الهِشاميّ. قال: ويقال: إنّ اللَّحْنَ المنسوب إلى سُلَيْمٍ لِحَكَم الواديّ.

ومنها قصيدة أوّلها: [الطويل]

لـقـد أَرْسَـلَـتْ نُـعْـمٌ إلـيـنـا أن ائْـتِـنَـا فَـأَحْـبِـبْ بِـهَـا مِـنْ مُـرْسِـلٍ مُـتَـغَـضِّـبِ

يُغَنَّى منها في قوله:

صوت

فَقُلْتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السَّيْفَ واشْتَمِلْ عليه بِرفْقٍ وارْقُبِ الشَّمْسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لِي الدَّهْماءَ واعْجَلْ بِمِمْطَرِي ولا تُعْلِمَنْ حَيّاً مِنَ النّاسِ مَذْهَبِي
فَلمَّا الْتَقَيْنَا سَلَّمَتْ وتَبَسَّمَتْ وقالَتْ مَقَالَ المُعْرِضِ المُتَجَنِّبِ
أَمِنْ أَجْلِ وَاشٍ كَاشِحٍ بِنَمِيمَةٍ مَشَى بيننا صَدَّقْتَهُ لَمْ تُكَذِّبِ[٢]
وقَطَّعْتَ حَبْلَ الوَصْلِ مِنَّا، ومَنْ يُطِعْ بِذِي وُدِّهِ قَوْلَ المُؤَرِّشِ يُعْتَبِ[٣]

صوت

مـا بَـالُ أَهْـلِـكِ يـا رَبَـابُ خُـزْراً كَـأَنَّـهُـمُ غِـضَـابُ[٤]

(١) الوادِ: الوادي، واكتفى بالكسرة عن الياء. والسَّبَلُ: اسم المصدر من أسبل المطر والدمع: إذا هطل.
(٢) الكاشح: العدوّ المضمر للعداوة.
(٣) المؤرِّش: المفسِد.
(٤) الأخزر: الذي ينظر بمؤخّر عينه والأعين الخزر: الصغيرة الضيّقة.

إنْ زُرْتُ أَهْلَكِ أَوْعَدُوا وتَهِرُّ دُونَهُمُ الكِلاَبُ

عَرُوضُه من الكامل، الشّعر لَعَلسٍ ذي جَدَنٍ الحميَري، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دُرَيْد عن عمِّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه. والغناء لِطُوَيْس؛ ولَحْنُهُ المختار خفيفُ رَملٍ بالبِنصَر.

نسب عَلَس ذي جَدَنٍ وأخباره

هو عَلَس بن زيد[١] بن الحارث بن زيد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِيّ ابن مالك بن زيد الجُمهور بن سَهْل بن عمرو بن قيْس بن مُعاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أعز بن الهمّ بن الهَمَيْسَع ابن حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان. وهو مَلِكٌ من ملوك حِمْيَر. ولُقِّبَ ذا جَدَنٍ لِحُسْنِ صَوْتِه ـ والجَدَنُ: الصَّوْتُ بِلُغَتِهِم ـ ويقال: إنه أوّل مَنْ تَغَنَّى باليمن.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ وأبي مِسْكين قالا: إنَّما سُمِّيَ ذا جَدَنٍ لِحُسْنِ صَوْتِهِ.

[قبره وما كُتِبَ عليه]

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال: حَدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكَلْبيّ عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشِّعَار الهَمْدانيّ عن حَيّان بن هانىء الأَرْحَبيّ عن أبيه قال:

أخبرني رجلٌ من أهل صَنْعاء: أنّهم حَفَروا حفيراً في زمن مَرْوان، فوقفوا على أزجٍ[٢] له بابٌ، فإذا هم برجلٍ على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرّجال، عليه خاتمٌ من ذهب وعِصابةٌ من ذهب، وعند رأسه لَوْحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه: «أنا عَلَس ذون جَدَنٍ القَيْلُ[٣]، لِخليلي مِنّي النَّيْلُ، ولِعَدُوِّي مِنّي الوَيْلُ. طَلَبْتُ فأدركْتُ وأنا ابن مائة سنةٍ من عمري، وكانتِ الوَحْشُ تَأْذَنُ[٤] لِصوتي وهذا سيفي ذو الكَفِّ

(١) انظر نهاية الأرب ٢:٣٠٨ وكتاب العبر لابن خلدون ٢:٥١.
(٢) الأزَجُ: نوعٌ من الأبنية يُبنى بشكل مستطيل.
(٣) القيل: من ملوك اليمن دون الملك الأعظم.
(٤) تأذن: تسمع وتأنس.

عِندي، ودِرْعي ذاتُ الفُروج ورُمْحِي الهِزَبْرِيّ، وقوسي الفَجْواء[١]، وقَرَنِي[٢] ذاتُ الشَّرِّ، فيها ثلاثمائة حَشْر[٣]، من صَنْعَةِ ذي نَمِرٍ[٤]؛ أعددتُ ذلك لِدَفْعِ الموتِ عَنِّي فخانني». قال: فنَظَرْنا فإذا جميعُ ذلك عنده. ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبي: عن بعض الكتب من غير رواية ابن عَمّار، فوجدت فيه: فإذا طُولُ السَّيفِ اثنا عشر شِبراً، وعليه مكتوبٌ تحت شاربِهِ[٥] بِالمُسْنَدِ[٦]: «بِاسْتِ امْرِئٍ كُنْتَ في يَدِهِ فلم يَنْتَصِر».

انقضتْ أخبارُه.

(١) الفجواء: التي بان وَتَرُها.

(٢) القَرَن: الجعبة.

(٣) الحَشْر من السلاح: الدقيق المحدّد.

(٤) ذو نَمِر: وادٍ بنجد في ديار بني كلاب (معجم البلدان ٥: ٣٠٤).

(٥) الشّاربان: هما أنفان طويلان في أسفل قائم السيف أحدهما من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب، والغاشية تحتهما.

(٦) المُسْنَد: خطّ لحمير موجود بكثرة على حجارتهم وقصور اليمن.

أخبار طُوَيس ونسبه

[١١ - ٩٢ هـ/ ٦٣٢ - ٧١١ م]

طُوَيْسٌ لَقَبٌ، واسمه طاوُس، مولى بني مخزوم. وهو أوّلُ مَنْ غَنَّى الغِنَاءَ المُتْقَنَ من المُخَنَّثِين، وهو أوّلُ من صنع الهَزَج والرَّمَلَ في الإسلام. وكان يقال: أَحْسَنُ النَّاسِ غناءً في الثَّقِيل ابنُ مُحْرِز، وفي الرَّمَلِ ابنُ سُرَيْج، وفي الهزج طُوَيْس، وكان النّاس يَضْرِبون به المَثَلَ، فيقال: «أَهْزَجُ من طُوَيس».

[حديثه مع أبان بن عثمان بعد أن سمع غناءه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهرَ والحسين بن يحيى قالا: حَدَّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن ابن الكَلْبيّ عن أبيه وأبي مِسْكين، قال إسحاق: وحَدَّثني المدائنيّ والهَيْثَم بن عَدِي عن صالح بن كَيْسان: أَنَّ أَبَانَ بن عثمان وفَد على عبد الملك بن مَرْوان، فَأَمَّره على الحجاز؛ فأقبل حَتّى إذا دنا من المدينة تلقَّاهُ أَهْلُها، وخرَجَ إليه أشرافُها، فخرجَ معهم طُوَيْس؛ فلمّا رآه سَلَّمَ عليه، ثم قال له: أيُّها الأميرُ، إنّي كنتُ أعطيْتُ اللَّهَ عهداً لَئِنْ رأيتُكَ أميراً لأَخْضِبَنَّ يَدَيَّ إلى المِرْفَقَيْنِ، ثم أَزْدُو[1] بِالدُّفِّ بين يديك، ثم أَبْدَى عن دُفِّهِ وتَغَنَّى بِشعر ذِي جَدَنٍ الحِمْيَريّ:

[الكامل]

مَـا بـالُ أَهْـلِـكِ يـا رَبَـابُ　　خُـزراً كَـأَنَّـهُـمُ غِـضَـابُ

قال: فَطَرِبَ أَبَانُ حتّى كاد أن يطيرَ؛ ثم جعل يقول له: حَسْبُكَ يا طاوُس - ولا يقول له: يا طُوَيْسُ لِنُبْلِه في عينه - ثم قال له: اجْلِسْ فجلَسَ. فقال له أبان: قد

---

(١) أزدو: أضرب.

زعموا أنّك كافرٌ. فقال: جُعِلْتُ فِداءَكَ!، واللَّهِ إنّي لأشْهَدُ أن لا إله إلاّ اللَّهُ وأنّ محمّداً رسولُ الله وأُصَلِّي الخَمْسَ، وأصومُ شهرَ رمضان، وأَحُجُّ البيتَ. فقال: أفأنتَ أكبرُ أم عَمْرو بن عثمان؟ ـ وكان عمرٌو أخا أَبَان لأبيه وأمّه ـ فقال له طويس: أنا والله، جُعِلْتُ فداءك، مع جلائل نساء قومي، أُمْسِكُ بذُيولِهِنَّ يومَ زُفَّتْ أُمُّكَ المبارَكَةُ إلى أبيكَ الطَّيِّب. قال: فاستحيا أبَان ورَمَى بطرْفِهِ إلى الأرض.

وأخبرني بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبّة قال: حَدَّثنا العُتْبِيّ عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطُوَيس؛ وزاد فيها أنّ طُوَيْساً قال له: نَذْرِي أَيُّها الأميرُ! قال: وما نَذْرُك؟ قال: نَذَرْتُ إنْ رأيتُكَ أميراً في هذه الدَّار أنْ أُغَنِّي لكَ وأَزْدُو بِدُفِّي بين يديكَ. فقال له: أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فإنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ﴾[1]. قال: فأخرجَ يديه مَخضوبَتَيْنِ، وأخرج دُفَّه وتَغَنَّى:

* مــا بــالُ أهــلِــكِ يــا ربــابُ *

وزاد فيه: فقال له أبَان: يقولون: إنّكَ مشؤوم، قال: وفوق ذلك! قال: وما بلَغَ من شُؤمِكَ؟ قال: وُلِدْتُ ليلةَ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، وفُطِمْتُ ليلةَ ماتَ أبو بكر رضي الله عنه، واحتلمْتُ ليلةَ قُتِلَ عُمَر رضوانُ الله عليه، وزُفَّتْ إلَيَّ أهلي ليلةَ قُتِلَ عثمانُ رَضِيَ الله عنه. قال: فاخرُجْ عنِّي عليك الدَّبَارُ[2].

[يحيى بن الحكم يهدر دم المخنّثين]

أخبرني إسماعيل قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا محمد بن الوليد قال: حَدَّثني مُصْعَب بن عثمان عن نَوْفَل بن عُمَارَةَ قال: خرجَ يحيى بن الحكم وهو أمير على المدينة، فبَصُرَ بشخصٍ بِالسَّبَخَةِ[3] مما يلي مسجدَ الأحزاب، فلمّا نظر إلى يحيى بن الحكم جَلَسَ، فاستراب به، فوجَّهَ أعوانَهُ في طَلَبِهِ؛ فأُتِيَ به كأنّه امرأةٌ في ثيابٍ مُصَبَّغةٍ مصقولة وهو مُمْتَشِطٌ مُخْتَضِبٌ. فقال له أعوانه: هذا ابن نُغَاش المُخَنَّث. فقال له: ما أحْسَبُكَ تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئاً، اقْرَأْ أُمَّ القرآن. فقال: يا أَبَانَا لو عرفْتُ أُمَّهُنَّ عرفْتُ البناتِ. فقال له: أَتَتهزَّأُ بالقرآن لا أُمَّ لَكَ!

---

(١) سورة الإنسان، الآية ٧.

(٢) الدَّبار: الهلاك.

(٣) السَّبَخة: الأرض المالحة النازّة: موضع بالبصرة. (معجم البلدان ٣: ١٨٣).

وأمرَ به فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ. وصاحَ في المُخَنَّثين: مَنْ جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم. قال زَرَجُون المُخَنَّث: فخرجتُ بعد ذلك أُريدُ العالِيَة[1]، فإذا بصوتِ دُفٍّ أعجبني، فدنوتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نَغَماتِ قوم آنَسُ بهم، ففتحْتُهُ ودخلْتُ، فإذا بطُوَيْسٍ قائمٌ في يده الدُّفُّ يَتَغَنَّى؛ فلمّا رآني قال لي: إيه يا زَرَجون! قَتَل يحيى بنُ الحَكَم ابنَ نُغَاش؟ قلتُ: نعم. قال: وجَعَل في المخَنَّثين ثلاثمائة درهم؟ قلتُ: نعم. فاندفعَ يُغَنِّي: [الكامل]

مــا بـــالُ أَهْــلِــكِ يــا ربــابُ	خُــزراً كــأَنَّــهُــمُ غِــضــابُ
إنْ زُرْتُ أَهْـــلَـــكِ أوعــــدوا	وتَـــهِـــرُّ دُونَـــهُـــمُ كِـــلابُ

ثم قال: وَيْحَكَ! أفَما جعلَ فِيَّ زيادةً ولا فَضَّلَني عليهم في الجُعْلِ بفضلي شيئاً.

أخبرني محمد بن عمرو العَتّابيّ قال: حَدّثنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان ـ ولم أسمعْهُ أنا من محمد بن خلف ـ قال: حَدّثني إسحاق بن محمد بن أبانَ الكوفيّ قال: حَدَّثني حُسين بن دَحْمَان الأشْقَر قال: كنتُ بالمدينة، فخَلاَ لي الطّريق وَسَطَ النّهار، فجعلتُ أَتَغَنَّى:

مــا بـــالُ أهـــلـــكِ يـــا رَبـــابُ	خُزراً كأنَّهمُ غِضابُ قال: فإذا خَوْخَةٌ[2]

قد فُتِحَتْ، وإذا وَجْهٌ قد بدا تَتْبَعُه لِحْيةٌ حمراء، فقال: يا فاسقُ أسأتَ التّأديةَ، ومَنَعْتَ القائلة، وأَذَعْتَ الفاحشةَ؛ ثم اندفعَ يُغَنِّيه، فظَنَنْتُ أنّ طُوَيْساً قد نُشِرَ[3] بعينه؛ فقلت له: أصلحَكَ اللّهُ! مِنْ أين لكَ هذا الغِناءُ؟ فقال: نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ أَتْبَعُ المُغَنِّين وآخُذُ عنهم، فقالت لي أُمِّي: يا بُنَيَّ إنّ المُغَنِّي إذا كان قبيحَ الوجه لم يُلْتَفَتْ إلى غِنائِه، فَدَعِ الغِنَاءَ واطلُبِ الفقهَ؛ فإنه لا يضرُّ معه قبحُ الوجه. فتركتُ المُغَنِّين واتَّبَعْتُ الفقهاءَ، فبلَغَ اللّهُ بي عَزَّ وجَلَّ ما ترى. فقلت له: فَأَعِدْ جُعِلْتُ فداءك! قال: لا ولا كرامَةَ! أتريد أن تقول: أخذته عن مالك بن أَنَسٍ! وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم.

---

(١) العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها إلى تهامة فهي العالية، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة (معجم البلدان ٤: ٧١).

(٢) الخوخة: كوّة في البيت أو الباب الصغير وسط الباب الكبير.

(٣) نُشِرَ: بُعِثَ حَيًّا.

صوت

من المائة المختارة

[مجزوء الوافر]

لِمَنْ رَبْعٌ بِذاتِ الجَيْـ ... شِ أَمْسَى دَارِساً خَلَقا
وَقَفْتُ بهِ أُسَائِلُهُ ... ومَرَّتْ عِيسُهُمْ جِزَقا[1]
عَلَوْا بكَ ظَاهِرَ البَيْدا ... ءِ والمَحْزُونُ قد قَلِقا

[حديث النبي عن انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة]

ـ ذات الجيش: موضع.

ذكر النبيّ ﷺ أنّ جيشاً يغزو الكعبة، فيُخْسَفُ بهم إلاّ رجلاً واحداً يُقْلَبُ وجهُه إلى قَفَاه، فيرجِعُ إلى قومه كذلك، فيخبرهمُ الخبر. حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجَعدي قال: حَدّثنا محمد بن بَكّار قال: حَدّثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقةَ قال: سَمِعْتُ نافعَ بن جُبَيْر بن مُطْعِم يقول: حَدَّثتني عائشةُ قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يغزو جَيْشٌ الكَعْبَةَ حتّى إذا كانوا ببَيْداءَ من الأرضِ خُسِفَ بِأَوّلِهم وآخِرِهِمْ»[2]. قالت عائشة: فقلتُ يا رسولَ الله، كيف يُخْسَفُ بأوّلهم وآخرهم وفيهم سِوَاهم ومَنْ ليس منهم؟ قال: «يُخْسَفُ بأوّلهم وآخِرِهم ثم يُبْعَثُون على قَدْرِ نِيّاتهم».

الشّعر للأحْوَص، والغِناءُ في هذا اللّحن المختار للدّلال المُخَنَّث وهو أحد مَنْ خَصَاه ابن حَزْم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المُخَنَّثين. والخبرُ في ذلك يُذْكَرُ بعدُ. ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر في الأوّل والثالث، ولإسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ آخرَ، وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرّمَل عن يونس والهشاميّ وغيرهما. وفيه رملٌ يُنْسَبُ إلى ابن سُرَيْج، وهو مما يُشَكُّ في نسبته إليه. وقيل: إنّ خفيف الرّمَل لابن سُرَيْج، والرّمل لمالك. وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للدّلاَل خفيفَ ثقيلٍ بالبِنْصَر أيضاً.

---

(١) الجِزَق: الجماعات.

(٢) الحديث في صحيح البخاري ٢: ١٨٣ و ٣: ٨٦، وفتح الباري ٤: ٣٣٨، والترغيب والترهيب ١: ٥٧.

ذكر الأحوَص وأخباره ونسبه

[توفي ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م]

هو الأحوص. وقيل: إنّ اسمه عبد اللّه، وإنّه لُقِّبَ الأحْوَصَ لِحَوَصٍ[١] كان في عينيه. وهو ابن محمد بن عبد اللّه بن عاصِم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح ـ واسم أبي الأقْلَح قيس ـ بن عُصَيْمةَ بن النُّعْمان بن أُمَيَّةَ بن ضُبَيْعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوْس. وكان يقال لبني ضُبَيْعةَ بن زيدٍ في الجاهلية: بنو كِسَرِ الذَّهَب. وقال الأحوص حين نُفِيَ إلى اليمن: [الخفيف]

بَـدَّلَ الـدَّهْـرُ مِـنْ ضُـبَـيْـعَـةَ عَـكّـا ... جِـيـرَةً وهـو يُـعْـقِـبُ الأَبْـدالا[٢]

[حديث حماية الدَّبْر لعاصم]

وكان جدّه عاصمٌ يقال له: حَمِيُّ الدَّبْرِ[٣]؛ وكان رسولُ اللهﷺ بَعَثَهُ بَعْثاً، فقتله المشركون؛ وأرادوا أنْ يَصْلُبوه فَحَمَتْهُ الدَّبْرُ، وهي النَّحْلُ، فلم يَقْدِرُوا عليه، حتى بَعَثَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ الوادِي[٤] في اللّيل فاحتمله فذَهَبَ به. وفي ذلك يقول الأحْوَصُ مفتخِراً: [الخفيف]

وأَنَـا ابْـنُ الّـذي حَـمَـتْ لَـحْـمَـهُ الـدَّبْـ ... ـرُ قَـتِـيـلِ الـلِّـحْـيـانِ يـومَ الـرَّجِـيـعِ[٥]

حَدَّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جَرِير الطَّبَريّ قال: حَدّثنا ابن حُمَيد قال:

---

(١) الحَوَص: ضِيق في مؤخّر العينين أو أحدهما.

(٢) عَكّ: قبيلة من قحطان باليمن.

(٣) الدَّبْرُ: جماعةُ النَّحلِ. وقال الأزهريّ: الدَّبْر: الزَّنابير. وسُمِّيَتْ دَبْراً لتدبيرها وتأنُّقِها في العمل العجيب.

(٤) الوادي: أراد هنا السَّيل الذي يجري في الوادي.

(٥) لَحْيَان: حَيّ من هذيل.

حدّثنا سَلَمَةُ بن الفَضْل قال: حَدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصِم بن عُمَر بن قتادة قال: قَدِمَ على رسول الله ﷺ بعد أُحُدٍ رَهْطٌ من عَضَل والقَارَة[١]، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّ فينا إسلاماً وخَيْراً، فابْعَثْ معنا نفراً من أصحابك، يُفَقِّهونا في الدِّين، ويُقْرِئونا القُرْآنَ، ويُعَلِّمونا شرائعَ الإسلام؛ فَبَعثَ رسولُ الله ﷺ معهم نفراً سِتّةً من أصحابه: مَرْثَد بن أبي مرْثَدٍ الغَنَويّ حليفَ حمزة بن عبد المُطّلب، وخالدَ بن البُكَيْر حليفَ بني عَدِيّ بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح أخا بني عَمْرو بن عَوْف، وخُبَيْبَ بن عديّ أخا بني جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عمرو بن عَوْف، وزيدَ بن الدَّثِنَّة أخا بني بَياضة بن عامر، وعبدَ الله بن طارِقٍ حليفاً لبني ظَفَر من بَلِيّ، وأَمَّرَ رسولُ الله ﷺ عليهم مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَدٍ، فخرجوا مع القوم، حتّى إذا كانوا على الرَّجِيع (ماء لِهُذَيْل بناحيةٍ من الحجاز من صَدرِ الهَدْأَةِ)[٢] غدروا بهم، واستصرَخُوا عليهم هُذَيْلاً، فلم يُرَع القومُ وهم في رِحالِهِمْ إلاّ بِالرِّجالِ في أيديهم السّيوفُ قد غَشُوهم؛ فأخذوا أسيافَهُمْ ليقاتلوا القومَ؛ فقالوا: إنّا والله ما نُريدُ قَتْلَكم، ولكنّا نُريدُ أن نُصيبَ بكم شيئاً من أهلِ مَكّة، ولكم عَهْدُ اللّهِ وميثاقُهُ ألاّ نقتلكم. فَأَمّا مَرْثَدُ بن أبي مَرْثَد، وخالدُ بن البُكَيْر، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقْلَح فقالوا: إنّا والله لا نَقْبَلُ من مُشْرِكٍ عهداً ولا عقداً أبداً، فقاتلُوهم حتّى قتلوهم جميعاً. وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة، وخُبَيْبُ بن عَدِي، وعبدُ اللّه بن طارِقٍ فلانُوا ورَقُّوا ورَغِبوا في الحياة وأعْطَوا بأيديهم[٣]؛ فأَسَرُوهم، ثم خرجوا بهم إلى مكّةَ لِيَبيعُوهم بها؛ حتّى إذا كانوا بِالظَّهران[٤] انتزعَ عبدُ اللّه بن طارق يدَه من القِرَانِ ثم أخذَ سيفَه واستأْخرَ عن القوم، فَرَمَوْه بالحجارة حتى قتلوه، فَقَبْرُه بالظَّهْران. وأمّا خُبَيْبُ بن عَدِيّ وزيد ابن الدَّثِنَّة، فقدِموا بهما مكّة فباعوهما. فابتاعَ خُبَيْباً حُجَيْرُ بن أبي إهَابٍ التَّمِيمي حليفُ بني نوْفَل لعُقْبَةَ بن الحارث بن عامر بن نَوْفَل ـ وكان حُجَيْرٌ أخا الحارث بن عامر بن نَوْفَل لأُمّه ـ ليقتلَه بأبيه. وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفْوَانُ بن أُمَيَّة ليقتله بأُمَيَّة بن خَلَف أبيه. وقد كانت هُذَيْل حين قُتِل عاصمُ بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلاَفة بنت سَعْد بن شُهَيْد، وكانت قد نَذَرَتْ حين قَتَلَ عاصمُ ابنَها يومَ

(١) عَضَل بن الدّيش. والدِّيش وهم القارة، وكلّهم من ولد الهُون بن خُزَيمة (انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٩٠).

(٢) الرجيع: ماء لهذيل بين مكة والطائف وبه بئر معاوية. (معجم البلدان ٣: ٢٩).

(٣) أعطوا بأيديهم: انقادوا.

(٤) الظَّهران: وادٍ بين مكة وعسفان (معجم البلدان ٤: ٦٣).

أُحُدٍ لَئِنْ قَدرَتْ على رأس عاصم لَتَشْرَبَنَّ في قِحْفه[١] الخَمْرَ، فمنعَتْهُ الدَّبْرُ. فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا: دَعُوه حتى يُمْسِيَ، فتذهبَ عنه فنأخذه. فَبَعثَ اللَّهُ عزّ وجلّ الوادي فاحتملَ عاصماً فذهب به. وكان عاصمٌ قد أعطى الله عزّ وجلّ عهداً لا يَمَسُّهُ مُشْرِكٌ أبداً ولا يَمَسّ مشركاً أبداً تَنَجُّساً[٢] منه. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلَغه أن الدَّبْر مَنَعَتْهُ: «عَجَباً لِحِفْظِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ العبدَ المؤمنَ! كان عاصم نَذَرَ ألاَّ يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ ولا يَمَسَّ مُشْرِكاً أبداً في حياتِهِ، فمنَعَه اللَّهُ بعد مَمَاتِهِ كما امتنعَ منه في حياتِهِ!».

[مقتل خُبيب وحديث دعوته وشعره]

قال محمد بن جَرير: وأمّا غير ابن إسحاق، فإنّه قَصَّ من خبر هذه السَّرِيَّة غيرَ الذي قَصَّه غيرُه: من ذلك ما حَدَّثنا أبو كُرَيْب قال: حَدّثنا جعفر بن عَوْن العَمْرِيّ قال: حَدّثَنا إبراهيم بن إسماعيل عن عُمَر أو عمرو بن أَسِيدٍ عن أبي هُرَيرة: أنّ رسولَ اللهﷺ بعثَ عشرةَ رهْطٍ وأَمّر عليهم عاصمَ بن ثابت بن أبي الأَقْلَح، فخرجوا، حتَّى إذا كانوا بالهَدْأةِ ذُكِروا لِحَيٍّ من هُذَيْل يقال لهم بنو لَحْيان، فبعثوا إليهم مِائَة رَجُلٍ رامياً، فوجدوا مَأْكَلَهُمْ حيث أكلوا التَّمْر، فقالوا: نَوَى يَثْرب! ثم اتَّبَعُوا آثارهم؛ حتّى إذا أَحَسَّ بهم عاصمٌ وأصحابهُ التجأُوا إلى الجبل، وأحاط بهم الآخَرُون فاستنْزلوهم، وأَعْطَوهُم العهدَ. فقال عاصم: والله لا أَنزِلُ على عهدِ كافرٍ، اللَّهُمَّ أَخبِرْ نَبِيَّكَ عَنَّا، ونَزَل إليهم ابن الدَّثِنَّة البَيَاضيّ، وخُبَيْبٌ، ورجلٌ آخرُ، فأطلقَ القومُ أوتارَ قِسِيِّهم، ثم أَوْثَقُوهم، فجرحوا رجلاً من الثلاثة، فقال: هذا والله أَوّلُ الغَدْرِ، والله لا أَتْبَعُكم، فضربوه وقتلوه؛ وانطلقوا بِخُبَيْبٍ وابن الدَّثِنَّة إلى مَكّة، فدفعوا خُبَيْباً إلى بني الحارث بن عامر بن نَوفل بن عبد منافٍ، وكان خبيبٌ هو الّذي قتل الحارث بِأُحُدٍ. فبينما خُبَيْبٌ عند بناتِ الحارث، استعار من إحدى بنات الحارث مُوسَى لِيَسْتَحِدَّ[٣] بها للقَتْل، فما راعَ المرأةَ ولها صَبِيٌّ يَدْرُجُ إلا خُبَيْبٌ قد أجلسَ الصَّبِيَّ على فَخذِه والمُوسَى بيده، فصاحتِ المرأة، فقال خُبيب: أَتَحْسَبِينَ أَنّي أَقْتُلُه! إنّ الغَدْرَ ليس من شأننا. قال: فقالت المرأة بعدُ: ما رأيتُ أسيراً قَطُّ خيراً من خُبَيْبٍ، لقد رأيتُهُ وما بمكّة من ثَمرةٍ

(١) القِحف: عظم الجمجمة.
(٢) تنجّساً: تحاشياً من النجاسة.
(٣) يستحدّ: يحلق شَعْرَ عانته، وهو استفعال من الحديدة يعني الاستحلاق بها.

وإنّ في يده لَقِطْفاً من عِنَبٍ يأكلُه، إنْ كان إلاّ رزقاً رَزَقَهُ الله خُبَيْباً. وبَعَثَ حَيٌّ من قَيْسٍ إلى عاصم لِيُؤْتَوْا من لَحمِه بشيء، وقد كان لعاصم فيه آثارٌ[1] بِأُحُدٍ، فَبَعثَ الله عليه دَبْراً فَحَمتْ لحمَه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً. فلمّا خرجوا بخبَيْبٍ من الحَرَم ليقتلوه، قال: ذَرُوني أُصَلِّ ركعتين. فتركوه فَصَلّى ركعتين ـ فجرتْ سُنَّةً لِمَنْ قُتِل صَبْراً يُصَلِّي ركعتين ـ ثم قال: لولا أن يقال جَزِعَ لَزِدْتُ، وما أُبَالي:

* عَلَى أيِّ شِقٍّ كان لِلَّهِ مَصْرَعِي *

ثم قال: [الطويل]

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ يُبَارِكْ على أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

اللّهُمَّ أَحْصِهِم عَدَداً[3]، وخُذْهُمْ بِدَداً[4]. ثم خرج به أبو سِرْوَعَةَ بن الحارث ابن عامر بن نَوْفَلٍ بن عبد مَنَافٍ فضربه فقتله.

حدّثنا محمد قال: حَدّثنا أبو كُرَيْبٍ قال: حَدّثنا جعفر بن عَوْن عن إبراهيم بن إسماعيل، قال: وأخبرني جعفر بن عمرو بن أُمَيَّةَ عن أبيه عن جَدّه: أنّ رسولَ اللهﷺ بعثه وحدَه عَيْناً إلى قُرَيْش، قال: فجئتُ إلى خَشَبة خُبَيْبٍ وأنا أتخوَّفُ العيونَ، فَرَقِيتُ فيها، فحَلَلْتُ خُبَيْباً فوقَع إلى الأرض، فانتبذتُ غيرَ بعيدٍ، ثم التفتُّ فلم أرَ لخبيبٍ أثراً، فكأنّما الأرضُ ابتلَعَتْهُ، فلم تَظْهَرْ لخبيبٍ رِمَّةٌ[5] حتّى الساعة.

[مقتل ابن الدّثنة]

قال محمد بن جرير: وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة، فإنّ صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ بَعَثَ به ـ فيما حدّثنا ابن حُمَيْد قال: حَدّثنا سَلَمةُ عن ابن إسحاق ـ مع مولًى له يقال له نِسْطاس إلى التَّنْعيم[6]، فأخرجه من الحَرَم ليقتله؛ واجتمع إليه رهطٌ من قريش فيهم أبو

---

(١) آثار: جمع ثأر (على القَلْب)، وجمعه أثآرٌ أيضاً.
(٢) الشِّلْوُ: البقيّة. والممزَّع: المقطّع.
(٣) عدداً: جميعهم.
(٤) بِدداً: متفرّقين.
(٥) الرِّمّة: العظام البالية.
(٦) التّنعيم: موضع بمكة في الحلّ وهو بين مكة وسرِف. (معجم البلدان ٢:٤٩).

سُفْيان بن حَرْب؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ لِيُقتَلَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يا زيد، أَتُحِبُّ أَنَّ محمداً عندنا الآن مكانَكَ فَتضرِبَ عُنُقَه، وأنّك في أهلك؟ فقال: واللَّهِ ما أُحِبُّ أنَّ محمداً الآن في مكانه الّذي هو فيه تُصِيبُه شَوْكَةٌ تُؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي! قال: يقول أبو سفيان: ما رأيتُ من النَّاس أحداً يُحِبُّ أحداً كَحُبِّ أصحاب محمدٍ محمّداً! ثم قتله نِسْطَاس.

أخبرني أحمد بن الجَعْد قال: حَدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبِيّ قال: حَدَّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عقْبَة عن ابن شِهَابٍ قال: نزل عبد الله[1] وأبو أحمد ابنا جَحْشٍ، حين قَدِمَا مُهَاجِرَيْنِ، على عاصم بن ثابت، وكنيته أبو سليمان.

وقال عاصم: [الرجز]

أبـو سـلـيـمـان وريـشُ الـمُـقْـعَـدِ ومُـجْـنـأٌ مـن جـلـدِ ثـورٍ أَجْـرَدِ[2]

وذكر لنا الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبَير أَنَّ عاصماً، فيما قِيلَ، كان يُكْنَى أبا سُفْيان. قال: وقال في يوم الرَّجِيع: [الرجز]

أَنَـا أَبُـو سُـفْـيَـانَ مِـثْـلِـي رَامَـا أَضْـرِبُ كَـبْـشَ الـعـارِضِ الـقَـدَّامَـا[3]

[كنية الأحوص وصفاته]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثنا إسماعيل بن عبد اللَّه عن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقْبة عن عَمِّه قال: كُنْيَة الأحْوَص أبو محمد، وأُمُّه أُثَيْلَة بنت عُمَيْر بن مَخْشِيٍّ؛ وكان أحمَر أَحْوَصَ العينين.

[رأي الفرزدق به]

قال الزبير فحدّثني محمد بن يحيى قال: قَدِمَ الفَرَزْدَقُ المدينةَ، ثم خرجَ منها، فسُئِلَ عن شُعَرائِها، فقال: رأيتُ بها شاعرَيْن وعَجِبتُ لهما: أحدهُما أخْضَرُ

---

(1) عبد الله: بن جحش، صحابيّ قديم الإسلام (أسد الغابة 3: 131).

(2) المقعَد: رجل كان يريش النَّبْل. والمجنأ: الترس. وفي السيرة لابن هشام «الضالة»: شجر تصنع منه القسيّ والسهام. وهي هنا تعني القوس.

(3) الكبش: القائد. والعارض: هو السحاب أو الجراد يسدّ الأفق وهنا أراد به الجيش. والقدّام: الذي يتقدّم الناس بالشرف.

يسكن خارجاً من بُطْحَان[١] (يريد ابن هَرْمَةَ)، والآخر أحمرُ كأنّه وَحَرَةٌ على بُرُودةٍ في شعره (يريد الأحْوَص). والوَحَرةُ: يَعْسُوبٌ أحمرُ ينزل الأنبار[٢].

وقال الأحوصُ يهجو نَفْسه ويذكر حَوَصَهُ: [الرجز]

أَقْـبِـحْ بـه مِـنْ وَلَـدٍ وأَشْـقِـحِ مِـثْـلِ جُـرَيِّ الـكَـلْـبِ لـم يُـفَـقِّـحِ[٣]

إنْ يَـرَ سُـوءاً لـم يَـقُـمْ فَـيَـنْـبَـحِ بِـالـبـابِ عِـنْـدَ حَـاجَـةِ الـمُـسْـتَـفْـتِـحِ

قال الزُّبَير: ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِه غيرُ رجلين.

[موقعه في الطبقات]

قال الزُّبير: وجعل محمدُ بن سَلاّم الأحوصَ، وابنَ قَيْسِ الرُّقَيّات، ونُصَيْباً، وجَمِيلَ بن مَعْمَرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام، وجعله بعد ابن قَيْسٍ، وبعد نُصَيْب، قال أبو الفرج: والأَحْوَصُ، لولا ما وَضَع به نَفْسَه من دَنِيء الأخلاق والأفعال، أَشَدُّ تَقدُّماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرُّواة؛ وهو أَسْمحُ طبعاً، وأسهلُ كلاماً، وأَصَحُّ مَعْنًى منهم؛ ولِشعْرِه رَوْنَقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظ ليست لواحدٍ منهم. وكان قليل المُروءة والدِّين، هَجَّاءً لِلنَّاسِ، مَأْبوناً[٤] فيما يُرْوَى عنه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: حَدْثني أبو عُبَيدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه أنّ السَّبب في جَلْد سُلَيْمانَ بنِ عبد الملك، أو الوليد بن عبد الملك إيّاه ونَفْيِه له، أنّ شهوداً شهِدوا عليه عنده أنه قال: إذا أخذتُ جَرِيري[٥] لم أُبالِ أيَّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً. قالوا: وانضافَ إلى ذلك أنَّ سُكَيْنَة بنت الحسين رَضِيَ الله عنهما فَخَرَتْ يوماً برسول اللهﷺ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها:

* لَـيـس جـهـلٌ أَتَـيْـتِـهِ بِـبَـديـعِ *

---

(١) بُطحان: وادٍ بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة وهي العقيق وبطحان وقناة (معجم البلدان ١: ٤٤٦).

(٢) الأنبار: مدينة قرب بَلْخ وهي قصبة ناحية جُوزَجان وبها كان مقام الأنبار، ولها كروم وبساتين كثيرة. (معجم البلدان ١: ٢٥٧).

(٣) شَقُحَ: قَبُحَ، ويقال شُقْحاً له وقُبحاً. وفَقَّح الجِروُ تفقيحاً: إذا فتح عينيه أوّلَ ما يفتح.

(٤) المأبون: المُعَاب والذي يُرمى بصفات سيّئة.

(٥) الجرير: الزّمام.

فزاده ذلك حَنَقاً عليه وغيظاً حتّى نفاه.

[مفاخرته بجدّه وخاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبّة: أنّ الأحوصَ كان يوماً عند سُكَينة، فأذَّنَ المؤذِّنُ، فلمّا قال: أَشْهَدُ أنْ لا إِلٰهَ إلاَ اللَّهُ، أَشْهَدُ أنّ محمداً رسولُ الله، فَخَرَتْ سُكَينةُ بما سَمِعَتْ؛ فقال الأحوص: [الخفيف]

فَخَرَتْ وانْتَمَتْ فَقُلْتُ ذَرِيني ... لَيسَ جَهْلٌ أَتَيْتِهِ بِبَدِيعِ
فأنا ابْنُ الَّذي حَمَتْ لَحْمَهُ الدَّبْـ ... ـرُ قَتيلِ اللِّحْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ
غَسَّلَتْ خَالِيَ المَلائِكَةُ الأَبْـ ... ـرارُ مَيْتاً طُوبَى له مِن صَرِيعِ

قال أبو زيد: وقد لَعَمْري فَخَرَ بِفَخْرٍ لو على غيرِ سُكَيْنَة فَخَر به! وبأبي سُكينةَﷺ حَمَتْ أباه الدَّبْرُ وغَسَّلتْ خالَه الملائكةُ.

أخبرني الحَرَمي بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثني محمد ابن يحيى عن أَيُّوب بن عُمَر عن أبيه قال: لمّا جاء ابن حَزْمٍ عَمَلَه من قِبَل سُليمانَ ابن عبد الملك على المدينة والحجّ، جاءه ابنُ أبي جَهْم بنِ حُذَيفة وحُمَيْد بن عبد الرحمن بنِ عَوْف وسُرَاقةُ، فدخلوا عليه فقالوا له: إيه يابنَ حَزْم! ما الّذي جاء بك؟ قال: استعملني والله أميرُ المؤمنين على المدينة على رَغْم أَنْفِ من رَغِمَ أنفُه. فقال له ابنُ أبي جهم: يابنَ حزم، فإنِّي أوّلُ مَنْ يَرْغَمُ من ذلك أنفُه. قال: فقال ابن حزم: صادقٌ، والله يُحِبُّ الصّادقين. فقال الأحوص: [الطويل]

سُلَيْمَانُ إذْ وَلاَّكَ رَبُّكَ حُكْمَنا ... وسُلْطانَنا فَاحْكُمْ إذا قُلْتَ واعْدِلِ
يَؤُمُّ حَجِيجَ المُسْلِمينَ ابْنُ فَرْتَنَى ... فَهَبْ ذاكَ حَجّاً لَيسَ بِالمُتَقَبَّلِ[1]

فقال ابنُ أبي عَتِيق للأحوص: الحمدُ لِلَّهِ يا أحوص، إذْ لم أَحُجَّ ذلك العامَ بنعمة رَبِّي وشُكْرِه. قال: الحمدُ لله الّذِي صَرَفَ ذلك عنكَ يابنَ أبي بكرِ الصِّدِّيق، فلم يُضْلِلْ دِينَكَ، ولم تُعَنِّ نَفْسك، وتَرَ ما يَغِيظُكَ ويَغِيظُ المسلمين معك.

---

(١) الفَرْتَنا: الأَمَة.

[الوليد يأمر بجلده لِتعرّضه للخبّازين]

أخبرني الحَرَمي قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمِّه موسى بن عبد العزيز قال: وفَدَ الأحوصُ على الوليد بن عبد الملك وامتدَحَهُ فأنزله منزلاً، وأمر بمَطْبَخِه أن يُمَالَ عليه؛ ونزلَ على الوليد بن عبد الملك شُعَيْب ابن عبد اللّه بن عمرو بن العاصي، فكان الأحْوَصُ يُرَاوِدُ وُصفَاءَ للوليد خَبَّازِين عن أنفسهم ويُريدُهم أن يفعلوا به. وكان شُعَيْبٌ قد غَضِبَ على مولًى له ونَحَّاه. فلمّا خاف الأحوصُ أن يَفْتَضِحَ بمُراودته الغلمانَ، انْدَسَّ لِمَوْلَى شُعَيْب ذلك فقال: ادْخُلْ على أمير المؤمنين فاذْكُرْ له أَنَّ شُعَيباً أرادَكَ عن نفسِكَ، ففعل المولى، فالتفت الوليدُ إلى شُعَيب فقال: ما يقول هذا؟ فقال: لكلامه غَوْرٌ[1] يا أميرَ المؤمنين؛ فاشْدُدْ به يَدَكَ يَصْدُقْكَ. فشدّدَ عليه، فقال: أَمَرني بذلك الأحْوَصُ. فقال قَيِّمُ الخبّازين: أصلحكَ اللّهُ! إنّ الأحوص يُرَاوِدُ الخبّازين عن أنفسِهم. فأرسل به الوليدُ إلى ابن حَزْم بالمدينة، وأمَره أن يَجْلِدَه مائةً، ويَصُبَّ على رأسه زيتاً، ويُقِيمَه على البُلُسِ؛ ففعلَ ذلك به فقال وهو على البُلُسِ أبياتَه التي يقول فيها:

[الكامل]

ما مِنْ مُصِيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها ... إلاّ تُشَرِّفُنِي وتَرْفَعُ شانِي

[الأحوص يهجو ابن حزم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبّة قال: حَدّثني أيّوب بن عمر قال: أخبرني عبد الله بن عمْران بن أبي فَرْوةَ قال: رأيتُ الأحوص حين وَقَفَهُ ابنُ حَزْمٍ على البُلُسِ في سوق المدينة وإنّه لَيَصِيح ويقول:

ما مِنْ مُصِيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها ... إلاّ تُعَظِّمُنِي وتَرْفَعُ شَانِي

وتَزُولُ حينَ تزولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ ... تُخْشَى بَوَادِرُه على الأَقْرانِ[2]

إنِّي إذا خَفِيَ اللِّئَامُ رَأَيْتَنِي ... كالشَّمْسِ لا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانِ

قال: وهجا الأحوصُ ابن حَزْمٍ بشعرٍ كثيرٍ منه:

---

(١) الغَور: العمق، أي في كلامه معنى خفيّ غير واضح.

(٢) المتخمِّط: المتكبِّر.

[الطويل]

أَقُولُ وأَبْصَرْتُ ابْنَ حَزْمِ بْنِ فَرتَنَى ... وُقُوفاً له بِالمَأْزِمَيْنِ القَبَائِلُ[١]
تُرَى فَرْتَنَى كانَتْ بما بَلَغَ ابْنُها ... مُصَدِّقَةً لو قالَ ذلكَ قائِلُ

ـ أخبرني الحَرَميُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير عن أبي عُبَيدةَ قال: كُلُّ أَمَةٍ يقال لها فَرْتَنَى، وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال: فَرْتَنَى: الأَمَةُ بنت الأَمَةِ ـ قال الزُّبير: فقال ابنُ حزْم حين سَمِعَ قولَ الأَحْوَص فيه «ابن فَرْتَنَى» لِرَجُلٍ من قومه له علمٌ: أَنَحْنُ من وَلَدِ فَرْتَنَى؟ أَوَ تَعْرِفُها؟ فقال: لا واللهِ! قال: ولا أنا أعلَمُ والله ذلك! ولقد عَضَهني[٢] به، ولو كانت وَلَدَتْني لم أَجْهَلْ ذلك.

قال الزُّبير: وحدّثني عَمِّي مُصْعَبٌ عن عبد الله بن محمد بن عُمَارةَ قال: فَرْتَنَى: أُمٌّ لهم في الجاهلية من بَلْقَيْن[٣]، كانوا يُسَبُّونَ بها، لا أدري ما أَمْرُها، قد طرحوها من كِتاب النَّسَب، وهي أُمُّ خالد بِنت خالد بن سِنَان بن وَهْب ابن لَوْذَانَ السَّاعِدِيَّة أُم بني حَزْم.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حدَّثنا الزُّبَير قال: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشُون: أنّ الأَحْوصَ قال لابن حَزْمٍ: [الطويل]

لَعَمْرِي لقد أَجْرَى ابنُ حَزْمِ بْنِ فَرْتَنَى ... إلى غَايةٍ فيها السِّمَامُ المُثَمَّلُ[٤]
وقد قُلْتُ مَهْلاً آلَ حَزْمِ بْنِ فَرْتَنَى ... فَفِي ظُلْمِنا صَابٌ مُمِرٌّ وحَنْظَلُ[٥]

وهي طويلة. قال أيضاً: [البسيط]

أَهْوَى أُمَيَّةَ إنْ شَطَّتْ وإنْ قَرُبَتْ ... يَوْماً وأَهْدِي لها نُصْحِي وأَشْعارِي
ولو وَرَدْتُ عليها الفَيْضَ ما حَفَلَتْ ... ولا شَفَتْ عَطَشي مِنْ مائِهِ الجَارِي[٦]
لا تَأْوِيَنَّ لِحَزْمِيٍّ رَأَيْتَ بِهِ ... ضُرّاً ولو طُرِحَ الحَزْمِيُّ في النَّارِ[٧]

---

(١) المَأْزِمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام وَعَرَفة، وهو شعب بين جبلين يُفضي آخره إلى بطن عرفة. (معجم البلدان ٥: ٤٠).

(٢) عَضَه الرجلُ: جاء بالإفك والبهتان والنميمة.

(٣) بلقين: حيّ من بني أسد وأصلها بنو القين.

(٤) السمّ المثمَّل: المقوّى وهو الذي طال إنقاعه فبقي وثبت.

(٥) الصاب: عصارة شجر مرّ وهو يشبه اللّبن.

(٦) الفَيْض: نهر بالبصرة معروف، والفيض: محلّة بالبصرة قرب النهر المفضي إلى البصرة. (معجم البلدان ٤: ٢٨٥).

(٧) لا تأوينّ: لا ترثينّ ولا تعطفَنّ.

النَّاخِسِينَ بِمَرْوانٍ بِذِي خُشُبٍ والمُقْحِمِينَ على عُثْمَانَ في الدَّارِ[1]

أخبرنا الحَرميُّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار: أنّ ابن حَزْم لمّا جَلَدَ الأحوص ووَقَفه على البُلُسِ يَضرِبُه، جاءه بنو زُرَيق فدفعوا عنه، واحتملوه من أعلى البُلُسِ. فقال في ذلك ـ قال ابن الزبير: أنشدنيه عبد الملك بن الماجِشون عن يوسف بن أبي سَلَمة الماجشون ـ: [البسيط]

إمّا تُصِبْنِي المَنَايَا وهْيَ لاَحِقَةٌ وكُلُّ جَنْبٍ له قَدْ حُمَّ مُضْطَجَعُ
فَقَدْ جَزَيْتُ بَنِي حَزْم بِظُلْمِهِمُ وقد جَزَيْتُ زُرَيْقاً بالّذِي صَنَعُوا
قومٌ أَبَى طَبَعَ الأَخْلاقِ أَوَّلُهُمْ فهُمْ على ذاكَ مِنْ أخلاقِهِمْ طُبِعُوا[2]
وإنْ أُنَاسٌ وَنَوْا عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ وضَاقَ بَاعُهُمُ عَنْ وُسْعِهِمْ وَسِعُوا[3]
إنِّي رَأَيْتُ غَدَاةَ السُّوقِ مَحْضَرَهُمْ إذْ نَحْنُ نَنْظُرُ ما يُتْلَى ونَسْتَمِعُ

أخبرني الحَرَمي قالَ: حَدّثنا الزّبير قال: حَدّثني عُمر بن أبي بكر المؤمليّ قال: حدّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم أنّ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَدَ الأحوصَ في الخنثِ[4]، وطاف به وغَرَّبَهُ إلى دَهْلَك[5] في مَحْمِلٍ عُرْياناً. فقال الأَحْوَصُ وهو يُطَافُ به:

* ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبةٍ أُبْلَى بها *

الأبيات. وزاد فيها: [الكامل]

إنِّي على ما قَدْ تَرَوْنَ مُحَسَّدٌ أَنْمَى على البَغْضاءِ والشَّنآنِ
أصبحتُ لِلأَنْصَارِ فيما نَابَهُمْ خَلَفاً ولِلشُّعَرَاءِ مِنْ حَسَّانِ

قال الزُّبير: ومما ضُرِبَ فيه أيضاً قوله: [الطويل]

شَرُّ الحِزَامِيِّينَ ذُو السِّنِّ مِنْهُمُ وخَيْرُ الحِزَامِيِّينَ يَعْدِلُهُ الكَلْبُ

---

(١) الناخسين له: الطاردين له. خُشُب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة، وقيل هو جبل. (معجم البلدان ٢: ٣٧٢).

(٢) الطَّبَعُ: الدَّنس والعيب، وكلّ ما يشين في دين أو دنيا فهو طَبَعٌ.

(٣) وَنى: ضعف وفتر.

(٤) الخُنْث: اسم من التخنث.

(٥) دَهْلَك: جزيرة في بحر اليمن وهو مَرْسًى بين بلاد اليمن والحبشة، وهي بلاد ضيّقة حرجة حارة كان بنو أمية ينفون إليها مَنْ يغضبون عليه.

فَإنْ جِئْتَ شَيْخاً مِنْ حِزَام وَجَدْتَهُ مِنَ النَّوْكِ والتَّقْصِيرِ ليسَ له قَلْبُ[١]
فَلَوْ سَبَّنِي عَوْنٌ إذاً لَسَبَبْتُهُ بِشِعْرِي أو بَعْضُ الأُلَى جَدُّهُمْ كَعْبُ

عَوْن: يعني عَوْن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه رضوان الله. وكعب، يعني كَعْبَ بن لُؤَيّ.

أُولَئِكَ أَكْفَاءٌ لِبَيْتِي بيُوتُهُمْ ولا تَسْتَوِي الأَعْلاَثُ والأَقْدُحُ القُضْبُ[٢]

أخبرني الحَرَميُّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدَّثني محمد بن ثابتٍ الأنصاريّ عن محمد بن فَضَالة قال: كان الأحوص بن محمد الأنصاريّ قد أوسعَ قومَهُ هِجاءً فملاهم شَرّاً، فلم يَبْقَ له فيهم صديقٌ، إلاّ فَتًى من بَنِي جَحْجَبَى. فلمّا أراد الأحوصُ الخروجَ إلى يزيد بن عبد الملك، نَهَضَ الفتى في جَهَازِهِ[٣] وقام بحوائجه وشَيَّعَهُ؛ فلما كان بِسقَايةِ سليمانَ ورَكِبَ الأحوصُ مَحْمِلَهُ، أقبلَ على الفتى فقال: لا أَخْلَفَ اللّهُ عليك بخيرٍ! فقال: مَهْ! غَفَرَ اللّهُ لكَ! قال الأحوص: لا واللّهِ أو أُعَلِّقُها حَرْباً، يعني قُبَاءَ وبني عمرو بن عَوْف.

[الأحوص يهجو معن بن حميد وابن أبي جرير]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال: حَدَّثني محمد بن يحيى قال: قال غَسّان بن عبد الحميد: أقبل الأحوصُ حتّى وقف على مَعْن بن حُمَيْد الأنصاري، أحد بني عمرو بن عوف بن جَحْجَبَى، فقال: [الطويل]

رَأَيْتُكَ مَزْهُوّاً كَأنَّ أَبَاكُمْ صُهَيْبَةُ أَمْسَى خَيْرَ عَوْفٍ مُرَكَّبَا
تُقِرُّ بِكُمْ كُوثَى إذا ما نُسِبْتُمُ وتُنْكِرُكُمْ عَمْرُ بن عَوْفِ بن جَحْجَبَى[٤]
عليكَ بِأَدْنَى الخَطْبِ إنْ أَنْتَ نِلْتَهُ وأَقْصِرْ فلا يَذْهَبْ بِكَ التِّيهُ مَذْهَبَا

فقام إليه بنوه ومَوَاليه؛ فقال: دَعُوا الكلبَ، خَلُّوا عنه، لا يَمَسَّهُ أحدٌ منكم؛ فانصرفَ. حتّى إذا كان عند أحجار المِرَاءِ بقُبَاءَ[٥] لَقِيَهُ ابن أبي جرير أحد بني

---

(١) النَّوْك: الحمق.
(٢) الأعلاث: قطع الشجر المختلطة مما يُقدَح به من المَرْخ واليبيس. والقُضْبُ: الرطبة.
(٣) الجهاز: ما يحتاجه المسافر في السفر.
(٤) كُوثى: في ثلاثة مواضع والمقصود هنا: بمكة وهو منزل بني عبد الدار. (معجم البلدان ٤ :٤٨٧).
(٥) قُبَاء: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. (معجم البلدان ٤ :٣٠٢).

العَجلان، وكان شديداً ضابطاً[١]؛ فقال له الأحوصُ: [الطويل]

إنَّ بِقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَحَاجَةً ... إلى سَيِّدٍ لو يَظْفَرونَ بِسَيِّدِ

فألقى ثيابه وأخذ بِحَلْقِ الأحوص ومع الأحوص راويته، وجاء الناسُ لِيُخَلِّصوه فحلف لَئِنْ خَلَّصَهُ أحدٌ من يديه ليأخُذنَّه ولَيَدعَنَّ الأحوص، فخنقه حتى استرخَى، وتركه حتى أفاق، ثم قال له: كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ، لَئِنْ سُمِعَ أو سَمِعتُ هذا البيت من أحدٍ من النّاس لأضْرِبَنَّكَ ضربةً بسيفي أُريد بها نَفْسَك ولو كنتَ تحت أستار الكعبة، فأقبل الأحوص على راويته فقال: إنّ هذا مجنون، ولم يسمع هذا البيت غيرُك، فإيّاك أن يسمَعه منك خَلْق.

أخبرني الحَرَميّ والطُّوسِيّ قالا: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثني بعض أصحابنا: أن الأحوص مَرَّ بعَبّاد بن حَمْزة بن عبد الله بن الزُّبَيْر ومحمد بن مُصْعَب بن الزُّبير بخيمَتَي أُمِّ مَعْبَد[٢]، وهما يُريدان الحَجَّ مَرْجِعَه من عند يَزيدَ بن عبد الملك، وهو على نَجِيبٍ له فارِهٍ ورَحْلٍ فاخرٍ وبِزَّةٍ[٣] مرتفعة، فحَدَّثهما أنّه قَدِمَ على يزيد بن عبد الملك، فأجازه وكساه وأَخْدَمَهُ[٤]؛ فلم يَرَهما يَهَشّان لذلك. فجعل يقول: خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَد، عَبَّاد ومحمّد، كأنه يَرُوضُ القوافِيَ للشّعر، يُريدُ قوله، فقال له محمد ابن مُصعَب: إنّي أراكَ في تَهْيِئَةِ شِعرٍ وقَوَافٍ وأراكَ تُريد أنْ تهجوَنَا! وكلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ لَئِنْ هَجَوْتَنا بشيءٍ إنْ لم أضْرِبْكَ بالسّيف مجتهداً[٥] على نفسك. فقال الأحوصُ: جعلني الله فداكَ! إنّي أخافُ أن تُسْمِعَ هذا فِيَّ عدوّاً فيقول شعراً يهجوكما به فَينْحَلُنِيهِ، وأنا أبرئكما الساعةَ، كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبداً.

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عَمِّي مُصْعَب قال: حَدّثنا الزبير بن خُبَيْب عن أبيه خُبيب بن ثابت قال: خَرَجْنا مع محمد بن عَبّاد بن عبد الله ابن الزُّبير إلى العُمْرة، فإنّا لَبِقُرْبِ قُدَيْد[٦] إذ لَحِقَنا الأحْوَصُ الشّاعر على جَمَلٍ

---

(١) الضابط: الشديد البطش والجسم والقوة.
(٢) خيمة أم مَعْبَد: ويقال بئر أم معبد، بين مكة والمدينة، نزله رسول الله ﷺ في هجرته ومعه أبو بكر. (معجم البلدان ٢: ٤١٤).
(٣) البِزّة: الهيئة والشّارة واللِّبْسَة.
(٤) أخدمه: وهبَ له خادماً.
(٥) أي باذلاً جهدي في القضاء عليك.
(٦) قُدَيد: اسم موضع قرب مكة. (معجم البلدان ٥: ١٣٦).

بِرَحْلٍ؛ فقال: الحمدُ لله الّذي وفَّقَكُمْ لي، ما أُحِبُّ أنّكم غيرُكم، وما زِلتُ أُحَرّكُ في آثاركم مُذْ رُفِعْتُم لي؛ فقد ازددت بكم غِبْطةً، فأقبل عليه محمد، وكان صاحبَ جِدٍّ يكره الباطلَ وأهلَه، فقال: لكنّا واللّهِ ما اغتبطْنا بك ولا نُحِبُّ مُسَايرتَكَ، فَتَقدَّمْ عَنّا أو تَأَخَّرْ، فقال: واللّهِ ما رأيتُ كاليوم جواباً! قال: هو ذاك، قال: وكان محمد صاحبَ جِدّ يكره الباطلَ وأهلَه، فأشفقْنا ممّا صنَعَ، ومعه عِدّةٌ من آل الزّبير، فلم يَقْدِرْ أحدٌ منهم أن يَرُدَّ عليه. قال: وتقدّم الأحوصُ، ولم يكن لي شأنٌ غيرَ أن أعتذرَ إليه. فلمّا هَبَطْنا من المُشَلَّل[1] على خيمتَيْ أُمّ مَعْبَد سمعتُ الأحوصَ يُهَمْهِمُ بشيء، فتفهَّمْتُه فإذا هو يقول: خَيمتَيْ أم معبد، محمد، كأنّه يهيّىءُ القوافي؛ فأمسكْتُ راحلتِي حتّى جاءني محمد، فقلتُ: إنِّي سمعتُ هذا يُهيّىءُ لك القوافي، فإمّا أَذِنْتَ لنا أن نعتذرَ إليه ونُرْضِيَه، وإمّا خَلَّيْتَ بيننا وبينه فنضربه فإنَّا لا نُصادِفُه في أَخْلَى من هذا المكان. قال: كَلاَّ! إنّ سعد بن مُصْعَب قد أخذ عليه ألاّ يهجوَ زُبَيْرِيّاً أبداً، فإن فعلَ رجوتُ أن يُخْزِيَه الله، دَعْه.

قال الزُّبير: وأمّا خَبَرُه مع سَعْد بن مُصْعَبٍ، فحدّثني به عَمِّي مُصْعَب قال: أخبرني يحيى بن الزُّبَير بن عَبّاد أو مُصْعَب بن عثمان ـ شَكَّ: أيُّهما حدّثه ـ قال:

كانت أَمَةُ الملك بنت حَمْزَة بن عبد الله بن الزُّبَير، تحت سعد بن مُصْعَب بن الزُّبَير، وكان فيهم مأتمٌ، فاتّهمته بامرأةٍ، فغارتْ عليه وفضحته، فقال الأحوص يُمازحه: [الطويل]

وليسَ بِسَعْدِ النَّارِ مَنْ تَزْعُمونَهُ ... ولَكِنَّ سَعْدَ النَّارِ سَعْدُ بن مُصْعَبِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ القومَ ليلَةَ نَوْحِهِمْ ... بَغَوْهُ فَأَلْفَوْهُ على شَرِّ مَرْكَبِ
فما يَبْتَغِي بِالغَيِّ لا دَرَّ دَرُّهُ ... وفي بَيْتِهِ مِثْلُ الغَزَالِ المُرَبَّبِ

ـ قال: وسعدُ النّارِ رجلٌ يقال له سعد حضنة، وهو الّذي جدَّدَ لِزياد بن عُبَيْد اللّه الحارثيّ الكتابَ الذي في جدار المسجد، وهو آياتٌ من القُرآن أحسَبُ أنّ منها ﴿إنَّ الله يَأْمُرُ بالعَدْلِ وَالإحْسَانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغيِ﴾[2]. فلمّا فرغَ منه قال لزياد: أعْطِني أَجْري، فقال له زياد: انتظِرْ، فإذا رأيتَنا نَعمل بما كتبتَ، فخُذ أجرَكَ.

---

(١) المُشَلَّل: جبل يُهْبَط منه إلى قُدَيد من ناحية البحر. (معجم البلدان ٥:١٣٦)ج

(٢) سورة النحل، الآية ٩٠.

قال: فعَمِلَ سعدُ بن مُصْعَبٍ سُفْرةً، وقال للأحْوَص: اذْهَبْ بنا إلى سَدّ عُبَيد اللّه بن عمر نَتَغَدَّ عليه، ونَشْربْ من مائهِ، ونَسْتَنْقِعْ فيه؛ فذهب معه، فلمّا صارا إلى الماء، أمر غِلمانَه أن يَرْبِطُوه وأراد ضربَه، وقال: ما جَزِعْتُ من هجائِكَ إيّايَ، ولكن ما ذِكْرُكَ زوجتي؟ فقال له: يا سَعْدُ، إنك لَتعلمُ أنّكَ إن ضربتَني لم أكفُفْ عن الهجاء، ولكن خَيْرٌ لكَ من ذلك أحلِفُ لك بما يُرضيكَ ألاّ أهجوَكَ ولا أحداً من آل الزُّبَير أبداً، فأحلفه وتركه.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني مُصْعَبٌ عمّي عن مُصْعَب بن عثمان قال: قال الأحْوَص لِمُجَمِّع بن يَزيد بن جارِية: [الطويل]

وجُمِّعْتَ مِنْ أَشْيَاءَ شَتَّى خَبِيثةٍ ... فَسُمِّيتَ لَمّا جِئْتَ مِنها مُجَمِّعَا

فقال له مُجَمِّع: إنّي لا أُحْسِنُ الشّعرَ، ثم أخذ كُرْنَافةً[1] فغَمَسَها في ماءٍ فغاصتْ، ثم رفَع يده عنها فطفتْ، فقال: هكذا والله كانت تصنَع خالاتُك السَّواحِرُ.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: كانتِ امرأةٌ يقال لها أُمُّ لَيْث امرأةَ صِدْقٍ، فكانت قد فَتَحَتْ بينها وبني جارةٍ لها من الأنصار خَوخة، وكانت الأنصاريّة من أجمل أنصاريّةٍ خُلِقَتْ. فكلَّم الأحْوَص أُمَّ ليثٍ أن تُدْخِلَهُ في بيتها يُكَلِّمُ الأنصاريّة من الخَوْخة التي فتحتْ بينها وبينها، فأبَتْ؛ فقال: أمَا لأُكَافِئَنَّكِ، ثم قال: [البسيط]

هَيْهَاتَ مِنكَ بَنُو عَمْرٍ ومَسْكَنُهمْ ... إذا تَشَتَّيْتَ قِنَّسْرِينَ أَوْ حَلَبا
قَامَتْ تَرَاءَى وقد جَدَّ الرَّحِيلُ بنا ... بينَ السَّقِيفَةِ والبَابِ الَّذي نُقِبَا
إنّي لَمَانِحُها وُدِّي ومُتَّخِذٌ ... بِأُمِّ لَيْثٍ إلى مَعْرُوفِها سَبَبَا

فلمّا بَلَغَتِ الأبياتُ زوجَ المرأة، سَدَّ الخَوْخة، فاعتذرَتْ إليه أُمُّ ليثٍ، فأبى أن يقبلَ ويُصَدّقها. فكانت أُمّ لَيْث تدعو على الأحوص.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثني عُمَر بن شَبَّة قال: حَدّثني أبي قال: رِكِب الأحْوَصُ إلى الوليد بن عبد الملك، قبل ضَرْبِ ابن حَزْم إيّاه، فلَقِيَهُ رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عُتْبَة، فوَعَده أن يُعِينَه. فلمّا دخَل على الوليد قال:

---

(١) الكُرنافة: هي أصول الكَرَب التي تبقى في الجذع بعد قطع السّعف.

وَيْحَكَ! ما هذا الذي رُمِيتَ به يا أحوص؟ قال: والله يا أمير المؤمنين، لو كان الذي رماني به ابنُ حزمٍ من أمر الدِّين لاجْتَنَبْتُهُ، فكيف وهو من أكبر مَعَاصي الله! فقال ابنُ عُتْبة: يا أميرَ المؤمنين، إنّ من فضل ابن حزمٍ وعَدْلِه كذا وكذا، وأثنى عليه. فقال الأحوص: هذا والله كما قال الشاعر[1]: [الطويل]

وكُنتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأى دَماً ... بصاحِبِهِ يَوْماً أَحَالَ على الدَّمِ[2]

[عمر بن عبد العزيز يرفض أن يسمح له بالقدوم]

فأمّا خبره في بقيّةِ أيام سليمانَ بن عبد الملك وعُمَر بن عبد العزيز، فأخبرني به أبو خَلِيفةَ الفَضْلُ بن الحُبَاب الجُمَحِيّ قال: حَدّثنا عَوْنُ بن محمد بن سَلاَّم قال: حَدّثني أبي عمّن حدّثه عن الزُّهرِيّ، وأخبرني به الطُّوسِيّ والحَرَمِيّ بن أبي العلاء قالا: حَدَّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال: حَدّثني عمِّي مُصْعَبٌ عن مُصْعَب بن عثمان قال: كان الأَحْوَصُ يَنْسِبُ بنساءٍ ذواتِ أخطار من أهل المدينة، ويَتَغَنَّى في شعره مَعْبدٌ ومالك، ويَشيعُ ذلك في الناس، فنُهِيَ فلم يَنْتَهِ؛ فشُكِيَ إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه إليه، ففعل ذلك وكتب سليمان إلى عامله يأمُره أن يضربَه مائةَ سَوْطٍ ويُقِيمَه على البُلُسِ للنّاس، ثم يُصَيِّرَه إلى دَهْلَك ففعل ذلك به؛ فثَوى[3] هناك سُلْطَانَ سليمانَ بن عبد الملك. ثم وَلِيَ عمُر بنُ عبد العزيز، فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدَحُه، فأبى أن يأذنَ له. وكتب فيما كتب إليه به: [الطويل]

أيـا راكبـاً إمَّـا عَـرَضْـتَ فَبـلِّـغَـنْ ... هُـدِيتَ أَميـرَ المـؤمنيـنَ رَسَـائِـلي
وقُـلْ لأَبـي حَـفْـصٍ إذا مـا لَـقِيـتَـهُ ... لقـد كـنـتَ نَفَّـاعاً قَلِيـلَ الغَـوائِلِ[4]
وكـيـف تَـرَى لِـلـعَـيْـشِ طِـيـبـاً ولَـذَّةً ... وخَـالُـكَ أَمْسَـى مُـوثَـقاً في الحـبـائـلِ!

ـ هذه الأبيات من رواية الزُّبَيْر وحده، ولم يَذكرْها ابنُ سَلاَّم ـ قال: فأتى رجالٌ من الأنصار عُمَرَ بن عبد العزيز، فكَلَّموه فيه وسألوه أَنْ يُقْدِمَهُ، وقالوا له: قد عرفْتَ نَسَبَه وموضِعَه وقديمَه، وقد أُخرِجَ إلى أرض الشِّرْكِ، فنطلبُ إليك أن تَرُدَّه

(١) الشعر للفرزدق.
(٢) أحال على الدم: أقبل عليه.
(٣) ثوى سلطان: ثوى مدة سلطان.
(٤) الغوائل: جمع الغائلة: الفساد والشر.

إلى حَرَمِ رسول الله ﷺ ودارِ قومِه، فقال لهم عمر: فَمن الذي يقول: [الطويل]

فما هُوَ إلاّ أن أَرَاها فُجَاءَةً ... فأُبْهَتَ حتَّى ما أَكادُ أُجِيبُ

قالوا: الأحوص. قال: فمَنْ الذي يقول: [الطويل]

أَدُورُ ولَوْلاَ أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ ... بِأبياتِكُمْ ما دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ[1]

وما كُنْتُ زَوَّاراً ولكِنَّ ذَا الهَوَى ... إذا لَم يَزُرْ لا بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

قالوا: الأحوص. قال: فمَنْ الذي يقول: [المنسرح]

كأَنَّ لُبْنَى صَبِيرُ غَادِيَةٍ ... أو دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَعُ[2]

اللَّهُ بَيْنِي وبَيْنَ قَيِّمِها ... يَفِرُّ مِنِّي بها وأَتَّبِعُ

قالوا: الأحوص. قال: بَلِ اللَّهُ بين قَيِّمها وبينه. قال: فَمَنْ الّذي يقول: [الطويل]

سَتَبْقى لها في مُضْمَرِ القَلْبِ والحَشَا ... سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

قالوا: الأحْوَص. قال: إنّ الفاسقَ عنها يومئذٍ لَمَشغولٌ، واللَّهِ لاأَرُدُّه ما كان لي سلطانٌ. قال: فمَكثَ هناك بقيّة ولايَة عُمَرَ وصَدْراً من ولاية يزيدَ بن عبد الملك.

[يزيد بن عبد الملك يأمر بتخلية سبيله بعد أن يسمع حبابة تغنّي بشعره]

قال: فبينَا يزيدُ وجاريته حَبَابةُ ذاتَ ليلةٍ على سطح تُغَنِّيه بشعرِ الأحوص، قال لها: مَنْ يقول هذا الشّعر؟ قالت: لا وعينيك ما أدري! قال: وقد كان ذهب من اللّيل شَطْرُه ـ فقال: ابعَثوا إلى ابنِ شِهَابِ الزُّهْرِيّ، فعسى أن يكون عنده عِلْمٌ من ذلك. فأُتِيَ الزُّهْرِيُّ فقُرِعَ عليه بابُه فخرجَ مُرَوَّعاً إلى يزيد. فلمّا صَعِدَ إليه قال له يزيد: لا تُرَعْ، لم نَدْعُكَ إلاّ لخير، إجْلِسْ، مَنْ يقولُ هذا الشعر؟ قال: الأحوص ابن محمد يا أميرَ المؤمنين. قال: ما فَعَلَ؟ قال: قد طالَ حَبْسُه بِدَهْلَك. قال: قد عَجِبْتُ لِعُمَرَ كيف أغفلَه. ثم أمرَ بتَخْلِيَة سبيله، ووهَب له أربعمائة دينار. فأقبلَ الزُّهْريُّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فَبَشَّرَهم بذلك.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثنا محمد بن إسماعيل

---

(١) البيت لعروة بن حزام العذري ذكره الأصبهاني في ترجمته.

(٢) الصبير: السحاب الأبيض يُصَبَّر بعضه فوق بعض. والغادية: السحابة تنشأ غدوةً.

ومحمد بن زيد الأنصاريّ قالا: لمّا وَلِيَ عُمَرُ بن عبد العزيز الخلافةَ أدْنَى زيدَ بن أسْلَم، وجفا الأحْوَصَ، فقال له الأحوص: [الطويل]

أَلَسْتَ أبا حفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّرِي ... أَفِي الحَقّ أنْ أُقْصَى ويُدْنَى ابنُ أَسْلَمَا

فقال عمر: ذلك هو الحقُّ.

قال الزُّبَير: وأنشدنيها عبدُ الملك بن الماجِشون عن يوسف بن الماجِشون:

[الطويل]

أَلاَ صِلَةُ الأَرحام أَدْنَى إلى التُّقَى ... وأَظْهَرُ في أَكْفائِهِ لو تَكَرَّمَا[1]

فما تَرَكَ الصُّنْعُ الّذي قد صَنَعْتَهُ ... ولا الغَيْظُ مِنّي ليسَ جِلْداً وأَعْظُما[2]

وكُنّا ذَوِي قُرْبَى لَدَيْكَ فأَصْبَحَتْ ... قَرَابَتُنا ثَدْياً أَجَدَّ مُصَرَّمَا[3]

وكُنْتَ وما أَمَّلْتُ مِنكَ كَبارِقٍ ... لَوَى قَطْرَه مِنْ بَعْدِ ما كان غَيَّما[4]

وقد كُنْتَ أَرْجَى النّاسِ عِنْدِي مَوَدَّةً ... لَيَالِيَ كانَ الظَّنُّ غَيْباً مُرَجَّما[5]

أَعُدُّكَ حِرْزاً إن جَنَيْتُ ظُلامةً ... ومَالاً ثَرِيّاً حينَ أَحْمِلُ مَغْرَمَا[6]

تَدَارَكْ بِعُتْبَى عَاتِباً ذَا قَرابَةٍ ... طَوَى الغَيْظَ لم يَفْتَحْ بِسُخْطٍ لَهُ فَمَا

[حبابة تغني بشعره]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: كتبَ إِلَيَّ إسحاق بن إبراهيم أنّ أبا عُبَيدة حدّثه: أنّ الأحوص لم يَزَلْ مُقيماً بِدَهْلَك حتّى مات عمرُ بن عبد العزيز فدَسَّ إلى حبَابةَ فغَنَّتْ يزيدَ بأبيات له ـ قال أبو عُبَيدة: أَظُنُّها قولَه:

صوت

[الخفيف]

أَيُّهَذَا المُخَبِّري عَنْ يَزِيدِ ... بِصَلاَحٍ، فِدَاكَ أَهْلِي ومَالِي

---

(١) الأكفاء: جمع كفؤ: القادر على العمل والجدير به.

(٢) ليس: هنا أداة استثناء، وهي لا تستعمل في الاستثناء المفرغ ولكنّ الشاعر استعملها فيه والمستثنى منه محذوف وتقديره: ما ترك عملك شيئاً مني سوى الجلد والعظم.

(٣) الثدي الأجد المصرَّم: المقطوع أو اليابس الذي لا لبن فيه.

(٤) البارق: السحاب ذو البرق. ولوى قطره: منعه وذهب به.

(٥) المرجَّم: الذي هو في علم الغيب.

(٦) الحِرز: الموضع الحصين.

مـا أُبَـالِـي إذا يَـزِيـدُ بَـقَـى لِـي مَـنْ تَـوَلَّـتْ بـه صُـروفُ الـلَّـيـالـي

لم يُجَنِّسْه، كذا جاء في الخبر أنها غَنَّته به، ولم يذكرْ طريقتَه قال أبو عُبَيدة: أراه عَرَّض بعمر بنِ عبد العزيز ولم يَقْدِرْ أن يصرِّح مع بني مَرْوان ـ فقال: مَنْ يقول هذا؟ قالت: الأَحوص، وهَوَّنَتْ أَمْرَه، وكَلَّمته في أَمَانِهِ فَأَمَّنه. فلمَّا أصبح حضرَ فاستأذنت له؛ ثمّ أعطاه مائةَ ألفِ درهم.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن صالح بن حَسّان: أنّ الأحوصَ دَسَّ إلى حَبَابة، فَغَنَّتْ يزيدَ قولَه: **[الطويل]**

كـريـمُ قُـرَيْـشٍ حـيـن يُـنْـسَـبُ والّـذي أَقَـرَّتْ لـه بِـالـمُـلْـكِ كَـهْـلاً وأَمْـرَدَا[1]
ولـيس وإنْ أعـطـاكَ فـي الـيـومِ مَـانِـعـاً إذا عُـدْتَ مِـنْ أضعـافِ أَضْـعَـافِـه غَـدَا
أَهَـانَ تِـلادَ الـمَـالِ فـي الـحَـمْـدِ إنّـه إِمَـامُ هُـدًى يَـجْـرِي عـلـى مـا تَـعَـوَّدا[2]
تَـشَـرَّفَ مَـجْـداً مِـنْ أَبِـيـهِ وجَـدِّهِ وقـد وَرِثـا بُـنْـيَـانَ مَـجْـدٍ تَـشَـيَّـدَا[3]

فقال يزيد: وَيْلَكِ يا حَبَابَةُ! مَنْ هذا، مِن قريش؟ قالت: ومَنْ يكون! أنت هو يا أمير المؤمنين، فقال: ومَنْ قال هذا الشّعر؟ قالت: الأحوص يمدَحُ به أميرَ المؤمنين؛ فأمر به أميرُ المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دَهْلَك، وأمرَ له بمالٍ وكُسْوة.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثني بعضُ أهل العلم قال: دخل الأحوصُ على يزيدَ بن عبد الملك وهو خليفةٌ؛ فقال له يزيد: والله لو لم تَمُتَّ إلينا بِحُرْمَةٍ، ولا تَوَسَّلتَ بِدَالَّةٍ، ولا جَدَّدْتَ لنا مَدْحاً، غيرَ أنك مُقْتَصِرٌ على البيتين اللَّذين قُلْتَهما فينا، فكنتَ مُستوجِباً لجزيل الصِّلَةِ منِّي حيث تقول: **[الطويل]**

وإنِّـي لأَسْـتَـحْـيِـيـكُـمْ أَنْ يَـقُـودَنـي إلـى غَـيْـرِكُـمْ من سائرِ النَّاسِ مَطْمَعُ
وأَنْ أُجْـتَـدِي لِـلـنَّـفْـعِ غَـيْـرَكَ مِـنْـهُـمُ وأَنْـتَ إِمَـامٌ لِـلـرَّعِـيَّـةِ مَـقْـنَـعُ[4]

قال: وهذه قصيدةٌ مدَح بها عمرَ بن عبد العزيز.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عبد الرحمن بن عبد الله

---

(١) الأمرد: الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

(٢) تلاد المال: المال القديم.

(٣) رواية الديوان:

تـردّى بـمـجـدٍ مـن أبـيـهِ وجَـدّه وقـد أورثـا بـنـيـانَ مـجـدٍ مُـشَـيّـدا

(٤) اجتدى فلانٌ فلاناً: سأله حاجةً. ورجلٌ مقنعٌ: يُقْتَنَعُ به ويُرضَى برأيه وقضائه.

الزُّهريّ قال: حَدّثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لمّا وَلِيَ يزيدُ بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فَأُقْدِمَ عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم. فلمّا قَدِمَ قُباء صَبَّ المالَ على نِطْع[١] ودعا جماعةً من قومه، وقال: إنّي قد عَمِلتُ لكم طعاماً، فلمّا دخلوا عليه كشَفَ لهم عن ذلك المال، وقال: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾[٢].

قال الزُّبَير: وقال في يزيدَ بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة:

[الخفيف]

صَرَمتْ حَبْلَكَ الغَدَاةَ نَوَارُ ... إنَّ صَرْماً لِكُلِّ حَبْلٍ قُصَارُ[٣]

وهي طويلة، يقول فيها:

مَنْ يَكُنْ سائلاً فَإنَّ يَزِيداً ... مَلِكٌ مِنْ عَطَائِهِ الإكْثَارُ
عَمَّ مَعْرُوفُهُ فَعَزَّ به الدِّيـ ... ـنُ وذَلَّتْ لِمُلْكِهِ الكُفَّارُ
وأَقَامَ الصِّرَاطَ فابْتَهَجَ الحَـ ... ـقُّ مُنِيراً كما أَنَارَ النَّهارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغَنّى فيهما وهما:

صوت

بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه ... كانَ فيه مِنْ مَشْيِهِ آثَارُ[٤]
إنَّ أَرْوَى إذَا تَذَكَّرَ أَرْوَى ... قَلْبُهُ كَادَ قَلْبُهُ يُسْتَطَارُ

غَنَّتْ فيه عَرِيبُ لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، وذكر ابنُ المكّي أنه لجدّه يحيى.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عَمّي مُصْعَبٌ عن مُصْعَب بن عثمان قال: حَجَّ يزيدُ بن عبد الملك فتزوّجَ بنتَ عَوْن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ الله عنه وأَصْدَقها مالاً كثيراً؛ فكتبَ الوليدُ بن عبد الملك إلى أبي بكر

---

(١) النِّطْعُ: الجلد الأبيض أو الثوب الأبيض.

(٢) سورة الطور، الآية ١٥.

(٣) القُصار: الغاية.

(٤) دبّ: مشى مشياً بطيئاً. والذرّ: صغار النمل.

ابن محمد بن عمرو بن حزْم: أنّه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيدَ بن عبد الملك قد تزوّجَ بنتَ عوْن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب وأصْدَقها مالاً كثيراً، ولا أُراه فعل ذلك إلاّ وهو يراها خيراً منه، قَبّح اللّهُ رَأْيَه! فإذا جاءَكَ كتابي هذا فَادْعُ عوناً فاقْبِض المالَ منه؛ فإنْ لم يَدْفَعْهُ إليكَ فاضْرِبْهُ بِالسِّياطِ حتى تَسْتَوْفِيه منه ثم افْسَخْ نِكاحَه. فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عَوْن بن محمد وطالَبَهُ بالمال، فقال له: ليس عندي شيءٌ وقد فَرَّقْتُه. فقال له أبو بكر: إنّ أمير المؤمنين أَمَرني إن لم تَدْفَعه إِلَيَّ كُلَّه أن أضربك بِالسِّياطِ ثم لا أَرْفَعُها عنكَ حتى أستوفيَه منك. فصاح به يزيد: تعال إليّ، فجاءه؛ فقال له فيما بينه وبينه: كأنّكَ خَشِيتَ أنْ أُسَلِّمَكَ إليه، إِدْفَعْ إليه المالَ، ولا تُعَرِّضْ له نفسَكَ؛ فإنَّه إنْ دفعه إِلَيَّ رَدَدْتُه عليكَ، وإن لم يَرُدَّه عَلَيّ أَخلفتُه عليك، ففعل. فلمّا وَلِي يزيدُ بن عبد الملك، كتب في أبي بكر بن محمد بن حَزْم وفي الأحوص، فَحُمِلا إليه، لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة، وكان أبو بكر قد ضَرَبَ الأحوصَ وغَرَّبَهُ إلى دَهْلَك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز وعمر إذ ذاك على المدينة. فلمّا صارا بباب يزيد أُذِنَ للأحوص فرفع أبو بكر يديه يدعو، فلم يَخفِضْهما حتى خرج الغِلمان بالأحوص مُلَبّباً[1] مكسور الأنف، وإذا هو لمّا دخل على يزيد قال له: أصلحكَ الله! هذا ابنُ حَزْم الذي سفَّهَ رأيَك ورَدَّ نِكاحَكَ، فقال يزيد: كَذَبْتَ! عليكَ لعنةُ الله وعلى مَنْ يقولُ ذلك! اكْسِروا أَنْفَه، وأَمَرَ به فأُخْرِجَ مُلَبّباً.

[الأحوص مع عبد الحكم بن عمرو الجمحي]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عبد الرحمن بن عبد اللّه عن عبد الله بن عمرو الجُمَحِيّ قال: كان عبدُ الحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن صَفْوان الجُمَحِيّ قد اتّخذَ بيتاً فجعل فيه شِطْرَنْجاتٍ ونَرْداتٍ وقِرْقاتٍ[2] ودفاترَ فيها من كلّ عِلم، وجعل في الجِدار أوتاداً، فمَنْ جاء علَّقَ ثيابَه على وَتَدٍ منها، ثم جرَّ دَفْتراً فقرأه. أو بعضَ ما يُلْعَب به فلَعِبَ به مع بعضهم. قال: فإنّ عبد الحكيم يوماً لَفِي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنَّاطين، باب بني جُمَح، عليه ثوبان

(١) المُلَبَّب: المأخوذ بتلابيبه أي أن تُجمعَ ثيابه عند صدره ونحره ثم يجرّ منها.

(٢) النَّرْد: وهو ما يُعرف اليوم بالطاولة، والقِرقات: جمع القِرق: لعبة يلعبها الصبيان بالحصيات الصغيرة.

مُعَصْفَرانِ[١] مَدْلُوكان وعلى أذنه ضِغْثُ[٢] رَيْحانٍ وعليه رَدْعُ الخَلُوق[٣]، فأقبلَ يَشُقُّ الناسَ حتى جلَس إلى عبد الحَكَم بن عمرو بن عبد الله؛ فجعل مَنْ رآه يقول: ماذا صُبَّ عليه من هذا! ألم يَجِدْ أحداً يجلس إليه غيرَه! ويقول بعضهم: فأيّ شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرمُ مِنْ أن يَجْبَه مَنْ يقعدُ إليه! فتحدّثَ إليه ساعةً ثم أهْوَى فشبَّكَ يده في يد عبد الحكم وقام يَشُقُّ المسجدَ حتَّى خرج من باب الحَنَّاطين - قال عبد الحكم: فقُلت في نفسي: ماذا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيَّ منكَ! رآني نِصْفُ الناس في المسجد ونِصْفُهم في الحَنَّاطين - حتّى دخل مع عبد الحكم بيتَه، فعلَّقَ رداءَه على وَتِدٍ وحَلَّ أزرارَه واجْتَرَّ الشِّطْرَنْجَ وقال: مَنْ يَلعب؟ فبينَا هو كذلك إذ دخل الأَبْجرُ المُغَنِّي، فقال له: أيْ زِنْدِيقُ، ما جاء بك إلى هاهنا؟ وجعل يشتُمه ويُمَازِحُه. فقال له عبد الحكم: أَتشتُمُ رجلاً في منزِلي! فقال: أتعرِفه؟ هذا الأحوص. فاعتنقه عبد الحكم وحيّاه. وقال له: أمّا إذا كنتَ الأحوصَ فقد هان عليّ ما فعلتَ.

[عبد الملك بن مروان يتمثل بشعره]

أخبرني الطُّوسيّ والحَرَمِيُّ قالا: حَدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حَدّثني حُمَيد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لمّا قَدِمَ عبدُ الملك بن مَرْوان حاجّاً سنة خمس وسبعين، وذلك بعدما اجتمع الناسُ عليه بعامين، جلس على المنبر فشَتَمَ أهلَ المدينة ووبَّخَهُمْ، ثم قال: إنِّي والله يا أهلَ المدينة قد بلوتُكم فوجدتكم تَنْفَسُون[٤] القليلَ وتَحْسُدُون على الكثير، وما وجدتُ لكم مثلاً إلاّ ما قال مُخَنَّثُكم وأخوكم الأَحْوَصُ: [الطويل]

وكَمْ نَزَلَتْ بي من خُطُوبٍ مُهِمَّةٍ ... خَذَلْتُمْ عليها، ثمّ لم أَتَخَشَّعِ
فَأَدْبَرَ عَنِّي شَرُّها لَمْ أُبَلْ بها ... ولم أَدْعُكُمْ في كَرْبِها المُتَطَلِّعِ[٥]

فقام إليه نَوْفَلُ بن مُسَاحِق فقال: يا أميرَ المؤمنين، أَقْرَرْنا بالذَّنْبِ وطلبنا

(١) الثوب المعصفر: المصبوغ بالعصفر وهو نباتٌ موجود بأرض العرب ومنه الريفي ومنه البريّ.
(٢) الضِّغْثُ: قبضةٌ من قضبان مختلفة يجمعها أصل واحد، وهو دون الحزمة.
(٣) الرَّدْع: أثر الخَلوق والطِّيب في الجسد.
(٤) تنفسون: تصيبون بالعين.
(٥) في رواية الديوان «كربها» بدل «شرّها» و «لم أبالِهِ» بدل «لم أُبَلْ بها» و «جهدها» بدل «كربها».

المعْذِرَة، فعُذْ بحِلْمِكَ، فذلك ما يُشْبِهُنا منك ويُشْبِهُك منّا، فقد قال مَنْ ذكرتَ من بعد بيتيه الأوّلين: [الطويل]

وإنّـي لَـمُـسْـتَـأْنٍ ومُـنْـتَـظِـرٌ بـكـم ... وإنْ لم تقولوا في المُلمّاتِ دَعْ دَعِ[1]
أُؤَمِّـلُ مـنـكـم أنْ تَـرَوْا غـيـرَ رَأْيِـكُـمْ ... وَشِيكاً، وكَيْمَا تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ[2]

أخبرني الحَرَمِيّ والطُّوسيّ قالا: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني محمد بن الضحّاك عن المُنْذر بن عبد الله الحِزاميّ: أنّ عِرَاكَ بن مالك كان من أشدّ أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مَرْوانَ في انتزاع ما حازوا من الفَيْء[3] والمَظالم من أيديهم فلمّا وَلِيَ يزيدُ بن عبد الملك وَلَّى عبدَ الواحد بن عبد الله النَّصْريّ المدينةَ، فقرّبَ عَراكَ بن مالك وقال: صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطعُ أمراً دونه، وكان يجلِسُ معه على سريره. فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك: أن ابْعَثْ مع عِراكِ بن مالك حَرَسِيّاً[4] حتى يُنْزِلَه أرضَ دَهْلَك وخُذْ من عِرَاكٍ حَمُولَتَه. فقال لحَرَسِيٍّ بين يديه وعِرَاكٌ معه على السرير: خُذْ بيد عِرَاكٍ فابْتَعْ من ماله راحلةً ثم تَوَجَّهْ به نحو دَهْلَك حتى تُقِرَّهُ فيها، ففعل ذلك الحرسيّ، قال: وأَقْدَم الأحوصَ؛ فمدحه الأحوصُ؛ فأكرمه وأعطاه. قال: فأهلُ دهْلَك يأْثُرون الشّعرَ عن الأحوص، والفِقْهَ عن عرَاكِ بن مالك.

[الأحوص يهجو يزيد بن المهلّب]

أخبرني أبو خليفةَ الفَضْلُ بن الحُباب عن محمد بن سَلاّم عن أبي الغَرَّاف عمن يَثِق به قال: بَعثَ يزيدُ بن عبد الملك حين قُتِلَ يزيدُ بن المُهلَّب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المُهَلَّب، منهم الفرزدقُ وكُثَيِّرٌ والأحْوَصُ. فقال الفرزدق: لقد امتدحتُ بني المُهَلَّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلي أن يُكذِّبَ نفسَه على كِبَرِ السِّنّ، فَلْيُعْفِني أميرُ المؤمنين؛ قال: فأعفاه؛ وقال كُثَيِّرٌ: إنِّي أكرهُ أن أُعَرِّضَ نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بني المهلَّب. وأمّا الأحوص فإنّه

---

(١) استأنى: تأنّى وتصبّر. ودعْ دعِ: كلمة يدعى بها للعاثر كي ينهض وتزولَ عنه الشدّة، بمعنى قم وانعش واسلَم.

(٢) في الديوان «خيرَ رأيكم» بدل «غير رأيكم». ونزع إلى الشيء: مال إليه.

(٣) الفيء: ما يُنال من الغنيمة بلا قتال.

(٤) الحَرَسيُّ: واحد الحرّاس: وهم خدم السلطان المرتبون لحفظه.

هجاهم. ثم بَعَثَ به يزيدُ بن عبد الملك إلى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ، وهو بأَذْرَبيجانَ، وقد كان بلغ الجرّاحَ هجاءُ الأحْوَصِ بني المُهَلَّب، فبعث إليه بِزِقٍّ من خَمْرٍ فأُدْخِلَ منزلَ الأحوص، ثم بعثَ إليه خيلاً فدخلَتْ منزلَه فصَبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رُؤوسِ النّاسِ فأتَوْا به الجرَّاحَ، فأمَر بِحَلْقِ رأسِه ولحيته، وضربه الحَدَّ بين أوجُه الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تُضْرَبُ الحدود، فجعل الجرّاح يقول: أَجَلْ! ولكن لِمَا تَعْلَمُ. ثم كتب إلى يزيدَ بن عبد الملك يَعْتَذِرُ فأَغْضَى له عليها.

[رأي أبي الفرج فيه]

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً لِلغَضّ منه في شعْره، ولكنّا ذكرنا من كلٍّ ما يُؤْثَرُ عنه ما تُعْرَفُ به حالُه من تَقدُّم وتأخُّرٍ وفضيلةٍ ونَقْصٍ، فأمّا تفضيلهُ وتقدُّمه في الشعر فمُتَعَالَمٌ مشهور، وشِعْرُه يُنْبِىءُ عن نفسه ويَدُلُّ على فضله فيه وتَقدُّمِهِ وحُسْنِ رَوْنَقِهِ وتَهَذُّبه وصَفائه.

[جرير والفرزدق يحكمان للأحوص بالسّبق في النسيب]

أخبرني الحَرمِيّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا: حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حَدَّثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال: حَدّثني عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدُب الهُذَليّ قال: حَدّثنا شيخٌ لنا من هُذَيْل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال: سمعتُ بالفرزدق وجَرِير على باب الحَجّاجِ، فقلتُ: لو تَعرّضْتُ ابنَ أُختِنا! فامتطيتُ إليه بعيراً، حتّى وجدتُهما قبل أن يَخْلُصَا ولكلٍّ واحدٍ منهما شِيعةٌ، فكنتُ في شيعة الفرزدق؛ فقام الآذِنُ يوماً فقال: أين جرير؟ فقال جرير: هذا أبو فِرَاس؛ فأظهرتْ شيعتُه لَوْمَه وأَسَرَّتْهُ، فقال الآذِنُ: أين الفرزدق؟ فقام فدخل. فقالوا لجرير: أَتُنَاوِئه وتُهاجِيه وتُشاخِصُه، ثم تُبَدّى عليه فتأبَى وتُبَدِّيه؟! قضيتَ له على نفسك! فقال لهم: إنّه نَزْرُ القول، ولم يَنْشَبْ[1] أن يَنْفَدَ ما عنده وما قال فيه فيُفاخِرَه ويرفَع نفسَه عليه؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واسْتُحْسِنَ. فقال قائلُهم: لقد نظرتَ نَظَراً بعيداً. قال: فما نَشِبُوا أنْ خرجَ الآذِنُ فصاح: أين جرير؟ فقام جرير فدخل. قال: فدخلتُ فإذا ما مَدحه به الفرزدق قد نَفِدَ، وإذا هو يقول: [الكامل]

(١) لم ينشبْ: لم يلبث.

أَيـنَ الَّـذيـن بِـهِـمْ تُـسَـامِـي دَارِمـاً ... أَمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تجعلُ[١]

قال: وعمامتُه على رأسه مثل المِنْسَف[٢]، فصِحْتُ من ورائه:

هـذا ابن يُوسُفَ فاعْلَمُوا وتَفَهَّمُوا ... بَـرِحَ الخَفَاءُ فليسَ حين تَنَاجِي

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمُ ... أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الحَجَّاجِ[٣]

أَمْ مَنْ يَغَارُ على النِّسَاءِ حَفِيظَةً ... إذ لا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الأَزْواجِ

قُلْ لِلْجَبَانِ إذا تَأَخَّر سَرْجُهُ ... هل أنتَ مِنْ شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجي

قال: وما تشبيبها؟ وطَرِبَ فقال جرير:

لَجَّ الهَوَى بِفُؤَادِكَ المِلْجَاجِ ... فَاخْبِسْ بِتُوضِحَ باكِرَ الأَحْدَاجِ[٤]

وأَمَرَّهَا، أو قال: أمضَاها. فقال: أَعْطُوه كذا وكذا، فاستقلَلْتُ ذلك. فقال الهُذَليُّ: وكان جريرٌ عربيّاً قَرَوِيّاً، فقال للحجّاج: قد أمرَ لي الأميرُ بما لم يُفهَمْ عنه، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمرَ به الأميرُ! فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضِعْفه، وأعطى الفرزدقَ أيضاً. قال الهُذَليُّ: فجئتُ الفرزدقَ فأمرَ لي بستِّين ديناراً وعبدٍ، ودخلتُ على رُوَاتِهِ فوجدتُهم يُعَدِّلون ما انحرف من شِعْرِه، فأخذتُ من شعره ما أردتُ، ثم قلتُ له: يا أبا فِرَاس، مَنْ أَشْعَرُ النّاسِ؟ قال: أشعرُ الناس بعدي ابنُ المَرَاغة[٥]. قلت: فمَنْ أَنْسَبُ النّاس؟ قال الذي يقول: [الكامل]

لي لَيْلَتَانِ فلَيْلَةٌ مَغْسُولَةٌ ... أَلْقَى الحبيبَ بها بِنَجْمِ الأَسْعُدِ

ومُرِيحَةٌ هَمِّي عَلَيَّ كَأَنَّني ... حتَّى الصَّباحِ مُعَلَّقٌ بِالفَرْقَدِ[٦]

قلتُ: ذاك الأحوص. قال: ذاك هو. قال الهذليُّ: ثم أتيتُ جريراً فجعلتُ أستقلّ عنده ما أعطاني صاحبي أستَخْرِج به منه؛ فقال: كم أعطاك ابنُ أُخْتِكَ؟

---

(١) دارم: قبيلة الفرزدق.

(٢) المنسف: الغربال الكبير.

(٣) مُطَّلَعُ الأمر: مأتاه.

(٤) المِلجاج: اللّجوج. وتُوضِح: موضع معروف في بلاد بني يربوع. (معجم البلدان ٢: ٥٩). والأحداج: جمع الحِدْج: مركب من مراكب النساء كالهودج.

(٥) يريد جريراً.

(٦) مريحةٌ: أراد ليلة مريحة، وهي التي تسوق إليه الهمّ، والمعنى مأخوذ من أراح الإبلَ إذا ردّها إلى مراحها.

فأخبرته. فقال: ولكَ مثله؛ فأعطاني ستين ديناراً وعبداً. وقال: وجئتُ رُوَاته وهم يُقَوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّنَاد[١]، فأخذتُ ما أردتُ، ثم قلتُ: يا أبا حَزْرة[٢]، مَنْ أنْسَبُ الناس؟ قال الذي يقول: [المنسرح]

يا ليتَ شِعْري عَمَّنْ كَلِفْتُ به ... مِنْ خَثْعَم إذ نَأَيْتُ ما صَنَعُوا
قومٌ يَحُلُّونَ بالسَّديرِ وبالـ ... حِيرَةِ منهُمْ مَرْأَى ومُسْتَمَعُ[٣]
أنْ شَطَّتِ الدَّارُ عن دِيارِهِمُ ... أأمْسَكُوا بالوِصالِ أمْ قَطَعُوا
بل هُمْ على خَيْرِ ما عَهِدْتُ وما ... ذلكَ إلاّ التَّأْمِيلُ والطَّمَعُ

قلت: ومَنْ هو؟ قال: الأحوص. فاجتمعا على أن الأحوص أنسبُ الناس.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص:

* لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ *

وأوّل ما يُغَنَّى به فيها:

صوت

[الكامل]

يا لَلرِّجالِ لِوَجْدِكَ المُتَجَدِّدِ ... ولِمَا تُؤَمِّلُ من عَقِيلةَ في غَدِ[٤]
تَرْجُو مَوَاعِدَ بَعْثُ آدَمَ دُونَها ... كانَتْ خَبَالاً لِلفُؤادِ المُقْصَدِ
هل تذكُرينَ عَقِيلُ أَوْ أنْساكِهِ ... بَعْدِي تَقَلُّبُ ذا الزَّمانِ المُفْسِدِ
يومي ويَوْمَكِ بالعَقِيقِ إذِ الهَوَى ... مِنَّا جَمِيعُ الشَّمْلِ لم يَتَبَدَّدِ[٥]
لي ليلتانِ فليلةٌ مَعْسُولَةٌ ... أَلْقَى الحَبِيبَ بها بِنَجْمِ الأَسْعُدِ

---

(١) السِّناد: كل عيب يوجد في القافية قبل الرويّ، وهو المخالفة بين الحركات التي تلي الأرداف في الرويّ.
(٢) كنية جرير.
(٣) السّدير: مقر في الحيرة من منازل آل المنذر أو هو نهر بالحيرة. (معجم البلدان ٣: ٢٠١).
(٤) الوجد: شدّة الشوق. وعقيلة: اسم امرأة من ولد عقيل بن أبي طالب.
(٥) العقيق: أربعة أعقة: وهي أودية شقّتها السيول منها عقيق بالمدينة وعقيق عارض اليمامة وغيرهما. (معجم البلدان ٤: ١٣٨).

ومُـرِيـحـةٌ هَـمِّـي عَـلَـيَّ كـأنَّـنـي حـتَّـى الـصَّـبَـاحِ مُـعَـلَّـقٌ بِـالـفَـرْقَـدِ

- عروضه من الكامل. يقال: يا لِلّرجال ويا لَلرّجال بالكسر والفتح وفي الحديث أنّ عمر رضي الله عنه صاح لَمّا طُعِنَ: يا للَّهِ يا لِلْمسلمين. وقوله «في غدٍ» يريد فيما بعد وفي باقي الدّهر؛ قال الله سبحانه: ﴿**سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ**﴾[1]. والخَبَل والخَبَالُ: النُّقْصان من الشَّيء. والمُخَبَّل، أصلُه مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل. والمعسولة: الجُلْوة المشتهاة.

الشّعر للأحوص، والغناء في البيت الأوّل والثاني لمالك خفيفُ رَملٍ بالبنصر عن الهشامي وحَبَش، وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بَابَوَيْه ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وفيهما وفي الخامس والسادس لحنٌ لابن سُرَيج ذكره يونس ولم يُجَنِّسْهُ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنَّ لِمَعْبَدٍ في الأبيات كلها لحناً وأنه من صحيح غنائه، ولم يُجَنِّسْهُ.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عبَاية قال: بلغني أنّ ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ، وأخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال: حَدّثني إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسَة بن سعيد بن العاصي قال: أخبرني أشْعَبُ بن جُبَيْر قال: حضرتِ امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر؛ فقالت له: أتروي قول أبيك:

لـي لـيـلـتـانِ فـلـيـلـةٌ مـعـسـولـةٌ أَلـقَـى الـحـبـيـبَ بـهـا بـنـجـم الأَسْـعُـدِ
ومُـرِيـحـةٌ هَـمِّـي عَـلَـيَّ كَـأنَّـنـي حـتَّـى الـصّـبـاحِ مُـعَـلَّـقٌ بِـالـفَـرْقَـدِ

قال: نعم. قالت: أتدري أيّ الليلتين التي يبيت فيها معلَّقاً بالفَرْقَد؟ قال: لا والله. قالت: هي ليلةُ أُمِّكَ التي يبيت معها فيها. قال إبراهيم في خبره: فقلتُ لأشعب: يا أبا العلاء، فأيُّ ليلتيه المعسولة؟ فقال: [الطويل]

سَـتُـبْـدِي لـكَ الأَيَّـامُ مـا كـنـتَ جـاهـلاً ويَـأْتِـيـكَ بـالإخـبـارِ مَـنْ لـم تُـزَوِّدِ[2]

هي ليلة الإسراف، ولا تسأل عمّا بعدها.

---

(١) سورة القمر، الآية ٢٦.

(٢) الشعر لطرفة بن العبد في ديوانه.

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجِشون قال: أُنشِدَ ابن جُنْدَبٍ قولَ الأحوص:

لـي لـيـلـتـانِ فـلـيـلـةٌ مـعـسـولـةٌ ألقَى الحبيبَ بها بنجم الأسْعُدِ
ومُـريـحـةٌ هَـمِّـي عَـلَـيَّ كـأنّـنـي حَتّى الصَّباحِ مُعَلَّقٌ بالفَرْقَدِ

فقال: أمَا إنّ اللَّهَ يعلمُ أنّ اللّيلةَ المُريحةَ همِّي لألَذُّ اللّيلتين عندي. قال الحَرَميّ بن أبي العلاء: وذلك لِكَلَفِهِ بالغَزل والشَّوْق والحنين وتَمَنِّي اللّقاء.

وللأحوص مع عَقِيلةَ هذه أخبارٌ قد ذُكِرتْ في مواضع أُخَر؛ وعقيلة امرأةٌ من وَلَد عَقِيل بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ذكر الزُّبَير عن ابن بنت الماجِشون عن خاله أنّ عقيلة هذه هي سُكَينةُ بنت الحُسَين عليه السلام، كنَى عنها بعقيلة.

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عمر بن أبي بكر المُؤَمّلي أنّ إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هِشامٍ وهو والي المدينة قولَ الأحْوَص: [البسيط]

إذْ أَنْـتِ فـيـنـا لِـمَـنْ يَـنْـهَـاكِ عـاصـيـةٌ وإذْ أَجُـرُّ إلـيـكـم سـادراً رَسَـنـي[1]

فوثب أبو عُبَيدة بن عَمَّار بن ياسرٍ قائماً ثم أَرْخَى رِداءَه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجُرُّهُ حتى بلغ العِرْضَ[2]، ثم رجعَ. فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس: ما شأنُكَ؟ فقال: أيّها الأمير، إني سمعتُ هذا البيتَ مَرّةً فأعجبني، فحلفتُ لا أسمَعُه إلاّ جَرَرْتُ رَسَنِي.

نسبة هذا البيت وما غُنِّيَ فيه من الشعر

صوت

سَـقْـيـاً لِـرَبْـعـكِ مِـنْ رَبْـع بِـذِي سَـلَـم ولِـلـزّمـانِ بـه إذْ ذَاكَ مِـنْ زَمَـنِ
إذْ أَنْـتِ فـيـنـا لِـمَـنْ يَـنْـهَـاكِ عَـاصِـيـةٌ وإذ أَجُـرُّ إلـيـكـم سـادِراً رَسَـنِـي

عروضه من البسيط، غَنَّى ابن سُرَيْج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو، وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد، وذكر حَبَشٌ أنه للغَرِيض.

---

(١) السادر: الغير مبالي.

(٢) العِرض: وادي اليمامة، ويقال لكل وادٍ فيه قُرًى ومياه عِرضٌ. (معجم البلدان ٤: ١٠٢).

[حمّاد الراوية يقدّم الأحوص في النسيب]

أخبرني أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلاّم عن سالم بن أبي السَّحْماء وكان صاحب حَمّادٍ الراوية أنَّ حمّاداً كان يُقدِّم الأحْوَصَ في النَّسِيب.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنَيْزَةَ قال: هجا الأحوصُ رجلاً من الأنصار من بني حَرامٍ يقال له ابن بشير، وكان كثيرَ المال؛ فَغَضِبَ من ذلك، فخَرَج حَتَّى قَدِمَ على الفرزدق بالبَصْرة وأهدى إليه وألطفه، فقَبِلَ منه، ثم جلسا يتحدّثان؛ فقال الفرزدق: ممّن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أَقْدَمَكَ؟ قال: جِئتُ مستجِيراً بالله عزّ وجلّ ثم بكَ من رجلٍ هجاني. قال: قد أجارَكَ اللّهُ منه وكفاكَ مُؤْنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني. فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

[الطويل]

أَلاَ قِفْ بِرَسْمِ الدّارِ فاسْتَنْطِقِ الرَّسْما ... فـقَـدْ هـاج أحـزانـي وذَكَّـرَنـي نُـعْـمَـا

قال: بلى. قال: فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شِعْره. فخرج ابن بشير فاشترى أَفْضَلَ من الشِّراء الأوّل من الهدايا، فقَدِمَ بها على جرير؛ فأخذها وقال له: ما أَقْدَمَكَ؟ قال: جِئتُ مستجِيراً بالله وبكَ من رجلٍ هجاني. فقال: قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاك، أين أنت عن ابن عَمِّكَ الأحْوَص بن محمد؟ قال: هو الّذي هجاني. قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول: [الطويل]

تَـمَـشَّى بِشَـتْـمِـي فـي أَكَـارِيـسِ مـالـكٍ ... تُشِيدُ به كـالـكَـلْـبِ إذ يَنْبَحُ النَّجْـمَـا[1]

فـمـا أنـا بـالـمَـخْـسُوسِ في جِذْمِ مـالـكٍ ... ولا بِـالـمُـسَـمَّـى ثُـمَّ يَـلْـتَـزِم الإِسْـمَـا[2]

ولَـكِـنَّ بـيـتِـي إنْ سَـأَلْـتَ وَجَـدْتَـهُ ... تَـوَسَّطَ منها العِزَّ والـحَـسَـبَ الضَّـخْـمَـا

قال: بلى والله. قال: فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. قال: فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقَدِمَ على الأحوص فأهداها إليه وصالحَه.

---

(١) رواية البيت في الديوان:

وكـنـتُ وشـتـمـي فـي أُرومـةِ مـالـكٍ ... بِـسبّي بـه كـالـكـلـبِ إذ ينبح الـنجـمـا

ومالك: بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة.

(٢) المخسوس: التافه المرذول. والجِذم: الأصل.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[الطويل]

أَلاَ قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فَاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا فقد هاجَ أحزانـي وذَكَّرني نُعْمَا
فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ إذا أَذْهَبَتْ هَمّاً أتاحَتْ له هَمَّا

غنّاه إبراهيم المَوْصليّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى عن الهِشَامِيّ، وذكر عبد اللّه بن العبّاس الرَّبِيعي أنّه له.

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدّثني الزُّبَير قال: حَدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قال لي أبو السَّائب المخزوميّ أَنْشِدْني لِلأحوص؛ فأنشدتُه قوله: [الكامل]

قَالَتْ وقُلْتُ تَحَرَّجِي وصِلِي حَبْلَ امْرِىءٍ بِوِصالِكُمْ صَبِّ
وَاصِلْ إذاً بَعْلِي فَقُلْتُ لها الغَدْرُ شيءٌ لَيسَ مِنْ ضَرْبِي

صوت

ثِنْتَانِ لا أَدْنُو لِوَصْلِهِما عِرْسُ الخَلِيلِ وجَارَةُ الجَنْبِ[١]
أمّا الخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ والجَارُ أوصَانِي بِهِ رَبِّي
عُوجُوا كذا نَذْكُرْ لِغانِيَةٍ بعضَ الحَدِيثِ مَطِيَّكُمْ صَحْبِي[٢]
ونَقُلْ لها فِيمَ الصُّدودُ ولَمْ نُذْنِبْ بَلَ انْتِ بَدَأْتِ بِالذَّنْبِ
إنْ تُقْبِلِي نُقْبِلْ ونُنْزِلُكُمْ مِنَّا بِدَارِ السَّهْلِ والرُّحْبِ
أو تُدْبِرِي تَكْدُرْ مَعِيشَتُنا وتُصَدِّعِي مُتَلائِمَ الشَّعْبِ[٣]

ـ غَنَّى في «ثِنتان لا أدنو» والذي بعده ابنُ جامع ثقيلاً أوّلَ بالوسطى، وغَنَّى في «عُوجُوا كذا نذكر لغانيةٍ» والأبياتِ التي بعده ابنُ مُحْرِزٍ لحناً، من القَدْر الأوسطِ من الثقيل الأوّل مطلقاً في مجرى البِنْصَر ـ قال: فأقبل عَلَيَّ أبو السّائب فقال: يابنَ أخي، هذا والله المحِبُّ عَيْناً لا الذي يقول:

(١) ثنان: اثنتان. العِرس: امرأة الرجل وكذلك زوج المرأة. وجار الجنب: الجار الملاصق.

(٢) يريد عوجوا مَطيّكم يا صحبي.

(٣) صَدّع: فرّق. الشعب: الصدع والشّق. ومتلائم الشعب: كناية عن اجتماع الأمر والمصالحة وحسن العلاقة.

وكـنـتُ إذا خـلـيـلٌ رَامَ صُـرْمِـي وَجَـدْتُ وَرَايَ مُـنْـفَـسَـحاً عَـرِيـضـا

إذْهَبْ فلا صَحِبكَ اللَّهُ ولا وَسَّعَ عليك (يعني قائلَ هذا البيت).

[أنسبُ بيت قالته العرب]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدّثني الزُّبَير قال: حَدّثنا خالد بن وَضّاح قال: حَدّثني عبد الأعْلَى بن عبد الله بن محمد بن صَفْوان الجُمَحيّ قال: حملتُ دَيْناً بِعَسْكَرِ المهْدِيّ، فركب المهديّ بين أبي عُبَيْد اللَّه وعُمَرَ بن بَزِيع، وأنا وراءه في مَوْكِبه على بِرْذَوْنٍ قَطُوفٍ[1]؛ فقال: ما أَنْسَبُ بيتٍ قالته العرب؟ فقال له أبو عُبَيد اللَّه: قولُ امرىء القيس: [الطويل]

ومـا ذَرَفَـتْ عَـيْـنَـاكِ إلا لِـتَـضْـرِبـي بِـسَـهْـمَـيْـكِ فـي أَعْـشَـارِ قَـلْـبٍ مُـقَـتَّـلِ

فقال: هذا أعرابيٌّ قُحٌّ. فقال عمر بن بزيع: قولُ كُثَيِّر يا أمير المؤمنين:

[الطويل]

أُرِيـدُ لأَنْـسَـى ذِكْـرَهـا فَـكَـأَنَّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لَـيْـلَـى بِـكُـلِّ سَـبـيـلِ

فقال: ما هذا بشيءٍ، وما لَه يُريد أن يَنْسَى ذِكْرَها حتى تَمَثَّلَ له! فقلتُ: عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! قال: الْحَقْ بي. قلتُ: لا لَحَاقَ بي، ليس ذلك في دَابَّتي. قال: احْمِلُوه على دابَّة. قلتُ: هذا أوّلُ الفَتْحِ؛ فحُمِلْتُ على دابّة، فلَحِقْتُ. فقال: ما عندكَ؟ فقلتُ: قولُ الأَحْوَص: [الطويل]

إذا قُـلْـتُ إنِّـي مُـشْـتَـفٍ بِـلِـقَـائـهـا فـحُـمَّ الـتَّـلاقِـي بيننا زَادَنـي سُـقْـمَـا[2]

فقال: أَحْسَنَ والله! اقْضُوا عنه دَيْنَه؛ فقُضِي عنِّي دَيْني.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشّعر الذي هو:

أُرِيـدُ لأَنْـسَـى ذِكْـرَهَـا فَـكَـأَنَّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لَـيْـلَـى بِـكُـلِّ سَـبِـيـلِ

(١) البرذون القطوف: الدابة البطيئة في سيرها. والبراذين من الخيل: ما كان من غير نِتاج العِرابِ.

(٢) حُمَّ التلاقي: قَرُبَ وقُدِّرَ.

صوت

أَلاَ حَـيِّـيَـا لَـيْـلَـى أَجَـدَّ رَحِـيـلِـي وآذَنَ أَصْـحَـابِـي غَـداً بِـقُـفُـولِ[1]
ولَـم أرَ مِـن لَـيْـلَـى نَـوَالاً أَعُـدُّهُ أَلاَ رُبَّـمـا طَـالَـبْـتُ غـيـرَ مُـنِـيـلِ
أُرِيـدُ لأَنْـسَـى ذِكْـرَهـا فَـكَـأَنَّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لَـيْـلَـى بِـكُـلِّ سبـيـلِ
ولـيس خَـلِـيـلـي بِـالـمَـلُـولِ ولا الّـذي إذا غِـبْـتُ عـنـه بَـاعَـنِـي بِـخَـلـيـلِ
ولَـكِـنْ خَـلـيـلِـي مَـنْ يَـدُومُ وِصَـالُـهُ ويَـحْـفَـظُ سِـرِّي عِـنـدَ كُـلِّ دَخِـيـلِ

عروضه من الطويل، الشعر لكُثَيِّر، والغناء في ثلاثة الأبيات الأوَلِ لإبراهيم، ولحنهُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنْصَر. ولابنه إسحاق في:

* ولـيـس خـلـيـلـي بـالـمَـلُـول ولا الّـذي *

ثقيلٌ آخَرُ بالوسطى.

أخبرني أبو خَليفةَ قال: حَدّثنا محمد بن سَلاّم، وأخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير عن محمد بن سَلاّم قال: كان لِكُثَيِّرٍ في النَّسِيب حَظٌّ وافر، وجميلٌ مُقَدَّمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً، ولِكُثَيِّرٍ من فنون الشِّعر ما ليس لجميل. وكان كُثَيِّر راويةَ جميل، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبَابَةِ والعِشْقِ، ولم يكن كُثَيِّر بعاشق، وكان يتقوّل. قال: وكان الناس يستحسنون بيت كُثَيِّرٍ في النَّسيب:

أُريـد لأَنْـسَـى ذِكْـرَهـا فـكـأنَّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لـيـلَـى بِـكُـلِّ سـبـيـلِ

قال: وقد رأيتُ مَنْ يُفَضِّل عليه بيتَ جميلٍ: [الطويل]

خَلِيلَـيَّ فـيـمـا عِـشْـتُـمـا هـل رَأَيْـتُـمـا قَـتِـيـلاً بَـكَـى مِـنْ حُـبِّ قـاتِـلِـه قَـبـلِـي

قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلاَذُرِيّ: وذكر إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصليّ أنّ عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيريّ كان يوماً يذكُرُ شعرَ كُثَيِّرٍ ويَصِفُ تفضيلَ أهل الحجاز إيّاه، إلى أن انتهى إلى هذا البيت. قال إسحاق: فقلتُ له: إنّ الناس يَعيبُون عليه هذا المعنى ويقولون: ما لَهُ يُريد أن ينسَاها! فتبسَّمَ ابنُ مُصْعَبٍ ثم قال: إنَّكم يا أهلَ العراق لَتَقُولونَ ذلك.

---

(١) أَجَدَّ الرحيل: حان وقته واستحكَم. والقفول: الإياب.

أخبرني أحمد بن عبدِ العزيز الجَوْهَريّ قال: حَدثّنا عُمَر بن شَبةَ قال: حَدّثني أبو يحيى الزُّهْريّ قال: حَدّثني الهِزَبْريّ قال: قيل لكُثَيِّرٍ ما أنسبُ بيتٍ قلتَه؟ قال: الناس يقولون:

أُريد لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي ليلَى بكلِّ سبيلِ

وأنسبُ عندي منه قولي: [الطويل]

وقُلْ أمُّ عَمْرٍ داؤه وشِفَاؤُه ... لَدَيْهَا ورَيَّاهَا الشِّفَاءُ مِنَ الخَبْلِ[1]

وقد قيل: إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللَّيْثيّ.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عثمان ـ قال الحَرَمِيّ: أحْسِبُهُ ابنَ عبد الرحمن المخزوميّ ـ قال: حَدّثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال: قيل لمُحْرِزِ ابن جعفر: أنتَ صاحبُ شِعْرٍ، ونَراكَ تَلْزَمُ الأنصارَ، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إنّ هناك لَلشِّعْرَ عَيْنَ الشِّعْرِ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهُم الأحوص الذي يقول: [الطويل]

يقولون لو ماتَتْ لقد غَاضَ حُبُّهُ ... وذلكَ حِينُ الفَاجِعاتِ وحِيني
لَعَمْرُكَ إنّي إنْ تُحَمَّ وَفَاتُها ... بِصُحْبَةِ مَنْ يَبْقَى لَغَيْرُ ضَنِينِ

وهو الذي يقول: [الطويل]

وإنّي لَمِكْرَامٌ لِسَادَاتِ مَالِكٍ ... وإنّي لِنَوْكَى مَالِكٍ لَسَبُوبُ[2]
وإنّي على ٱلحِلْمِ الّذي مِنْ سَجِيَّتي ... لَحَمَّالُ أَضْغَانٍ لَهُنَّ طَلُوبُ

[ما قاله من شعر في مرض موته]

أخبرني الحرمِيّ قال: حَدّثني الزُّبير قال: حَدّثني عَمِّي مُصْعَبٌ قال: حَدّثني يحيى بن الزُّبَير بن عبّاد بن حَمْزَة بن عبد الله بن الزُّبَير، قال الزُّبَير: وحَدَّثني عليُّ ابن صالح عن عامر بن صالح: أنّ الأحوص قال في مَرَضِهِ الّذي مات فيه ـ وقال عامر بن صالح: حين هرَب من عبد الواحد النَّصْريّ إلى البَصْرة ـ:

(١) الرَّيّا: الريح الطّيبة. والخَبْل: فساد العقل.

(٢) النَّوْكَى: جمع الأنوَك: الأحمق.

[البسيط]

يا بِشْرُ يا رُبَّ مَحْزونٍ بِمَصْرَعِنَا وشَامِتٍ جَذِلٍ ما مَسَّهُ الحَزَنُ[1]

وما شَمَاتُ امْرئٍ إنْ مَاتَ صَاحِبُهُ وقد يَرَى أنّه بِالمَوْتِ مُرْتَهَنُ

يا بِشْرُ هُبِّي فإنَّ النَّوْمَ أرَّقَهُ نَأْيٌ مُشِتٌّ وأرْضٌ غَيْرُها الوَطَنُ

---

(١) بِشر: ترخيم بشرة، جاريته. والجَذِل: المسرور.

ذكر الدّلاَل وقصّته حين خُصِيَ ومَنْ خُصِيَ مَعه والسبب في ذلك وسائر أخباره

[اسمه وكنيته وبعض صفاته]

الدَّلاَلُ اسمه ناقِد، وكُنْيته أبو زَيْد، وهو مَدَنِيٌّ مولَى بني فَهْم.

وأخبرني عليُّ بن عبد العزيز عن ابنِ خُرْدَاذْبَهْ قال: قال إسحاق: لم يَكُنْ في المُخَنَّثِين أَحْسَنُ وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ من الدَّلاَل. قال: وهو أحدُ مَنْ خَصَاه ابنُ حَزْمٍ. فلمّا فُعِلَ ذلك به قال: الآن تَمَّ الخُنْثُ.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزُّبَيريّ قال: الدَّلاَلُ مولَى عائشة بنت سعيد بن العاص.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعبَ الزُّبَيري قال: كان الدَّلاَلُ من أهل المدينة، ولم يكن أهلُها يَعُدُّونَ في الظُّرَفاء وأصحاب النوادر من المخنَّثين بها إلاّ ثلاثةً: طُوَيْسٌ، والدَّلالُ، وهِنْبٌ؛ فكان هِنْبٌ أقدمَهم، والدّلاَلُ أصغرَهم. ولم يكن بعد طُوَيْسٍ أظرفُ من الدَّلاَل ولا أكثرُ مُلَحاً.

قال إسحاق: وحَدَّثني هِشام بن المُرِّيّة عن جَرِير، وكانا نديمين مدنِيَّين، قال: ما ذكرتُ الدَّلاَلَ قطُّ إلاّ ضَحِكتُ لِكثرة نوادره. قال: وكان نَزْرَ الحديث، فإذا تكلَّمَ أضحكَ الثَّكلَى، وكان ضاحكَ السِّنِّ، وصَنْعَتُه نَزْرةٌ جيِّدة، ولم يكن يُغَنِّي إلاّ غناءً مُضْعَفاً، يعني كثيرَ العمل.

قال إسحاق: وحدّثني أيُّوب بن عَبَايةَ قال: شَهِدتُ أهلَ المدينة إذا ذكروا الدَّلالَ وأحاديثَه، طَوَّلُوا رِقَابَهم وفَخَروا به؛ فعلمتُ أنّ ذلك لفضيلةٍ كانت فيه.

[حبّه لعشرة النساء والتوسّط بين الرجال والنساء]

قال وحدّثني ابن جامِع عن يونسَ قال: كان الدَّلاَل مُبْتَلًى بالنِّساء والكَوْن معهنّ، وكان يُطْلَبُ فلا يُقْدَرُ عليه، وكان بديعَ الغِناء صحيحَه حَسَنَ الجِرْمِ[1].

قال إسحاق وحدّثني الزُّبَيري قال: إنّما لُقِّبَ بِالدَّلال لِشَكْلِهِ[2] وحُسْنِ دَلِّهِ وظَرْفه وحَلاوة مَنْطِقه وحُسْنِ وجهه وإشارته؛ وكان مشغوفاً بمخالطة النِّساء ووَصْفِهنَّ للرّجال. وكان مَنْ أراد خِطْبةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها، فلا يزالُ يَصِفُ له النساءَ واحدةً فواحدةً حتى ينتهيَ إلى وصف ما يُعْجِبُه؛ ثم يتوسَّطُ بينه وبين من يُعْجِبه منهنَّ حتّى يتزوّجها؛ فكان يُشَاغِل كلَّ مَنْ جالسه عن الغِناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء.

[روايات في سبب إخصائه وسائر المخنثين في المدينة]

قال إسحاق وحدّثني مُصْعَب الزُّبَيري قال: أنا أعلمُ خَلْقِ اللَّهِ بالسبب الذي من أجله خُصِيَ الدَّلاَلُ؛ وذلك أنه كان القادم يَقْدَمُ المدينةَ، فيسألُ عن المرأةِ يتزوَّجُها فيُدَلُّ على الدَّلاَل؛ فإذا جاءه قال له: صِفْ لي مَنْ تعرِف من النساء للتزويج. فلا يزالُ يَصِفُ له واحدةً بعد واحدة حتّى ينتهيَ إلى ما يُوافق هواه؛ فيقول: كيف لي بهذه؟ فيقول: مَهْرُها كذا وكذا؛ فإذا رَضِيَ بذلك أتاها الدَّلاَلُ، فقال لها: إنِّي قد أصبتُ لكِ رجلاً من حالِه وقِصته وهَيْئته ويَسَاره ولا عهدَ له بالنساء، وإنما قَدمَ بَلَدَنَا آنِفاً؛ فلا يزال بذلك يُشَوِّقُها ويُحَرِّكُها حتّى تُطِيعَه؛ فيأتي الرجلَ فيُعْلِمُه أنه قد أحكم له ما أراد. فإذا سُوِّيَ الأمرُ وتزوّجته المرأة، قال لها: قد آنَ لهذا الرجل أن يدخلَ بك، واللّيلة موعدُه، وأنت مُغْتَلِمةٌ شَبِقةٌ جَامَّة[3]؛ فساعةَ يدخلُ عليك قد دَفَقْت عليه مثلَ سَيْلِ العَرِم، فيَقْذَرُكِ ولا يُعَاوِدُكِ، وتكونين من أشأم النِّساء على نفسك وغيرك. فتقول: فكيف أصنَعُ؟ فيقول: أنتِ أعْلَمُ بدواء حِرِكِ ودائه وما يُسكِّنُ غُلْمَتَكِ. فتقول: أنت أعْرَفُ. فيقول: ما أجِدُ له شيئاً أشفَى من النَّيْكِ. فيقول لها: إن لم تَخَافِي الفضيحةَ فابعثي إلى بعض الزُّنوجِ حتّى يقضيَ

---

(١) الجِرم: الصوت.

(٢) الشَّكْل: الهيئة، والشُّكْل: بالكسر والفتح: غُنْجُ المرأةِ ودَلُّها وَغزَلُها.

(٣) الغُلْمة: شهوة الجماع وكذلك الشبق شدة الشهوة. وأَجَمَّت الحاجةُ: تُجِمُّ إجماماً إذا دنت وحانت.

بعضَ وَطَرِكِ[١] ويَكُفَّ عادية حِرِك؛ فتقول له: وَيْلَكَ! ولا كلَّ هذا! فلا تزال المُحاورة بينهما حتَّى يقولَ لها: فكما جاء عليَّ أقوم، فأُخَفِّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوجُ. فتفرَح المرأة فتقول: هذا أمرٌ مستور، فيَنِيكها؛ حتَّى إذا قضى لَذَّتَه منها، قال لها: أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيبَ، وبَقيتُ أنا. ثم يجيءُ إلى الزّوج فيقول له: قد واعدتُها أن تدخل عليك اللّيلة، وأنت رجلٌ عَزَبٌ، ونساءُ المدينة خاصّةً يُرِدْنَ المُطاولةَ في الجِماع، وكأنّي بك كما تُدخله عليها تُفرغُ وتقومُ، فَتُبْغِضُكَ وتَمْقُتُكَ ولا تُعاوِدُكَ بعدها ولو أعطيتَها الدّنيا، ولا تنظرُ في وجهك بعدها. فلا يزالُ في مثل هذا القول حتّى يعلم أنّه قد هاجتْ شَهْوته؛ فيقول له: كيف أعمَلُ؟ قال: تطلُب زِنْجِيّةً فتَنِيكُها مرّتين أو ثلاثاً حتى تَسْكُنَ غُلْمتُك؛ فإذا دخلْتَ اللّيلةَ إلى أهلك لم تجد أمرَك إلاّ جميلاً. فيقول له ذاك: أعوذُ بالله من هذه الحال، أزِناً وزنجيّةً! لا والله لا أفعل! فإذا أكثر محاورتَه قال له: فكما جاء عَلَيَّ قُمْ فَنِكْني أنا حتّى تَسْكُنَ غُلْمتُكَ وشَبَقُكَ؛ فيفرَح فيَنِيكه مَرّةً أو مرّتين. فيقول له: قد اسْتَوَى أمرُكَ الآن وطابَتْ نفسُكَ، وتدخل على زوجتك فتَنِيكها نَيْكاً يملؤها سروراً ولَذّة. فَيِنِيكُ المرأةَ قبل زوجها، ويَنِيكُه الرجلُ قبل امرأته. فكان ذلك دأبَه إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك، وكان غَيُوراً شديد الغَيْرة، فكَتَبَ بأن يُخْصَى هو وسائرُ المخنَّثين بالمدينة ومكة، وقال: إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفْسِدونهنّ. فورد الكتابُ على ابن حَزْم فخصاهم. هذه رواية إسحاق عن الزُّبَيري، والسبب في هذا أيضاً مختلفٌ فيه، ولَيس كلُّ الرُّوَاة يَرْوُون ذلك كما رواه مُصْعَب.

فممّا رُوِيَ من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ ـ وهذا الخبر أَصحُّ ما رُوِيَ في ذلك إسناداً ـ قال: أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبّة عن مَعْن بن عيسى، هكذا رواه الجوهريّ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثني عمر بن شَبّة قال: حَدَّثني أبو غَسّان قال: قال ابن جَنَاح حَدَّثني مَعْنُ بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد عن أبيه وعن محمد بن مَعْنٍ الغِفَاريّ قالا: كان سبب ما خُصِيَ له المُخَنَّثون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان في نادية[٢] له يَسْمُرُ ليلةً على ظهر سَطْح، فتفرّقَ عنه جلساؤه، فدعا بوَضوءٍ فجاءت به جاريةٌ له. فبينا هي

(١) الوطر: الحاجة.

(٢) النادية: مؤنث النادي: المكان الذي يجتمع فيه القوم.

تَصُبُّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثاً، فلم تَصُبَّ عليه؛ فأنكرَ ذلك فرفع رأسه، فإذا هي مُصْغِية بسمعِها إلى ناحية العَسْكَر، وإذا صوتُ رجل يُغَنِّي، فأنصتَ له حتى سمعَ جميعَ ما تَغَنَّى به. فلمَّا أصبح أَذِنَ للناس، ثم أجرى ذِكْرَ الغِناء فلَيَّنَ[1] فيه حتى ظنّ القومُ أنه يَشتهيه ويريده، فأفاضُوا فيه بالتّسهيل وذِكْرِ مَنْ كان يسمَعُه. فقال سليمان: فهل بَقِيَ أحدٌ يُسمَعُ منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عندي يا أمير المؤمنين رجلانِ من أهل أَيْلَةَ[2] مُجيدان مُحْكِمان. قال: وأين منزلُكَ؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها. قال: فابعَثْ إليهما، ففعل، فوجد الرسُولُ أَحَدَهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما اسْمكَ؟ قال: سُمَير، فسأله عن الغِناء، فاعترف به. فقال: متى عهدُكَ به؟ قال: اللَّيلةَ الماضية. قال: وأين كنتَ؟ فأشار إلى الناحية التي سَمِعَ سليمانُ منها الغناء. قال: فما غَنَّيْتَ به؟ فأخبره الشّعرَ الذي سمعه سليمانُ. فأقبل على القوم فقال: هَدَرَ الجملُ فَضَبِعَتِ النَّاقةُ، ونَبَّ التَّيْسُ فَشَكِرَتِ الشَّاةُ[3]، وهدَرَ الحمامُ فزافتِ الحمامةُ[4]، وغَنَّى الرَّجُلُ فطَرِبتِ المرأةُ، ثم أمر به فخُصِيَ، وسأل عن الغناء أين أصلُه؟ فقِيلَ: بالمدينة في المخنَّثين، وهم أَئِمَّتُه والحُذَّاقُ فيه. فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ، وكان عامِلَه عليها، أنِ اخْصِ مَن قِبَلَكَ من المخنّثين المُغَنّين ـ فزعَمَ موسى بن جعفر بن أبي كَثِير قال أخبرني بعض الكُتَّاب قال: قرأت كتابَ سليمان في الديوان، فرأيتُ على الخاءِ نقطةً كتمرة العَجْوة. قال: ومَنْ لا يعلَم يقول: إنّه صَحَّف القارىءُ، وكانت أَحْصِ ـ قال: فتتبَّعَهُمْ ابنُ حزم فَخَصَى منهم تسعةً؛ فمنهم الدَّلاَلُ، وطَرِيفٌ، وحَبِيبٌ نَوْمَةُ الضُّحَى. وقال بعضهم: خُصِيَ سَلِمُ الخاتنُ والمختونُ؛ وهذا كلام يقوله الصَّبيّ إذا خُتِنَ.

قال: فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال: أخبرني حماد بن نَشِيط الحَسَنيّ قال: أَقبلْنا من مكّة ومعنا بَدَارقُس وهو الّذي ختنهم، وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم، فنزلنا على حبيبِ نَوْمةِ الضُّحَى، فاحتفل لنا وأكرمنا. فقال له ثابت: مَنْ

(١) لَيَّنَ فيه: أثنى عليه ومدحه.
(٢) أيلة: مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان ١: ٢٩٢).
(٣) ضبعت الناقة: اشتهت الفحل، ونَبَّ التيس يَنِبُّ نَبًّا: صاح عند الهياج والسِّفَاد، وشَكِرَت النَّاقة: امتلأ ضَرْعُها لبناً.
(٤) زافت الحمامة: أقبلت على الذَّكَر متبخترةً وناشرة جناحيها.

أنتَ؟ قال: يابنَ أخي أتجهَلُني وأنت وَلِيتَ خِتَاني! أو قال: وأنت ختنتَني. قال: واسوأتاه! وأيُّهم أنت؟ قال أنا حَبيب. قال ثابت: فاجتنبتُ طعامَه وخِفتُ أن يسمّني. قال: وجعلَتْ لِحيةُ الدّلاَل بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأمّا ابن الكلبيّ فإنه ذكر عن أبي مِسْكِين ولَقِيطٍ أن أيمَن كتب بإحصاء مَنْ في المدينة من المخنَّثين ليعرفهم، فيُوفِد عليه مَنْ يختاره للوِفَادة؛ فظَنَّ الوالي أنه يُريد الخصاء، فخصاهم.

أخبرني وَكيع قال: حَدّثني أبو أيُّوب المدِينيّ قال: حدَّثني محمد بن سلاّم قال: حدّثني ابن جُعْدُبة، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدِيني عن ابن جُعْدُبة واللّفظ له: أنّ الّذي هاج سليمانَ بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنَّثين، أنّه كان مستلقِياً على فراشه في اللّيل، وجاريةٌ له إلى جنبه، وعليها غِلاَلةٌ ورِدَاءٌ مُعَصْفَران، وعليها وِشَاحان من ذهب، وفي عُنُقها فصلانِ من لؤلؤ وزَبَرْجَد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفاً، وفي عسكره رجلٌ يقال له سُمَير الأَيْليّ يُغَنِّي، فلم يفكِّر سليمانُ في غِنائِه شُغْلاً بها وإقبالاً عليها، وهي لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصْغِيةٌ إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحوّلَ وجهَه عنها مُغْضَباً، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها، فسمِعَ سُمَيْراً يُغنِّي بأحسن صوت وأطيب نغمة:

صوت

[البسيط]

مـحـجـوبـة سَـمِـعَـتْ صـوتـي فَـأَرّقَـهـا ... مِنْ آخِرِ اللّيلِ حَتّى شَفَّها السَّهَرُ[1]

تُـدْنِي عـلـى جِـيـدِها ثِـنـيَـيْ مُـعَـصْـفَـرَةٍ ... والـحَـلْـيُ منـهـا عـلـى لَـبّاتِـهـا خَـصِـرُ[2]

في ليلةِ النّصْفِ ما يدري مُضَاجِعُها ... أَوَجْـهُـهَـا عِـنْـدَهُ أَبْـهَـى أَمِ الـقَـمَـرُ

- ويروى:

* أَوَجْـهُـهـا مـا يَـرَى أَمْ وَجْـهُـهـا الـقَـمَـرُ *

لَـوْ خُـلِّـيَـتْ لَـمَـشَـتْ نَـحْـوِي عـلـى قَـدَمٍ ... تـكـادُ مِـنْ رِقَّـةٍ لِـلْـمَـشْـي تَـنْـفَـطِـرُ

- الغناء لِسُمَيْر الأَيْليّ رملٌ مطلق بالبنصر عن حَبَشٍ. وأخبرني ذُكَاء وجه الرُّزّة

(١) شَفَّهُ الحزن والحب: لَذَعَ قلبه وأنحله وقيل أذهبَ قلبه. وشَفّه الهمُّ: هَزَلَهُ وأضمرَه حتّى رَقّ.

(٢) اللّبّات: جمع اللَّبَّة: وسط الصدر والمَنْحَر، وهو موضع القلادة من الصدر من كلّ شيء.

أنّه سمِعَ فيه لحناً لِلدّلاَل من الثقيل الأوّل ـ فلم يَشْكُكْ سليمان أنّ الذي بها مِمّا سَمِعَتْ، وأنّها تهوَى سُمَيراً؛ فوجَّهَ مِنْ وقتِه مَنْ أحضره وحبسه، ودعا لها بسيفٍ ونِطْعٍ[١]، وقال: واللّهِ لَتَصْدُقِنّي أو لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكِ! قالت: سَلْنِي عمّا تريد. قال: أخبريني عمّا بينكِ وبين هذا الرّجل. قالت: والله ما أعرفُه ولا رأيتُه قَطُّ، وأنا جاريةٌ مَنْشَإِي الحجاز، ومن هناك حُمِلْتُ إليكَ، واللّهِ ما أعرف بهذه البلادِ أحداً سواك. فرَقَّ لها، وأحضر الرجلَ فسأله، وتلطّفَ له في المسألة، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً، ولم تَطِبْ نفسه بتخليته سوِيّاً[٢] فخصاه؛ وكتب في المختّثين بمثل ذلك؛ هذه الرواية الصحيحة.

[ابن أبي عتيق والماجشون يأسفون لخصاء الدلال]

وقد أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حَدّثنا عَمّي قال: قيل للوليد بن عبد الملك: إنّ نِسَاءَ قريش يدخل عليهنّ المخنَّثون بالمدينة، وقد قال رسول اللهﷺ: «لا يدخل عليكنّ هؤلاء»[٣]. فكتب إلى ابن حَزْم الأنصاريّ أنِ اخْصِهم، فخصاهم. فمرّ ابن أبي عَتِيق فقال: أَخَصَيتُمُ الدَّلاَلَ! أمَا والله لقد كان يُحْسِن: [مجزوء الوافر]

لِمَنْ رَبْعٌ بذاتِ الجَيْـ ... ـشِ أَمْسَى دارساً خَلَقَا[٤]
تَأَبَّدَ بعدَ ساكِنِهِ ... فأصبحَ أَهْلُهُ فِرَقَا[٥]
وَقَفْتُ به أُسَائِلُهُ ... ومَرَّتْ عِيسُهُمْ حِزَقَا[٦]

ثم ذهب ثم رجع، فقال: إنما أعني خَفيفَه، لستُ أعني ثَقيلَه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الوَاقِدِيّ عن ابن الماجِشُون: أنّ خليفةَ صاحبَ الشّرْطة لمّا خُصِيَ المخنَّثون مرّ بأبيه الماجشون وهو في حَلْقته؛

---

(١) النِّطع: بساط من جلد يوضع عليه المحكوم بالقتل، ومن المجاز قولهم: عَلَيَّ بالسيفِ والنِّطعِ.
(٢) سَوِيًّا: كاملاً.
(٣) المعجم الكبير للطبراني ٩: ١٢.
(٤) ذات الجيش: من المدينة على بريد، وبينها وبين العقيق ميلان أو خمسة أميال. (معجم ما استعجم ص ٤٠٩). والخَلَق: البالي.
(٥) تأبّد: توحّشَ.
(٦) الحِزَق: الجماعات.

فصاح به: تعالَ، فجاءه؛ فقال: أَخصَيْتُمُ الدَّلاَلَ؟ قال: نعم، قال: أمَا إنّه كان يُجيد:

لِـمَـنْ رَبـعٌ بِـذاتِ الـجـيـ ـشِ أَمْـسَـى دارساً خَـلَـقَـا

ثم مضى غيرَ بعيد فردَّهُ، ثم قال: أستغفرُ الله! إنما أعني هزجَه لا ثقيلَه.

[تصرّفاته تُضحك الناس في الصلاة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: حَدَّثني حَمْزة النَّوْفَليّ قال: صَلَّى الدَّلاَلُ المُخَنَّث إلى جانبي في المسجد، فَضَرَطَ ضرطةً هائلةً سَمِعَها مَنْ في المسجد، فرفعْنا رؤوسنا وهو ساجد، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوتَه: سَبَّحَ لك أعلايَ وأسفلي؛ فلم يبقَ في المسجد أحدٌ إلاّ فُتِنَ[1] وقطع صلاتَه بالضَّحك.

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه عن المَدائنيّ عن أشياخه: أنّ عبد اللّه بن جعفر قال لصديق له: لو غَنَّتْكَ جاريتي فلانة:

لِـمَـنْ رَبْـعٌ بـذات الـجـيـ ـش أمـسـى دارساً خَـلَـقَـا

لَمَا أدركتَ دُكّانَكَ[2]. فقال: جُعِلْتُ فِدَاكَ، قد ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُها فكُلُوا مِنْها وأَطْعِمُوا﴾[3] البائِسَ الفَقِير. فقال عبد اللّه: يا غلام، مُرْ فلانةَ أن تخرجَ؛ فخرجَتْ معها عُودُها. فقال عبد اللّه: إن هذا الشّيخ يكره السَّمَاعَ. فقالت: وَيْحَه! لو كَرِهَ الطعامَ والشرابَ كان أقرب له إلى الصواب! فقال الشيخ: فكيف ذاك وبهما الحياة؟ فقالت: إنّهما رُبّما قتلا وهذا لا يقتُلُ. فقال عبد الله غنِّي:

لِـمَـنْ ربـعٌ بـذات الـجـيـ ـش أمـسـى دارساً خَـلَـقَـا

فغنَّت؛ فجعل الشيخ يصفِّقُ ويرقُصُ ويقول:

* هـذا أَوَانُ الـشَّـدِّ فـاشـتَـدّي زِيَـمْ *[4]

---

(١) فُتِنَ: انصرف عن ذِكْر الله.

(٢) الدكان: المصطبة يُجْلَسُ عليها.

(٣) الآية في سورة الحج ٣٦: ﴿فإذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فكلوا منها وأطعموا القانعَ والمُعْتَرّ﴾.

(٤) الزِّيَم: المتفرّق، وزِيَم: اسم فرس جابر بن حُنين، وإياها عنى الراجز بقوله: «هذا أوان الشّدّ فاشتدّي زِيَمْ» وقد استخدمه الحجاج في خطبة له.

ويحرِّكُ رأسه ويدور حتى وقع مَغْشِيًّا عليه، وعبدُ الله بن جعفر يضحَكُ منه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال: حَدّثني أبو غَسّان قال: مَرَّ الغَمْر بنَ يَزِيد بن عبد الملك حَاجًّا، فغَنَّاه الدَّلاَل: [البسيط]

بَانَتْ سُعَادُ وأَمْسَى حَبْلُها انْصَرَمَا ... واحتَلَّتِ الغَمْرَ فَالأَجْرَاعَ مِنْ إِضَمَا[1]

فقال له الغَمْر: أحسنتَ والله، وغلبتَ فيه ابنَ سُرَيج! فقال له الدَّلاَل: نعمةُ الله عليّ فيه أعظمُ من ذلك. قال: وما هي؟ قال: السُّمْعة، لا يسمَعه أحدٌ إلاّ عَلِمَ أنه غناء مُخَنَّثٍ حقًّا.

نسبة هذا الصوت:

صوت

بَانَتْ سُعَادُ وأَمْسَى حَبْلُها انْصَرَمَا ... واحتَلَّتِ الغَمْرَ فَالأَجْرَاعَ مِنْ إِضَمَا

إِحْدَى بَلِيّ وما هَامَ الفُؤَادُ بها ... إلاّ السَّفَاهَ وإلاّ ذُكْرَةً حُلُمَا[2]

هَلاّ سَأَلْتِ بَنِي ذُبْيَانَ ما حَسَبِي ... إذا الدُّخَانُ تَغَشّى الأَشْمَطَ البَرَمَا[3]

الشّعر للنابغة الذُّبيانِيّ، والغناء للدَّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى عن الهِشامي، وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر لمَعْبَد عن عمرو بن بانَةَ؛ وفيه لابن سُرَيْج ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن حَبَش، وفيه لنَشِيطٍ ثاني ثقيلٍ بالبنصرِ عنه، وذكر الهِشَاميّ أنّ لحن مَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل، وذكر حمّاد أنّه للغَرِيض، وفيه لجمِيلَة ودَحْمان لحنانٍ، ويقال: إنهما جميعاً من الثقيل الأوّل.

أخبرني الحُسَين بن يحيى قال: أخبرنا حمّاد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المَدَائنيّ قال: اختصم شِيعِيٌّ ومُرْجِىءٌ، فجعلا بينهما أوّلَ مَنْ يَطْلُع، فطلَع الدَّلاَل. فقالا له: أبا زَيْد، أيُّهما خيرٌ الشِّيعيُّ أمِ المُرْجِىءُ؟ فقال: لا أدري إلاّ أن أعلايَ شِيعيٌّ وأسفلي مُرْجِىءٌ!

---

(١) الغَمْر: بئر قديمة بمكّة. (معجم ما استعجم ص ١٠٠٢). والأجراع: جمع جرعة: الحرملة الطيبة المنبت. وإِضَم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة، وقيل: إضم وادٍ بجبال تهامة وهو الوادي الذي فيه المدينة. (معجم البلدان ١: ٢١٤).

(٢) بَلِيّ: قبيلة من قضاعة.

(٣) الأشمط: الذي خالطه الشيب. والبرم: الذي لا يدخل مع القوم من الميسر لبخله، وفي المثل: أَبَرَماً قَرُوناً، أي هو بَرَمٌ ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين. والأبرام: اللّئام.

[بعض قصصه ووقوعه في المشاكل وتَخَلُّصه]

قال إسحاق قال المَدَائنيّ: وأخبرني أبو مِسْكِينٍ عن فُلَيْح بن سليمان قال: كان الدَّلاَل ملازماً لأُمِّ سعيد الأسلميّة وبنت ليحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي، وكانتا من أَمْجَنِ النِّساء، كانتا تخرُجان فتركَبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلاَخِيلُهما. فقال مُعاوية لِمَرْوان بنِ الحَكَم: اكْفِني بنتَ أخيك؛ فقال: أفعل. فاستزارها، وأمر ببئر فحُفِرَتْ في طريقها، وغُطِّيَتْ بحَصِيرٍ، فلمّا مشتْ عليه سقطَتْ في البئر فكانت قبرَها. وطُلِبَ الدَّلاَلُ فهرَبَ إلى مكّة. فقال له نساء أهلِ مكة: قَتَلْتَ نساءَ أهلِ المدينة وجِئتَ لتقتلنا! فقال: واللّهِ ما قَتَلهنّ إلا الحُكَّاك. فقلن: اُعْزُبْ أخزاكَ اللّهُ، ولا أدنى بك داراً، ولا آذانا بك! قال: فَمَنْ لَكُنَّ بعدي يدلُّ على دائِكنَّ ويعلَمُ موضعَ شِفائكنّ؟ والله ما زَنَيْتُ قطُّ ولا زُنِيَ بي، وإنّي لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم.

قال إسحاق: وحدّثني الواقِدِيّ عن ابن الماجِشُون قال: كان أبي يُعْجِبه الدَّلاَل ويستحسنُ غناءَه ويُدْنِيه ويُقرّبه، ولم أرَه أنا، فسمعتُ أبي يقول: غنّاني الدَّلاَل يوماً بشعر مجنون بني عامر، فلقد خفْتُ الفتنةَ على نفسي. فقلت: يا أبتِ، وأيَّ شِعْرٍ تَغَنّى؟ قال: قولَه:

صوت

[الطويل]

عَسَى اللّهُ أنْ يُجْرِي المَوَدّةَ بيننا ... ويُوصِلَ حَبْلاً مِنْكُمُ بِحِبالِيَا

فكَمْ مِنْ خَلِيلَيْ جَفْوةٍ قد تَقَاطَعَا ... على الدَّهْرِ لَمّا أنْ أطَالاَ التَّلاَقِيَا

وإنّي لَفِي كَرْبٍ وأنتِ خَلِيّةٌ ... لقد فَارَقْتِ في الوَصْفِ حَالُكِ حَالِيا

عَتَبْتُ فَمَا أَعْتَبْتِنِي بِمَوَدَّةٍ ... ورُمْتُ فما أَسْعَفْتِنِي بِسُؤَالِيا

الغناء في هذا الشعر للغَرِيض ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ولا أعرف فيه لحناً غيره. وذكر حماد في أخبار الدَّلاَل أنّه للدّلال، ولم يُجَنِّسْهُ.

قال إسحاق وحدّثني الوَاقِديّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطِبِيّ قال: قَدِمَ مُخَنَّثٌ مِنْ مكّةَ يقال له مُخّة، فجاء إلى الدَّلاَل فقال: يا أبا زيد، دُلَّني على بعض مُخَنَّثي أهلِ المدينة أكايدُهُ وأُمَازِحه ثم أُجاذِبُه. قال: قد وجدته لك ـ وكان خُثَيْم بن عِرَاك بن مالِكٍ صاحِب شُرْطة زِيَاد بن عُبَيد اللّه الحارِثيّ جارَه، وقد خرج في

ذلك الوقت لِيُصَلِّي في المسجد ـ فأومأ إلى خُثَيْم فقال: الْحَقْه في المسجد؛ فإنّه يقوم فيه فيصلِّي لِيُرائِيَ الناسَ، فإنّكَ ستظفر بما تُريد منه. فدخل المسجدَ وجلس إلى جنب ابن عِرَاك، فقال: عَجِّلِي بصلاتك لا صَلَّى اللَّهُ عليكِ! فقال خُثَيْم: سبحانَ الله! فقال المخنَّث: سبَّحْتِ في جامعةٍ[1] قرّاصةٍ، انصرفي حتَّى أتحدّث معكِ. فانصرف خُثَيْمٌ من صلاته، ودعا بالشُّرَطِ والسِّياطِ فقال: خُذُوه فأخذوه، فضربه مائةً وحبسه.

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال: صلَّى الدَّلاَلُ يوماً خلْفَ الإمام بمكّة، فقرأ: ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرني وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]؛ فقال الدَّلاَل: لا أدري والله! فضَحِكَ أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة. فلمّا قضى الوالي صلاتَه دعا به وقال له: ويلَكَ! ألاَ تَدَعُ هذا المجونَ والسَّفَهَ! فقال له: قد كان عِندي أنّك تعبد الله، فلمّا سَمِعْتُكَ تستفهم، ظننتُ أنّك قد تشكّكت في ربِّك فثَبَّتُّكَ. فقال له: أنا شَكَكْتُ في رَبّي وأنتَ ثَبَّتَّني! إذهَبْ لعنكَ الله! ولا تُعَاوِدْ فأُبالغَ والله في عُقوبتك.

قال إسحاق وحدّثني الوَاقِديّ عن عثمان بن إبراهيم قال: سألَ رجلٌ الدَّلاَلَ أنْ يزوّجه امرأةً فزوّجه. فلمّا أعطاها صَدَاقَها وجاء بها إليه فدخلتْ عليه، قام إليها فواقعها، فضَرَطَتْ قبل أن يطأها، فكَسِلَ عنها الرجل ومَقَتها وأَمَر بها فأُخرِجَتْ، وبعثَ إلى الدَّلال، فعرَّفَهُ ما جرى عليه، فقال له الدَّلاَل: فديتُك! هذا كلُّه من عِزَّةِ نفسها. قال: دَعْني منك؛ فإنّي قد أبغضتها، فارْدُدْ عليّ دَرَاهمي، فَردَّ بعضها. فقال له: لِمَ رَدَدْتَ بعضَهَا وقد خرجَتْ كما دخلتْ؟ قال: لِلرَّوْعة[3] التي أدخلتَها على اسْتِها. فضحِكَ وقال له: اذهَبْ فأنت أقضَى الناسِ وأفقَهُهم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أبو أَيُّوب المَدِينيّ قال: حَدّثني محمد بن سلاّم عن أبيه قال: وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن أبيه قال: إنّ الدّلال خرج يوماً مع فِتْيةٍ من قريش في نزهةٍ له، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه، فأعجبه؛ وعَلِمَ القومُ بذلك، فقالوا: قد ظَفِرْنا به بقيّة يومنا، وكان لا يصبِرُ في مجلس حتى ينقضي، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبةً في محادثة النساء. فغمَزوا الغلامَ عليه؛ وفَطِنَ لذلك فغضِبَ، وقام

---

(١) الجامعة: الغلُّ لأنها تجمع اليدين إلى العنق (لسان العرب جمع).

(٢) سورة يس، الآية ٢٢.

(٣) الروعة: الفزع والخوف.

لينصرف؛ فأقسم الغلام عليه والقومُ جميعاً فجلس، وكان معهم شرابٌ فشَرِبُوا، وسَقَوْه وحَمَلوا عليه لئلاّ يبرَحَ، ثم سألوه أن يُغنِّيهم فغنّاهم:

صوت

[الطويل]

زُبَيْرِيَّةٌ بِالعَرْجِ مِنْهَا مَنَازِلٌ ... وبِالخَيْفِ مِنْ أَدْنَى مَنازِلِها رَسْمُ[1]
أُسَائِلُ عنها كُلَّ رَكْبٍ لَقِيتُه ... وما لي بها من بعدِ مَكَّتِنا عِلْمُ
أَيَا صَاحِبَ الخَيْمَاتِ مِنْ بَطْنِ أَرْثَدٍ ... إِلَى النَّخْلِ مِنْ وَدَّانَ ما فَعَلَتْ نُعْمُ[2]
فإنْ تَكُ حَرْبٌ بينَ قومي وقَوْمِهَا ... فَإِنِّي لها في كُلِّ نَائِرَةٍ سِلْمُ[3]

ـ ذكر يحيى المكّي وعمرو بن بانةَ أنّ الغِناء في هذا الشعر لمَعْبَد ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر غيرهما أنه للدّلال، وفيه لمُخَارق رملٌ، وذكر إسحاق هذا اللّحن في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد ـ قال: فاسْتُطِيرَ القومُ فرحاً وسروراً وعلا نَعِيرُهُمْ[4]؛ فَنَذِرَ[5] بهم السُّلْطان، وتَعَادَتِ الأشراط[6]، فأحسُّوا بِالطَّلَبِ فهربوا؛ وبَقِيَ الغلام والدَّلاَل ما يُطِيقانِ بَرَاحاً من السُّكْر؛ فأُخِذَا فأُتِيَ بهما أميرَ المدينةِ. فقال للدَّلاَل: يا فاسق! فقال له: مِنْ فَمِكَ إلى السماء. قال: جُؤُوا[7] فَكَّه؛ قال: وعُنُقَهُ أيضاً. قال: يا عدوّ الله! أمَا وَسِعكَ بيتُكَ حتّى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُقُ به! فقال: لو عَلِمْتُ أنّكَ تَغَارُ علينا وتشتهي أن نفسُقَ سِرّاً ما خرجْتُ من بيتي. قال: جَرِّدُوه واضربوه حدّاً. قال: وما ينفعكَ من ذلك! وأنا والله أُضْرَبُ في كلّ يوم حدوداً. قال: وَمَنْ يتولّى ذلك منك؟ قال: أُيُورُ المسلمين. قال: ابطَحُوه على وجهه واجلسوا على ظهره. قال: أَحسَبُ أنّ الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أُنَاكُ. قال: أقيموه لعنه الله واشهروه في المدينةِ مع الغلام. فأُخْرِجا

---

(١) العَرْج: قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف ينسب إليها الشاعر العرجي. (معجم البلدان ٤: ٩٨) والرّسم: الأثر.

(٢) أرْثَد: اسم وادٍ بين مكة والمدينة في وادي الأبواء. (معجم البلدان ١: ١٤٢). وَدَّان: ثلاثة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٥: ٣٦٥).

(٣) النائرة: العداوة والشحناء.

(٤) النعير: الصّياح والصراخ.

(٥) نَذِرَ بهم: عَلِمَ بهم.

(٦) تعادت الأشراط: ركضت الشرطة مسرعة.

(٧) الوَجْءُ: اللّكْزُ، ووجأه باليد والسّكين: ضربه.

يُدَارُ بهما في السِّكَكِ. فقيل له: ما هذا يا دَلالُ؟ قال: اشتهى الأميرُ أن يجمعَ بين الرّأسين، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، ولو قيل له الآن: إنّك قوّاد غَضِبَ! فبلغَ قولُه الوالي فقالَ: خَلُّوا سبيلَهما، لعنة الله عليهما!

قال إسحاق في خبره خاصّةً ـ ولم يذكره أبو أيُّوب ـ فحدّثني أبي عن ابن جَامِعٍ عن سِيَاطٍ قال: سَمِعْتُ يونسَ يقول: قال لي مَعْبَدٌ: ما ذكرت غناءَ الدَّلاَل في هذا الشعر:

* زُبَـيْـرِيَّـةٌ بِـالـعَـرْجِ مـنـهـا مَـنـازِلٌ *

إلاّ جَدَّدَ لي سروراً، ولَوددْتُ أنِّي كنت سبقتُه إليه لِحُسْنِهِ عندي. قال يونس: فقلت له: ما بلَغ من حُسْنِهِ عندك؟ قال: يكفيك أني لم أسمَعْ أحسنَ منه قطُّ.

[عبد الرحمن بن حسان يستمع إلى الدلال وطويس والوليد]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حَسّان قال: كان بالمدينة عُرْسٌ، فاتَّفَق فيه الدَّلاَل وطُوَيْس والوليد المُخَنَّث، فدخل عبد الرحمن بن حَسَّان، فلمّا رآهم قال: ما كنتُ لأجلسَ في مجلس فيه هَؤلاء. فقال له طُوَيس: قد علمتَ يا عبد الرحمن نِكايتي فيك وأنّ جَرْحي إيّاكَ لم يندملْ ـ يعني خَبره معه بحضرة عبد الله بن جعفر، وذِكْرَه لِعَمَّتِهِ الفارِعة ـ فاربَحْ نفسكَ وأقْبِلْ على شأنك؛ فإنّه لا قيامَ لك بمن يَفْهَمك فَهْمي. وقال له الدَّلال: يا أخا الأنصار! إنّ أبا عبد النَّعِيم أعلمُ بكَ مِنّي، وسأُعْلِمُكَ بعضَ ما أعلم به. ثم اندفع ونَقَرَ بالدُّفّ، وكلُّهم ينقُر بِدُفِّهِ معه، فتغنَّى:

صوت

[الطويل]

أَتَـهْـجُـرُ يـا إِنْـسَـانُ مَـنْ أَنـتَ عَـاشِـقُـهْ ... ومَـنْ أنـتَ مُـشْـتَـاقٌ إلـيـه وشَـائِـقُـهْ

ورِيـمِ أَحَـمِّ الـمُـقْـلَـتَـيْـنِ مُـوَشَّـحٍ ... زَرَابِـيُّـهُ مَـبْـثُـوثَـةٌ ونَـمَـارِقُـهْ[1]

تـرى الـرَّقْـمَ والـدِّيبـاجَ فـي بَـيْـتِـهِ مـعـاً ... كـمـا زَيَّـنَ الـرَّوْضَ الأنِـيـقَ حَـدَائِـقُـهْ[2]

---

(١) الأحم: الأسود. والزرابيّ: البسط أو الوسائد التي تستخدم للجلوس والاتّكاء عليها. والنمارق: الوسائد.

(٢) الرَّقم: نوع من الوشي أو البرود المخطّطة.

وسِربِ ظِبَاءٍ تَرتَعِي جانبَ الحِمَى ... إلى الجَوّ فَالْخَبْتَيْنِ بِيضٌ عَقَائِقُهْ[1]
وما مِنْ حِمًى في النّاسِ إلاّ لَنَا حِمًى ... وإلاّ لنا غَرْبِيُّهُ ومَشَارِقُهْ

فاستضحكَ عبدُ الرحمن وقال: اللّهُمَّ غَفراً، وجلس.

لحن الدَّلاَل في هذه الأبيات هَزَجٌ بالبِنْصَر عن يحيى المكّي وحمّاد.

[سليمان بن عبد الملك يستدعي الدلال ويستمع إلى غنائه ويكرمه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله الجُمَحِيّ عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَام قال: سَمِعْتُ عَمّي عُتْبَة يقول: حَدّثني مولًى للوليد بن عبد الملك قال: كان الدَّلاَلُ ظريفاً جميلاً حسنَ البيان، مِنْ أَحْضَرِ الناس جواباً وأَحَجِّهم؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رَقَّ له حين خُصِيَ غَلَطاً، فوجَّهَ إليه مَوْلًى له وقال له: جِئْنِي به سِرّاً، وكانت تبلُغه نوادرُه وطِيبُه، وحذَّرَ رسولَه أن يعلَمَ بذلك أحدٌ. فنَفَذَ المولى إليه وأعلمه ما أُمره به، وأَمَره بالكِتْمان وحَذَّره أن يَقِفَ على مقصده أحد، ففعل. وخرج به إلى الشّام، فلمّا قَدِمَ أنزله المولى منزلَه وأعلم سليمانَ بمكانه؛ فدعا به ليلاً فقال: وَيْلَكَ ما خَبَرُكَ؟ فقال: جُبِبْتُ[2] من القُبُلِ مَرَّةً أخرى يا أميرَ المؤمنين، فهل تريد أن تَجُبَّنِي المرّة من الدُّبُرِ؟! فضحِكَ وقال: اعْزُبْ أخزاكَ اللّهُ! ثم قال له: غَنِّ. فقال: لا أُحْسِنُ إلاّ بِالدُّفِّ. فأمرَ فأُتِيَ له بدُفّ؛ فغنَّى في شعر العَرْجِيّ: [الطويل]

أَفِي رَسْمِ دَارٍ دَمْعُكَ المُتَحَدِّرُ ... سَفَاهاً وما استنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ
تَغَيَّرَ ذاكَ الرَّبْعُ مِنْ بَعْدِ جِدَّةٍ ... وكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُتَغَيِّرُ
لأَسْمَاءَ إذْ قَلْبِي بِأَسْمَاءَ مُغْرَمٌ ... وما ذِكْرُ أَسْمَاءَ الجَمِيلَةِ مُهْجَرُ
ومَمْشَى ثَلاثٍ بعد هَدْءٍ كَوَاعِبٍ ... كَمِثْلِ الدُّمَى بل هُنَّ مِنْ ذاكَ أَنْضَرُ[3]

---

(١) الجوّ: اسم لناحية اليمامة (معجم البلدان ٢: ١٩٠) والخبتان: اسم موضع. والعقيق: كل مسيل شَقَّهُ ماءُ السيل فوَسَّعَهُ.

(٢) جَبَّهُ يَجُبُّهُ جَبًّا، وجَبَّ خُصاه: استأصله.

(٣) الهدء: الهزيع الأخير من اللّيل، وقيل: هو من أول الليل إلى ثلثه وذلك وقت السكون. والكواعب: جمع الكاعب: الفتاة إذا نهدَ ثديُها.

فَسَلَّمْنَ تسليماً خَفِيّاً وسَقَّطَتْ ... مَصَاعِبةٌ ظُلْعٌ مِنَ السَّيْرِ حُسَّرُ[1]
لها أَرَجٌ من زاهرِ البَقْلِ والثَّرَى ... وبُرْدٌ إذا ما باشرَ الجِلْدَ يَخْصَرُ[2]
فقالتْ لِتِرْبَيْها الغَدَاةَ تَبَقَّيَا ... بِعَيْنٍ ولا تَسْتَبعِدَا حينَ أُبْصِرُ
ولا تُظْهِرَا بُرْدَيْكُمَا وَعَلَيْكُمَا ... كِسَاءَانِ مِنْ خَزٍّ بِنَقْشٍ وأَخْضَرُ
فَعَدِّي فما هذا العِتَابُ بِنَافِعٍ ... هَوَايَ ولا مُرْجِي الهَوَى حِينَ يُقْصِرُ

فقال له سليمان: حُقَّ لكَ يا دَلاَلُ أن يقال لك الدَّلال! أحسنتَ وأجملتَ! فوالله ما أدري أيّ أمرَيْكَ أعجبُ: أَسُرْعَةُ جوابِكَ وجودةُ فَهْمِكَ أم حُسْنُ غِنائِكَ، بل جميعاً عَجَب! وأمر له بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ. فأقام عنده شهراً يشربُ على غنائه، ثم سرَّحَهُ إلى الحجاز مُكرماً.

[الدّلال يأخذ الغلامين من الشاميّ مقابل تزويجه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن الأصمعيّ قال: حَجَّ هِشامُ بن عبد الملك، فلمّا قَدِمَ المدينةَ نزل رجلٌ من أشراف أهل الشأم وقوّادهم بجنب دار الدَّلاَل، فكان الشّاميُّ يسمَعُ غِناءَ الدَّلاَل ويُصْغِي إليه ويصعَدُ فوق السطح ليقرُبَ من الصّوتِ؛ ثم بعث إلى الدَّلال: إمّا أن تزورنا وإمّا أن نزوركَ؛ فبعث إليه الدَّلال: بل تزورنا. فتهيّأ الشاميّ ومضى إليه، وكان للشاميّ غِلْمانٌ رُوقَةٌ[3]، فمضى معه بغلامين منهم كأنّهما دُرّتان. فغنّاه الدّلال: [الكامل]

قد كُنْتُ آمُلُ فِيكُمُ أَمَلاً ... والمَرْءُ ليسَ بِمُدْرِكٍ أَمَلَهْ
حَتَّى بَدَا لي مِنْكُمُ خُلُفٌ ... فَزَجَرْتُ قَلْبِي عن هَوَى جَهِلَهْ[4]
ليسَ الفَتَى بِمُخَلَّدٍ أَبَداً ... حَقّاً وليس بِفَائِتٍ أَجَلَهْ
حَيِّ العَمُودَ ومَنْ بِعَقْوَتِه ... وقِفَا العَمُودِ وإن جَلاَ أَهْلَهْ[5]

قال: فاستحسن الشّاميُّ غِناءه، وقال له: زِدْني؛ فقال: أو مَا يكفيكَ ما

---

(١) سقّطتْ: جاءت مسترخيةً. ومَصاعبة: جمع مُصْعَب: الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يُرْكَبْ. والظُّلْعُ: العَرَجُ. وحُسَّر: جمع حاسر، وحَسَرت الناقة حسراً إذا أعيَتْ وكَلَّتْ.
(٢) الأرج: الرائحة، والبُرْدُ من الثياب: ثوبٌ فيه خطوط وخصّ بعضهم به الوشي. ويخصر: يبرد.
(٣) غلمانٌ روقةٌ: حِسانٌ.
(٤) الخُلْفُ والخُلُفُ: نقيضُ الوفاء بالوعد.
(٥) العقوة: الساحة أمام الدار وحولها.

سمعتَ؟ قال: لا واللّهِ ما يكفيني. قال: فإنّ لي إليكَ حاجةً. قال: وما هي؟ قال: تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما. قال: اخْتَرْ أيّهما شِئْتَ؛ فاختارَ أحدهما. فقال الشاميّ: هو لكَ؛ فَقَبِلَهُ الدَّلالُ، ثم غَنّاه: [الطويل]

هَوًى كان قِدْماً مِنْ فُؤادِ طَرُوبِ[1] دَعَتْني دَوَاعٍ مِنْ أُرَيّا فَهَيَّجَتْ

فتَغْفِرَ أرْوَى عِنْدَ ذاكَ ذُنوبي لَعَلَّ زماناً قد مَضَى أنْ يعودَ لي

بِوَجْهٍ جَميلٍ لِلقُلُوبِ سَلُوبِ[2] سَبَتْنِي أُرَيّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرِ

فقال له الشّاميّ: أحسنتَ! ثم قال له: أيها الرجل الجميل، إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: أريد وصيفةً وُلِدَتْ في حِجْرٍ صالح، ونشأت في خير، جميلة الوجه مجدولة، وَضِيئةً، جَعْدةً، في بياض مُشْرَبةً حمرةً، حسنةَ القامة، سَبْطةً[3]، أَسِيلةَ الخدّ[4]، عَذْبةَ اللّسان، لها شِكْلٌ ودَلٌّ، تملأ العين والنفس. فقال له الدَّلال: قد أصبتُها لكَ، فما لي عليك إن دَلَلْتُكَ؟ قال: غلامي هذا. قال: إذا رأيتَها وقَبِلْتَها فالغلامُ لي؟ قال: نعم. فأتى امرأةً كَنَى عن اسمها، فقال لها: جُعِلْتُ فِداكِ! إنّه نزل بقُرْبي رجلٌ من أهل الشّأم من قوّاد هشام له ظَرْفٌ وسخاء، وجاءني زائراً فأكرمتُه، ورأيت معه غلامين كأنّهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة، ما وقعتْ عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما، فَوَهب لي أحدَهما والآخرُ عنده؛ وإن لم يَصِلْ إليّ فنفسي خارجةٌ. قالت: فتُريد ماذا؟ قال: طَلَب منّي وصيفةً يشتريها على صِفَةٍ لا أعْلَمُها في أحدٍ إلاّ في فلانة بِنْتِكِ، فهل لك أن تُرِيَها له؟ قالت: وكيف لكَ بأن يدفَعَ الغلامَ إليك إذا رآها؟ قال: فإنّي قد شَرَطْتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع. قالت: فشأنَكَ ولا يعلَمْ أحدٌ بذلك. فمضى الدّلاَل فجاء الشاميّ معه. فلمّا صار إلى المرأة أدخلتْه، فإذا هو بحَجَلةٍ[5] وفيها امرأةٌ على سرير مُشْرِفٍ بَرْزَةٌ جميلةٌ، فَوُضِعَ له كرسيٌّ فجلسَ. فقالت له: أمِنَ العربِ أنتَ؟ قال: نعم. قالت: من أيِّهم؟ قال: من خُزَاعةَ. قالت: مرحباً بك

---

(١) أُرَيّا: تصغير (أروى).

(٢) النعف: ما ارتفع من الأرض، وهو موضع بين مكة وعرفة، وقيل: بين منًى وعرفة، وقيل: بين منًى والمزدلفة. (معجم البلدان ٥: ٦٢).

(٣) امرأة سَبْطَةٌ وسَبِطَةٌ: رخصةٌ ليّنةٌ.

(٤) الخدّ الأسيل: هو اللّيّن الدقيق المستوي.

(٥) الحَجَلَة: سِتر يُضرَب للعروس في صدر البيت.

وأهلاً، أيَّ شيءٍ طَلَبْتَ؟ فَوَصَف الصّفة؛ فقالت: أَصَبْتَها، وأصغت[١] إلى جاريةٍ لها فدخلتْ فمكثتْ هنيهةً ثم خَرَجَتْ؛ فنظرتْ إليها المرأة فقالت لها: أيْ حبيبتي، أخرُجي، فخرجتْ وصيفةٌ ما رأى الرّاؤون مثلَها. فقالت لها: أَقْبِلي فأقبلتْ، ثم قالت لها: أَدْبِري، فأدبرتْ تملأ العين والنفس؛ فما بَقِيَ منها شيءٌ إلاّ وضع يدَه عليه. فقالت: أتُحِبُّ أن نُؤَزِّرَها لك؟ قال: نعم. قالت: أيْ حبيبتي اتَّزِري، فضَمَّها الإزارُ وظهرت محاسنُها الخَفِيّة، وضرَبَ بيده على عجيزتها وصَدْرِها. ثم قالت: أَتُحِبُّ أن نُجَرِّدَها لك؟ قال: نعم. قالت: أيْ حبيبتي وَضِّحي؛ فألقت إزارَها فإذا أحسنُ خَلْقِ الله كأنّها سبيكة. فقالت: يا أخا أهلِ الشّأم كيف رأيتَ؟ قال: مُنْية المُتَمَنّي. قال: بكَمْ تقولين؟ قالت: ليس يومُ النظر يومَ البيع، ولكن تعود غداً حتى نُبايعك ولا تنصرف إلاّ على الرِّضا، فانصرف من عندها. فقال له الدَّلال: رَضِيتَ؟ قال: نعم، ما كنت أحسب أنّ مثل هذه في الدنيا؛ فإن الصفة لَتَقْصُرُ دونها. ثم دفع إليه الغلام الثاني. فلمّا كان من الغدِ قال له الشاميّ: امْضِ بنا، فَمَضَيَا حتّى قَرَعا البابَ؛ فأُذِنَ لهما، فدخلا وسَلَّما، ورحَّبَت المرأةُ بهما، ثم قالت لِلشّاميّ: اعطِنا ما تَبْذُلُ؛ قال: ما لها عندي ثمنٌ إلاّ وهي أكبرُ منه، فقُولي يا أَمَةَ الله. قالت: بل قُلْ؛ فإنّا لم نُوطِئْكَ أعقابَنا ونحن نُريدُ خِلافَكَ وأنتَ لها رِضاً. قال: ثلاثة آلاف دينار. فقالت: واللّهِ لَقُبْلَةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار. قال: بأربعة آلاف دينار. قالت: غَفَرَ اللّهُ لكَ! أَعْطِنَا أيُّها الرجل. قال: والله ما معي غيرها ـ ولو كان لَزِدْتُكِ ـ إلاّ رَقِيقٌ ودوابُّ وخُرْثِيٌّ[٢] أحمله إليك. قالت: ما أراك إلاّ صادقاً، أتدري مَنْ هذه؟ قال: تُخبريني. قالت: هذه ابنتي فلانةُ بنت فلان، وأنا فلانة بنت فلان، وقد كنتُ أردتُ أن أَعْرِضَ عليك وصيفةً عِندي، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غلظَ أهلِ الشأم وجفاءَهم، ذكرتَ ابنتي فعلمت أنّكم في غير شيء، قُمْ راشداً. فقال للدَّلال: خدعتَني! قال: أوَ لاَ تَرْضَى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبَ مائةَ غلامٍ مثل غلامك؟ قال: أمّا هذا فنعم. وخرجا من عندها.

---

(١) أصغت إليها: مالت إليها برأسها.

(٢) الخرثيّ: المتاع والغنائم وأثاث البيت.

نسبة ما عُرِفَتْ نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

قَد كُنْتُ آمُلُ فيكُم أَمَلاً والمَرْءُ لَيسَ بِمُدْرِكٍ أَمَلَهْ
حتَّى بَدَا لي مِنكُمُ خُلُفٌ فَزَجَرْتُ قَلْبِي عن هَوَى جَهِلَهْ

الشّعر للمُغِيرة بن عمرو بن عثمان، والغناء للدَّلاَل، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبِنصر في مجْراها؛ وجدتُه في بعض كتب إسحاق بخطّ يده هكذا. وذكر عليّ بن يحيى المنجّم أنّ هذا اللّحن في هذه الطريقة لابن سُرَيج، وأنّ لحن الدَّلاَل خفيفُ ثقيلٍ نَشِيد، وذكر أحمد بن المَكّيّ أنّ لحن الدَّلاَل ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولحنَ ابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل. وفيه لمُتَيَّم وعَرِيبَ خفيفا ثقيلٍ، المُطْلَقُ المُسْجَحُ منهما لِعَرِيبَ. ومنها:

صوت

دَعَتْني دَوَاعٍ مِنْ أُرَيَّا فَهَيَّجَتْ هَوًى كان قِدْماً مِنْ فُؤادٍ طَرُوبِ
سَبَتْني أُرَيَّا يَوْمَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ بِوَجْهٍ صَبِيحٍ لِلقُلُوبِ سَلُوبِ
لَعَلَّ زماناً قد مَضَى أنْ يَعُودَ لِي وتَغْفِرَ أَرْوَى عِنْدَ ذَاكَ ذُنُوبِي

الغناء للدَّلاَلِ خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى في مجراها من رواية حمّاد عن أبيه، وذكر يحيى المكّي أنه لابن سُرَيج.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي قَبِيصةَ قال: جاء الدَّلاَلُ يوماً إلى منزل نائلةَ بنت عمَّار الكَلْبِيّ، وكانتْ عند معاويةَ فطلّقها، فقَرَعَ البابَ فلم يُفْتَحْ له؛ فغَنّى في شِعر مجنون بني عامرٍ ونَقَر بِدُفِّهِ: [الطويل]

خَلِيلَيَّ لا واللّهِ ما أَمْلِكُ البُكَا إذا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِ لَيلَى بَدَا لِيَا
خَلِيلَيَّ إنْ بَانُوا بِلَيلَى فَهَيِّئا لِيَ النَّعْشَ والأَكْفَانَ واسْتَغْفِرَا لِيا

فخرج حَشَمُها فزجروه وقالوا: تَنَحَّ عن الباب. وسَمِعَتِ الجَلَبَةَ فقالت: ما هذه الضَّجَّةُ بالباب؟ فقالوا: الدَّلاَل. فقالت: ائذَنُوا له. فلمّا دخل عليها شَقَّ ثيابَه وطرَحَ التّرابَ على رأسه وصاح بِوَيْلِهِ وحَرَبِهِ[1]؛ فقالت له: الوَيْلُ وَيْلُكَ! ما دَهَاكَ؟

(١) الحَرَب: أن يُسْلَبَ الرجلُ مَالَهُ.

وما أَمْرُكَ؟ قال: ضَرَبني حَشَمُكِ. قالت: ولِمَ؟ قال: غَنَّيْتُ صوتاً أُريد أن أُسْمِعَكِ إيّاه لأَدْخُلَ إليكِ؛ فقالت: أُفٍّ لهم وتُفّ! نحن نبلُغُ لك ما تُحِبُّ ونُحْسِنُ تأديبَهم، يا جارية هاتي ثياباً مقطوعة. فلمّا طُرِحَتْ عليه جلَسَ. فقالت: ما حاجتُك؟ قال: لا أَسألُكِ حاجةً حتّى أُغَنّيَكِ. قالت: فذاكَ إليكَ؛ فاندفعَ يُغَنِّي شعرَ جميل:

[الخفيف]

إرْحَميني فقد بَلِيتُ فَحَسْبي ... بعضُ ذا الدّاءِ يا بُثَيْنةُ حَسْبِي
لامَني فيكِ يا بُثَيْنَةُ صَحْبِي ... لا تَلُومُوا قد أَقْرَحَ الحُبُّ قلبي
زَعَمَ النّاسُ أَنَّ دَائِي طِبِّي ... أَنْتِ واللّهِ يا بُثَيْنَةُ طِبِّي

ثم جلس فقال: هل من طعام؟ قالت: عَلَيَّ بالمائدة؛ فَأُتِيَ بها كأنها كانت مهيَّأة عليها أنواع الأطعمة، فأكَلَ، ثم قال: هل من شرابٍ؟ قالت: أمّا نبيذٌ فلا، ولكن غيره. فأُتِيَ بأنواعِ الأشربة، فشَرِبَ من جميعها. ثم قال: هلْ من فاكهة؟ فأُتِيَ بأنواع الفَوَاكِه فتفكَّهَ، ثم قال: حاجتي خمسةُ آلاف درهم، وخمسُ حُلَلٍ من حُلَلِ مُعاويةَ، وخمسُ حُلَلٍ من حللِ حبيب بن مَسْلَمةَ، وخمسُ حلل من حلل النُّعمان بن بَشِير. فقالت: وما أردتَ بهذا؟ قال: هو ذاك، والله ما أرضَى ببعضٍ دون بعضٍ، فإمّا الحاجة وإما الرّدّ. فدعتْ له بما سأل، فقبضه وقام؛ فلمّا توسَّطَ الدارَ غَنَّى ونَقَر بِدُفِّهِ:

[الخفيف]

ليتَ شِعْرِي أَجَفْوةٌ أَمْ دَلاَلٌ ... أَمْ عَدُوٌّ أَتَى بُثَيْنَةَ بعدي
فَمُرِيني أُطِعْكِ في كُلِّ أَمْرٍ ... أَنْتِ واللّهِ أَوْجَهُ النّاسِ عِنْدِي

وكانت نائلةُ عند معاوية، فقال لفاختَةَ بنت قَرَظَة: اذْهبي فانْظُري إليها، فذهبتْ فنظرتْ إليها، فقالت له: ما رأيتُ مثلَها، ولكنّي رأيتُ تحت سُرَّتها خالاً لَيُوضَعَنّ منه رأسُ زوجها في حجْرِها. فطلّقها معاوية؛ فتزوجها بعده رجلان: أحدهما حبيبُ بن مَسْلَمة، والآخر النُّعمان بن بَشِير؛ فقُتِلَ أحدُهما فوُضِعَ رأسُه في حجرها.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

خَلِيلَيَّ لا واللَّهِ مَا أَمْلِكُ البُكَا إذا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِ لَيْلَى بَدَا لِيَا
خَلِيلَيَّ إنْ بَانُوا بِلَيلَى فَهَيِّئا لِيَ النَّعْشَ والأكْفَانَ واسْتَغْفِرا لِيَا
أَمَضْرُوبَةٌ لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا ومُتَّخَذٌ ذَنْباً لهَا أَنْ تَرانِيَا
خَلِيلَيَّ لا وَاللَّهِ ما أَمِلِكُ الَّذي قَضَى اللَّهُ في لَيْلَى ولا مَا قَضَى لِيا
قَضَاهَا لِغَيْرِي وابْتَلانِي بِحُبِّهَا فَهَلاً بِشَيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

الشّعر للمجنون، والغناء لابن مُحْرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر الهشَامي أنّ فيه لحناً لمعْبد ثقيل أوّل لا يشك فيه؛ قال: وقد قال قوم: إنه منحولٌ يحيى المكيّ، وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ عن الهِشَاميّ أيضاً، وفيه ليحيى المكيّ رَمَلٌ من رواية ابنه أحمد، وفيه خفيفُ رَمَلٍ عن أحمد بن عُبَيد لا يُعْرَف صانعه. ومنها:

صوت

لَيتَ شِعْرِي أَجَفْوَةٌ أَمْ دَلاَلٌ أم عَدُوٌّ أَتَى بُثَيْنَةَ بَعْدِي
فَمُرِينِي أُطِعْكِ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْتِ واللَّهِ أَوْجَهُ النَّاسِ عِنْدِي

الشعر لجميل، والغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق، وفيه لِعَلُّوَيْه خفيفُ ثقيلٍ آخر، وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه خفيفَ ثقيل بالوسطى لمَعْبَد، وذكر إسحاق أن فيه رَمَلاً بالبنصر في مجراها ولم ينسُبه إلى أحد، وذكر الهِشَاميّ أنّه لمالك، وفيه لِمُتَيَّم خفيفُ رَمَلٍ، وفيه لِعَريبَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر حبش أنّ فيه للغَرِيض ثقيلاً أوّل بالبنصر، ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالوسطى، وذكر ابن المكيّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمالك وعَلُّويه.

[الدلال يغني في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر إلى الحجاج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنيّ عن عَوَانةَ بن الحَكَم قال: لمّا أراد عبدُ اللّه بن جعفر إهداءَ[1] بنته إلى الحَجّاج، كان ابنُ أبي

---

(١) الإهداء: الزفاف.

عَتِيقٍ عنده، فجاءه الدَّلاَلُ مُتَعَرِّضاً فاستأذن. فقال له ابن جعفر: لقد جِئتنا يا دَلاَلُ في وقت حاجتنا إليك، قال: ذلك قَصَدْتُ، فقال له ابنُ أبي عَتِيق: غَنِّنَا؛ فقال ابن جعفر: ليس وقت ذلك، نحن في شغل عن هذا. فقال ابن أبي عتيق: وربِّ الكعبة لَيُغَنِّيَنَّ. فقال له ابن جعفر: هاتِ. فَغَنَّى ونَقَر بالدُّفِّ ـ والهوادجُ والرَّواحل قد هُيِّئَتْ، وصُيِّرَتْ بنتُ ابنِ جعفر فيها مع جَواريها والمُشَيِّعينَ لها ـ: [المنسرح]

يا صاحِ لو كُنتَ عالِماً خَبِراً ... بما يُلاقِي المُحِبُّ لم تَلُمُهْ[1]
لا ذَنْبَ لي في مُقَرَّطٍ حَسَنٍ ... أعجَبَنِي دَلُّهُ ومُبْتَسَمُهْ[2]
شِيمَتُهُ البُخْلُ والبِعَادُ لَنَا ... يا حَبَّذَا هُوَ وحَبَّذَا شِيَمُهْ
مُضَمَّخٌ بالعَبِيرِ عارِضُهُ ... طُوبَى لِمَنْ شَمَّهُ ومَنْ لَثَمُهْ[3]

ـ وقال: ولابن مُحْرِز في هذا الشعر لحنٌ أجودُ من لحن الدَّلاَل ـ فطَرِبَ ابن جعفر وابنُ أبي عتِيق. وقال له ابن جعفر: زِدْني وطَرِّبْ. فأعاد اللَّحْنَ ثلاثاً ثم غَنَّى: [مجزوء الكامل]

بَكَرَ العَواذِلُ في الصَّبا ... حِ يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
ويَقُلْنَ شَيْبٌ قد عَلا ... كَ وقد كَبِرْتَ فَقُلْتُ إنَّهْ

ومضتْ بنتُ ابن جعفر، فاتَّبعها يُغَنِّيها بهذا الشعر ـ ولعبد آل الهذليّ فيه لحن وهو أحسنها ـ: [الكامل]

إنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ فاحتَمَلاَ ... وأَرَادَ غَيْظَكَ بِالَّذِي فَعَلاَ
فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ بَعْضَ شَأْنِهِمُ ... والنَّفْسُ مِمَّا تَأْمُلُ الأَمَلاَ
وإذا البِغَالُ تُشَدُّ صَافِنَةً ... وإذا الحُدَاةُ قَدْ ازْمَعُوا الرِّحَلا[4]
فهناكَ كادَ الشَّوْقُ يَقتُلُني ... لَوْ أَنَّ شَوْقاً قَبْلَهُ قَتَلا

فدَمَعَتْ عينَا عبدِ اللَّه بن جعفر، وقال للدَّلاَل: حَسْبُكَ! فقد أوجعت قلبي! وقال لهم: امْضوا في حِفْظِ اللَّهِ على خيرِ طائرٍ وأيْمَنِ نَقِيبة.

---

(١) تَلُمُهْ: أصل الميم ساكنة فنقلت إليه ضمة الهاء وكذلك في البيت الرابع لَثَمُهْ.
(٢) المقرّط: المتحلّي بالقِرط.
(٣) العارضان: صفحتا الخدّ، والعارض أيضاً صفحة العنق.
(٤) تُشَدُّ: تُهَيَّأُ عليها الرِّحال استعداداً للرحيل. والخيل الصافنة: التي تقف على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بَكَرَ العواذلُ في الصَّبا ح يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
ويَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلا كَ وقد كَبِرْتَ فَقُلْتُ إنَّهْ
لا بُدَّ مِنْ شَيْبٍ فَدَعْـ نَ ولا تُطِلْنَ مَلاَمَكُنَّهْ
يَمْشِينَ كَالبَقَرِ الثِّقَا لِ عَمَدْنَ نحو مُرَاحِهِنَّهْ(1)
يَخْفَيْنَ في المَمْشَى القَرِيـ بِ إذا يُرِدْنَ صَدِيقَهُنَّهْ

الشّعر لابن قيس الرقيّات، والغِناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق، وفيه ثقيلٌ أوّلُ للغَرِيض عنِ الهِشَاميّ، وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخرُرَ بالوسطى ليعقوب بن هَبَّار عن الهِشاميّ ودَنَانِيرَ، وذكر حَبَشٌ أنه ليعقوب. ومنها:

صوت

إنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ فاحتملاَ وأَرادَ غَيْظَكَ بِالَّذِي فَعَلا

الأبيات الأربعة. الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة، والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة عن يحيى المكّي، وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أوّل بالوسطى من رواية أحمد ابنه، وذكر حَبَشٌ أنّ هذا اللّحن لبَسْبَاسةَ بنتِ مَعْبَدٍ.

[عمر بن أبي ربيعة يسأله أن يغنّيَ شعره ثم يجيزه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْصٍ الثَّقَفيّ قال: كان للدَّلاَل صوتٌ يُغَنِّي به ويُجِيده، وكان عُمَر بن أبي ربيعةَ سأله الغناء فيه وأعطاه مائةَ دينار ففعل، وهو قولُ عمر:

---

(1) المُرَاح: مأوى الإبل والبقر والغنم.

صوت

[الطويل]

أَلَـمْ تَـسْـأَلِ الأَطْـلالَ والـمُـتَـرَبَّـعَـا ... بِـبَـطْـنِ حُـلَـيَّـاتٍ دَوَارِسَ بَـلْـقَـعَـا[١]

إلى السَّرْحِ من وادي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ ... مَـعَـالِـمُـهُ وَبْـلاً ونَـكْـبَـاءَ زَعْـزَعَـا[٢]

وقَـرَّبْـنَ أَسْـبـابَ الـهَـوَى بِـمُـتَـيَّـمٍ ... يَـقِـيـسُ ذِرَاعـاً كُـلَّـمـا قِـسْـنَ إِصْـبَـعَـا

فـقـلـتُ لِـمُـطْـرِيـهِـنَّ فـي الـحُـسْـنِ إِنَّـمـاً ... ضَـرَرْتَ فـهـل تَـسْـتَـطِـيـعُ نَـفْـعـاً فَـتَـنْـفَـعَـا

الشّعر لعمر بن أبي ربيعة، والغِناء للغَرِيض فيه لحنان: أحدهما في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، والآخَرُ في الثالث والرابع ثاني ثقيلٍ بالبنصر، وفي هذين البيتين الآخَرَيْن لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسّبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق، وفي الأوّل والثاني للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو، وفيهما لابن جامع رَمَلٌ بالوسطى عنه أيضاً، وقال يونس: لمالكٍ فيه لحنان، ولمَعْبَدٍ لحنٌ واحد.

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال: حَدّثني هِشَام بن المُرِّيَّة قال: كنّا نعرفُ للدَّلاَل صوتين عجيبين، وكان جريرٌ يُغَنِّي بهما فأَعْجَبُ من حُسْنهما، فأخذْتهما عنه وأنا أُغَنِّي بهما، فأمّا أحدُهما فإنّه يُفْرِحُ القلبَ، والآخر يُرْقِصُ كلَّ مَنْ سَمِعَهُ. فأمّا الذي يُفرِحُ القَلْبَ فلابن سُرَيج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو: [الكامل]

ولـقـد جَـرَى لـكَ يَـوْمَ سَـرْحَـةِ مـالـكٍ ... مِـمَّـا تَـعَـيَّـفُ سـانِـحٌ وبَـرِيـحُ[٣]

أَحْـوَى الـقَـوَادِمِ بِـالـبـيـاضِ مُـلَـمَّـعٌ ... قَـلِـقُ الـمـواقِـعِ بِـالـفِـراقِ يَـصِـيـحُ[٤]

الـحُـبُّ أَبْـغَـضُـهُ إِلَـيَّ أَقَـلُّـهُ ... صَـرِّحْ بِـذَاكَ فَـرَاحَـتـي الـتَّـصْـرِيـحُ

بَـانَـتْ عُـوَيْـمَـةُ فَـالـفُـؤَادُ قَـرِيـحُ ... ودُمُـوعُ عَـيْـنِـكَ فـي الـرِّداءِ سُـفُـوحُ

والآخر: [مجزوء الكامل]

كُـلَّـمـا أَبْـصَـرْتُ وَجْـهـاً ... حَـسَـنـاً قُـلْـتُ: خَـلِـيـلِـي

---

(١) حُلَيّات: اسم موضع لعلّه قريب من مكة، والبلقع: الخالي من كل شيء.

(٢) السَّرْح: موضع. والمغمّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف (معجم البلدان ٥:١٦١). والنكباء: الريح التي تَنْكُبُ عن مهابّ الرياح. وريحٌ زعزع: شديدة.

(٣) السّانح: ما أتاكَ عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك عن يسارك، والعرب يتيمّنون بالسانح.

(٤) الأحوى: الأسود إلى خضرة، أو الأحمر إلى سواد.

فـــإذا مـــا لـــم يَـــكُـــنْـــهُ صِـــحْـــتُ وَيْـــلـــي وعَـــوِيـــلِ
فَـــصِـــلِـــي حَـــبْـــلَ مُـــحِـــبٍّ لَـــكُـــمُ جِـــدُّ وَصُـــولِ
وانـــظُـــرِي لا تَـــخْـــذُلِـــيـــهِ إنَّـــهُ غَـــيْـــرُ خَـــذُولِ

نسبة هذين الصّوتين

للدَّلاَل في الشعر الأوّل الذي أوّلُهُ:

* ولـقـد جـرى لـكَ يـوم سـرحـةِ مـالـكٍ *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَاميّ، وقال حَبَشٌ: إنّ للدَّلاَل فيه لحنين: خفيفَ ثقيل أوّل وخفيفَ رَمَلٍ، وأوّلُ خفيفِ الرَّمْل:

* بـانَـتْ عـويـمـةُ فـالـفـؤاد قَـريـحُ *

ذكر أنّ لحن ابن سُريج ثاني ثقيلٍ، وأنّ لابن مِسْجَح فيه أيضاً خفيفَ ثقيلٍ.
والصوت الثاني الذي أوّله:

كـلّـمـا أبـصـرتُ وجـهـاً حَـسَـنـاً قـلـتُ خـلـيـلـي

الغناء فيه لعَطَرَّد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش، ويقال إنّه للدَّلاَل، وفيه ليونس خفيفُ رَمَلٍ، وفيه لإبراهيم المَوْصِليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالبنصر عن عمرو.

[سكر فخلع ثيابه فحلف أن لا يجالسَ من يشرب النبيذ]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مُصْعب بن عبد الله الزُّبَيريّ قال: كان الدَّلاَلُ لا يشرَبُ النَّبيذَ، فخرجَ مع قوم إلى مُتَنَزَّهٍ لهم ومعهم نبيذٌ، فشربوا ولم يشرَب منه، وسَقَوْه عَسَلاً[1] مجدوحاً، وكان كلَّما تغافَلَ صَيَّروا في شرابه النبيذَ فلا يُنكره، وكَثُرَ ذلك حتّى سَكِرَ وطَرِبَ، وقال: اسْقُونِي من شرابكم، فسقَوْه حتى ثَمِلَ، وغَنَّاهُم في شعر الأحْوَص: [البسيط]

طَافَ الـخَـيَـالُ وطَـاف الـهَـمُّ فَـاعـتَـكَـرَا عِـنْـدَ الـفِـرَاشِ فـبـاتَ الـهَـمُّ مُـحْـتَـضِـرَا
أُرَاقِـبُ الـنَّـجْـمَ كـالـحَـيْـرَانِ مُـرْتَـقِـبـاً وقَـلَّـصَ الـنَّـوْمُ عَـنْ عَـيْـنَـيَّ فـانْـشَـمَـرَا

(١) المجدوح: الممزوج.

مِنْ لَوْعَةٍ أَوْرَثَتْ قَرْحاً على كَبِدِي ... يوماً فأَصْبَحَ منها القَلْبُ مُنْفَطِرا
ومَنْ يَبِتْ مُضمِراً هَمًّا كما ضَمِنَتْ ... مِنِّي الضُّلُوعُ يَبِتْ مُسْتَبْطِناً غِيَرا

فاستحسنه القومُ وطَرِبوا وشَرِبوا. ثم غنّاهم: [المتقارب]

طَرِبْتَ وهَاجَكَ مَنْ تَدَّكِرْ ... ومَنْ لَسْتَ مِنْ حُبِّهِ تَعْتَذِرْ
فَإنْ نِلْتُ منها الّذي أرْتَجي ... فذاكَ لَعَمْرِي الّذي أنْتَظِرْ
وإلاّ صَبَرْتُ فلا مُفْحِشاً ... عليها بِسُوءٍ ولا مُبْتَهِرْ[1]

ـ لحن الدَّلاَل في هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حبش، قال: وذكر قوم أنّه للغريض ـ.

قال: وسَكِرَ حتّى خلعَ ثيابَه ونام عُرْياناً، فَغَطّاهُ القومُ بثيابهم وحمَلوه إلى منزله ليلاً فنوَّموه وانصرفوا عنه. فأصبح وقد تقيَّأ ولوّث ثيابَه بقَيْئه، فأنكر نفسه. وحلفَ ألاّ يُغَنِّيَ أبداً ولا يُعاشِرَ مَنْ يشربُ النبيذَ؛ فوفَى بذلك إلى أن مات. وكان يُجَالِس المَشْيَخةَ والأشرافَ فيُفِيضُ معهم في أخبار الناس وأيّامِهم حتى قَضَى نَحْبَه.

انقضت أخبار الدلال.

ومما في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت

من المائة المختارة [البسيط]

يا دِينَ قَلْبِكَ منها لَسْتَ ذَاكِرَها ... إلاّ تَرَقْرَقَ ماءُ العَيْنِ أو دَمَعَا[2]
أدْعُو إلى هَجْرِها قلبي فَيَتْبَعُني ... حتَّى إذا قُلْتُ هذا صَادِقٌ نَزَعَا
لا أَسْتَطِيعُ نُزُوعاً عن مَحَبَّتِها ... أو يَصْنَعَ الحُبُّ بي فوق الّذي صَنَعا
كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لها قد صِرْتُ أَتْبَعُه ... ولو سَلاَ القَلْبُ عنها صَارَ لي تَبَعَا
وزَادَني كَلَفاً في الحُبِّ أنْ مَنَعَتْ ... وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعَا[3]

---

(١) الابتهار: قول الكذب والحلف عليه.
(٢) يا دين قلبكَ: يا داء قلبكَ القديم.
(٣) حَبُّ شيء: أَحَبُّ شيء: من أفعل التفضيل وقد حذفت همزته.

الشّعر للأحوص، والغناء ليحيى بن واصِلٍ المكيّ، وهو رجلٌ قليل الصَّنْعة غير مشهور، ولا وجدتُ له خبراً فأذكره، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى في مَجْرَاها عن إسحاق، وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمَعْبَد ولم يجنِّسه.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بكَّار قال: حَدّثنا مُطَرِّف ابن عبد الله المدنيّ قال: حدّثني أبي عن جَدِّي قال: بينَا أطوفُ بالبيت ومعي أبي، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها[1] الآخر. فقال لي أبي: أتعرفُ هذه؟ قلت: لا، ومَنْ هي؟ قال: هذه التي يقول فيها الأحوص: [البسيط]

يا سَلْمَ ليتَ لِساناً تَنْطِقينَ به ... قبلَ الّذي نالَني مِنْ حُبِّكُمْ قُطِعَا
يَلومُني فِيكِ أقوامٌ أُجَالِسُهُمْ ... فَمَا أُبالِي أَطَارَ اللَّوْمُ أَمْ وَقَعَا
أدْعُو إلى هَجْرِها قَلْبِي فَيَتْبَعُني ... حَتَّى إذا قُلْتُ هذا صَادِقٌ نَزَعَا

قال: فقلت له: يا أبتِ، ما أرى أنّه كان في هذه خيرٌ قَطُّ. فضحِكَ ثم قال: يا بُنَيّ هكذا يصنَعُ الدَّهرُ بأهله.

حدّثنا به وَكيع قال: حَدّثنا ابن أبي سَعْد قال: حَدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر قال: حَدَّثنا أبو خُوَيْلِد مطرِّف بن عبد الله المدنيّ عن أبيه، ولم يَقُلْ عن جدّه، وذكر الخبر مثل الذي قبله.

صوت

من المائة المختارة

[الكامل]

كالبَيْضِ بِالأُدْحِيِّ يَلْمَعُ في الضُّحَى ... فَالحُسْنُ حُسْنٌ والنَّعِيمُ نَعِيمُ
حُلِّينَ مِنْ دُرِّ البُحورِ كَأنَّهُ ... فَوقَ النُّحُورِ إذا يَلُوحُ نُجُومُ

الأُدْحِيُّ: المواضع التي يبيض فيها النَّعامُ، واحدتها أُدْحيّة، وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ أن الأُدحيَّ البَيْضُ نفسه، ويقال فيه أُدْحِيٌّ وأَدَاحٍ أيضاً.

الشّعر لِطُرَيْح بن إسماعيل الثَّقَفيّ، والغناء لأبي سَعيد مولى فائد، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لِلهُذَليّ خفيف ثقيلٍ من رواية الهشَاميّ، وقد سمعنا مَنْ يغنِّي فيه لحناً من خفيف الرَّمل، ولست أعرف لمن هو.

---

(١) اللّحيان: العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

ذكر طُرَيح وأخباره ونسبه

[توفي ١٦٥ هـ/ ٧٨١ م]

[نسبه والخلاف في نسب ثقيف]

هو ـ فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن عمِّه عن ابن الكَلْبِيّ في كتاب النسبِ إجازةً، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبي أيُّوب المَدِينيّ عن ابن عائشة ومحمد بن سَلاَّم ومُصْعَب الزُّبَيرِيّ، قال: ـ طُرَيح بن إسماعيل بن عُبَيد ابن أَسِيد بن عِلاَج بن أبي سَلَمَة بن عبد العُزَّى بن عَنَزة بن عَوْف بن قَسِيّ ـ وهو ثَقِيف ـ بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصفَةَ بن قَيس بن عَيْلان ابن مُضَر.

قال ابن الكَلْبيّ: ومِن النَّسَّابين مَنْ يذكُر أنّ ثَقِيفاً هو قَسِيُّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت ابن منصور بن يَقْدُمَ بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن إيَادِ بن نِزَار. ويقال: إنّ ثقِيفاً كان عبداً لأبي رِغَال، وكان أصلُه من قوم نَجَوْا من ثَمُودَ، فانتمى بعد ذلك إلى قَيْس. ورُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرَّم وجهَه: أنّه مَرَّ بثَقِيف، فتغامزوا به؛ فرجعَ إليهم فقال لهم: يا عَبيدَ أبي رِغَال، إنما كان أبوكم عبداً له فهرَبَ منه، فَثقِفَه[1] بعد ذلك، ثم انتمى إلى قَيْس.

وقال الحَجَّاج في خُطْبةٍ خَطَبها بالكوفة: بَلَغني أنكم تقولون إنّ ثقيفاً من بقية ثمود، وَيْلَكُمْ! وهلْ نجا من ثَمُود إلاّ خِيارهُم ومَنْ آمن بصالح فَبَقِيَ معه عليه السّلام! ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[2]. فبلغ ذلك الحسنَ

(١) ثقفه: أدركه وظفربه.

(٢) سورة النجم، الآية ٥١.

البصريّ، فتضاحكَ ثم قال: حَكَمَ لُكَعُ لِنَفْسِهِ، إنما قال عزّ وجَلّ: ﴿فما أَبْقَى﴾ أي لم يُبْقِهِمْ بل أهلكهم. فرُفِعَ ذلك إلى الحَجّاج فطلبَه، فتوارَى عنه حتى هلَك الحجّاج، وهذا كان سببَ تَوَارِيه منه. ذكر ابن الكلْبِيّ أنّه بلغه عن الحسن.

وكان حمّادُ الراوية يذكر أنّ أبا رِغَالٍ أبو ثَقِيف كُلِّها، وأنّه من بقيّة ثمود وأنّه كان مَلِكاً بالطّائف، فكان يَظْلِمُ رعيّته، فمرَّ بامرأةٍ تُرضع صبيًّا يتيماً بلَبَنِ عَنْزٍ لها، فأخذها منها، وكانت سَنَة مُجْدِبة؛ فبَقِيَ الصبيُّ بلا مُرْضِعة فمات، فرماه الله بقارِعةٍ[1] فأهلكه، فرجمتِ العربُ قبرَه، وهو بين مكّة والطائف. وقيل: بل كان قائدَ الفيل ودليلَ الحَبَشة لمّا غَزَوْا الكعبةَ، فهلكَ فيمن هلَك منهم، فدُفِنَ بين مكة والطائف؛ فمرّ النبيُّ ﷺ بقبره؛ فأَمَرَ برَجْمِه فرُجِمَ؛ فكان ذلك سُنّةً.

قال ابن الكَلْبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: كان ثَقِيفٌ والنَّخَعُ من إيَاد؛ فثَقِيفٌ قَسِيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن يَقْدُمَ بن أَقْصَى بن دَعْمِيّ بن إيَاد. والنَّخَع بنُ عمرو بن الطَّمْنان بن عبد مَنَاةَ بن يَقْدُمَ بن أَقْصَى، فخرجا ومعهما عَنْزٌ لهما لَبُونٌ يشرَبان لبنَها، فعرَض لهما مُصَدِّقٌ[2] لملك اليمن فأراد أَخْذَها؛ فقالا له: إنّما نعيشُ بِدَرِّها؛ فأبى أن يَدَعها؛ فرماه أحدُهما فقتله. ثم قال لصاحبه: إنّه لا يحملني وإيّاكَ أرضٌ فأمَّا النَّخَعُ فمضى إلى بِيشَةَ[3] فأقام بها ونزل القَسِيُّ موضعاً قريباً من الطّائف؛ فرأى جاريةً ترعَى غنماً لعامر بن الظَّرْب العَدْوانيّ، فَطَمِعَ فيها، وقال: أقتلُ الجاريةَ ثم أَحْوِي الغنم. فأنكرتِ الجاريةُ مَنْظَرَه، فقالت له: إني أراك تُريدُ قتلي وأَخْذَ الغنم، وهذا شيءٌ إن فعلتَه قُتِلْتَ وأُخِذَتِ الغنمُ منك، وأظنّك غريباً جائعاً؛ فدلَّته على مولاها. فأتاه واستجار به فزوّجه بنته، وأقام بالطائف. فقيل: لِلَّهِ دَرُّهُ ما أَثْقَفَه حين ثَقِفَ عامراً فأجاره. وكان قد مرّ بيهوديّة بوادي القُرَى[4] حين قُتِل المصدّق، فأعطتْه قُضْبانَ كَرْمٍ فَغَرَسها بالطائف فأطعمتْه ونفعته.

(١) اللُّكَع: الصغير في العِلْم والمعرفة.
(٢) القارعة: المصيبة.
(٣) المصدِّق: عامل الصّدقات.
(٤) بيشة: قرية باليمن في وادٍ كثير الأهل. (معجم البلدان ١: ٥٢٩).
(٥) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام كثير القرى فتحه النبيﷺ سنة سبع من الهجرة. (معجم البلدان ٤: ٣٣٨).

قال ابن الكَلْبيّ في خبرٍ طويلٍ ذَكره: كان قَسِيٌّ مقيماً باليمن، فضاق عليه موضعه ونبا به، فأتى الطائف ـ وهو يومئذ منازلُ فَهْم وعَدْوان ابني عمرو بن قَيْس ابن عَيْلان ـ فانتهى إلى الظَّرِب العَدْوانيّ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب، فوجده نائماً تحت شجرة، فأيقظه وقال: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا الظَّرِبُ، قال: عَلَيَّ أَلِيَّةٌ[1] إن لم أقْتُلك أو تُحالِفْنِي وتُزَوِّجْني ابنتَك، ففعل. وانصرف الظَّرِبُ وقَسِيٌّ معه، فلقِيه ابنه عامر بن الظَّرِب فقال: مَنْ هذا معك يا أبتِ؟ فقصَّ قِصَّته. قال عامرٌ: للَّهِ أبوه! لقد ثَقِفَ أمرَه؛ فسُمِّيَ يومئذٍ ثَقيفاً. قال: وعُيِّرَ الظَّرِبُ تزويجَه قَسِيًّا، وقيل: زوّجتَ عبداً. فسار إلى الكُهَّان يسألهم، فانتهى إلى شِقٍّ بن صَعْب البَجَليّ وكان أقربهم منه، فلمّا انتهى إليه قال: إنّا قد جئناك في أمرٍ فما هو؟ قال: جئتم في قَسِيّ، وقَسِيٌّ عبد إيَاد، أَبَقَ ليلةَ الواد، في وَجٍّ[2] ذاتِ الأنداد، فوَالَى سَعْداً لِيُفَاد[3] ثم لَوَى بغير مَعَاد ـ يعني سَعْدَ بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر ـ قال: ثم توجّه إلى سَطِيح الذِّئبيّ ـ حَيٌّ من غَسّان، ويقال: إنّهم حَيٌّ من قُضَاعةَ نُزولٌ في غَسّان ـ فقال: إنّا جئناكَ في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قَسِيٍّ، وقَسِيٌّ من وَلَد ثَمُودَ القديم، ولدتْه أُمُّه بصَحْراءِ بَريم[4]، فالتقطه إيَادٌ وهو عديم، فاستعبده وهو مَلِيم[5]. فرجع الظَّرِبُ وهو لا يدري ما يصنع في أمره، وقد وَكَّدَ عليه في الحِلْفِ والتزويج؛ وكانوا على كُفْرِهم يُوفُونَ بالقول. فلهذا يقول مَنْ قال: إنّ ثَقِيفاً من ثَمُودَ؛ لأنَّ إياداً من ثَمُود.

قال: وقد قيل: إنّ حرباً كانت بين إيَادٍ وبين قَيْس، وكان رئيسُهم عامرَ بن الظَّرِبِ، فظَفِرَتْ بهم قيس، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزَار.

قال: وقال عامر بن الظَّرِب في ذلك: [الرجز]

قـالَـتْ إِيَـادُ قـد رَأَيْـنـا نَـسَـبَـا ... فـي ابْـنَـيْ نِـزَارٍ ورَأَيْـنـا غَـلَـبَـا

سِـيـري أَيَـادُ قـد رَأَيْـنَـا عَـجَـبَـا ... لا أَصْـلُـكُـمْ مِـنَّـا فَـسَـامِـي الـطَّـلَـبَـا

* دارَ ثَـمُـودِ إِذْ رَأَيْـتِ الـسَّـبَـبَـا *

---

(١) الأَلِيّة: القَسَم.

(٢) وَجّ: اسم وادٍ بالطائف. (معجم البلدان ٥:٣٦١)

(٣) ليفاد: ليفادى: من المفاداة، وحُذِف الحرف الأخير للسجع.

(٤) بَرِيم: موضع بنجد ووادٍ بالحجاز قرب مكة. (معجم البلدان ١:٤٠٧).

(٥) مليم: مُلام، قد وقع عليه اللوم.

قال: وقد رُوِيَ عن الأعمش أنّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً: لقد هَمَمْتُ أنْ أَضَعَ على ثَقيفٍ الجِزْيَةَ؛ لأنّ ثقيفاً كان عبداً لصالح نبيّ الله ﷺ، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصدقة، فبعَثَ العاملُ معه بها، فهرَبَ واستوطنَ الحَرَمَ، وإنّ أَوْلَى الناسِ بصالح محمد صلّى الله عليهما وسلّم، وإنّي أُشهِدُكم أنّي قد رددتهم إلى الرِّقّ.

قال: وبلَغنا أنّ ابن عبّاس قال ـ وذُكِرَ عنده ثَقِيف ـ فقال: هو قَسِيّ بن مُنَبِّه، وكان عبداً لامرأةٍ صالح نبيّ الله ﷺ، وهي الهَيْجُمانة بنت سَعْد، فوَهبَتْه لصالح، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصَّدَقة؛ ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال فيه: إنّه مرّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أُمّه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرُها، فأخذ الشاة؛ فناشده اللّهَ، وأعطاه عَشْراً فأبَى، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى، فلمّا رأى ذلك تَنَحّى، ثم نَثَل[1] كِنَانَته فرماه ففَلَقَ قَلْبَه؛ فقيل له: قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح. فأتى صالحاً فقصَّ عليه قِصَّته؛ فقال: أبعده الله! فقد كنتُ أنتظر هذا منه؛ فرُجِمَ قبرُه، فإلى اليوم واللّيلة يُرْجَم، وهو أبو رِغَال.

قال: وبلغنا عن عبد الله بن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف مَرَّ بقبر أبي رِغَال فقال: «هذا قبر أبي رِغَال وهو أبو ثقيف كان في الحَرَم فمنعه الله عزّ وجلّ، فلمّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب»[2]؛ فابتدره المسلمون فأخرجوه.

قال: ورَوَى عمرو بن عُبَيد عن الحسن أنّه سُئِلَ عن جُرْهُم: هل بَقِيَ منهم أحد؟ قال: ما أدري، غير أنّه لم يبقَ من ثمودَ إلاّ ثقيف في قَيْس عَيْلان، وبنو لجإ في طَيِّىء، والطُّفاوَة في بني أعْصُرَ.

قال عمرو بن عُبَيد وقال الحسن: ذُكِرَتِ القبائلُ عِندَ النَّبيِّ ﷺ، فقال: «قبائلُ تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب: حِمْيَر من تُبَّع وجُرْهُمٌ من عاد وثقيفٌ من ثمود».

(١) نثل كنانته: أخرج ما فيها من النبل.

(٢) أخرجه أبي داود في سننه(٣٠٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى ٤: ١٥٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٦: ٢٩٧، وابن كثير في تفسيره ٣: ٤٣٩.

قال: ورُوِي عن قَتادةَ أنّ رجلين جاءا إلى عمْران بن حُصَين، فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثقيف، فقال لهما: أتزعمان أنّ ثقيفاً من إياد؟ قالا: نعم. قال: فإن إياداً من ثمود، فشَقَّ ذلك عليهما. فقال لهما: أَسَاءَكُمَا قولي؟ قالا: نعم والله. قال: فإنّ الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه؛ فأنتم إنْ شاء الله من ذُرّيّة مَنْ آمنَ، وإنْ كان أبو رِغَالٍ قد أَتَى ما بلغكما. قالا له: فما اسمُ أبي رِغَال، فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قسيّ بن مُنَبّه.

قال: ورَوَى الزُّهْرِيّ أنّ النبيﷺ قال: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُحِبّ ثقيفاً، ومنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبْغِض الأنصار». قال: وبلَغَنا عنه عليه الصّلاة وَالسّلام أنه قال: «بنو هاشم والأنصار حِلْفان وبنو أُمَيّةَ وثَقِيفٌ حلْفان».

قال: وفي ثَقيف يقول حَسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه: [الوافر]

إذا الثَّقَفِيُّ فَاخَرَكُمْ فقولُوا ... هَلُمَّ نَعُدّ شَأنَ أَبِي رِغَالِ
أَبُوكُم أَخْبَثُ الآباءِ قِدْماً ... وأَنتمْ مُشْبِهوهُ على مِثَالِ
عَبِيدُ الفِزْرِ أَوْرَثَهُمْ بَنِيهِ ... وولّى عَنْهُمُ أُخْرَى اللّيَالي

[نَسَبُ أُمّه وكنيته]

وأُمُّ طُرَيْح بنت عبد الله بن سِبَاع بن عبد العُزَّى بن نَضْلة بن غُبْشان من خُزَاعَةَ، وهم حُلَفاء بني زُهْرةَ بن كِلاَب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤيّ. وسِبَاع بن عبد العُزَّى هو الذي قتله حَمْزةُ بن عبد المطلب يوم أُحُد. ولمّا بَرَز إليه سِبَاع قال له حمزة: هَلُمَّ إليّ يابنَ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ ـ وكانت أُمّه تَفْعَل ذلك وتَقْبَلُ[1] نساءَ قريش بمكّة ـ فَحمِيَ وَحْشِيٌّ لقوله وغَضِبَ لِسبَاعٍ، فرَمَى حمزةَ بحربته فقتله ـ رحِمةُ الله عليه ـ وقد كُتِبَ ذلك في خبر غَزَاة أُحُدٍ في بعض هذا الكتاب.

ويُكْنَى طُرَيْحٌ أبا الصَّلْت؛ كُنِيَ بذلك لابنٍ كان له اسمه صَلْتٌ، وله يقول: [الكامل]

يا صَلْتُ إنَّ أَباكَ رَهْنُ مَنِيّةٍ ... مكتوبةٍ لا بُدَّ أَنْ يَلْقَاهَا
سَلَفَتْ سَوالِفُها بِأَنْفُسِ مَنْ مَضَى ... وكذاكَ يَتْبَعُ بَاقِياً أُخْرَاها

(١) تَقْبَلُ: تعمل قابلة.

والـدَّهْـرُ يُـوشِـكُ أَنْ يُـفَـرِّقَ رَيْـبُـهُ بِـالـمـوتِ أَو رِحَـلٍ تَـشِـتُّ نَـوَاهـا
لا بُـدَّ بـيـنـكـمـا فَـتُـسْـمِـعَ دَعْـوَةً أو تَـسْـتَـجِـيـبَ لِـدَعْـوَةٍ تُـدْعَـاهـا

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: أخبرني أبو الحسن الكاتب: أنّ أُمّ الصَّلْت بن طُرَيح ماتت وهو صغير، فطَرّحه طريح إلى أخواله بعد موت أُمّه، وفيه يقول: [الكامل]

باتَ الـخَـيـالُ مِـنَ الـصُّـلَـيْـتِ مُـؤَرِّقِـي يَـفْـرِي السُّرَاةَ مع الرِّبَابِ الـمُـلْـثِـقِ[1]
مـا رَاعَـنِـي إلاّ بـيـاضُ وُجَـيْـهِـهِ تـحـتَ الـدُّجُـنَّـةِ كـالـسِّـرَاجِ الـمُـشْـرِقِ

[نشأته، وعلاقته بالوليد بن يزيد]

ونشأ طُرَيح في دولة بني أُمَيَّة، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهديّ؛ وكانَ الوليد له مُكرماً مُقَدِّماً؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثَقيف.

فأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال: حَدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدّثني أحمد بن حمّاد بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهْم بن عبد الحميد قال: أخبرني طُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفِيّ قال: خُصِصْتُ بالوليد بن يزيد حتى صِرْتُ أخلو معه، فقلت له ذاتَ يومٍ وأنا معه في مَشْرَبَةٍ[2]: يا أمير المؤمنين، خالُكَ يُحِبُّ أن تعلمَ شيئاً من خُلُقه. قال: وما هو؟ قلتُ: لم أشرَبْ شراباً قطُّ ممزوجاً إلاّ من لبن أو عَسَل. قال: قد عرفتُ ذاك ولم يُبَاعِدْكَ من قلبي. قال: ودخلتُ يوماً إليه وعنده الأُمَويّون، فقال لي: إلَيَّ يا خالي، وأقعدني إلى جانبه، ثم أُتِيَ بشراب فشَرِبَ، ثم ناولني القَدَحَ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين قد أعلمتُكَ رأيي في الشراب قال: ليس لذلك أعطيتك، إنّما دفعته إليك لِتُنَاوِله الغلامَ، وغضِبَ. فرفعَ القومُ أيديهم كأنّ صاعقةً نزلتْ على الخِوَان[3]؛ فذهبتُ أقوم، فقال: أُقْعُدْ، فلمّا خلا البيت افترى عَلَيَّ، ثم قال: يا عاضَّ كذا وكذا! أردتَ أن تفضَحني، ولولا أنّك خالي لَضَرَبْتُكَ ألفَ سَوْطٍ! ثم نهى الحاجب عن إدخالي، وقَطَعَ عني أرزاقي. فمكثتُ ما شاء الله، ثم دخلتُ عليه يوماً متنكّراً، فلم يشعُرْ إلاّ وأنا بين يديه وأنا أقول: [البسيط]

(١) يفري: يشقّ. والملثق: البالّ.
(٢) المشرَبة: الغرفة.
(٣) الخوان: المائدة التي يؤكل عليها.

يَابْنَ الخلائفِ ما لي بعدَ تَقْرِبَةٍ إليكَ أُقْصَى وفي حَالَيْكَ لي عَجَبُ
ما لي أُذَادُ وأُقْصَى حين أَقصِدُكُمْ كما تُوُقِّيَ مِنْ ذِي العُرَّةِ الجَرَبُ
كأنني لم يَكُنْ بيني وبَيْنَكُمُ إلٌّ ولا خُلَّةٌ تُرْعَى ولا نَسَبُ[١]
لو كان بالوُدِّ يُدْنَى مِنْكَ أَزْلَفَني بقُرْبِكَ الوُدُّ والإشفاقُ والحَدَبُ
وكنتُ دُونَ رجالٍ قد جَعَلْتَهُمُ دُونِي إذ ما رَأَوْني مُقْبِلاً قَطَبُوا
إنْ يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإنْ سَمِعُوا شَرّاً أَذَاعُوا وإنْ لم يَسمعوا كَذَبُوا
رأَوْا صُدودَكَ عَنِّي في اللِّقاءِ فقد تَحَدَّثوا أَنَّ حَبْلِي مِنْكَ مُنْقَضِبُ
فذو الشَّماتةِ مسرورٌ بِهَيْضَتِنا وذو النَّصِيحَةِ والإشفاقِ مُكْتَئِبُ[٢]

قال: فتبسّمَ وأمرني بالجلوس فجلستُ، ورجع إليّ وقال: إيّاك أن تُعَاوِدَ.

وتمام هذه القصيدة:

أين الذِّمَامةُ والحَقُّ الَّذي نزلَتْ بحِفْظِهِ وبِتَعْظِيم له الكُتُبُ
وحَوْكِيَ الشِّعْرَ أُصْفِيهِ وأَنْظِمُه نظمَ القلائدِ فيها الدُّرُّ والذَّهَبُ
وإنَّ سُخْطَكَ شَيءٌ لم أُنَاجِ به نَفْسِي ولم يَكُ مِمَّا كُنْتُ أَكْتَسِبُ
لَكِنْ أتاكَ بِقَوْلٍ كاذِبٍ أَثِمٍ قَوْمٌ بَغَوْني فنالُوا فِيَّ ما طلبوا
وما عَهِدْتُكَ فيما زَلَّ تَقْطَعُ ذَا قُرْبَى ولا تَدْفَعُ الحَقَّ الّذي يَجِبُ
ولا تَوَجَّعُ مِنْ حَقٍّ تَحَمَّلُهُ ولا تَتَبَّعُ بِالتَّكْدِيرِ ما تَهَبُ
فقد تَقَرَّبْتُ جهداً من رِضَاكَ بما كانَتْ تُنَالُ به مِنْ مِثْلِكَ القُرَبُ
فغيرُ دَفْعِكَ حَقِّي وارْتفاضِكَ لِي وطَيِّكَ الكَشْحَ عَنِّي كُنْتُ أَحْتَسِبُ[٣]
أَمْشَمِتٌ بِيَ أقواماً صُدُورُهُمُ عَلَيَّ فيكَ إلى الأَذْقَانِ تَلْتَهِبُ
قد كُنْتُ أَحْسَبُ أنّي قد لَجَأْتُ إلى حِرْزٍ وأَلاَّ يَضُرُّوني وإنْ أَلَبُوا[٤]
إنّ الّتي صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طَلَبوا مِنِّي إلَيَّ الّذي لم يُنْجِحِ الطَّلَبُ
أَخْلَصْتُها لكَ إخلاصَ امْرِئٍ عَلِمَ الأ قوامُ أنْ ليسَ إلاّ فيكَ يَرْتَغِبُ
أَصْبَحْتَ تَدْفَعُها مِنّي وأَعْطِفُها عليكَ وَهْيَ لِمَنْ يُجْبَى بها رَغِبُ
فإنْ وَصَلْتَ فأهلُ العُرْفِ أنتَ، وإنْ تَدْفَعْ يَدَيَّ فَلِي بُقْيَا ومُنْقَلَبُ

(١) الإلّ: العهد والذمام.

(٢) الهيضة: الكَسْر بعد الانجبار وهو أشدّ الكسور، والمعنى مجازيّ.

(٣) الكَشح: هو الخصر، وقيل: هو الحشى، وطوى كَشْحَهُ عن فلان أي أعرض عنه وقاطعه.

(٤) ألبوا: تجمّعوا.

إنِّـي كـريـمٌ كِـرامٍ عِـشْـتُ فـي أَدَبٍ نَفَى العيوبَ ومَلْكُ الشِّيمَةِ الأَدَبُ[1]
قـد يَعلـمـونَ بِـأَنَّ الـعُـسْـرَ مُـنْـقَـطِـعٌ يـومـاً وأَنَّ الـغِـنَـى لا بُـدَّ مُـنْـقَـلِـبُ
فـمـالُـهُـمْ حُـبُـسٌ فـي الـحَـقِّ مُـرْتَـهَـنٌ مِـثْـلُ الـغـنـائـم تُـحْـوَى ثُـمَّ تُـنْـتَـهَـبُ
ومـا عـلـى جَـارِهِـمْ أَلاَّ يـكـونَ لـه إذا تَـكَـنَّـفَـهُ أَبْـيَـاتُـهُـمْ نَـشَـبُ[2]
لا يـفـرَحـونَ إذا مـا الـدَّهْـرُ طـاوَعَـهـم يَـوْمـاً بِـيُـسْـرٍ ولا يَـشْـكُـونَ إنْ نُـكِـبُـوا
فـارَقْتُ قومي فلم أَعْتَضْ بِهِمْ عِوَضاً والـدَّهْـرُ يُـحْـدِثُ أَحْـدَاثـاً لـهـا نُـوَبُ

وأمّا المدائنيّ فقال: كان الوليد بن يزيد يُكرمُ طُرَيحاً، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانة، وكان يُدْنِي مجلسَه، وجعله أوّلَ داخلٍ وآخِرَ خارج، ولم يكن يَصْدُرُ إلاّ عن رأيه، فاستفرغ مديحَه كلَّه وعامّة شعره فيه؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد. وقَدِم حمّاد الراوية على التَّفِئة[3] الشّأمَ، فشكَوا ذلك إليه وقالوا: والله لقد ذَهبَ طُرَيح بالأمير، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار. فقال حمّاد: ابغُوني مَنْ يُنْشِدُ الأميرَ بيتين من شعر، فَأُسْقِطَ منزلتَه، فطلبوا إلى الخَصِيّ الّذي كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنْشِدهما الأمير في خَلْوة، فإذا سأله مِنْ قولِ مَنْ ذا؟ قال: مِن قولِ طُرَيح؛ فأجابهم الخَصِيُّ إلى ذلك، وعَلَّموه البيتين. فلمّا كان ذاتَ يوم دخل طُرَيح على الوليد وفتح البابُ وأُذِنَ للناس فجلسوا طويلاً ثم نَهضوا، وبَقِيَ طُرَيح مع الوليد وهو وَلِيُّ عهدٍ؛ ثم دعا بغدائه فتغدَّيا جميعاً. ثم إنّ طُرَيحاً خرج وركب إلى منزله، وترك الوليدَ في مجلسه ليس معه أحدٌ، فاستلقى على فراشه، واغتنم الخَصِيُّ خَلْوَته، فاندفع يُنْشد:

سِيـرِي رِكـابـي إلـى مَـنْ تَـسْـعَـدِيـنَ بـه فـقـد أَقَـمْـتِ بِـدارِ الـهُـونِ مـا صَـلَـحـا
سِـيـرِي إِلـى سَـيِّـد سَـمْـحٍ خَـلائِـقُـهُ ضَخْمِ الدَّسيعةِ قَرْمٍ يَحْمِلُ المِدَحَا[4]

فأصغى الوليدُ إلى الخصِيّ بسَمْعه وأعاد الخَصِيُّ غيرَ مرّة؛ ثم قال الوليد: وَيْحَك يا غلام! مِنْ قول مَنْ هذا؟ قال: من قول طُرَيح. فغضِبَ الوليد حتى امتلأ غيظاً، ثم قال: وَالهَفَا على أُمٍّ تَلِدُني! قد جعلتُه أوّل داخلٍ وآخرَ خارجٍ، ثم يزعمُ أنّ هشاماً يحمل المِدَحَ ولا أحمِلُها! ثم قال: عَلَيَّ بالحاجب، فأتاه، فقال: لا

(١) مَلْكُ الشيمة: قِوامُها ومعظمُها.
(٢) النشب: المال والعقار.
(٣) أتيتُه على تَفِئَةِ ذلك: أي على حِينه وزمانِه، وعلى إثْرِه.
(٤) الدسيعة: العطيّة الجزيلة والمائدة الكريمة. والقرم: السيد الكريم.

أعلم ما أَذِنْتُ لِطُرَيح ولا رأيتُه على وجه الأرض، فإن حاوَلَكَ فاخْطَفْه بالسيف. فلمّا كان العَشِيُّ وصُلِّيتِ العصرُ، جاء طُرَيح للساعة التي كان يُؤْذَنُ له فيها، فدنا من الباب ليدخل. فقال له الحاجبُ: وراءَك! فقال: ما لَك؟ هل دخل على وليّ العهد أحدٌ بعدي؟ قال: لا! ولكن ساعةَ ولَّيْتَ من عنده دعاني فأمَرني ألاّ آذَنَ لك، وإنْ حاوَلتني في ذلك خَطِفْتُكَ بالسيف. فقال: لك عشرةُ آلاف دِرهم وأْذَنْ لي في الدّخول عليه. فقال له الحاجب: والله لو أعطيتَني خَرَاجَ العراق ما أَذِنْتُ لكَ في ذلك، وليس لك من خير في الدخول عليه فارجعْ. قال: وَيْحَكَ! هل تعلم مَنْ دَهَاني[1] عنده؟ قال الحاجب: لا والله! لقد دخلتُ عليه وما عنده أحدٌ، ولكنّ الله يُحْدِثُ ما يشاء في اللّيل والنهار. قال: فرجع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يَخْلُصُ إليه ولا يقدِرُ على الدخول عليه. وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال: والله إنّ هذا لعجزٌ بي أن أرجعَ من غير أن ألقَى وليَّ العهد فأعلَمَ مَنْ دهاني عنده. ورأى أُناساً كانوا له أعداءً قد فرِحوا بما كان من أمره، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدِّثونه ويَصْدُرُ عن رأيهم. فلم يَزَلْ يلْطُفُ بالحاجب ويُمَنِّيه؛ حتّى قال له الحاجب: أمّا إذْ أَطَلْتَ المُقامَ فإنّي أكره أن تنصرف على حالك هذه، ولكنّ الأمير إذا كان يومُ كذا وكذا دخل الحَمَّامَ، ثم أمَر بسريره فأُبْرِزَ، وليس عليه يومئذٍ حِجَابٌ، فإذا كان ذلك اليومُ أَعْلَمْتُكَ فتكون قد دخلتَ عليه وظَفِرْتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذْرٍ، فلمّا كان ذلك اليومُ، دخل الحَمّام وأمرَ بسريره فأُبْرِزَ وجلَسَ عليه، وأُذِنَ للناس فدخلوا عليه، والوليدُ ينظر إلى مَنْ أقبل. ويعث الحاجبُ إلى طُرَيح؛ فأقبَل وقد تتامَّ الناسُ. فلما نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرَفَ عنه وجهَه، واستحيا أن يردَّه من بين الناس، فدنا فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه السلامَ، فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرَّع إليه: [الكامل]

نامَ الخَليُّ من الهُمومِ وباتَ لِي ... لَيلٌ أُكابِدُه وهَمٌّ مُضْلِعُ[2]

وسَهِرْتُ لا أَسْرِي ولا في لَذَّةٍ ... أَرَقِي وأَغْفَلُ ما لَقِيتُ الهُجَّعُ[3]

أَبْغِي وُجوهَ مَخارِجي من تُهمَةٍ ... أَزَمَتْ عَلَيَّ وسُدَّ مِنْها المَطْلَعُ[4]

---

(١) دهاني: تنقّصني وعابني.

(٢) أكابده: أقاسيه. والمضلع: الشديد.

(٣) الهُجّع: النائمون ليلاً.

(٤) أزمت: اشتدت.

جَـزَعـاً لِـمَـعْـتَـبَـةِ الـولـيـدِ ولـم أكُـنْ مِـنْ قَـبْـلِ ذاكَ مِـنَ الـحـوادثِ أَجْـزَعُ
يابْنَ الـخـلائـفِ إنَّ سُـخْـطَـكَ لامْـرِىءٍ أَمْـسَـيْـتَ عِـصْـمَـتَـهُ بَـلاءٌ مُـفْـظِـعُ[1]
فَـلأَنْـزِعَـنَّ عَـنِ الَّـذِي لـم تَـهْـوَهُ إنْ كـانَ لِـي ورَأَيْـتُ ذلـك مَـنْـزَعُ
فَـاعْـطِـفْ فِـدَاكَ أَبِـي عَـلَـيَّ تَـوَسُّـعـاً وفَـضِـيـلَـةً فَـعَـلَـى الـفَـضِـيـلَـةِ تـتـبـعُ
فـلـقـد كَـفَـاكَ وزادَ مـا قـد نـالـنـي إنْ كُـنْـتَ لـي بِـبـلاءِ ضُـرٍّ تَـقْـنَـعُ
سِـمَـةٌ لِـذَاكَ عَـلَـيَّ جِـسْـمٌ شـاحـبٌ بَـادٍ تَـحَـسُّـرُهُ ولَـوْنٌ أَسْـفَـعُ[2]
إنْ كـنـتَ فـي ذنـبٍ عَـتَـبْـتَ فـإنّـنـي عَـمَّـا كَـرِهْـتَ لَـنَـازِعٌ مُـتَـضَـرِّعُ
ويَـئِـسْـتُ مـنـكَ فَـكُـلُّ عُـسْـرٍ بَـاسِـطٌ كَـفّـاً إلَـيَّ وكُـلُّ يُـسْـرٍ أَقْـطَـعُ[3]
مِـنْ بَـعْـدِ أَخْـذِي مـن حِـبَـالِـكَ بِـالّـذي قـد كـنـتُ أَحْـسَـبُ أنّـه لا يُـقْـطَـعُ
فَـارْبُـبْ صَـنـيـعَـكَ بـي فَـإنَّ بـأعـيـنٍ لِـلـكـاشـحـيـنَ وسَـمْـعِـهِـمْ مـا تَـصـنَـعُ[4]
أَدَفَـعْـتَـنـي حـتـى انـقـطـعْـتُ وسُـدِّدَتْ عَـنّـي الـوجـوهُ ولـم يَـكُـنْ لـي مَـدْفَـعُ
ورُجِـيـتُ واتُّـقِـيَـتْ يَـدَايَ وقِـيـلَ قـد أَمْـسَـى يَـضُـرُّ إذا أَحَـبَّ ويَـنْـفَـعُ
ودَخَـلْـتُ فـي حَـرَمِ الـذِّمَـامِ وحَـاطَـنـي خَـفَـرٌ أَخَـذتُ بـه وعَـهْـدٌ مُـولِـعُ
أَفَـهـادِمٌ مـا قـد بَـنَـيْـتَ وخـافِـضٌ شَـرَفِـي وأنـتَ لِـغَـيْـرِ ذلـك أَوْسَـعُ
أفـلا خَـشِـيـتَ شَـمَـاتَ قَـوْمٍ فُـتَّـهُـمْ سَـبْـقـاً وأَنْـفُـسُـهُـمْ عـلـيـكَ تَـقَـطَّـعُ
وفَـضَـلْـتَ فـي الـحَـسَـبِ الأَشَـمِّ عَـلَـيْـهِـمُ وصَـنَـعْـتَ فـي الأقـوامِ مـا لـم يـصـنـعـوا
فـكـأنَّ آنُـفَـهُـمْ بِـكُـلِّ صَـنـيـعـةٍ أَسْـدَيْـتَـهـا وجـمـيـلِ فِـعْـلٍ تُـجْـدَعُ[5]
وَدُّوا لَـوَ انَّـهُـمُ يـنـالُ أَكُـفَّـهُـمْ شَـلَـلٌ وأَنَّـكَ عـن صَـنـيـعِـكَ تَـنْـزِعُ
أو تَـسْـتَـلِـيـمُ فـيـجـعـلـونَـكَ أُسْـوَةً وأَبَـى الـمَـلامَ لـكَ الـنَّـدَى والـمَـوْضِـعُ

قال: فقرّبَهُ وأدناه، وضحكَ إليه، وعاد له إلى ما كان عليه.

أخبرني حبيب بن نَصْر المُهَلَّبيّ قال: حَدّثنا عبد اللّه بن شَبيب قال: حَدّثنا محمد بن عبد اللّه بن حمزة بن عُتْبة اللّهبيّ عن أبيه: أنّ طُرَيحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشعراء؛ فقال له: لا حَيّاكَ الله ولا بَيّاكَ[6]، أَمَا اتَّقيت الله

---

(١) العِصْمة: المَنَعَة، والعاصم: المانع الحامي.
(٢) الأسفع: الشاحب المتغيّر من مقاساة المشقّة.
(٣) الأقطع: المقطوع اليد.
(٤) اربب صنيعكَ: زِده.
(٥) الآنف: الماضي القريب. وتجدع: تُقطَع.
(٦) بيّاكَ: قرّبَكَ.

ـ ويلك ـ! حيث تقول للوليد بن يزيد: [المنسرح]

لـو قُـلْـتَ لِـلسَّـيْـلِ دَعْ طَـرِيـقَـكَ والـ ـمـوجُ عـلـيـه كَـالـهَـضْـبِ يَـعْـتَـلِـجُ
لَـسَـاخَ وارْتَـدَّ أو لَـكَـانَ لـه فـي سَـائِـرِ الأَرْضِ عَـنْـكَ مُـنْـعَـرَجُ[1]

فقال له طُرَيح: قد علم الله عزّ وجلّ أنّي قلتُ ذاك ويدي ممدودة إليه عزّ وجلّ، وإيّاه تبارك وتعالى عَنيتُ، فقال المنصور: يا ربيع، أمَا ترى هذا التخلُّص!

[أنشدَ الوليدَ فطرِبَ وأجازه]

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريريّ روايته عنه: حدّثنا المَدَائنيّ: أنّ الوليد جلَسَ يوماً في مجلس له عامٍّ، ودخل إليه أهلُ بيته ومَوَاليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها، وكان أشرفَ يوم رُئِيَ له؛ فقام بعضُ الشعراء فأنشد، ثم وثب طُرَيح، وهو عن يسار الوليد، وكان أهلُ بيته عن يمينه، وأخوالُه عن شِمالِه وهو فيهم، فأنشده:

صوت

أنـتَ ابْـنُ مُـسْـلَـنْـطِـحِ الـبِـطَـاحِ ولـم تُـطْـرِقْ عـلـيـكَ الـحُـنِـيُّ والـوُلُـجُ[2]
طُـوبَـى لِـفَـرْعَـيْـك مِـنْ هـنـا وهـنـا طُـوبَـى لأَعْـرَاقِـكَ الّـتـي تَـشِـجُ
لـو قُـلْـتَ لِـلسَّـيْـلِ دَعْ طَـرِيـقَـكَ والـ ـمَـوْجُ عـلـيـه كـالـهَـضْـبِ يَـعْـتَـلِـجُ
لَـسَـاخَ وارْتَـدَّ أو لَـكَـانَ لـه فـي سـائـرِ الأرضِ عَـنْـكَ مُـنْـعَـرَجُ

فطرِبَ الوليد بن يزيد حتّى رُئِيَ الارتياحُ فيه وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يَجِيئُني اليوم بمثل ما قال خالي، فلا يُنشِدْني أحدٌ بعده شيئاً؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا، واحتبس طُرَيحاً عنده، وأمر ابنَ عائشة فغنّى هذا الشعر.

(١) ساخ: غاصَ في الأرض.
(٢) هذه الأبيات سيشرحها فيما بعد المؤلّف.

نسبة هذا الصوت

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم   تُطْرِقْ عليكَ الحُنِيُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة، عروضه من المُنْسَرح، غنّاه ابن عائشة ولحنُه رَمَلٌ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

المُسْلَنْطِحُ من البِطاحِ: ما اتَّسَعَ واستوى سَطْحُه منها، وتُطْرِق عليك: تُطْبِقُ عليك وتغطّيك وتضيِّقُ مكانَك؛ يقال: طرقت الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتتْ بأمر ضيِّق مُعْضِل. والوشيج: أصول النبت، يقال: أَعْرُقُكَ وَاشِجَةٌ في الكَرَمِ، أي نابتة فيه، قال الشاعر: [الطويل]

وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلاّ وَشِيجُهُ   وتَنْبُتُ إلاّ في مَغَارِسِهَا النَّخْلُ[1]

يعني أنّه كريم الأبوين من قريش وثَقيف، وقد رَدَّدَ طُرَيح هذا المعنى في الوليد، فقال في كلمة له: [الكامل]

واعْتَامَ كَهْلُكَ مِنْ ثَقِيفٍ كُفْأَهُ   فَتَنَازَعَاكَ فأَنْتَ جَوْهَرُ جَوْهَرِ[2]

فَنَمَتْ فُروعُ القَرْيَتَيْنِ قُصَيُّها   وقَسِيُّهَا بِكَ في الأَشَمِّ الأَكْبرِ

والحُنيّ: ما انخفض من الأرض، والواحدة حَناً، والجمع حُنيّ مثل عَصاً وعُصِيّ. والوُلْج: كلّ متّسع في الوادي، الواحدةُ ولَجةٌ، ويقال: الولجات بين الجبال مثل الرِّحاب. أي لم تكن بين الحُنِيِّ ولا الوُلُج فيخفى مكانُكَ، أي لستَ في موضع خفيٍّ من الحسب، وقال أبو عُبيدة: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخر عليه: أنا ابن مُسْلَنْطِح البِطَاحِ، وابن كذا وكذا، فقال له عمر: إنْ كان لكَ عقلٌ فلكَ أَصْلٌ، وإن كان لك خُلُقٌ فلك شَرَفٌ، وإن كان لك تَقْوَى فلك كَرَمٌ، وإلاّ فذاكَ الحِمارُ خيرٌ منك، أَحَبُّكُمْ إلينا قبل أن نراكم أحسَنُكم سَمْتاً فإذا تكلَّمتم فأبْيَنُكُمْ مَنْطِقاً فإذا اختبرناكم فأحْسَنُكم فِعلاً.

وقوله: «لو قلتَ لِلسّيلِ دَعْ طريقَكَ» يقول: أنت مَلِكُ هذا الأَبْطح والمُطاع فيه، فكلُّ مَن تأمُره يُطيعك فيه، حتى لو أمرتَ السَّيْل بالانصراف عنه لفعل لنفوذ

---

(١) الشعر لزهير بن أبي سلمة، والخَطِّي: الرمح المنسوب إلى الخطّ، وهو موضع في بلاد البحرين.

(٢) اعتام: اصطفى واختار.

أمرك، وإنما ضرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً لأنّه لا شيءَ أشدّ تعذُّراً من هذا وشبهه، فإذا صرَفه كان على كلِّ شيء سواه أقدر. وقوله: «لَسَاخَ» أي لغاضَ في الأرض. و «ارتد» أي عدل عن طريقه، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً كان له منعرجٌ عنك إلى سائر الأرض.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّادٍ عن أبيه قال إسحاق: وحدّثني به الواقِديّ عن أبي الزِّناد عن إبراهيم بن عطيّة: أنّ الوليد بن يزيد لمّا وَلِيَ الخلافةَ بعثَ إلى المُغَنِّين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأَمَرَهُمْ أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهاراً لِئَلاّ يُعْرَفُوا وكان إذ ذاك يتستَّر في أمره ولا يُظهره، فسبقهم ابن عائشة فدخل نهاراً وشُهِرَ أمرُه، فحبسه الوليد وأمرَ به فَقُيِّدَ، وأَذِنَ للمغنِّين وفيهم مَعْبَدٌ فدخلوا عليه دَخَلاَت، ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنَّوا له حتى طَرب وطابت نفسه. فلمّا رأى ذلك منه مَعْبدٌ قال لهم: أخوكم ابن عائشة فيما قد علِمتم، فاطلُبوا فيه. ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مَجْلِسَنا هذا؟ قال: حَسَناً لذيذاً. قال: فكيف لو رأيتَ ابنَ عائشة وسَمِعْتَ ما عنده! قال: فعَلَيَّ به. فطلع ابنُ عائشة يَرْسُفُ[1] في قَيْدِه، فلمّا نظر إليه الوليد، اندفع ابن عائشة فغنّاه في شعر طُرَيح والصنعةُ فيه له:

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطَاحِ ولم تُطْرِقْ عليكَ الحُنِيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد: اكسِرُوا قَيْدَه وفُكُّوا عنه، فلم يَزَلْ عنده أثيراً مُكَرَّماً.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدّثنا ابن أبي سَعْد عن الحِزَاميّ عن عثمان بن حَفْص عن إبراهيم بن عبد السَّلام بن أبي الحارث الذي يقول له عُمَر بن أبي ربيعة:

[الرمل]

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فَأْتَمِرْ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمَنْ

قال: والله إنّي لَقَاعِدٌ مع مَسْلَمة بن محمد بن هشَام إذ مَرَّ به ابن جُوَان بن عُمَر بن أبي ربيعة، وكان يُغَنِّي؛ فقال له: اجْلِسْ يابنَ أخي غَنِّنا فجلس فغنَّى:

أنت ابن مُسْلَنْطِحِ البِطَاحِ ولم تُطْرِقْ عليكَ الحُنِيُّ والوُلُجُ

(١) يرسف في قيده: يمشي فيه رويداً.

فقال له: يابنَ أخي، ما أنت وهذا حين تغنّاه، ولا حظَّ لك فيه، هذا قاله طُرَيح فينا:

* إذ النّاسُ ناسٌ والزّمانُ زمانُ *

ومِمّا في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طُرَيح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد:

صوت

من المائة المختارة

[المنسرح]

وَيْحِي غداً إنْ غَدَا عَلَيَّ بِمَا أَحْذَرُ مِنْ لَوْعَةِ الفِرَاقِ غَدُ
وكيف صَبْرِي وقد تَجَاوَبَ بِالـ فُرْقَةِ مِنها الغُرابُ والصُّرَدُ[1]

الشعر لطُرَيح بن إسماعيل، والغناء لابن مِشْعب الطائفيّ، ولحنُه المختار من الرمَل بالوسطى.

ذكر ابن مِشْعَبٍ وأَخباره

هو رجلٌ من أهل الطّائف مولًى لِثَقِيف، وقيل: إنّه من أنفُسهم، وانتقل إلى مكة فكان بها، وإيّاه يعني العَرْجي بقوله: [الكامل]

بِفِنَاءِ بَيْتِكَ وابْنُ مِشْعَبَ حاضِرٌ في سَامِرٍ عَطِرٍ ولَيلٍ مُقْمِرِ
فَتَلازَمَا عِنْدَ الفِراقِ صبابةً أَخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثوبِ المُعْسِرِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: ابن مِشْعَب مُغَنٍّ من أهل الطائف، وكان في أحسن الناس غِناءً، وكان من زمن ابن سُرَيج والأَعْرَج؛ وعامّةُ الغِناء الذي يُنْسَبُ إلى أهل مكة له، وقد تفرّق غناؤه، فنُسِبَ بعضُه إلى ابن سُرَيج، وبعضُه إلى الهُذَلِيِّين، وبعضه إلى ابن مُحْرِز.

قال: ومِنْ غنائه الذي يُنْسَب إلى ابن مُحْرِزٍ:

---

(١) الصُّرَدُ: طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس وله مخلب يصطاد به العصافير والطيور الصغيرة وهو من الطيور التي يُتَشَاءَمُ بها.

* يـا دارَ عَـاتِـكَـةَ الّـتـي بـالأزهَـرِ *

ومنه أيضاً: [المنسرح]

أَقْـفَـرَ مِـمَّـنْ يَـحُـلُّـهُ الـسَّـنَـدُ فَـالمُـنْـحَـنَـى فـالـعَـقِـيـقُ فـالـجُـمُـدُ[1]

أخبرني الحسين قال: قال حمّاد وحدّثني أبي قال: مَرِضَ رجلٌ من أهل المدينة بالشأم، فعاده جيرانُه وقالوا له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي إنساناً يَضَعُ فمه على أُذُني ويُغَنِّيني في بَيْتَي العَرْجيّ: [الكامل]

بِفِنَاءِ بَيْتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ فـي سـامـرٍ عَـطِـرٍ ولـيـلٍ مُـقْـمِـرِ
فَـتَـلازَمَـا عـنـد الـفِـرَاقِ صـبـابـةً أَخْذَ الغريمِ بِفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني [الكامل]

يـا دارَ عـاتِـكَـةَ الّـتـي بـالأزْهَـرِ أو فـوقَـه بِـقَـفَـا الـكَـثِـيـبِ الأحـمـرِ
بِـفـنـاء بـيـتِـك وابـنُ مِـشْـعَـبَ حـاضـرٌ فـي سَـامـرٍ عَـطِـرٍ ولـيـلٍ مُـقْـمِـرِ
فـتـلازمَـا عـنـد الـفـراق صـبـابـةً أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

الشعر للعرجيّ، والغناء لابن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وذكر إسحاق أنّه لابن مِشْعَبَ، وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لابن المكيّ هَزَجاً خفيفاً بالبنصر.

وأمّا الصوت الآخَر الذي أوّلُه:

* أَقـفـرَ مـمـن يَـحُـلُّـه الـسَّـنَـدُ *

فإنّه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللّحن المختار، وهو أوّلُ قصيدة طُرَيح التي منها: [المنسرح]

وَيْـحـي غـداً إنْ غَـدَا عَـلَـيَّ بـمـا أكـره مِـنْ لَـوْعَـةِ الـفِـرَاقِ غَـدُ

وليس يُغَنَّى فيه في زماننا هذا، وهذه القصيدة طويلة يمدَحُ فيها طُرَيحٌ الوليدَ ابن يزيد، يقول فيها:

لـم يَـبْـقَ فـيـهـا مِـنَ الـمَـعَـارِفِ بـعـ ـدَ الـحَـيِّ إلاّ الـرَّمَـادُ والـوَتِـدُ

---

(١) السَّنَد: ماء لبني سعد (معجم البلدان ٣:٢٦٧). والمنحنى: موضع قريب من مكة. والجُمُد: جبل لبني نصر بنجد. (معجم البلدان ٢:١٦٢).

وعَـرْصـةٌ تَـنَـكَّـرتْ مَـعَـالِـمُـهـا الـرِّ ... يـحُ بـهـا مَـسْـجِـدٌ ومُـنْـتَـضَـدُ

[المنصور يمدح قصيدة لطريح]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدّثني محمد بن خَلَفٍ القارىء قال: أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا به وكيع ـ وأظنّه هو الذي كَنَى عنه يحيى بن عليّ، فقال: محمد بن خَلَفٍ القارىء ـ قال: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثني عليّ بن عبد الله اللِّهبيّ قال: حَدَّثنا أبي عن أبيه قال: أُنْشِدَ المنصورُ هذه القصيدةَ، فقال للربيع: أَسَمِعْتَ أحداً من الشعراء ذكر في باقي مَعَالم الحَيِّ المسجدَ غيرَ طُرَيْحٍ!. وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح، يقول فيها:

[المنسرح]

لـم أَنْـسَ سَـلْـمَـى ولا لـيَـالِـيـنَـا ... بِـالـحَـزْنِ إذْ عَـيْـشُـنَـا بـهـا رَغَـدُ[1]

إذ نـحـنُ فـي مَـيْـعَـةِ الـشَّـبَـابِ وإذْ ... أَيَّـامُـنـا تـلـكَ غَـضَّـةٌ جُـدُدُ

فـي عِـيـشَـةٍ كـالـفِـرِنْـدِ عـازبـةِ الـشِّـ ... ـقـوةِ خَـضْـرَاءَ غُـصْـنُـهـا خَـضَـدُ[2]

نُـحْـسَـدُ فـيـهـا عـلـى الـنَّـعـيـم ومـا ... يُـولَـعُ إلاّ بِـالـنِّـعْـمَـةِ الـحَـسَـدُ

أَيَّـامَ سَـلْـمَـى غَـريـرةٌ أُنُـفٌ ... كـأنَّـهـا خُـوطُ بَـانَـةٍ رُؤدُ[3]

وَيْـحِـي غَـداً إنْ غَـدَا عَـلَـيَّ بِـمَـا ... أَكْـرَهُ مِـنْ لَـوْعَـةِ الـفِـرَاقِ غَـدُ

قـد كُـنْـتُ أبـكـي مِـنَ الـفراقِ وحَـيَّـ ... ـانَـا جَـمِـيـعٌ ودَارُنـا صَـدَدُ[4]

فـكـيـف صَـبْـري وقـد تَـجـاوَبَ بِـالـ ... ـفُـرقَـةِ مـنـهـا الـغُـرابُ والـصُّـرَدُ

دَعْ عَـنْـكَ سَـلْـمَـى لِـغَـيـرِ مَـقْـلِـيَـةٍ ... وعُـدَّ مَـدْحـاً بُـيـوتُـهُ شُـرُدُ[5]

لِـلأَفْـضَـلِ الأَفْـضَـلِ الـخـلـيـفـةِ عـبـ ... ـدِ الـلّـهِ مِـنْ دونِ شَـأْوِه صُـعُـدُ

فـي وَجْـهِـهِ الـنُّـورُ يُـسْـتَـبَـانُ كـمـا ... لاَحَ سِـراجُ الـنَّـهـارِ إذْ يَـقِـدُ

---

(١) الحَزْن: طريق بين المدينة وخيبر وقد ذكر ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم. (معجم البلدان ٢: ٢٥٤).

(٢) الفِرِنْدُ: الوردُ الأحمر، وفِرند: دخيل معرّب: اسم ثوب، والفِرِنْدُ: وَشْيُ السيف. وعازبة الشِّقوة: بعيدتُها. وخضد: رطبٌ لَيِّنٌ.

(٣) الغريرة: الصغيرة القليلة التجربة. والأُنُف: العذراء. وخوط بانة: غصن بان. والرّؤد: الغصن الرطب الطريّ.

(٤) دارنا صدد: مقابلة لدارهم.

(٥) لغير مقلية: لغير بغضٍ وكراهيةٍ. يقال قافيةٌ شرودٌ: سائرة في البلاد تشردُ كما يشرد البعير أي تنتشر وتُعْرَف.

يَمْضِي على خَيْرِ ما يقولُ ولا ... يُخْلِفُ مِيعَادَهُ إذا يَعِدُ
مِنْ مَعْشَرٍ لا يَشُمُّ مَنْ خَذَلُوا ... عِزّاً ولا يُسْتَذَلُّ مَنْ رَفَدُوا
بِيضٌ عِظَامُ الحُلُومِ حَدُّهُمُ ... مَاضٍ حُسَامٌ وخيرُهُمْ عَتَدُ[(١)]
أنتَ إمامُ الهُدَى الَّذي أَصْلَحَ الـ ... لَّهُ بِهِ النَّاسَ بَعْدَمَا فَسَدُوا
لَمَّا أَتَى النَّاسَ أَنَّ مُلْكَهُمُ ... إِلَيْكَ قد صارَ أَمْرُهُ سَجَدُوا
واسْتَبْشروا بالرِّضَا تَبَاشُرَهم ... بِالخُلْدِ لو قِيلَ إِنَّكُمْ خُلُدُ
وَعَجَّ بالحَمْدِ أهلُ أَرضِكَ حَتْـ ... ـى كادَ يَهْتَزُّ فَرحةً أُحُدُ
واستقبلَ النَّاسُ عِيشةً أُنُفاً ... إنْ تَبْقَ فيها لهم فقد سَعِدُوا
رُزِقْتَ مِنْ وُدِّهِمْ وطاعَتِهِمْ ... ما لم يَجِدْهُ لِوالِدٍ وَلَدُ
أَثْلَجَهُمْ منكَ أَنَّهم عَلِمُوا ... أَنَّكَ فيما وَلِيتَ مُجتهِدُ
وأَنَّ ما قد صَنَعْتَ مِنْ حَسَنٍ ... مِصْدَاقُ ما كُنْتَ مَرَّةً تَعِدُ
أَلَّفْتَ أَهْوَاءَهُمْ فأَصْبَحَتِ الأَ ... ضغانُ سِلْماً وماتَتِ الحِقَدُ
كُنْتُ أَرَى أَنَّ ما وَجَدْتُ مِنَ الـ ... ـفَرْحَةِ لم يَلْقَ مِثْلَهُ أَحَدُ
حتَّى رأيتُ العِبَادَ كُلَّهُمُ ... قد وَجَدُوا مِنْ هَوَاكَ ما أَجِدُ

صوت

قد طلبَ النَّاسُ ما بَلَغْتَ فما ... نالوا ولا قارَبوا وقد جَهَدوا
يَرْفَعُكَ اللَّهُ بالتَّكَرُّمِ والتَّـ ... ـقْوَى فتَعْلُو وأنتَ مُقْتَصِدُ
حَسْبُ امرِئٍ من غِنًى تَقَرُّبُهُ ... منكَ وإنْ لم يكنْ له سَبَدُ[(٢)]
فأنتَ أَمْنٌ لِمَنْ يَخافُ ولِلـ ... ـمَخْذولِ أَوْدَى نَصِيرُهُ عَضُدُ

ـ غنّى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر ـ.

كلُّ امرِئٍ ذِي يَدٍ تُعَدُّ عليـ ... ـهِ منكَ معلومةٌ يَدٌ ويَدُ
فهم ملوكٌ ما لم يَرَوْكَ فإنْ ... دَاناهُمُ مِنْكَ منزلٌ خَمَدُوا
تَعروهم رِعْدَةٌ لَدَيْكَ كما ... قَفْقَفَ تحتَ الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ[(٣)]
لا خَوْفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ ... إلاّ جَلالاً كَساكَهُ الصَّمَدُ

---

(١) عتد: مُعَدٌّ وحاضر.
(٢) السَّبَد: الشَّعر، ويكنى به عن المال، ويقال: ليس له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ: أي ليس له قليل ولا كثير.
(٣) قفقف: ارتعد وارتجف من البرد. والدُّجُنّة: الظُّلمة. والصَّرِدُ: المقرور، المصاب بالبرد.

وأنـتَ عَـمْـرُ الـنَّـدَى إذا هَـبَـطَ الـ ـزُّوَّارُ أَرْضـاً تَـحُـلُّـهـا حَـمِـدُوا
فـهـم رِفَـاقٌ فَـرُفْـقَـةٌ صَـدَرَتْ عـنـكَ بِـغُـنْـم ورُفْـقَـةٌ تَـرِدُ
إنْ حَـالَ دَهْـرٌ فـإنَّـكَ لا تَـنْـفَـكُّ عـن حـالِـكَ الّـتي عَـهِـدوا
قـد صَـدَّقَ الـلّـهُ مـادِحِـيـكَ فـمـا فـي قَـوْلِـهِـمْ فِـرْيَـةٌ ولا فَـنَـدُ[1]

[جعفر بن يحيى يُعْلِم إسحاق الموصلي عن الألحان والأشعار المسروقة]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال: حَدّثني الحسين بن يحيى قال: سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يحلف بالله الذي لا إلهَ إلاّ هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قَطُّ، ولا أفطنَ، ولا أعلمَ بكلِّ شيء، ولا أفصح لساناً، ولا أبلغَ في مكاتبةٍ. قال: ولقد كنّا يوماً عند الرشيد، فغنَّى أبي لحناً في شعر طُرَيح بن إسماعيل، وهو: [المنسرح]

قـد طـلـبَ الـنَّـاسُ مـا بَـلَـغْـتَ فـمـا نـالـوا ولا قـاربـوا وقـد جَـهَـدُوا

فاستحسن الرشيدُ اللَّحْنَ والشعرَ واستعاده ووصَل أبي عليه، وكان اللّحن في طريقة خَفيفِ الثقيل الأوّل، فقال جعفر بن يحيى: قد واللّهِ يا سيِّدي أحسنَ، ولكنّ اللّحنَ مأخوذٌ من لحن الدَّلاَل الذي غنّاه في شعر أبي زُبَيد: [الخفيف]

مَنْ يَرَ الـعِـيـرَ لابْـنِ أَرْوى عـلـى ظَـهْـ ـرِ الـمَـرَوْرى حُـدَاتُـهُـنَّ عِـجَـالُ[2]

وأمّا الشعر فنقله طُرَيح من قول زُهَير: [الطويل]

سَعَـى بَـعْـدَهُـمْ قَـومٌ لِـكَـيْ يُـدركـوهُـمُ فـلـم يَـبْـلُـغُـوا ولـم يُـلاَمُـوا ولـم يَـأْلُـوا

قال إسحاق: فعجبتُ والله من عِلْمه بالألحان والأشعار، وإذا اللّحن يُشْبِهُ لحن الدَّلاَل، قال: وكذلك الشعر؛ فاغتممتُ أنّي لم أكن فهمتُ اللّحنَ، وكان ذلك أشدّ عليّ من ذَهاب أمر الشعر عليّ، وأنا والله مع ذلك أُغَنّي الصوتين وأحفَظ الشعرين؛ قال الحسين: ولحنُ الدَّلاَل في شعر أبي زُبَيْد هذا من خَفيف الثقيل أيضاً.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: حَدّثني أبو الحسن البَلاَذُريّ

---

(١) الفِرية: الكذب. والفند: الكذب والباطل.

(٢) العِير: القافلة، وقيل: العِير الإبل التي تحمل المِيرة. والمرورى: جمع المروراة: الفلاة البعيدة المستوية.

أحمد بن يحيى وأبو أيّوب المدينيّ، قال البَلاذُرِيّ وحدّثني الجِرْمازِيّ، وقال أبو أيّوب وحدّثونا عن الجِرْمازِيّ قال: حَدّثني أبو القَعقاع سهْل بن عبد الحميد عن أبي وَرْقاء الحَنفيّ قال: خرجتُ من الكوفة أريد بغداد، فلمّا صِرْتُ إلى أوّل خان نزلتُه، بسَطَ غِلماننا وهَيَّأُوا غَدَاءهم، ولم يَجِيء أحدٌ بعدُ، إذ رمانا البابُ برجلٍ فارِهِ البِرْذَوْنِ[1] حَسنِ الهيئة فصِحْتُ بالغلمان، فأخذوا دابّته فدفَعها إليهم، ودعوتُ بالغَداء، فبسط يدَه غير محتشم، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلا قَبِلَهُ. ثم جاء غلمانُه بعد ساعة في ثقلٍ[2] سَرِيّ وهيئة حسنة، فتناسَبْنَا فإذا الرجلُ طُرَيحُ بن إسماعيل الثَّقفِي. فلمّا ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غَنَّاء لا يُدْرَكُ طَرَفاها. قال: فقال لي: ما حاجتُنا إلى زِحَام الناس وليستْ بنا إليهم وحشَةٌ ولا علينا خوف! نتقدّمُهم بيوم فيخلو لنا الطريق ونُصادف الخاناتِ فارغةً ونُودِعُ أنفسَنا إلى أن يُوَافُوا. قلتُ: ذلك إليك. قال: فأصبحنا الغَدَ فنزلنا الخان فتغدّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظَليل؛ فقال: هلْ لك أن نستنقع[3] فيه؟ فقلتُ له: شأنَكَ. فلمّا سرا[4] ثيابَه إذا ما بين عُصْعُصه إلى عُنقه ذاهبٌ، وفي جنبيه أمثالُ الجِرْذَان، فوقَع في نفسي منه شيء. فنظر إليّ ففَطُن وتبسَّمَ، ثم قال: قد رأيتُ ذُعْرَكَ مما رأيتَ، وحديثُ هذا إذا سرْنا العَشِيَّةَ إن شاء الله تعالى أُحدّثك به. قال: فلمّا ركبنا قلت: الحديثَ! قال: نعم! قدمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدّنيا، وكتبت إلى يوسف بن عُمر مع فرَّاش فملأ يَدَيْ أصحابي، فخرجتُ أُبادر الطّائفَ. فلمّا امتدَّ لي الطريقُ وليس يصحبني فيه خَلْقٌ، عَنَّ لي أعرابيٌ على بعير له، فحدثني فإذا هو حسنُ الحديث، وروَى لي الشِّعْرَ فإذا هو راوية، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر. فقلت له: من أين أقبلتَ؟ قال: لا أدري قلت: فأين تُريد؟ فذكر قصّة يُخْبِرُ فيها أنّه عاشق لِمُرَيئَةٍ[5] قد أفسدَتْ عليه عقلَه وسترَها عنه أهلُها وجفاه أهلُه، فإنّما يستريح إلى الطريق ينحدر مع مُنْحَدِرِيه ويُصْعِد مع مُصْعِديه. قلت: فأين هي؟ قال: غداً ننزل بإزائها. فلمّا نزلنا أراني ظَرِباً[6] على يسار الطريق؛ فقال لي: أترى ذلك الظَّرِبَ؟ قلت: أراه. قال: فإنّها في

---

(١) البرذون: من الخيل: ما كان من غير نتاج العرب، وبرذون فاره: نشيط سريع.
(٢) الثقل: متاع السفر.
(٣) نستنقع: نستحمّ.
(٤) سرا ثيابه: خلعها.
(٥) مريئة: تصغير امرأة.
(٦) الظَّرِب: الرابية الصغيرة.

مَسْقَطِهِ. قال: فأدركني أريحيّةُ الشباب، فقلتُ: أنا والله آتيها برسالتك. قال: فخرجتُ وأتيتُ الظَّرِبَ، وإذا بيتٌ حَرِيدٌ(١) وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ. فذكرتُه لها، فزَفَرتْ زفرةً كادت أضلاعُها تَسَّاقَطُ. ثم قالت: أَوَحَيٌّ هو؟ قلت: نعم، تركتُه في رَحْلي وراء هذا الظَّرِب، ونحن بائتون ومُصْبِحون. فقالت: يا أبي أرَى لك وجهاً يدلُّ على خير، فهل لك في الأَجْر؟ فقلت: فقيرٌ والله إليه. قالت: فالبَسْ ثيابي وكُنْ مكاني ودَعْني حتّى آتِيَه، وذلك مُغَيرِبانَ الشّمسِ. قلت: أفعل. قالت: إنّك إذا أظلَمَتْ أتاك زوجي في هَجْمةٍ(٢) من إبله، فإذا بركَتْ أتاك وقال: يا فاجرة يا هَنَتاه(٣)، فيُوسِعُكَ شتماً فأَوْسِعْه صمتاً، ثم يقول: اقْمَعِي(٤) سِقاءَك، فضَعِ القمعَ في هذا السِّقاء حتّى يُحْقَنَ فيه(٥)، وإيَّاكَ وهذا الآخَرَ فإنّه واهي الأسفل. قال: فجاء ففعلتُ ما أمرتْني به، ثم قال: اقْمَعي سِقَاءَك، فحيَّنني(٦) اللّهُ، فتركتُ الصحيحَ وقَمَعتُ الواهيَ، فما شعَر إلاّ باللبن بين رجليه، فَعَمدَ إلى رشاءٍ من قِدٍّ مَرْبوعٍ(٧)، فَثَناه باثنين فصار على ثَمَانِ قُوًى، ثم جعل لا يتّقي منّي رأساً ولا رِجْلاً ولا جَنْباً، فخَشِيتُ أنْ يبدوَ له وجهي، فتكون الأُخرَى، فألزمتُ وجهي الأرض، فعمِلَ بِظَهْرِي ما ترى.

---

(١) بيت حريد: منعزل منفرد.

(٢) الهجمة: ما زاد عن الأربعين، أو هو ما بين السبعين إلى المائة.

(٣) يا هَنَتاه: يا هذه، أو يا بلهاء.

(٤) اقمعي سقاءك: ضعي القمع عليه.

(٥) يحقن: يُجمَع.

(٦) حَيَّنني الله: لم يُوَفّقني.

(٧) الرشاء: الحبل، والقِد: السَّير المقدود من الجلد، ومربوع: ذو أربع.

ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

[شاعرٌ، مُغَنٍّ وناسك]

أبو سعيد مولى فائد، وفائدٌ مولَى عَمْرو بن عثمان بن عَفّان رضي الله عنه. وذكر ابن خُرْدَاذْبه أنّ اسم أبي سعيد إبراهيم. وهو يُعْرَفُ في الشعراء بابن أبي سِنّة مولى بني أُمَيَّة، وفي المغنِّين بأبي سعيد مولى فائد. وكان شاعراً مُجيداً مُغَنِّياً، وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعَدَّلاً. وعُمِّرَ إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم بن المَهْديّ وإسحاقُ الموصليّ وذووهما. وله قصائدُ جِيَاد في مَرَاثِي بني أُمية الذين قتلهم عبدُ اللَّه وداودُ ابنا عليّ بن عبد الله بن العبّاس، يُذْكَر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديثُ ذِكْرَه.

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عُبَيد اللّه بن عبد الله عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأَزْهَر عن حَمَّاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أخيه أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبِيب عن أبي جعفر الأَسَدِي عن إسحاق، قال يحيى خاصّةً في خبره: قال إسحاق: حَجَجْتُ مع الرشيد، فلمّا قَرُبْتُ من مكة استأذنتُه في التقدُّم فأَذِنَ لي، فدخلتُ مكة، فسألتُ عن أبي سعيد مولى فائد، فقيل لي: هو في المسجد الحَرَام. فأتيتُ المسجد فسألتُ عنه، فدُلِلْتُ عليه، فإذا هو قائمٌ يصلِّي، فجئتُ فجلستُ قريباً منه. فلمّا فَرغ قال لي: يا فَتى، أَلكَ حاجةٌ؟ قلتُ: نعم، تُغنِّيني: «لقد طفتُ سبعاً»، هذه رواية يحيى بن عليّ، وأمّا الباقون فإنَّهم ذكروا عن إسحاق أنّ المَهْدي قال هذا لأبي سعيد وأَمَره أن يُغَنِّي له: [الطويل]

لقد طُفْتُ سَبْعاً قُلْتُ لَمّا قَضَيْتُها ... أَلاَ لَيْتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيَا

ورفَق به وأدنى مجلسَه، وقد كان نَسَكَ، فقال: أَوَ أُغَنِّيكَ يا أميرَ المؤمنين أحسنَ منه؟ قال: أنتَ وذاك. فَغَنَّى:

[الخفيف]

إنّ هـذا الطَّـويـلَ مـن آلِ حَـفْـصٍ نَـشَـرَ الـمَـجْـدَ بـعـدمـا كـان مـاتَـا
وبَـنَـاهُ عـلـى أسَـاسٍ وَثـيـقٍ وعِـمَـادٍ قـد أُثْـبِـتَـتْ إثـبـاتـا
مِـثْـلَ مـا قـد بَـنَـى لـه أوّلُـوه وكـذا يُـشْـبِـهُ الـبُـنَـاةُ الـبُـنَـاتَـا

ـ الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ـ فأحسن. فقال له المهديّ: أحسنتَ يا أبا سعيد! فَغَنِّني «لقد طفتُ سبعاً». قال: أوَ أُغَنِّيك أحسنَ منه؟ قال: أنت وذاك. فغنّاه: [الكامل]

قَدِمَ الطَّوِيلُ فأَشْرَقَتْ واسْتَبْشَرَتْ أَرضُ الحِجازِ وبَانَ في الأشجارِ
إنّ الطَّويلَ مِنَ آلِ حَفْصٍ فاعلموا سادَ الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

فأحسنَ فيه. فقال: غَنِّني «لقد طفتُ سبعاً». قال: أوَ أُغَنِّيك أحسنَ منه؟ قال: فَغَنِّني. فغناه: [الخفيف]

أيّها السّائلُ الّذي يَخْبِطُ الأَرْ ضَ دَعِ النّاسَ أجمعينَ وَرَاكا
وأتِ هذا الطَّويلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إنْ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً أو هَلاكَا

فأحسن فيه. فقال له: غَنِّني «لقد طفت سبعاً»، فقد أحسنت فيما غَنَّيت، ولكنا نُحِبّ أن تُغَنِّيَ ما دعوناك إليه. فقال: لا سبيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين! لأنّي رأيت رسولَ الله ﷺ في مَنامي وفي يده شيءٌ لا أدري ما هو، وقد رفعه ليضربَني به وهو يقول: يا أبا سعيد، لقد طفتُ سبعاً، لقد طفتُ سبعاً سبعاً طُفْتُ! ما صنعت بأمّتي في هذا الصوت! فقلت له: بأبي أنت وأمي اغْفِرْ لي، فوالّذي بَعَثَكَ بالحقّ واصطفاك بالنبوّة لا غَنَّيتُ هذا الصوت أبداً؛ فردّ يدَه ثم قال: عفا الله عنك إذاً! ثم انتبهتُ. وما كنتُ لأُعطِيَ رسولَ الله ﷺ شيئاً في منامي فأرجعَ عنه في يَقَظَتِي. فبكى المهديُّ وقال: أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسن الله إليك! لا تَعُدْ في غنائه، وحَبَاه وكساه وأمَر بردّه إلى الحجاز. فقال له أبو سعيد: ولكن اسمَعْه يا أميرَ المؤمنين من مَنَّةَ جاريةِ البرامكة. وأظُنّ حكاية مَنْ حكى ذلك عن المهديّ غلطاً؛ لأن مَنَّة جاريةَ البرامكة لم تكن في أيام المهديّ؛ وإنما نشأتْ وعُرِفَتْ في أيّام الرشيد.

وقد حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظةُ قال: حدّثني هِبَةُ اللّه بن إبراهيم بنِ المهْديّ عن أبيه أنّه هو الذي لَقِيَ أبا سَعِيدٍ مولَى فائد وجاراه هذه القِصّة. وذكر

ذلك أيضاً حَمّاد بنُ إسحاق عن إبراهيم بن المهدي، وقد يجوز أن يكون إبراهيم ابن المهديّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهديّ. وأمّا خبرُ إبراهيم بن المهدي خاصّةً فله معَانٍ غيرُ هذه، والصوت الذي سأله عنه غيرُ هذا؛ وسيُذْكَر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلاّ تنقطع.

[أبى الذهاب مع إبراهيم بن المهدي إلى بغداد]

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حدّثنا عُمَر بن شَبّة: أنّ إبراهيم ابنَ المهديّ لَقِيَ أبا سعيد مولَى فائدٍ؛ وذكر الخبرَ بمثل الذي قبله، وزاد فيه: فقال له: اشْخَصْ معي إلى بغداد، فلم يفعل. فقال: ما كنت لآخُذَكَ بما لا تُحِبّ، ولو كان غيرُكَ لأكْرَهْتُه على ما أُحِبُّ، ولكن دُلَّني على مَنْ ينوب عنك. فَدلَّ على ابن جامِع، وقال له: عليكَ بغلامٍ من بني سَهْمٍ قد أخذ عنّي وعن نُظَرائي وتخرّجَ، وهو كما تُحِبّ، فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغدادَ؛ فهو الذي كان سببَ وروده إياها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

لقد طُفتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... ألاَ ليتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيَا
يُسَائِلُني صَحْبِي فما أَعْقِلُ الّذي ... يقولون من ذِكْرِ لليلَى اعترانيا

عروضه من الطويل، ذكر يحيى بن عليّ أنّ الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد، وذكر غيرهُ أنّ الشعر للمجنون، ولحنُه خفيف رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار، وذكر حبشٌ أن فيه لإبراهيم خفيف رَمَلٍ آخرَ، والذي ذكر يحيى بن عليّ من أنّ الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح.

أخبرني عمِّي عن الكُرَانيّ عن عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَميّ أنّه أنشده لأبي سعيدٍ مولى فائد. قال عمِّي: وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن طاهر عن أبي دِعَامَة لأبي سعيد، وبعد هذين البيتين اللّذين مَضَيا هذه الأبياتُ: **[الطويل]**

إذا جِئْتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابن عامرٍ ... فَأَقْرِىءْ غزالَ الشِّعْبِ مِنّي سَلامِيَا

وقُلْ لِغَزَالِ الشِّعْبِ هل أنتَ نازلٌ بِشِعْبِكَ أم هل يُصْبِحُ القلبُ ثاويا
لقد زادني الحُجَّاجُ شَوْقاً إليكُمُ وقد كُنْتُ قبلَ اليومِ لِلْحَجِّ قالِيا[1]
وما نَظَرَتْ عَيْنِي إلى وَجْهِ قادمٍ مِنَ الحَجِّ إلاّ بَلَّ دَمْعِي رِدَائِيا

في البيت الأوّل من هذه الأبيات، وهو:

* إذا جئت بابَ الشّعبِ شعب ابن عامر *

لحن لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ عن الهشَاميّ. ومنها:

صوت

إنّ هذا الطّويلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ المَجْدَ بَعْدَمَا كان مَاتَا
وبَنَاهُ على أَسَاسٍ وَثِيقٍ وعِمَادٍ قد أُثْبِتَتْ إثْبَاتَا
مِثْلَ ما قَدْ بَنَى لَهُ أَوّلُوهُ وكذا يُشْبِهُ البُنَاةُ البُنَاتَا

عروضه من الخفيف، الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد، ولحنُه رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. ومنها:

صوت

[الكامل]

قَدِمَ الطَّويلُ فأشرقَتْ لِقُدُومِهِ أَرْضُ الحِجازِ وبَانَ في الأشجارِ
إنّ الطَّويلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فاعْلَمُوا سادَ الحُضُورَ وسادَ في الأسفارِ

الشعر والغناء لأبي سعيد، ومنها:

صوت

أَيُّها الطَّالِبُ الَّذي يَخْبِطُ الأَرْ ضَ دَعِ النَّاسَ أَجمعينَ وَرَاكا
وَأْتِ هذا الطَّويلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إنْ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً أو هلاكا

عروضُه من الخفيف، الشعر لأبي سعيدٍ مولى فائد، وقيل: إنّه للدّارِميّ والغناء لأبي سعيد خفيفُ ثقيلٍ، وفيه للدّارِميّ ثاني ثقيل.

(١) قالياً: مبغِضاً.

[مدحه لعبد الله بن عبد الحميد]

الطَّويلُ من آل حفص الذي عناه الشعراءُ في هذه الأشعار، هو عبد اللَّه بن عبد الحميد بن حَفْص، وقيل: ابنُ أبي حفص بن المُغِيرة المَخْزوميّ، وكان مُمَدَّحاً.

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيوب المَدِينيّ قال: حَدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه: أنّ عبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ، كان يعطي الشعراءَ فيُجْزِلُ، وكان مُوسِراً، وكان سبب يَساره ما صار إليه من أُمّ سَلَمة المخزوميّة امرأة أبي العبّاس السفّاح، فإنّه تزوّجها بعده، فصار إليه منها مالٌ عظيم، فكان يَتسمّحُ به ويَتَفَتَّى[1] ويَتَّسِعُ في العطايا. وكانت أُم سلمةَ مائلةً إليه، فأعطتْه ما لا يُدْرَى ما هو، ثم إنّها اتّهمته بجاريةٍ لها فاحتجبَتْ عنه، فلم تَعُدْ إليه حتَّى مات. وكان جميل الوجه طويلاً، وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد:

إنّ هـذا الـطَّـويـلَ مِـنْ آلِ حـفـصٍ ... نَـشَـرَ الـمَـجْـدَ بـعـدَمَـا كـانَ مَـاتـا

وفيه يقول الدّارميّ:

أيُّـهـا الـسَّـائِـلُ الَّـذي يَـخْـبِـطُ الأر ... ضَ دَعِ الـنَّـاسَ أَجْـمَـعِـيـنَ وَرَاكـا

وأْتِ هـذا الـطَّـويـلَ مـن آلِ حَـفْـصٍ ... إنْ تَـخَـوَّفْـتَ عَـيْـلَـةً أو هـلاكـا

وفيه يقول الدّارميّ أيضاً:

صوت

[الكامل]

إنّ الـطَّـويـلَ إذا حَـلَـلْـتَ بـه ... يـومـاً كَـفَـاكَ مَـؤونـةَ الـثُّـقْـلِ

ويروى:

* ابـن الـطَّـويـل إذا حـلـلـت بـه *

وحَـلَـلْـتَ فـي دَعَـةٍ وفـي كَـنَـفٍ ... رَحْـبِ الـفـنـاءِ ومَـنْـزِلٍ سَـهْـلِ

غنَّاه ابنُ عبّاد الكاتب، ولحنهُ من الثقيل الأوّل الذي بالبنصر عن ابن المكيّ.

---

(١) يتفتّى: يتسخّى.

[خبره مع إبراهيم بن المهدي]

فأمّا خبرُ إبراهيم بنِ المهديّ مع أبي سَعيدٍ مولى فائد الذي قلنا إنّه يُذْكَر هاهنا، فأخبرني به الحسن بن عليّ قال: حَدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدّثني القَطِرانِيّ المغنّي قال: حَدّثني ابن جَبْر قال: سمعتُ إبراهيم ابن المهديّ يقول: كنتُ بمكة في المسجد الحرام، فإذا شيخٌ قد طلَعَ وقد قَلَبَ إحدى نعليه على الأُخرى وقام يُصَلِّي، فسألتُ عنه فقيل لي: هذا أبو سعيد مولى فائد. فقلتُ لبعض الغِلْمان: احْصِبْه فحَصَبه[1]، فأقبل عليه وقال: ما يظنُّ أحدُكم إذا دخل المسجدَ إلاّ أنّه له. فقلت للغلام: قُلْ له: يقول لك مولاي: أبْلُغْني؛ فقال ذلك له. فقال له أبو سعيد: مَنْ مولاكَ حفظه الله؟ قال: مولاي إبراهيم بن المهديّ، فمن أنتَ؟ قال: أنا أبو سعيد مولى فائد، وقام فجلس بين يَدَيَّ، وقال: لا واللّهِ - بأبي أنتَ وأمّي - ما عرفتُكَ! فقلت: لا عليك! أخبِرْني عن هذا الصوت:

أَفَاضَ المَدَامِعَ قَتْلَى كُدَى ... وقَتْلَى بِكُثْوةَ لم تُرْمَسِ[2]

قال: هو لي. قلت: وربّ هذه البَنِيَّةِ لا تَبْرحُ حتى تُغَنِّيَه، قال: ورَبّ هذه البنيّة لا تبرح حتّى تسمَعَه. قال: ثم قَلَبَ إحدى نعليه وأخذ بِعَقِبِ الأُخرى، وجعل يَقْرَعُ بحرفها على الأُخرى ويُغَنِّيه حتّى أتى عليه؛ فأخذتُه منه. قال ابن جَبْر: وأخذتُه أنا من إبراهيم بن المهدي.

[محمد بن عمران يردّ شهادته ثم يندم]

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيدَلانيّ قال: حَدّثنا يوسف بن إبراهيم قال: حَدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال: حَدَّثني دنية المَدَنيّ صاحب العبّاسة بنت المهديّ وكان آدَبَ مَنْ قَدِمَ علينا من أهل الحجاز: أنّ أبا سعيدٍ مولى فائد حضرَ مجلس محمد بن عمْران التَّيْميّ قاضي المدينة لأبي جعفر، وكان مُقَدِّماً لأبي سعيد. فقال له ابنُ عمران التيميّ: يا أبا سعيد أنت القائل: [الطويل]

لقد طُفْتُ سَبْعاً قُلْتُ لَمّا قَضَيْتُها ... ألا لَيتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيَا

---

(١) حصبه: رماه بالحصى.

(٢) كُدًى: موضع بأسفل مكة عند ذي طُوًى. (معجم البلدان ٤: ٤٤١). وكُثْوَة: ذكره ياقوت في معجمه ولكنه لم يفصِّل أين يقع. (معجم البلدان ٤: ٤٣٨). ولم ترمس: لم يُطْمَسْ أثرُها.

فقال: إي لَعَمْرُ أبيكَ، وإنّي لأُدْمِجُهُ إدماجاً من لؤلؤ. فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس. وقام أبو سعيد من مجلسه مُغْضَباً وحلَف ألاّ يَشهَدَ عنده أبدًا. فأنكر أهل المدينة على ابن عمْران رَدَّه شهادته، وقالوا: عَرَّضْتَ حقوقَنا لِلتَّوَى[1] وأموالَنَا لِلتَّلَفِ؛ لأنّا كُنّا نُشْهِدُ هذا الرّجلَ لِعِلْمِنا بما كنتَ عليه والقضاةُ قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله. فنَدِمَ ابنُ عمْران بعد ذلك على رَدِّ شهادته، ووَجَّه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضيَ بشهادته؛ فامتنع، وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمينٍ لزمتْه إن حضرَه حَنِثَ. قال: فكان ابنُ عمران بعد ذلك، إذا ادّعى أحدٌ عنده شهادةَ أبي سعيدٍ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتَّى يسمعَ منه ويسأله عما يشهَد به فيُخبره. وكان محمد بن عمران كثير اللَّحم، عظيمَ البطن، كبيرَ العَجيزة، صغير القدمين، دقيقَ الساقين، يشتدّ عليه المشي، فكان كثيراً ما يقول: لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طفتُ سبعاً» وأضرَّ بي ضرراً طويلاً شديداً، وأنا رجلٌ ثَقَالٌ، بتردّدي إلى أبي سعيد لأسمعَ شهادتَه.

أخبرني عمِّي قال: حَدّثنا الكُرانيّ قال: حَدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثَم بن عَدِيٍّ قال: كان المُطَّلِبُ بن عبد اللَّه بن حَنَطَبٍ قاضياً على مكّة، فشَهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة؛ فقال له المطَّلب: وَيْحَكَ! ألستَ الذي يقول:

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ... ألاَ ليت هذا لا عليَّ ولا ليا

لا قَبِلْتُ لك شهادةً أبداً، فقال أبو سعيد: أنا والله الذي أقول:

كأن وُجوهَ الحَنْطَبِيِّينَ في الدُّجَى ... قناديلُ تَسْقيها السَّلِيطَ الهياكلُ[2]

فقال الحنطبيّ: إنّك ما علمتُك إلاّ دَبّاباً حول البيت في الظُّلَمِ، مُدْمِناً للطَّواف به في اللّيل والنهار، وقَبِلَ شهادته.

---

(١) التّوَى: الهلاك.

(٢) السليط: الزيت أو كلّ دهن عُصِرَ من حَبّ.

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذي في حديث إبراهيم بن المهدي وخبره

صوت

أَفَاضَ الـمَـدامِـعَ قَـتْـلَـى كُـدًى   وقَـتْـلَـى بِـكُـثْـوَةَ لـم تُـرْمَـسِ
وقَـتْـلَـى بِـوَجٍّ وبـالـلابَـتَـيْـ   ـنِ مِـنْ يَـثْـرِبَ خَـيْـرُ مـا أَنْـفُـسِ[١]
وبِـالـزَّابِـيَـيْـنِ نـفـوسٌ ثَـوَتْ   وأُخْـرَى بِـنَـهْـرِ أَبِـي فُـطْـرُسِ[٢]
أولـئـكَ قَـوْمِـي أَنَـاخَـتْ بِـهِـمْ   نَـوائِـبُ مِـنْ زَمَـنٍ مُـتْـعِـسِ
إذا رَكِـبُـوا زَيَّـنُـوا الـمَـوْكِـبَـيْـنِ   وإنْ جَـلَـسُـوا الـزَّيْـنُ فـي الـمَـجْـلِـسِ
هُـمُ أَضْـرَعُـونِـي لِـرَيْـبِ الـزَّمـانِ   وهُـمْ أَلْـصَـقُـوا الـرَّغْـمَ بِـالـمَـعْـطِـسِ[٣]

عروضه من المتقارب، الشعر لِلعَبَليّ واسمه عبد الله بن عُمَر، ويُكْنَى أبا عَدِيّ، وله أخبار تُذْكر مفردةً في موضعها إن شاء الله، والغِناء لأبي سَعيدٍ مولى فائد، ولحنُه من الثقيل الثاني بالسبّابة في مجرى البِنْصر، وقصيدةُ العَبَليّ أوّلُها:

تَـقُـولُ أُمَـامَـةُ لَـمَّـا رَأَتْ   نُـشُـوزِي عَـنِ الـمَـضْـجَـعِ الأَنْـفَـسِ

[العبليُ يرثي قومه]

نسختُ من كتاب الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار؛ وأخبرني الأخفش عن المُبَرَّد عن المُغِيرة بن محمد المُهَلَّبي عن الزُّبَير عن سليمانَ بن عَيّاش السَّعْدِيّ قال: جاء عبد الله بن عُمَرَ العَبْلِيّ إلى سُوَيْقَة[٤] وهو طريدُ بني العبّاس؛ وذلك بِعَقِبِ أيّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلْكهم إلى بني العبّاس، فقصَدَ عبدَ اللّه وحسناً ابنَي الحسن بن حَسَنٍ بسُوَيْقةَ؛ فاستنشده عبدُ اللّه بن حسنٍ شيئاً من

---

(١) وجّ: اسم وادٍ بالطائف. (معجم البلدان ٥: ٣٦١). واللابتان: ما بين لابتي المدينة يعني حَرَّتَيْها. (معجم البلدان ٥: ٣).

(٢) الزابيان: نسبة إلى زاب بن توركان ملك من قدماء الفرس قيل إنه حفر عدة أنهر بالعراق فسمّيت باسمه وقيل لكل واحد زابي وفي التثنية زابيان. (معجم البلدان ٣: ١٢٣). ونهر أبي فُطرس: موضع قرب الرملة من أرض فلسطين ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس. (معجم البلدان ٥: ٣١٥).

(٣) ضرع: خضع وذَلّ، والرَّغم: التراب. والمعطس: الأنف.

(٤) سويقة: هي مواضع كثيرة في بلاد العرب ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٣: ٢٨٨).

شعره فأنشده؛ فقال له: أُريد أن تُنشدَني شيئاً مما رثيتَ به قومك؛ فأنشده قولَه:

تقولُ أمامةُ لمّا رَأَتْ ... نُشوزِي عَنِ المَضْجَعِ الأَنْفَسِ
وقِلَّةَ نَوْمِي على مضجعي ... لدي هَجْعَةِ الأَعْيُنِ النُّعَّسِ
أَبِي ما عَرَاكَ؟ فقُلْتُ: الهُمومَ ... عَرَوْنَ أَبَاكِ فلا تَبْلِسي[1]
عَرَوْنَ أَبَاكِ فحَبَّسْنَهُ ... مِنَ الذُّلِّ في شرِّ ما مَحْبِسِ
لِفَقْدِ الأَحِبَّةِ إِذْ نَالَها ... سِهَامٌ مِنَ الحَدَثِ المُبْئِسِ
رَمَتْها المَنُونُ بلا نُكَّلٍ ... ولا طَائِشَاتٍ ولا نُكَّسِ
بِأَسْهُمِها المُتْلِفَاتِ النُّفُوسِ ... مَتَى ما تُصِبْ مُهْجَةً تَخْلِسِ
فَصَرَّعْنَهُمْ في نَواحِي البِلادِ ... مُلَقًّى بِأَرْضٍ ولَمْ يُرْسَسِ[2]
تَقِيٌّ أُصِيبَ وأَثْوابُهُ ... مِنَ العَيْبِ والعَارِ لم تَدْنَسِ
وآخَرُ قد دُسَّ في حُفْرَةٍ ... وآخَرُ قد طارَ لم يُخْسَسِ
إذا عَنَّ ذِكْرُهُمُ لم يَنَمْ ... أَبُوكِ وأَوْحَشَ في المَجْلِسِ
فَذَاكَ الَّذِي غَالَنِي فاعْلَمِي ... ولا تَسْأَلِي بِامْرِئٍ مُتْعَسِ[3]
أَذَلُّوا قَنَاتِي لِمَنْ رَامَها ... وقد أَلْصَقُوا الرَّغْمَ بِالمَعْطَسِ

قال: فرأيت عبد الله بن حسنٍ وإنّ دموعه لتجري على خَدّه.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رباحَ قال: عُمِّرَ أبو سعيد بن أبي سِنّةَ مولى بني أُمَيّةَ وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيّام الرشيد؛ فلمّا حجّ أحضره فقال: أَنْشِدْني قصيدتَك:

* تقول أُمامةُ لمّا رأتْ *

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشِده الشعرَ لَحْنَه في أبياتٍ منها، أوّلُها:

* أفاضَ المدامعَ قَتْلَى كُدَى *

وكان الرشيدُ مُغْضَباً فسكَنَ غَضَبُه وطَرِب، فقال: أَنْشِدْني القصيدة. فقال: يا

(١) لا تبلسي: لا تحزني ولا تيأسي، والمُبْلِسُ: الساكت من حزن أو خوف، والإبلاس: الحيرة.
(٢) الرّمس والرّسّ: دفن الميت.
(٣) غالني: أهلكني.

أمير المؤمنين، كان القومُ مَوَالِيّ وأنعموا عَلَيَّ، فرثيتُهم[١] ولم أَهْجُ أحداً؛ فتركه.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدّثنا الحَزَنْبَلُ قال: كنّا عند ابن الأعرابيّ وحضرَ معنا أبو هِفّان فأنشدَنَا ابنُ الأعرابيّ عمن أنشده قال: قال ابنُ أبي سبّة العَبَليّ:

أفاضَ المدامعَ قَتْلَى كذا وقَتْلَى بكبوة لم تُرْمَسِ

فغَمَز أبو هفَّان رجلاً وقال له: قُل له: ما معنى «كذا»؟ قال: يريد كثرتهم. فلمّا قُمْنا قال لي أبو هِفّان: أسمعتَ إلى هذا المُعْجَب الرَّقِيع! صَحَّفَ اسم الرجل. هو ابن أبي سنّة، فقال: ابن أبي سبَّة؛ وصحَّفَ في بيت واحدٍ موضعين، فقال: «قَتْلَى كذا» وهو كُدًى، و «قتلى بكبوة» وهو بكُثْوَةَ. وأغلظُ عَلَيَّ من هذا أنه يفسِّرُ تصحيفَهُ بوجهٍ وَقَاحٍ. وهذا الشعر الذي غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عديّ عبد اللَّه ابن عُمَر العَبَليّ فيمن قَتَّله عبدُ اللَّه بن عليّ بنهر أبي فُطْرُس وأبو العبّاس السفّاح أميرُ المؤمنين بعدهم من بني أُمَيَّة. وخبرُهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرُها جداً ونذكر هاهنا ما يُسْتَحْسَنُ منها.

ذكر مَنْ قَتَلَ أبو العبّاس السفّاح من بني أُميّة

[مقتل مروان بن محمد في بوصير]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدّثني مُسَبِّح بن حاتِم العُكْلِيّ قال: حَدّثني الجَهْم بن السَّبَّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن عليّ، قال: لمّا استمرَّتِ الهزيمةُ بِمَرْوان[٢]، أقام عبدُ اللَّه[٣] بن عليّ بالرَّقة، وأنفذَ أخاه عبدَ الصّمد في طلبه فصار إلى دِمَشْقَ، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قُوّاد خُراسَان، فلَحِقَهُ وقد جازَ مِصْرَ في قرية تُدْعَى بُوصير[٤] فقتله، وذلك يومَ

(١) يُلاحَظ هنا أن أبا الفرج ينسب القصيدة لأبي سعيد بينما قد ذكرها في الخبر الماضي ونسبها للعبليّ وكذلك سوف يذكرها في ترجمته!.

(٢) مروان بن محمد بن الحكم المعروف بالحمار.

(٣) عبد الله بن علي: بن عبد اللّه بن العباس الهاشمي العباسي، وهو عم الخليفة أبي جعفر المنصور، وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب (ت ١٤٧ هـ/ ٧٦٤ م) (ترجمته في النجوم الزاهرة ٢: ٧، والطبري ٩: ٢٦٤، وتاريخ بغداد ١٠: ٨).

(٤) بوصير: من أعمال الفيوم. (معجم البلدان ١: ٥٠٩).

الأحد لثلاثٍ بَقِينَ من ذي الحِجّة، ووجَّهَ برأسه إلى عبد الله بن عليّ، فأنفذه عبدُ اللّه بن عليّ إلى أبي العباس، فلمّا وُضِعَ بين يديه خَرَّ لله ساجداً، ثم رفع رأسَه وقال: الحمدُ لله الذي أظهرني عليكَ وأظفرني بك ولم يُبْقِ ثأري قِبلَكَ وقِبَلَ رَهْطِكَ أعداءِ الدِّين؛ ثم تَمَثَّلَ قولَ ذي الإِصْبَع العَدْوانيّ. [البسيط]

لو يَشربونَ دَمِي لم يُرْوِ شَارِبَهُمْ ... ولا دِماؤُهُمُ لِلغَيْظِ تُرْوِيني

[ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان يقاتل حتى يُقْتَل]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكِيعٌ قال: حَدّثني محمد بن يزيد قال: نظر عبدُ اللّه بن عليّ إلى فَتًى عليه أُبَّهَةُ الشَّرَفِ وهو يُقاتِل مُسْتَنْتِلاً[1]، فناداه: يا فتى، لكَ الأمانُ ولو كنتَ مَرْوان بن محمد. فقال: إلاَّ أَكُنْهُ فلستُ بدونِهِ. قال: فلكَ الأمانُ مَنْ كنتَ. فأطرقَ ثم قال: [المتقارب]

أَذُلَّ الحَياةِ وكُرْهَ المَمَاتِ ... وكُلاًّ أَرَى لكَ شَرّاً وَبِيلاَ

ويروى:

* وكُلاًّ أراه طَعاماً وبِيلا *

فإنْ لم يَكُنْ غَيْرُ إحداهما ... فَسَيْراً إلى الموتِ سَيْراً جَمِيلاَ

ثم قاتل حتى قُتل. قال: فإذا هو ابنُ مَسْلَمَة بن عبد الملك بن مَرْوان.

[السفّاح يأمر بقتل بني أمية ويعفو عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز]

أخبرني عمّي قال: حَدّثني محمد بن سَعْد الكُرانيّ قال: حَدّثني النَّضْر بن عمرو عن المُعَيطيّ، وأخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال: قال أبو السائب سلْمُ بن جُنَادَة السُّوَائيّ: سَمِعْتُ أبا نُعيم الفضلَ بن دُكَيْن يقول: دخل سُدَيْفٌ ـ وهو مَوْلًى لآلِ أبي لَهَبٍ ـ على أبي العبّاس بالحيرة ـ هكذا قال وكِيع ـ وقال الكُرَانِيّ في خبره واللفظ له: كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونَه على الكَرَاسيّ، وبنو أُمَيّة على الوسائد قد ثُنِيَتْ لهم، وكانوا في أيّام دَوْلَتِهم يجلسون هم والخلفاءُ منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكَرَاسيّ، فدخل الحاجبُ فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجلٌ حِجازيّ أسود راكبٌ على نَجِيبٍ مُتَلَثِّمٌ يستأذنُ

---

(١) المستنتل: المتقدّم على أصحابه والخارج عن الصفوف.

ولا يُخبِرُ باسمه ويحلِفُ ألاّ يَحْسِرَ اللِّثامَ عن وجهه حتّى يراك، قال: هذا مولاي سُدَيْف، يدخل، فدخل. فلمّا نظر إلى أبي العبّاس وبنو أُمَيّة حولَه، حَدَر اللِّثامَ عن وجهه وأنشأ يقول: [الخفيف]

أَصْبَحَ المُلْكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليلِ مِنْ بَنِي العبّاسِ[1]
بالصُّدورِ المُقَدَّمِينَ قَدِيماً ... والرُّؤوسِ القَماقِمِ الرُّؤّاسِ[2]
يا أميرَ المُطَهَّرِينَ مِنَ الذَّ ... مِّ ويا رَأْسَ مُنْتَهَى كُلِّ رَاسِ
أنتَ مَهْدِيُّ هاشِمٍ وهُداها ... كم أُناسٍ رَجَوْكَ بعد إياسِ
لا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثاراً ... واقْطَعَنْ كُلَّ رَقْلَةٍ وغِراسِ[3]
أَنْزِلُوها بحيثُ أَنْزَلَها اللـ ... ـهُ بِدارِ الهَوَانِ والإتعاسِ
خَوْفُهُمْ أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْهُمْ ... وبِهِمْ مِنْكُمُ كَحَزِّ المَوَاسِي
أَقْصِهِمْ أَيُّها الخليفةُ واحْسِمْ ... عنكَ بالسَّيفِ شَأْفَةَ الأَرْجَاسِ[4]
واذْكُرَنْ مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ ... وقَتِيلٍ بجانبِ المِهْراسِ[5]
والإمامِ الّذي بِحَرّانَ أَمْسَى ... رَهْنَ قَبْرٍ في غُرْبَةٍ وتَناسِي[6]
فلقد ساءَني وساءَ سَوَائي ... قُرْبُهُمْ مِنْ نَمارِقٍ وكَرَاسِي
نِعْمَ كَلْبُ الهِرَاشِ مولاكَ لولا ... أَوَدٌ مِنْ حَبائِلِ الإفلاسِ[7]

فتغيّر لونُ أبي العبّاس وأخذه زَمَعٌ[8] ورِعْدة، فالتفتَ بعضُ وَلَد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم، وكان إلى جَنْبه فقال: قَتَلنا والله العبدُ. ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال: يا بَنِي الفَوَاعل، أرَى قَتْلاكم من أهلي قَد سَلَفُوا وأنتم أحياءٌ تتلذّذون في الدّنيا، خُذُوهُمْ، فأخذتهم الخُرَاسانيّة بالكافر كوبات[9]، فأُهْمِدُوا، إلاّ

(١) البهاليل: جمع البهلول: السيّد العزيز الجامع لكل خير.
(٢) القماقم: جمع القمقام: السيد الواسع الخير الجامع للسيادة. والرّؤّاس: الولاة والحكّام.
(٣) لا تقيلنَّ عثرةً: لا تصفحنّ عن زَلَّتهم. والرقلة: النخلة الطويل.
(٤) احسم: اقطع. والشأفة: الأصل. والأرجاس: الأنجاس.
(٥) المِهراس: ماء بجبل أحد. (معجم البلدان ٥: ٢٣٢).
(٦) الإمام الذي بحرّان: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية وقد قتله مروان بن محمد صبراً. وحرّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مُضَر وسمّيت بهاران أخي إبراهيم ﷺ لأنه أول من بناها. (معجم البلدان ٢: ٢٣٥).
(٧) الأَوَد: التعب والكَدّ والجهد.
(٨) الزَّمع: الرعدة تأخذ بالإنسان إذا هَمَّ بأمر.
(٩) الكافركوبات: اسم أعجمي لآلات يُضرَبُ بها.

ما كان من عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز فإنّه استجارَ بِدَاوُدَ بن عليّ وقال له: إنّ أبي لم يكن كآبائِهم وقد عَلِمْتَ صنيعتَه إليكم؛ فأجارَه واستوهبه من السفّاح، وقال له: قد عَلِمْتَ يا أمير المؤمنين صنيعَ أبيه إلينا، فوَهَبه له وقال له: لا تُرِيني وجهَه، وليكن بحيث تأمَنُه، وكتب إلى عُمّاله في النواحي بقَتْل بني أُمَيّة.

[ما قِيلَ في سبب قتل السفّاح لبني أميّة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثني أحمد بن سعيد الدِّمَشْقيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بكار عن عمِّه: أنّ سبَبَ قَتْل بني أُميّة أنّ السفاح أُنْشِدَ قصيدةً مُدِحَ بها؛ فأقبلَ على بعضهم فقال: أين هذا مما مُدِحْتُمْ به! فقال: هيهاتَ! لا يقولُ واللَّهِ أحدٌ فيكم مثل قول ابن قَيْس الرُّقَيّات فينا: [المنسرح]

ما نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إلاّ ... أنّهم يَحْلُمُون إنْ غَضِبوا
وأنّهُمْ مَعْدِنُ المُلوكِ ولا ... تَصْلُحُ إلاّ عليهمُ العَرَبُ

فقال له: يا مَاصَّ كذا من أُمِّهِ، أَوَ إنَّ الخِلافة لَفِي نَفْسِكَ بَعْدُ! خُذُوهم! فأُخِذُوا فقُتِلوا.

أخبرني عمِّي عن الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطيّ: أنّ أبا العباس دعا بالغَدَاءِ حين قُتِلوا، وأمرَ بِبِسَاطٍ فبُسِطَ عليهم، وجلَس فوقَه يأكل وهم يضطربون تحته، فلمّا فرغ من الأكل قال: ما أَعْلَمُنِي أكلْتُ أكلةً قَطُّ أهْنأ ولا أطْيَب لنفسي منها، فلمّا فرَغ قال: جُرُّوا بِأرْجُلِهم؛ فَأُلْقُوا في الطريق يَلْعَنُهم النَّاسُ أمواتاً كما لعنوهم أحياء. قال: فرأيتُ الكِلابَ تجرُّ بأرْجُلِهِم وعليهم سَرَاويلاتُ الوَشْي حتى أنْتَنُوا؛ ثم حُفِرَتْ لهم بئرٌ فأُلْقُوا فيها.

أخبرني عُمَر بن عبد الله بن جَميل العَتَكِيّ قال: حَدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني محمد بن مَعْنٍ الغِفَاريّ عن أبيه قال: لمّا أقبل دَاوُد بن عليّ من مكة أقبل معه بنو حسن جميعاً وحسينُ بن عليٍّ بن حسين وعليُّ بن عمر بن عليِّ بن حسين وجعفرُ بن محمد والأرْقَطُ محمد بن عبد اللّه وحسينُ بن زَيْد ومُحمدُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبدُ الله بن عَنْبسة بن سعيد بن العاصي وعُرْوةُ وسعيدُ ابنا خالد ابن سعيد بن عمرو بن عثمان، فعُمِلَ لداوُدَ مجلسٌ بالرُّوَيْثة[1]، فجلَس عليه هو

---

(١) الرّويثة: على ليلة من المدينة، وقيل هي ماء لبني عِجل بين طريق الكوفة والبصرة إلى مكة. (معجم البلدان ٣:١٠٥).

والهاشميّون، وجلَس الأُمَويُّونَ تحتهم، فأنشده إبراهيم بن هَرْمة قصيدةً يقول فيها:

[البسيط]

فلا عَفَا اللّهُ عن مَرْوانَ مَظْلِمةً ولا أُمَيَّةَ بِئْسَ المَجْلِسُ النّادِي
كانوا كَعَادٍ فَأَمْسَى اللّهُ أَهْلَكَهُمْ بِمِثْلِ ما أهلكَ الغاوِينَ مِنْ عادِ
فلن يُكَذِّبَنِي مِنْ هَاشِمٍ أَحَدٌ فيما أقولُ ولو أكْثَرْتُ تَعْدَادي

قال: فنَبَذَ داودُ نحوَ ابن عَنْبَسَة ضَحْكَةً كالكِشْرة. فلمّا قام قال عبد الله بن حسن لأخيه حسن: أمَا رأيتَ ضحْكَتَهُ إلى ابن عَنْبَسَة! الحمدُ لله الذي صرَفَها عن أخي (يعني العثمانيّ). قال: فما هو إلاّ أن قَدِمَ المدينةَ حتّى قُتِلَ ابنُ عَنْبَسَة.

قال محمد بن مَعْن: حَدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: استحلفَ أخي عبدُ اللّه بن حسنٍ دَاوُدَ بن عليّ، وقد حَجَّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بطلاقِ امرأتِهِ مُلَيْكة بنت دَاوُد بن حسن ألاّ يقتلَ أَخَوَيْهِ محمداً والقاسم ابنَيْ عبد الله. قال: فكنتُ أختلفُ إليه آمناً وهو يقتلُ بني أميّة، وكان يكره أن يراني أهلُ خُراسان، ولا يستطيع إِلَيَّ سبيلاً ليمينه، فاستدناني يوماً فدنوتُ منه، فقال: ما أكثَرَ الغَفْلَةَ وأَقَلَّ الحَزَمَة[1]، فأخبرتُ بها عبدَ اللّه بن حسن؛ فقال: يابنَ أُمّ، تَغَيَّبْ عن الرجل؛ فتغيّبْتُ عنه حتّى مات.

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا: حَدّثنا الحارث بن أبي أُسَامَة قال: حَدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهَيْثَم بن بِشْر مولَى محمد بن عليّ قال: أَنْشد سُدَيْفٌ أبا العبّاس، وعنده رجالٌ من بني أُمَيَّة، قولَه:

يابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنْتَ ضِيَاءٌ اسْتَبَنَّا بِكَ اليَقِينَ الجَلِيّا

فلمّا بلغ قوله:

جَرِّدِ السَّيْفَ وارْفَعِ العَفْوَ حَتَّى لا تَرَى فوقَ ظَهْرِها أُمَوِيّا
لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى مِنْ رِجالٍ إنَّ تَحْتَ الضُّلوعِ دَاءً دَوِيّا
بَطَنَ البُغْضُ في القديمِ فَأَضْحَى ثَاوِياً في قلوبِهِمْ مَطْوِيّا

وهي طويلة قال: يا سُدَيفُ، خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ، ثم قال: [البسيط]

(١) الحزم: ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة.

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سلفوا فلن تبيدَ وللآباءِ أبناءُ

ثم أمرَ بمن عنده منهم فقُتِلُوا.

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللّه بن عَمّار قال: حَدّثني عليّ بن محمد بن سليمانَ النَّوْفليّ عن أبيه عن عمومته: أنّهم حضروا سليمانَ بن عليّ بالبَصْرة، وقد حضره جماعةٌ من بني أُميّة عليهم الثِّياب المَوْشِيّة المرتفعة، فكأنّي أنظر إلى أحدهم وقد اسودّ شيبٌ في عارضَيْه من الغَالِيَة[1] فأمر بهم فَقُتِلُوا وجُرُّوا بأرجُلِهم؛ فأُلْقُوا على الطريق، وإنَّ عليهم لَسراويلاتِ الوَشْيِ والكِلابُ تجرُّ بأرجلِهم.

[سليمان بن عليّ يعطي الأمان لعمرو بن معاوية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال: أخبرني طَارِقُ بن المُبَارَك عن أبيه قال: جاءني رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتْبة فقال لي: يقول لك عمرو: قد جاءتْ هذه الدولةُ وأنا حديث السّنّ كثيرُ العِيالِ منتشِرُ المال، فما أكون في قبيلة إلاّ شُهِرَ أمري وعُرِفْتُ، وقد اعتزمتُ على أن أَفْدِيَ حُرَمِي بنفسي؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمانَ بن عليّ، فَصِرْ إلَيّ. فوافيتُه فإذا عليه طَيْلَسان مُطْبِقٌ أبيضُ وسَرَاوِيلُ وَشْيٍ مسدول، فقلتُ: يا سبحانَ الله! ما تصنعُ الحداثة بأهلها! أبهذا اللّباسِ تلقَى هؤلاءِ القومَ لِمَا تُريد لقاءهم فيه، فقال: لا واللّهِ، ولكنّه ليس عندي ثوبٌ إلاّ أَشْهَر مما ترى. فأعطيتُه طَيْلساني وأخذتُ طيلسانَه ولَوَيْتُ سراويلَه إلى رُكْبتيه، فدخل ثم خرج مسروراً. فقلت له: حَدِّثْني ما جرى بينك وبين الأمير، قال: دخلتُ عليه ولم نَتَراءَ قطُّ، فقلتُ: أصلحَ اللّهُ الأميرَ! لَفَظَتْني البلادُ إليك، ودَلَّني فضلُكَ عليك؛ فإمّا قتلتني غانماً، وإمّا رَدَدْتني سالِماً. فقال: ومَنْ أنت؟ ما أعرِفُكَ! فانتسبتُ له. فقال: مرحباً بك، أُقْعُدْ فتكَلَّمْ آمِناً غانماً، ثم أقبل عَلَيَّ فقال: ما حاجتك يابن أخي؟ فقلت: إنّ الحُرَمَ اللّواتي أنتَ أقربُ النّاسِ إليهنّ معنا وأولَى الناس بهنّ بعدنا، قد خِفْنَ لِخَوْفِنا، ومَنْ خافَ خِيفَ عليه. فوالله ما أجابني إلاّ بدموعه على خَدَّيْهِ، ثم قال: يابْنَ أخي، يَحْقِنُ اللّهُ دَمَكَ، ويحفظُكَ في حُرَمِكَ، ويُوَفِّرُ عليك مالَكَ، واللّهِ لو أمكنني ذلك في جميع قومِكَ لَفَعَلْتُ، فكُنْ مُتَوارِياً كظاهرٍ، وآمِناً

---

[1] الغالية: نوعٌ من الطِّيب مركّب من مسكٍ وعنبرٍ وعودٍ ودُهْنٍ.

كخائف، ولَتَأْتِني رِقاعُكَ[١]، قال: فكنتُ واللّهِ أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه، قال: فلمّا فرغَ من الحديث رددتُ عليه طيلسانَه، فقال: مَهْلاً، فإنّ ثيابنا إذا فارقَتْنا لن ترجعَ إلينا.

[قول الشعراء في تحريض السفاح على بني أمية]

أخبرني أحمد بن عبد الله قال: حَدّثنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عُمَر ابن شبَّة قال: قال سُدَيفٌ لأبي العبّاس يَحُضُّهُ على بَنِي أُميّة ويذكر مَنْ قتل مروانُ وبنو أُميّةَ من قومه: [الخفيف]

كيف بِالعَفْوِ عَنْهُمْ وقَدِيماً ... قَتَلُوكُمْ وهَتَّكُوا الحُرُماتِ
أينَ زَيْدٌ وأينَ يَحْيَى بنِ زيدٍ ... يا لَها مِنْ مُصِيبةٍ وتِرَاتِ[٢]
والإِمامُ الَّذي أُصِيبَ بِحَرَّا ... نَ إمامُ الهُدَى ورَأْسُ الثِّقاتِ
قَتَلُوا آلَ أَحْمَدٍ لا عَفَا الذَّنْـ ... ـبَ لِمَرْوَانَ غَافِرُ السَّيِّئاتِ

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن يزيد لرجلٍ من شيعة بني العبّاس يُحَرِّضُهُمْ على بني أُميّة: [البسيط]

إِيَّاكُمُ أَنْ تَلِينُوا لاعْتِذَارِهِمُ ... فليسَ ذلكَ إلاّ الخَوْفُ والطَّمَعُ
لو أنَّهُمْ أَمِنُوا أَبْدَوْا عَدَاوَتَهُمْ ... لَكِنَّهُمْ قُمِعُوا بِالذُّلِّ فانْقَمَعُوا
أَلَيْسَ في أَلْفِ شَهْرٍ قد مَضَتْ لَهُمُ ... سَقَوْكُمُ جُرَعاً مِنْ بَعْدِهَا جُرَعُ
حَتَّى إذا ما انْقَضَتْ أيّامُ مُدَّتِهِمْ ... مَتُّوا إِلَيْكُمْ بِالأرحامِ الّتي قَطَعُوا
هَيْهَاتَ لا بُدَّ أَنْ يُسْقَوْا بِكَأْسِهِمُ ... رَيّاً وأَنْ يَحْصُدُوا الزَّرْعَ الّذي زَرَعُوا
إنّا وإخوانَنا الأَنْصَارَ شِيعَتُكُمْ ... إذا تَفَرَّقَتِ الأَهواءُ والشِّيَعُ
إِيَّاكُمُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُمُ ... قد مُلِّكُوا ثم ما ضَرُّوا ولا نَفَعُوا

وذكر ابن المعتزّ أنّ جعفر بن إبراهيم حَدَّثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخَصيب في قصّة سُدَيْف بمثل ما ذكره الكُرانيّ عن النضر بن عمرو عن المعيطيّ، إلاّ أنّه قال فيها: فلمّا أنشده ذلك التفتَ إليه أبو الغَمْر سليمانُ بن هشام فقال: يا

---

(١) الرقاع: قطع من الورق أو الجلد يُكتَب عليها، ويريد أرسل لي الرسائل.

(٢) التِّرَات: جمع التِّرَة: الثأر.

ماصَّ بَظْر أُمّه! أَتَجْبَهُنا بهذا ونحن سَرَواتُ[١] النَّاس! فغَضِبَ أبو العبّاس، وكان سليمان بن هشام صديقَه قديماً وحديثاً يقضي حوائجَه في أيّامهم ويَبُرُّهُ، فلم يلتفتْ إلى ذلك، وصاح بِالخُراسانيّة: خُذُوهم! فقُتِلوا جميعاً إلا سليمانَ بن هشام، فأقبل عليه السفّاح فقال: يا أبا الغَمْر، ما أرى لكَ في الحياة بعد هؤلاء خيراً. قال: لا والله، فقال: اقتُلوه، وكان إلى جَنْبِهِ، فقُتِلَ؛ وصُلِبوا في بُسْتانِه، حتى تَأَذَّى جلساؤه بِروائحهم، فكلّموه في ذلك، فقال: والله لَهَذا أَلَذُّ عِندي من شَمِّ المِسْكِ والعَنْبَرِ، غَيْظاً عليهم وحَنَقاً.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أَصْـبَـحَ الـدِّيـنُ ثَـابِـتَ الآسَـاسِ ... بِـالـبَـهَـالِـيـلِ مـن بَـنِـي الـعـبَّـاسِ
بِـالـصُّـدُورِ الـمُـقَـدَّمِـيـنَ قَـدِيـمـاً ... والـرُّؤُوسِ الـقَـمَـاقِـمِ الـرُّؤَّاسِ

عروضه من الخفيف، الشعر لسُدَيْف، والغناء لِعطرَّد رَمَلٌ بالبنصر عن حَبَشٍ، قال: وفيه لِحَكَمٍ الوادي ثاني ثقيلٌ، وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول.

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد في قَتْلى بني أُميّة وغَنَّى فيه:

صوت

بَـكَـيْـتُ ومَـاذَا يَـرُدُّ الـبُـكَـاءُ ... وقَـلَّ الـبُـكَـاءُ لِـقَـتْـلَـى كُـدَاءْ[٢]
أُصِـيـبُـوا مَـعـاً فَـتَـوَلَّـوْا مـعـاً ... كـذلـك كـانـوا مـعـاً فـي رَخَـاءْ
بَـكَـتْ لَـهُـمُ الأَرْضُ مِـنْ بَـعْـدِهِـمْ ... ونَـاحَـتْ عَـلـيـهِـمْ نُـجُـومُ الـسَّـمَـاءْ
وكـانـوا الـضِّـيَـاءَ فَـلَـمَّـا انْـقَـضَـى الـ ... ـزَّمَـانُ بِـقَـومـي تَـوَلَّـى الـضِّـيَـاءْ

عروضه من المتقارب، الشعر والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما.

ومما قاله فيهم وغَنَّى فيه على أنّه قد نُسِبَ إلى غيره:

---

(١) سروات الناس: سادتهم وأشرافهم.

(٢) كداء: جبل بأعلى مكة عند المحصَّب. (معجم البلدان ٤: ٤٤١).

صوت

أَثَّرَ الدَّهْرُ في رِجالي فَقَلُّوا   بَعْدَ جَمْعٍ فَرَاحَ عَظْمِي مَهِيضَا
ما تَذَكَّرْتُهُمْ فَتَمْلِكُ عَيْنِي   فَيْضَ غَرْبٍ وحُقَّ لِي أَنْ تَفِيضَا[1]

الشعر والغناء لأبي سَعيد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ. وروى الشِّيعيُّ عن عمر بن شبَّة عن إسحاق أنّ الشعر لِسُدَيف والغناءَ للغَرِيض، ولعلّه وَهَمَ. ومنها:

صوت

[الطويل]

أُولئِكَ قَوْمِي بَعْدَ عِزٍّ ومَنْعَةٍ   تَفَانَوْا فَإلاَّ تَذْرِفِ العَيْنُ أَكْمَدِ
كَأنَّهُمُ لا نَاسَ لِلمَوْتِ غَيْرُهُمْ   وإنْ كانَ فِيهِمْ مُنْصِفاً غَيْرَ مُعْتَدِي

الشعر والغناء لأبي سعيد، وفيه لحنٌ لِمُتَيَّم.

[عَلُّويه يغنّي ويندب بني أمية والمأمون يغضب ثم يسترضيه]

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع قال: حَدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني عمِّي طَيّاب بن إبراهيم قال: رَكِبَ المأمون بدِمَشْقَ يتصيَّدُ حتَّى بلغ جبل الثَّلْجِ، فوقف في بعض الطريق على بِرْكَةٍ عظيمة في جوانبها أَرْبَعُ سَرَواتٍ[2] لم يُرَ أحسَنُ منها ولا أَعْظم، فنزل المأمونُ وجعل ينظر إلى آثار بني أُمَيَّةَ ويَعْجَبُ منها ويذكُرهم، ثم دعا بِطَبَقٍ عليه بَزْمَاوَرْد[3] ورِطْل نبيذ؛ فقام عَلُّويه فغنَّى: [الطويل]

أولئك قَوْمي بعد عِزٍّ ومَنْعَةٍ   تَفَانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

قال: فغَضِبَ المأمونُ وأَمَر برفع الطَّبق، وقال: يابنَ الزّانية! ألم يكن لك وقتٌ تبكي فيه على قومك إلاّ هذا الوقتَ! قال: نعم أبكي عليهم! مولاكم زِرْيَاب يركَبُ معهم في مائة غُلام، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً! فقام المأمون فركِبَ وانصرفَ الناسُ، وغَضِبَ على عَلُّويه عشرين يوماً؛ فكلَّمه فيه عبّاس أخو بَحْرٍ؛ فَرضِيَ عنه، ووَصَله بعشرين ألفَ درهم.

---

(١) الغَرْب: انهمال الدمع من العين، ويقال: بعينه غَرْبٌ: إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها.
(٢) السروات: جمع السروة: شجرة حسنة الشكل قويمة الساق.
(٣) بزماورد: كلمة فارسية وهي نوع من الرقاق الملفوف باللحم.

صوت

من المائة المختارة

مَـهَـاةٌ لَـوَ أنَّ الـذَّرَّ تَـمْـشِـي ضِـعَـافُـهُ　　عـلـى مَـتْـنِـهـا بَـضَّـتْ مَـدَارِجُـه دَمَـا
فَـقُـلْـنَ لـهـا قُـومِـي فَـدَيْـنَـاكِ فَـارْكَـبِي　　فَـأَوْمَـتْ بِـلاَ لاَ غـيـرَ أنْ تَـتَـكَـلَّـمَـا

عَروضه من الطويل. بَضَّتْ: سَالتْ. يقول: لو مَشَى الذَّرُّ على جِلْدها لَجَرى منه الدّم من رِقّته. وروى الأصمعيُّ:

مُـنَـعَّـمَـةٌ لـو يُـصْـبِـحُ الـذَّرُّ سـاريـاً　　عـلـى مَـتْـنِـهـا بَـضَّـتْ مَـدَارِجُـه دَمَـا

الشّعر لِحُمَيْد بن ثَوْرٍ الهِلاَليّ، والغناء في اللّحن المختار لِفُلَيْح بن أبي العَوْراء، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى، وذكر عمرو بن بانةَ أنّ لحن فُلَيْح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى، وأنّ الثقيل الأوّل للهُذَليّ.

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة:

صوت

[الطويل]

إذا شِـئْـتُ غَـنَّـتْـنِـي بِـأَجْـزَاعِ بِـيشَـةٍ　　أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو مِنْ يَلَمْلَمَا[1]
مُـطَـوَّقـةٌ طَـوْقـاً ولَـيـسَ بِـحِـلْـيَـةٍ　　ولا ضَـرْبِ صَـوّاغٍ بِـكَـفَّـيْـهِ دِرْهَـمـا
تُـبَـكِّـي عـلـى فَـرْخٍ لـهـا ثُـمَّ تَـغْـتَـدِي　　مُـوَلَّـهَـةً تَـبْـغِـي لَـه الـدَّهْـرَ مَـطْـعَـمَـا
تُـؤَمِّـلُ مـنـه مُـؤْنِـسـاً لانْـفِـرَادِهـا　　وتَـبْـكِـي عـلـيـه إنْ زَقَـا أَوْ تَـرَنَّـمـا[2]

غَنَّاه محمد الرَّفّ خفيفَ رملٍ بالوسطى.

---

(١) الأجزاع: الرملة الطيبة المنبت. وبيشة: اسم قرية في بلاد اليمن. (معجم البلدان ١: ٥٢٩). والتثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. (معجم البلدان ٢: ١٥). ويلملم: موضع على ليلتين من مكة وفيه مسجد معاذ بن جبل. (معجم البلدان ٥: ٤٤١).

(٢) زقا: صاح.

ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره

[توفي نحو ٣٠ هـ/ـ نحو ٦٥٠ م]

[نسبه]

هو حُمَيْد بن ثَوْر بن عبد اللّه بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهِيك بن هِلاَل بن عامِر بن صَعْصَعَةَ بن مُعَاوية بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَاز. وهو من شعراء الإِسلام، وقَرَنَه ابن سَلاَّم بِنَهْشَل ابن حَرِّيّ وأَوْسِ بن مَغْرَاء. وقد أدرك حُمَيْد بن ثَوْر عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه، وقال الشعر في أيّامه، وقد أدرك الجاهليّة أيضاً.

[يخرج على نهي عمر ويشبب بالنساء]

أخبرنا وَكِيعٌ قال: حَدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد وعبد الله بن شَبِيب قالا: حَدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامِيّ قال: حَدّثني محمد بن فَضَالَةَ النحويّ قال: تقدَّمَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء أَلاَّ يُشَبِّبَ أحدٌ بامرأة إلاّ جَلَدَهُ، فقال حُمَيد بن ثور: [الطويل]

أَبَـى اللّـهُ إلاَّ أَنَّ سَـرْحَـةَ مَـالِـكٍ ... عَـلَـى كُـلِّ أَفْـنَـانِ الـعِـضَـاهِ تَـرُوقُ[1]

فـقـد ذَهَـبَـتْ عَـرْضـاً ومـا فـوقَ طُـولِـهـا ... مِـنَ الـسَّـرْحِ إلاَّ عَـشَّـةٌ وسَـحُـوقُ

ـ العَشَّة: القليلة الأغصان والورق، والسَّحوق: الطويلة المفرطة ـ.

(١) السَّرْحة: الشجرة الطويلة، وكنى بها عن المرأة. والعرب تكني عن المرأة بالسرحة النابتة على الماء لأنها حينئذٍ أحسن ما تكون. والعِضاه: اسمٌ يُطْلَقُ على ما عَظُمَ من شجر الشوك وطال واشتدّ شوكُه والواحدة: عِضاهة وعِضَهَة.

فلا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تستَطِيعُهُ ... ولا الفَيْءَ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوق
فَهَلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحةٍ ... مِنَ السَّرْحِ موجودٌ عَلَيَّ طريقُ

وهي قصيدة طويلة أوّلها:

نَأَتْ أُمُّ عَمْرٍ فَالفُؤَادُ مَشُوقُ ... يَحِنُّ إليها وَالِهاً ويَتُوقُ

صوت

وفيها مما يُغَنَّى فيه:

سَقَى السَّرْحَةَ المِحْلاَلَ والأَبْرَقَ الّذي ... به السَّرْحُ غَيْثٌ دَائِمٌ وبُروقُ[1]
وهلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحةٍ ... مِنَ السَّرْح موجودٌ عَلَيَّ طريقُ

غنّاه إسحاق، ولحنهُ ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

أخبرنا الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير عن عَمِّه قال: وَفَدَ حُمَيْد بن ثَوْر على بعض خُلَفاء بني أُمَيَّة؛ فقال له: ما جاء بك؟ فقال:

أَتَاكَ بِيَ اللَّهُ الَّذي فوقَ مَنْ تَرَى ... وخَيْرٌ ومَعْرُوفٌ عَلَيْكَ دَلِيلُ
ومَطْوِيَّةُ الأَقْرَابِ أَمَّا نهارُها ... فَنَصٌّ وأمّا لَيْلُها فَذَمِيلُ[2]
ويَطْوِي عَلَيَّ اللَّيْلُ حِضْنَيْهِ إنّني ... لِذاكَ إذا هابَ الرِّجالُ فَعُولُ

فوصله وصرفه شاكراً.

---

(١) المِحلال: التي يكثر الناس الحلول بها. والأبرق: أرض غليظة واسعة مختلطة بحجارة ورمل وهنا يريد موضعاً بعينه.

(٢) مطويّة الأقراب: ضامرة الخصر، والأقراب: جمع القُرْب: الخاصرة. والنّصّ: السير السريع. والذَّميل: السير اللَّيِّن.

أخبار فُلَيح بن أبي العَوْراء

[فُليح مولًى لبني مخزوم]

فُلَيْحٌ رجل من أهل مكة، مولًى لبني مخزوم، ولم يقع إلينا اسمُ أبيه. وهو أحد مُغَنّي الدولة العبّاسيّة، له محلٌّ كبير من صناعته، وموضعٌ جليل. وكان إسحاق إذا عَدَّ مَنْ سَمِعَ من المُحْسنين ذكَرَهُ فيهم وبدأ به، وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائةَ الصّوتِ للرشيد.

[إسحاق يُعْجَبُ بغنائه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظةُ قال: حَدّثني ابن المَكّيّ عن أبيه عن إسحاق قال: ما سَمِعْتُ أحسنَ غناءً من فُلَيْح بن أبي العَوْراء وابنِ جامع: فقلتُ له: فأبو إسحاق؟ (يعني أباه)؛ فقال: كان هذان لا يُحْسِنان غيرَ الغناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلَهما، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرّواية لا يُدَاخِلانه فيها.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا يزيد بن محمد المُهَلَّبيّ قال: قال لي إسحاق: أَحْسَنُ مَنْ سَمِعْتُ غناءً عَطَرَّد وفُلَيْح.

وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيّامه، وهو أحدُ منْ كانَ يَحكي الأوائلَ فيُصِيب ويُحْسِن.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدّثني محمد بن محمد العَنْبَسِيّ قال: حَدّثني محمد بن الوَليد الزُّبَيريّ قال: سَمِعْتُ كَثِيرَ بن المُحَوَّل يقول: كان مُغَنِّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيْح بن أبي العَوْراء، والآخر سُلَيمان بن سُلَيم؛ فخرج إليهما رسولُ الرشيد يقول لفُلَيح غِناؤك من حَلْق أبي صَدَقَة أحسنُ منه من حَلْقِكَ، فعَلِّمْه إيّاه ـ قال: وكان يغنّي صوتاً يُجيده، وهو:

* خيرُ ما نَشْرَبُها بالبُكَرْ *

ـ قال: فقال فُلَيح للرسول: قُلْ له: حَسْبُك. قال: فسمعنا ضَحِكَه من وراء السِّتارة.

[فليحٌ الوحيد الذي رُفعَت السِّتارة بينه وبين المهدي حينَ يغنّي]

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال: حَدّثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال: حَدّثنا الفَضْلُ بن الربيع: أنّ المهديّ كان يسمَعُ المُغَنِّين جميعاً، ويحضُرون مجلسَه، فيُغَنُّونه من وراء السِّتارة لا يرون له وجهاً إلاّ فُلَيْحَ بن أبي العَوْراء؛ فإنّ عبد اللّه بن مُصْعَب الزُّبَيريّ كان يُرَوِّيهِ شِعْرَه ويُغَنِّي فيه في مدائحه للمهديّ؛ فدسَّ في أضعافها بيتين يسألُه فيهما أن ينادمه، وسأل فليحاً أن يغنّيهما في أضعاف أغانيه، وهما:

صوت [الخفيف]

يا أَمِينَ الإلٰهِ في الشَّرْقِ والغَرْ ... بِ على الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرَّسُولِ
مَجْلِساً بالعَشِيِّ عِنْدَكَ في المَيْـ ... ـدَانِ أَبْغِي والإِذْنَ لي في الوُصُولِ

فغنَّاه فُلَيْح إيّاهما، فقال المهديّ: يا فضلُ، أَجِبْ عبدَ اللّه إلى ما سأل، وأَحْضِرْه مجلسي إذا حَضَره أهلي ومَوَالِيّ وجلسْتُ لهم، وزِدْهُ على ذلك أن ترفَعَ بيني وبين راويتِهِ فُلَيح السِّتارة؛ فكان فُلَيح أوّلَ مُغَنٍّ عاين وجهَه في مجلسهم.

أخبرني رِضْوان قال: حَدّثني يوسف بن إبراهيم قال: حَدّثني بعد قُدومِي فُسْطَاطَ مِصْرَ زيادُ بن أبي الخَطّاب كاتبُ مَسْرُورٍ خادمِ الرشيد، قال: سَمِعْتُ محبوبَ بن الهَفْتيّ يحدّث أبي، قال: دعاني محمد بن سليمان بن عليّ قال لي: قد قَدِمَ فُلَيْحٌ من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغْبَان[1]، فصِرْ إليه، فأَعْلِمْهُ أنّه إن جاءني قبلَ أن يدخلَ إلى الرشيد، خلعتُ عليه خِلْعةً سَرِيّةً من ثيابي ووهبتُ له خمسةَ آلاف درهم. فمضيتُ إليه فخبَّرْتُهُ بذلك؛ فأجابني إليه إجابةَ مسرورٍ به نشيطٍ له. وخرج معي، فعَدَلَ إلى حَمَّامٍ كان بِقُرْبِهِ، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين وسأله أن

(١) مسجد ابن رغبان: كان ببغداد وكان مشهوراً باجتماع أهل العلم والفضل فيه. (معجم البلدان ٣:٥٤).

يجيئه بشيء يأكله ونبيذٍ يشربه؛ فجاءه برأسٍ كأنه رأسُ عِجْلٍ ونبيذٍ دُوشابيّ[١] غليظ مسحوريّ[٢] رديء، فقلت له: لا تفعلْ، وجَهَدْتُ به ألاّ يأكلَ ولا يشربَ إلاّ عند محمد بن سليمان؛ فلم يلتفتْ إليّ، وأكل ذلك الرَّأسَ وشربَ من ذلك النبيذِ الغليظ حتّى طابت نفسه، وغنّى وغنّى القَيِّم معه مَلِيًّا؛ ثم خاطب القيِّم بما أغضبه، وتَلاَحَيَا[٣] وتَوَاثَبا؛ فأخذ القيِّمُ شيئاً فضربه به على رأسه فشَجَّهُ حتّى جرى دَمُهُ. فلمّا رأى الدَّمَ على وجهه اضطربَ وجَزِعَ وقام يغسِلُ جُرْحَهُ، ودعا بصوفة مُحْرَقَةٍ وزيت، وعَصبَهُ وتَعَمَّمَ وقام معي. فلمّا دخلنا دارَ محمد بن سليمان، ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعامُ فرأى سَرْوَه[٤] وطِيبَه، وحضر النّبيذُ وآلته، ومُدَّتِ الستائرُ وغَنَّى الجواري، أقبل عَلَيَّ وقال: يا مجنون! سألتكَ بالله أيّما أَحَقُّ بالعَرْبدة وأَوْلَى: مَجْلِسُ القَيِّم أم مجلِسُ الأمير؟ فقلت: وكأنه لا بُدَّ من عربدة! قال: لا والله ما لي منها بُدٌّ، فأخرجتُها من رأسي هناك. فقلت: أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجودُ. فسألني محمد عما كنّا فيه فأخبرته؛ فَضَحِكَ ضحكاً كثيراً، وقال: هذا الحديث والله أظرفُ وأطيب من كلِّ غِناء؛ وخلَعَ عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

[فليح وحكم الوادي يتّفقان على ابن جامع ليسقطاه عند يحيى بن خالد]

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال: حَدّثني أبو إسحاق القِرْمِطِيّ قال: حَدّثنا مُدرِكةُ بن يَزيد قال: قال فُلَيح بن أبي العوراء: بعث يحيى بن خالد إليّ وإلى حَكَم الواديّ وإلى ابن جامع، فأتيناه. فقلت لحكم: إنْ قَعَدَ ابنُ جامع معنا فَعاوِنِّي عليه لنكسره. فلمّا صرْنا إلى الغِناء غَنَّى حَكَمٌ؛ فَصِحْتُ وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غَنّيت، ففعل لي حَكَمٌ مثلَ ذلك. وغَنّى ابنُ جامِع فما كنّا معه في شيء. فلمّا كان العَشِيُّ أرسل إلى جاريته دنانير: إنّ أصحابك عندنا، فهل لك أن تَخْرُجي إلينا؟ فخرجَتْ وخرج معها وصائف؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يَظُنّ أنّا لا نسمَع: ليس في القوم أَنْزَهُ نفساً من فُلَيح. ثم أشار إلى غلام له:

---

(١) الدوشابيّ: نسبة إلى الدوشاب، وهو نبيذ التمر.
(٢) مسحوريّ: فاسد.
(٣) تلاحيا: تخاصما.
(٤) سرو الطعام: جودته وكثرته.

أنِ ائْتِ كلَّ إنسان بألفي درهم، فجاء بها؛ فدفع إلى ابن جامع أَلْفَيْ درهم فأخذها فطرحها في كُمِّه، وفعل بحكم الوادِيّ مثلَ ذلك فطرحها في كُمِّه، ودفع إليّ ألفين. فقلت لدنانِير: قد بلغ منّي النّبيذُ، فاحْبِسيها لي عندكِ حتى تَبْعَثي بها إلَيَّ؛ فأخذتِ الدراهم منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد، وقد زادت عليها؛ وأرسلت إليّ: قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تُفَرِّقَهُ على أَخَواتي (تعني جَوَارِيّ).

قال هارون بن محمد وحَدّثني حمّاد قال: حَدّثني أبي قال: كنّا عند الفضل بن الربيع، فقال: هَل لك في فُلَيح بن أبي العوراء؟ قلت: نعم. فأرسل إليه، فجاء الرسولُ فقال: هو عليلٌ؛ فعاد إليه فقال الرسول: لا بدّ من أن تجيءَ؛ فجاء به محمولاً في مِحَفَّةٍ[1]؛ فحدّثنا ساعةً ثم غَنّى، فكان فيما غَنَّى: [السريع]

تقولُ عِرْسِي إذْ نَبَا المَضْجَعُ ... ما بَالُكَ اللّيلَةَ لا تَهْجَعُ

فاستحسنّاه منه واستعَدْناه منه مراراً؛ ثم انصرفَ ومات في عِلَّتِهِ تلك؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس.

[غناؤه جعل الفتاة تبعث لعاشقها بمهرها ليخطبها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حَدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ قال: حَدّثني أبي عن فُلَيح بن أبي العوراء قال: كان بالمدينة فَتًى يعشَقُ ابنةَ عَمٍّ له، فوعدَتْه أن تزوره، وشكا إليّ أنّها تأتيه ولا شيءَ عنده، فأعطيته ديناراً للنفقة. فلمّا زارته قالت له: مَنْ يُلَهِّينا؟ قال: صديق لي، ووصفني لها، ودعاني فأتيته؛ فكان أوّل ما غَنَّيته:

مِنَ الخَفِرَاتِ لم تَفْضَحْ أَخَاها ... ولم تَرْفَعْ لِوالِدها شَنَارَا[2]

فقامت إلى ثوبها فلبِسَتْهُ لتنصرفَ؛ فعَلِقَ بها وجهد بها كلَّ الجَهْدِ في أن تقيمَ، فلم تُقِمْ وانصرفَتْ. فأقبل عَلَيَّ يلومني في أن غَنَّيْتُها ذلك الصوت. فقلت: والله ما هو شيءٌ اعتمدتُ به مَساءَتَك، ولكنه شيء اتّفق. قال: فلم نَبْرَحْ حتى عاد رسولُها بعدها ومعه صُرّة فيها ألفُ دينار ودفَعها إلى الفتى وقال له: تقول لك ابنةُ

(١) المِحَفّة: مركبٌ كالهودج ولكن الهودج يُقَبّب والمِحَفّة لا تقبّب وقال ابن دريد: سُمّيت بذلك لأن الخشب يحفّ بالقاعد فيها أي يحيط به من جميع جوانبه.

(٢) الشنار: العار.

عمّك: هذا مَهْرِي ادْفَعْهُ إلى أبي واخطُبني؛ ففعل فتزوّجها.

نسبة هذا الصوت

صوت

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها ... ولم ترْفَعْ لِوالِدِهَا شَنَارَا

كأنّ مَجامِعَ الأرْدَافِ منها ... نَقاً دَرَجَتْ عليه الرِّيحُ هَارَا(١)

يَعَافُ وِصالَ ذَاتِ البَذْلِ قلبي ... وأتّبِعُ المُمَنَّعَةَ النَّوَارَا(٢)

الشّعر لِسُلَيك بن السُّلَكة السَّعْديّ، والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالسبّابة في مجرى الوسطى، وفيه لابن الهِرْبِذ لحنٌ من رواية بَذْل، أوّله:

* يعاف وِصَالَ ذاتِ البذل قلبي *

وبعده:

غَذَاها قارِصٌ يَغْدُو عليها ... ومَحْضٌ حين تنتظرُ العِشَارَا

[انتشار أغانيه بدمشق]

أخبرني رِضْوان بن أحمد قال: حَدّثنا يوسف بن إبراهيم قال: حَدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال: كتبَ إِلَيَّ جعفر بن يحيى وأنا عاملٌ لِلرشيد على جُنْدِ دِمَشْق: قد قَدِمَ علينا فُلَيح بن أبي العَوْراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سَمِعْنَاه قبلَه، وأنا محتالٌ لك في تخليصه إليك، لتستمتع به كما استمتعنا. فلم أَلبَثْ أنْ ورد عَلَيَّ فُلَيحٌ بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثةِ آلافِ دينار، فوردَ عليّ رجلٌ أذكَرني لقاؤه الناسَ، وأخبرني أنه قد ناهز المائة، فأقام عندي ثلاثَ سنين، فأخذ عنه جَوَارِيَّ كلَّ ما كان معه من الغناء، وانتشرت أغانيه بدِمَشْق. قال يوسف: ثم قَدِمَ علينا شابٌّ من المُغَنِّين مع عليّ بن زيد بن الفَرَج الحَرّانيّ، عند مَقْدَم عَنْبَسَة بن إسحاق فُسْطاطَ مصر، يقال له مُونِق؛ فغنّاني من غناء فُلَيح:

---

(١) النَّقا: الكثيب من الرمل، وهارَ: تهدّم.

(٢) النَّوَار: المرأة التي تنفر من الرِّيبة.

صوت

[السريع]

يـا قُـرَّةَ الـعـيـن أقْـبَـلـي عُـذْرِي ... ضَـاقَ بِـهِـجْـرَانِـكُـمْ صَـدْرِي
لـو هَـلَـكَ الـهَـجْـرُ اسْـتَـرَاحَ الـهَـوَى ... مـا لَـقَـى الـوَصْـلُ مِـنَ الـهَـجْـرِ

ـ ولحنه خفيفُ رمل ـ فلم أرَ بين ما غنّاه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً؛ فسألته من أين أخذه؟ فقال: أخذْتُه بدمشق؛ فعَلِمْتُ أنّه مما أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيح.

صوت

من المائة المختارة

أَفَاطِمَ إنَّ النَّأيَ يُسْلِي ذَوِي الهَوَى ... ونَأْيُكِ عَنِّي زَادَ قَلْبِي بِكُمْ وَجْدَا
أَرَى حَرَجاً ما نِلْتُ مِنْ وُدِّ غَيْرِكُمْ ... ونَافِلَةً ما نِلْتُ مِنْ وُدِّكُمْ رُشْدَا[1]
وما نَلْتَقِي مِنْ بَعْدِ نَأْيٍ وفُرْقَةٍ ... وشَحْطِ نَوًى إلاّ وَجَدْتُ له بَرْدَا
على كَبِدٍ قد كادَ يُبْدِي بها الهَوَى ... نُدُوباً وبَعْضُ القَوْمِ يَحْسَبُنِي جَلْدَا

عروضه من الطويل، النَّأيُ: البُعْدُ، ومثله الشَّحْط. والحَرَجُ: الضِّيقُ؛ قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[2] والنُّدوب: آثار الجِراح، واحدها نَدَبٌ.

الشعر لإبراهيم بن هَرْمَةَ. والغِناء في اللّحن المختار، على ما ذكره إسحاق، ليونس الكاتبِ، وهو من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه مثل ذلك، وذكر حبش بن موسى أنّ الغِناء لمرزوق الصرَّاف أو ليحيى بن واصِل، وفي هذه الأبيات لِلهُذليّ لحنٌ من خفيفِ الثقيلِ الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة، ومن الناس من ينسُب اللحنين جميعاً إليه.

---

(١) النافلة: الغنيمة.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

ذكر ابن هَرمَة وأخباره ونسبه

[٩٠ هـ - ١٧٦ هـ/ ٧٠٩ - ٧٩٢ م]

[نسبه]

هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمَةَ بن هَرْمة بن هُذَيل، هكذا ذكر يعقوب بن السِّكِّيت. وأخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه مُصْعَب، وذكر ذلك العبّاس بن هِشَام الكلبيّ عن أبيه هِشام بنِ محمد بنِ السائب، قالوا جميعاً: هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمَةَ بن عامر بن هَرْمَة بن الهُذَيْل بن رَبيع بن عامِر ابن صُبَيح بن كِنَانةَ بن عَدِيّ بن قَيْس بن الحارث بن فِهْر - وفِهرٌ أصلُ قريش، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدّ من قريش، وقد قيل ذلك في النَّضر بنِ كنانة - وفهر بنُ مالك بن النَّضر بنِ كنانةَ بن خزيمةَ بن مُدْرِكَةَ بن إلياس بن مُضَر. قال مَنْ ذَكَرْنا من النسّابين: قَيْس بن الحارث هو الخُلُجُ، وكانوا في عَدْوانَ ثم انتقلوا إلى بني نَصْر ابن معاوية بن بَكْر بن هَوازِن. فلما اسْتُخْلِفَ عمرُ بن الخَطّاب رضي الله عنه أتَوْه لِيَفْرِضَ لهم، فأنكرَ نَسَبَهم. فلما اسْتُخْلِفَ عثمانُ أتَوْه فأثبتَهم في بني الحارث بن فِهْرٍ وجعل لهم معهم ديواناً. وسُمُّوا الخُلُجَ لأنّهم اختلجوا ممن كانوا معه من عَدْوان ومن بني نصر بن معاوية. وأهل المدينة يقولون: إنّما سُمُّوا الخُلُجَ لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلُجٍ (وواحدُها خليج) فسُمُّوا بذلك. ولهم بالمدينة عدد. قال مُصْعَب: كان لإبراهيمَ بن هَرْمَةَ عَمٌّ يقال له هَرْمة الأعور، فأرادت الخُلُجُ نَفْيَهُ منهم؛ فقال: أَمْسَيْتُ أَلأَمَ العرب دَعِيَّ أدعياء. ثم قال يهجوهم:

رَأَيتُ بَني فِهرٍ سِبَاطاً أَكُفُّهُمْ فما بالُ - أَنْبُوني - أَكُفُّكُمُ قُفْدا[1]

---

(١) سباط: جمع سبط، ويقال رجلٌ سِبْطُ اليدين: إذا كان سخياً سَمْحاً. وأنبوني: أنبئوني. والقَفَدُ: مَيْلٌ في الكفّ، وهو يريد أنهم بخلاء.

ولـم تُـدْرِكُـوا مـا أَدْرَكَ الـقَـوْمُ قـبـلَـكُـمْ مِـنَ الـمَـجْـدِ إلا دَعْـوَةً أُلْـحِـقَـتْ كَـدًّا[١]
علـى ذِي أَيـادِي الـدَّهْـرِ أَفْـلَـحَ جَـدُّهُـمْ وخِبْتُمْ فلم يَضْرَعْ لكم جَدُّكُمْ جَدًّا[٢]

وقال يحيى بن عليّ حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سَلَمَةَ الغِفَاريّ قال: نَفَى بنو الحارث بن فهرٍ ابنَ هَرْمَة، فقال: [الطويل]

أَحَـارِ بْـنَ فِـهْـرٍ كـيـف تَـطَّـرِحُـونَـنِـي وجاءَ العِدَا مِنْ غَيْرِكُمْ تَبْتَغِي نَصْرِي

قال: فصار من وَلَدِ فِهْرٍ في ساعته.

قال يحيى بن عليّ: وحدّثني أحمد بن يحيى الكاتب قال: حَدّثني العبّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه قال: كان ابن هَرْمَةَ يقول: أنا أَلأَمُ العربِ، دَعِيُّ أدعياء: هَرْمَةُ دَعِيٌّ في الخُلُجِ، والخُلُجُ أدعياء في قريش

[قصته في ضيافة الأسلميّ]

حدّثني الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حَدّثني عمر ابن أبي بكر المؤمّلي قال: حَدّثني عبد الله بن أبي عُبَيدة بن محمد بن عَمّار بن ياسِر قال: زُرْتُ عبد اللّه بن حسن ببادِيَتِهِ وزاره ابنُ هَرْمَةَ، فجاءه رجلٌ من أَسْلَمَ؛ فقال ابن هرمة لعبد اللّه بن حسن: أصلحكَ اللّهُ! سَلِ الأَسْلَمِيَّ أنْ يأذَنَ لي أن أُخبِرَكَ خبري وخبره. فقال له عبد الله بن حسن: ائذَنْ له، فَأَذِنَ له الأسلميُّ. فقال له إبراهيم بن هَرْمَة: إنِّي خرجتُ ـ أصلحك الله ـ أبغِي ذَوْداً لي[٣]، فأوحشتُ[٤] وضِفْتُ هذا الأَسْلَمِيَّ، فذَبحَ لي شاةً وخبزَ لي خبزاً وأكرمني، ثم غدوتُ من عنده، فأقمت ما شاء الله، ثم خرجتُ أيضاً في بُغَاءِ ذَوْدٍ لي، فأوحشتُ فضِفْتُه فَقَراني بلبن وتَمْر، ثـم غدوت من عنده فأقمتُ ما شاء الله. ثـم خرجتُ في بُغَاء ذَوْدٍ لي، فأوحشتُ، فقلت: لو ضِفْتُ الأَسْلَمِيَّ! فاللَّبَن والتمر خيرٌ من الطَّوَى[٥]؛ فضِفْتُه فجاءني بلبن حامض. فقال: قد أجبتُه ـ أصلحك الله ـ إلى ما سأل، فسَلْه أنْ يأذَنَ

(١) الدعوة: الادّعاء والزعم. وكَدّاً: بالقوة والشّدّ.
(٢) الجَدّ: الحظّ.
(٣) الذَّود: القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع وقيل: ما بين الثلاث إلى الثلاثين ولا يكون إلا من الإناث.
(٤) أوحشتُ: جعتُ ونفدَ زادي.
(٥) الطّوى: الجوع.

لي أن أُخبركَ لِمَ فَعَلْتُ. فقال له: ائذَنْ له؛ فأذن له، فقال الأَسْلَميُّ: ضافَني، فسألتُه مَنْ هو؟ فقال: رجلٌ من قريش، فذبحتُ له الشَّاةَ التي ذَكَر، ووالله لو كان غيرُها عندي لَذَبَحْتُهُ له حين ذَكَر أنّه من قريش. ثم غَدَا من عندي وغدا عَلَيَّ الحَيُّ فقالوا: مَنْ كان ضَيْفَك البارحةَ؟ قلتُ: رجلٌ من قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو من قريش، ولكنه دَعِيٌّ فيها. ثم ضافني الثانية على أنه دَعِيٌّ في قريش، فجِئْتُه بلبن وتمر وقلت: دَعِيُّ قريش خيرٌ من غيره. ثم غدا من عندي وغدا عَلَيَّ الحَيُّ فقالوا: مَنْ كان ضيفُكَ البارحة؟ قلت: الرجل الذي زعمتم أنّه دَعِيٌّ في قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو بِدَعِيٍّ في قريش، ولكنّه دَعِيُّ أَدْعِيَاءِ قريش. ثم جاءني الثالثة، فقَرَيْتُه لبناً حامضاً، ووالله لو كان عندي شَرٌّ منه لَقَرَيْتُه إيّاه. قال: فانخذلَ ابنُ هَرْمةَ، وضَحِكَ عبد الله وضَحِكْنا معه.

[بعض أخباره]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء قال: حَدّثني الزُّبَير قال: حَدّثني نَوْفَل بن ميمون قال: لَقِي ابنُ مَيَّادة ابنَ هَرْمةَ، فقال ابن ميّادة: واللّهِ لقد كنتُ أُحِبُّ أنْ ألقاكَ، لا بُدَّ من أن نَتَهاجَى، وقد فعل النَّاسُ ذلك قبلنا. فقال ابنُ هرمة: بِئْسَ والله ما دعوتَ إليه وأحببتَه، وهو يظنُّه جادًّا. ثم قال له ابن هَرْمَةَ: أمَا والله إنَّني لَلَّذي أقول:

إنِّي لَمَيْمُونٌ جِوَاراً وإنَّني ... إذا زَجَرَ الطَّيرَ العِدَا لَمَشُومُ
وإنِّي لَمَلآنُ العِنَانِ مُنَاقِلٌ ... إذا مَا وَنَى يوماً أَلَفُّ سَؤُومُ[1]
فَوَدَّ رِجَالٌ أَنْ أُمِّي تَقَنَّعَتْ ... بِشَيْبٍ يُغَشِّي الرَّأسَ وهي عَقِيمُ

فقال ابن ميّادة: وهلْ عندكَ جِرَاءٌ[2]؟ ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ! أنتَ ألأَمُ من ذلك! ما قلتُ إلاّ مازحاً.

أخبرنا به وَكِيع قال: حَدّثنا محمد بن إسماعيل قال: قال عبد العزيز بن عِمْران: اجتمع ابنُ هَرْمَةَ وابنُ مَيّادةَ عند جُمَيْع بن عُمَر بن الوليد، فقال ابن ميّادة لابن هرمة: قد كنتُ أُحِبُّ أن ألقاك، ثم ذكر نحوه.

---

(١) يقال: ملأتُ عِنانَ الفرس: بلغتُ به مجهودَه في الحُضرِ، وامتلأ عِنانُهُ (أساس البلاغة عنن). وَنَى: تعب. والألَفُّ: البطيء السَّير.

(٢) الجِرَاء: الفتوّة.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حَدّثنا عليّ بن محمد بن سليمان النَّوفَليّ قال: حَدّثني أبو سَلَمةَ الغفاريّ عن أبيه قال: وَفَدْتُ على المهديّ في جماعة من أهل المدينة، وكان فيمن وَفَدَ يُوسُفُ بن مَوْهَبٍ وكان في رجال بني هاشم من بني نَوْفَلٍ، وكان معنا ابن هَرْمة؛ فجلسنا يوماً على دُكّان[1] قد هُيِّىءَ لِمَسْجِدٍ ولم يُسَقَّفْ، في عسكر المهديّ؛ وقد كنّا نلقَى الوزراء وكُبَراء السلطان، وكانوا قد عرفونا؛ وإذا حِيالَ الدُّكّانِ رجلٌ بين يديه ناطِفٌ[2] يبيعه في يوم شاتٍ شديدِ البَرْدِ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفُوفاً[3]؛ فأقبل ابن هرمة علينا، فقال ليوسف: يابنَ عمِّ رسول الله ﷺ أمَا معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف؟ فقال له: متى عَهِدتَني أحمِلُ الدَّراهم! قال: فقلت له: لكنِّي أنا معي، فأعطيتُه درهماً خفيفاً، فاشترى به ناطفاً على طَبَق للنّاطِفيّ فجاء بشيء كثير، فأقبل يتمضَّغه وحدَه ويُحَدِّثُنا ويضحَكُ. فمَا رَاعَنا إلاّ مَوْكِبُ أحدِ الوزيرين: أبي عُبَيد اللّه أو يعقوب بنِ دَاوُد. ثم أقبلتِ المُطَرِّقَةُ[4]؛ فقلنا: ما لكَ قاتلكَ الله! يهجُم علينا هذا وأصحابهُ، فيَرَوْنَ الناطفَ بين أيدينا فيظنُّون أنّا كنّا نأكل معك. قال: فواللّهِ ما أحدٌ أوْلَى بالسَّترِ على أصحابهِ وتَقَلُّدِ البليّة منك يابنَ عمّ رسول الله! فضَعْه بين يديك. قال: اعْزُب قَبَّحَكَ اللّهُ قال: فأنتَ يابنَ أبي ذَرّ، فَزَبَرْته. قال: فقال: قد عَلِمْتُ أنّه لا يُبْتَلَى بهذا إلاّ دَعِيُّ أدعياءَ عاضٌّ كذا من أمّه. ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتَلَقَّى به الموكِبَ، فما مَرَّ به أحدٌ له نباهةٌ إلاّ مازَحَهُ، حتى مضى القومُ جميعاً.

[مدح عبد الله بن حسن فأكرمه]

وقال هارون: حَدّثني أبو حُذافة السَّهمِيّ قال: حَدَّثَنا إسحاق بن نِسْطَاس قال: كان ابن هَرْمَة مشتهراً بالنبيذ، فأتى عبد اللّه بن حسنٍ وهو بالسَّيَالة[5]، فأنشده مديحاً له، فقام عبدُ اللّه إلى غنم كانت له، فرمَى بساجةٍ[6] عليها فافترقتْ فِرْقتين، فقال؛ اختَرْ أيَّهما شِئْتَ ـ قال: فإمّا أن تكون زادتْ بواحدةٍ أو نقصتْ بواحدة على

(١) الدّكان: المصطبة.
(٢) الناطف: نوع من الحلوى.
(٣) جفوفاً: يابساً.
(٤) المطرّقة: الذين يسهّلون الطريق للمارة.
(٥) السيّالة: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة. (معجم البلدان ٣:٢٩٢).
(٦) السّاجة: ضرب من الملاحف منسوجة وأيضاً هو خشبٌ يُجْلَبُ من الهند.

الأُخرى. قال: وكانت ثلاثمائة ـ وكتب له إلى المدينة بدنانير. فقال له: يابنَ هرمة، انْقُلْ عِيَالَكَ إلينا يكونوا مع عيالنا. فقال: أفعَلُ يابنَ رسول الله. ثم قَدِمَ ابنُ هَرْمَةَ المدينةَ وجَهَّزَ عيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن؛ واكترى من رجلٍ من مُزَيْنَةَ. فبينَا هو قد شَدَّ متاعَه وحَمله والكَرِيُّ ينتظره أن يتحمَّلَ، إذ أتاه صديق له، فقال: أيْ أبا إسحاق، عندي والله نبيذٌ يُسْقِطُ لحمَ الوجه. فقال: وَيْحَكَ! أمَا ترانا على مثل هذه الحال! أعَليها يمكن الشراب! فقال: إنما هي ثلاثة لا تَزِدْ عليهنّ شيئاً؛ فمضى معه وهم وقوف ينظرون؛ فلم يَزَلْ يشربُ حتى مضى من اللَّيل صدرٌ صالح؛ ثم أُتِيَ به وهو سكران، فطُرِحَ في شِقِّ المَحْمِلِ وعادَلَتْهُ[1] امرأته ومضَوْا. فلمَّا أسْحَرُوا رفعَ رأسَهُ فقال: أين أنا؟ فأقبلَتْ عليه امرأتُهُ تلومُه وتعذُلُه، وقالت: قد أفسد عليك هذا النبيذُ دِينَكَ ودُنياكَ، فلو تَعَلَّلْتَ عنه بهذه الألبان! فرفع رأسَه إليها وقال: [الكامل]

لا نَبْتَغِي لَبَنَ البَعِيرِ وعِنْدَنا ... مَاءُ الزَّبِيبِ ونَاطِفُ المِعْصارِ

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال: حَدّثنا زكريّا بن يحيى بن خَلاَّد قال: كان الأصمعيّ يقول: خُتِمَ الشّعراءُ بابن هَرْمَةَ، والحَكَم الخُضْرِيّ، وابنِ مَيَّادَة، وطُفَيْلٍ الكِنَانيّ، ومَكِينٍ العُذْرِيّ.

[رَهَنَ رداءَه ليشتري النبيذ]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: حَدّثني أبو حُذَافةَ السَّهْمِيّ أحمد بن إسماعيل قال: كان ابنُ هَرْمَةَ مُدْمِناً لِلشراب مُغْرَماً به؛ فأتى أبا عمرو بن أبي راشِد مولى عَدْوان؛ فأكرمه وسقاه أيّاماً ثلاثةً. فدعا ابنُ هَرْمةَ بالنبيذ؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو بن أبي راشد: قد نَفِدَ نبيذُنا. فنزع ابنُ هَرْمَةَ رِدَاءَهُ عن ظَهرِه فقال للغلام: اذْهَبْ به إلى ابن حونك (نبَّاذ كان بالمدينة)، فارْهَنْهُ عنده وأْتِنا بنبيذٍ، ففعل. وجاء ابن أبي راشد، فجعل يشرَبُ معه من ذلك النبيذ. فقال له: أين رِداؤُكَ يا أبا إسحاق؟ فقال: نِصْفٌ في القَدَحِ ونِصْفٌ في بَطْنِكَ.

قال هارون: حَدّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْرِيّ قال: حَدّثني عمِّي عبد العزيز بن إسماعيل قال:

---

(١) عادلته: جلست في الشقّ الثاني من المحمل لتعدله.

مدحَ ابنُ هَرْمة محمدَ بنِ عِمْرَانَ الطَّلْحِيّ، وبعث إليه بالمَديح مع ابن رُبيح، فاحتجبَ عنه؛ فمدح محمدَ بنَ عبد العزيز؛ وكان ابن هَرْمَة مريضاً، فقال قصيدتَه التي يقول فيها: [الكامل]

إنِّـي دَعَـوْتُـكَ إذْ جُـفِـيـتُ وشَـفَّـنِـي ... مَـرَضٌ تَـضَـاعَـفَـنِـي شَـدِيـدُ الـمُـشْـتَكَـى

وحُـبِـسْـتُ عن طَلَبِ الـمَعِيشَةِ وارْتَقَتْ ... دُونـي الـحَـوَائِـجُ فـي وُعُـورِ الْـمُـرْتَـقَـى

فَـأَجِـبْ أَخَـاكَ فـقـد أَنَـافَ بِـصَـوْتِـهِ ... يـا ذا الإِخـاءِ ويـا كـريـمَ الـمُـرْتَـجَـى[1]

ولَـقَـدْ حُـفِـيـتَ صَـبِـيـبَ عُـكَّـةِ بَـيْـتِـنـا ... ذَوْبـاً ومِـزْتَ بِـصَـفْـوِهِ عـنـكَ الـقَـذَى[2]

فَـخُـذِ الـغُـنَـيـمـةَ واغْـتَـنِـمْـنِـي إنَّـنـي ... غُـنْـمٌ لِـمِـثْـلِـكَ والـمَـكـارِمُ تُـشْـتَـرَى

لا تَـرْمِـيَـنَّ بِـحَـاجَـتِـي وقَـضَـائِـهـا ... ضَرْحَ الحِجابِ كما رَمَى بي مَنْ رَمَى[3]

فَرَكِبَ إلى جعفر بن سُليمان نصفَ النَّهار؛ فقال: ما نَزَعكَ[4] يا أبا عبد اللَّه في هذا الوقت؟ قال: حاجةٌ لم أرَ فيها أحداً أكْفَى مِنِّي. قال: وما هي؟ قال: قد مَدَحني ابن هَرْمَةَ بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاقي مائةَ دينار. قال: ومِنْ عِندي مِثْلُها قال: ومن الأمير أيضاً! قال: فجاءتِ المائتا الدينارِ إلى ابن هَرْمَةَ، فما أنفق منها إلاّ ديناراً واحداً حتّى مات، ووَرِثَ الباقي أهْلُه.

[طلب من أبي جعفر أن يجيز له الشراب]

وقال أحمد بن أبي خَيْثمةَ عن أبي الحسن المَدَائنيّ قال: امتدح ابنُ هَرْمَة أبا جعفر فوصَلَهُ بعشرة آلاف درهم. فقال: لا تَقَعُ منِّي هذه. قال: وَيْحَكَ! إنّها كثيرة. قال: إنْ أردتَ أن تَهْنِئَني فأبِحْ لي الشرابَ فَإِنِّي مُغْرَمٌ به. فقال: وَيْحَكَ! هذا حَدٌّ من حُدود الله. قال: احْتَلْ لي يا أمير المؤمنين. قال: نعم. فكتبَ إلى والي المدينة: مَنْ أتاكَ بابن هَرْمَةَ سكرانَ فاضرِبْه مائةً واضْرِبْ ابنَ هرمة ثمانين. قال؛ فجعل الجِلْوازُ[5] إذا مرّ بابن هرمة سكرانَ، قال: مَنْ يشتري الثمانين بالمائة!

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثني أبو زيد عمر بن شَبّةَ قال: حَدّثنا

---

(١) أناف: ارتفع وأشرف.

(٢) حُفِيتَ: أُعطيتَ. والعُكّة: وعاء من الجلد مستدير يُستَعمل للسمن والعسل. والذَّوْب: العسل.

(٣) ضرح الشيء: رمى به ونَحّاه.

(٤) ما نزعكَ؟: ما جاء بك؟

(٥) الجِلواز: الشرطيّ، وسُمّيَ بذلك لخِفّتِه وسرعته في الذهاب والمجيء.

أبو سَلَمَةَ الغِفَاريّ قال: أخبرنا ابن رُبَيْح رَاوِيةُ ابن هَرْمَة قال: أصابَتِ ابنَ هَرْمَةَ أزمةٌ؛ فقال لي في يوم حَارٍّ: إذْهَبْ فَتَكَارَ حِمارَيْنِ إلى سِتَّةِ أميال، ولم يُسَمِّ موضعاً. فَركِبَ واحداً وركبتُ واحداً، ثم سِرْنا حتى صِرْنا إلى قصور الحسن بن زيد ببَطْحاء ابنِ أزْهَر، فدخلنا مسجدَه. فلمّا مالت الشمسُ خرج علينا مُشْتَمِلاً على قَمِيصِه، فقال لِمَوْلًى له: أذِّنْ فَأَذَّنَ، ولم يُكَلِّمْنا كلمةً. ثم قال له: أَقِمْ فأقامَ، فصَلَّى بنا، ثم أقبل على ابن هَرْمَة فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، حاجَتَك؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي، أبياتٌ قُلْتُها ـ وقد كان عبدُ اللَّه وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعَدُوه شيئاً فأخلفوه ـ فقال: هاتِها. فقال: [البسيط]

أَمّا بَنُو هاشِمٍ حَوْلِي فقد قَرَعُوا ... نَبْلَ الضِّبابِ التي جَمَّعْتُ في قَرَنِ[1]

فما بِيَثْرِبَ منهم مَنْ أُعاتِبُه ... إلاّ عَوَائِدَ أَرْجُوهُنَّ مِنْ حَسَنِ

اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلاً مِنْ عَطِيَّتِهِ ... على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ[2]

قال: حاجَتَكَ! قال: لابن أبي مُضَرِّسٍ عَلَيَّ خمسون ومائةُ دينارٍ. قال: فقال لمولى له: يا هَيْثَم، ارْكَبْ هذه البغلةَ فأْتِني بابن أبي مُضَرِّس وذِكْرِ[3] حَقِّهِ. قال: فما صَلَّينا العصرَ حتّى جاء به. فقال له: مرحباً بك يابنَ أبي مُضَرِّس، أمَعكَ ذِكْرُ حَقِّكَ على ابن هرمة؟ قال: نعم. قال: فَامْحُه، فمحاه. ثم قال: يا هيثم، بِعِ ابنَ أبي مُضَرِّس من تمرِ الخانِقَيْنِ[4] بمائة وخمسين ديناراً وزِدْهُ على كلِّ دينار ربعَ دينار، وكِلِ ابنَ هرمة بخمسين ومائةِ دينارٍ تمراً، وكِلِ ابنَ رُبَيْح بثلاثين ديناراً تمراً. قال: فانصرفنا من عنده؛ فَلَقِيَهُ محمد بن عبد الله بن حسن بِالسَّيالة، وقد بلَغَهُ الشِّعْرُ، فغَضِبَ لأبيه وعُمومته فقال: أيْ ماصَّ بَظْرِ أُمِّهِ! أنت القائل:

* على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهنِ *

فقال: لا واللهِ! ولكنّي الذي أقول لك:

---

(١) قرعوا: رموا. والضِّباب: الأحقاد ومن المجاز قولهم: في قلبه ضِبٌّ أي غِلٌّ كالضبّ الممعن في جُحْرِه. والقَرَن: الحبل يُقْرَنُ به البعيران.

(٢) هن: كلمة يكنى بها عن إنسان ما. وكَرَّرها ثلاث مرات للدلالة على ثلاثة أشخاص مختلفين.

(٣) ذكر الحقّ: الصّكّ الذي يُكتب فيه الدين.

(٤) الخانقان: موضع بالمدينة وهو مجمع مياه أوديتها الكبار الثلاثة: بطحان والعقيق وقناة. (معجم البلدان ٢: ٣٤٠).

[البسيط]

لا والَّذي أنْتَ منه نِعْمَةٌ سَلَفَتْ نَرْجُو عَوَاقِبَها في آخِرِ الزَّمَنِ
لقد أتيتُ بأمرٍ ما عَمَدْتُ له ولا تَعَمَّدَهُ قَوْلي ولا سَنَنِي[1]
فكيف أمْشي مع الأقوام مُعْتَدِلاً وقد رَمَيْتُ بَرِيءَ العُودِ بالأُبَنِ[2]
ما غَيَّرَتْ وَجْهَهُ أُمٌّ مُهَجَّنَةٌ إذا القَتَامُ تَغَشَّى أوجُهَ الهُجُنِ

قال: وأمّ الحسن أمّ ولد.

قال هارون: فحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبايَة قال: لمّا قال ابنُ هَرْمَةَ هذا الشعرَ في حسن بن زيد، قال عبدُ اللّه بن حسن: والله ما أراد الفاسقُ غَيرِي وغيرَ أَخَوَيَّ: حسنٍ وإبراهيم. وكان عبدُ اللّه يُجْري على ابن هَرْمَة رزقاً فقطعه عنه وغَضِبَ عليه. فأتاه يعتذر، فَنُحِيَ وطُرِدَ؛ فسأل رجالاً أن يكلّموه، فردَّهُمْ؛ فَيئِسَ من رضاه واجتنبه وخافه. فمكث ما شاء الله، ثم مَرَّ عَشِيَّةً وعبدُ اللّه على زَرْبِيَّة[3] في مَمرّ المنبر، ولم تكن تُبْسَطُ لأحدٍ غيرِهِ في ذلك المكان. فلمّا رأى عبدَ اللّه تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغرَ وأسرعَ المَشْيَ. فكأنّ عبدَ اللّه رَقَّ له، فأمر به فَرُدَّ عليه، فقال: يا فاسقُ، يا شاربَ الخمر، على هَنٍ وهَنٍ، تُفَضِّلُ الحسنَ عليّ وعلى أَخَوَيَّ! فقال: بأبي أنتَ وأُمّي، ورَبِّ هذا القبر ما عَنَيتُ إلاّ فرعونَ وهامانَ وقارون، أفتغضَبُ لهم! فضحكَ وقال: واللّهِ ما أَحْسَبُكَ إلا كاذباً، قال: والله ما كَذَبْتُكَ، فأمر بأن تُرَدَّ عليه جِرَايتُه.

[قصيدة خالية من الحروف المعجمة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: أخبرني أبو أيُّوب المَدِينيّ عن مُصْعَب قال: إنّما اعتذر ابنُ هَرْمَةَ بهذا إلى محمد بن عبد اللّه بن حسن.

قال يحيى: وأخبرني أبو أيُّوب عن عليّ بن صالح قال: أنشدني عامر بن صالح قصيدةً لابن هَرْمَةَ نحواً من أربعين بيتاً، ليس فيها حرفٌ يُعْجَمُ؛ وذكر هذه الأبياتَ منها، ولم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة، ولا كنتُ أظنّ أن أحداً

(١) السَّنَن: الطريق والنَّهج.
(٢) الأُبَن: جمع الأُبْنَة: العقدة التي تكون في العود فتعيبه.
(٣) الزربيّة: البساط والنمرقة.

تقدَّمَ رُزَيْناً العَرُوضيّ إلى هذا الباب وأوّلها: [البسيط]

أَرَسْـمُ سَـوْدَةَ أَمْـسَـى دَارِسَ الـطَّـلَـلِ مُـعَـطَّـلاً رَدَّهُ الأَحـوالُ كـالـحُـلَـلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليّ في خبره أنّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً؛ ووجدتها في رواية الأصمعيّ ويعقوب بن السّكّيت اثني عشر بيتاً، فنسختُها هاهنا للحاجة إلى ذلك. وليس فيها حرف يُعْجَمُ إلاّ ما اصطلح عليه الكُتّاب من تصييرهم مكانَ ألفٍ ياءً مثل «أعْلى» فإنّها في اللّفظ بالألف وهي تكتب بالياء، ومثل «رأى» ونحو هذا، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف، وإنما اصطلح الكُتّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه، والقصيدة: [البسيط]

أَرَسْـمُ سَـوْدَةَ مَـحْـلٌ دارسُ الـطَّـلَـلِ مُـعَـطَّـلٌ رَدَّهُ الأَحْـوَالُ كَـالـحُـلَـلِ

لَـمَّـا رأى أَهْـلَـهـا سَـدُّوا مَـطـالِـعَـهـا رامَ الـصُّـدودَ وعـادَ الـوُدُّ كـالـمُـهُـلِ[1]

وعـــادَ وُدُّكَ دَاءً لا دَواءَ لـــه ولـو دَعَـاكَ طَـوالَ الـدَّهْـرِ لِـلـرِّحَـلِ

مـا وَصْـلُ سَـوْدة إلاّ وَصْـلُ صَـارِمَـةٍ أَحَـلَّـهـا الـدَّهْـرُ داراً مَـأْكَـلَ الـوَعِـلِ

وعـادَ أَمْـوَاهُـهَـا سُـدْمـاً وطـارَ لـهـا سَهْـمٌ دعـا أَهْـلَـهـا لِـلـصُّـرْمِ والعِـلَـلِ[2]

صَـدُّوا وصَـدَّ وسَـاءَ الـمَـرْءَ صَـدُّهُـمُ وحَـامَ لِـلـوِرْدِ رَدْهـاً حَـوْمَـةَ الـعَـلَـلِ

ـ حَوْمَةُ الماء: كَثْرته وغَمْرته، والعَلَلُ: الشُّرْبُ الثاني. والرَّدْهُ: مُسْتَنْقع الماء ـ.

وحَـلَّـؤُوهُ رِدَاهـاً مـاؤُهـا عَـسَـلٌ مـا مـاءُ رَدْهٍ لَـعَـمْـرُ الـلّـهِ كَـالـعَـسَـلِ[3]

دعَـا الـحَـمـامُ حَـمَـاماً سَـدَّ مَـسْـمَـعَـهُ لَـــمَّـــا دعـــاه رَآهُ طَـامِـحَ الأَمَـلِ

طُـمُـوحَ سـارحـةٍ حَـوم مُـلَـمَّـعَـةٍ ومُـمْـرِعُ الـسِّـرِّ سَـهْـلٌ مَـاكِـدُ الـسَّـهَـلِ[4]

وحـاولـوا رَدَّ أَمْـرٍ لاَ مَـرَدَّ لـه والـصُّـرْمُ داءٌ لأَهْـلِ الـلَّـوْعَـةِ الـوُصُـلِ

أَحَـلَّـكَ الـلّـهُ أَعْـلـى كُـلِّ مَـكْـرُمَـةٍ والـلّـهُ أَعـطـاكَ أَعْـلَـى صَـالِـحِ الـعَـمَـلِ

سَـهْـلٌ مَـوَارِدُهُ سَـمْـحٌ مَـوَاعِـدُه مُـسَـوَّدٌ لِـكِـرَامٍ سـادةٍ حُـمُـلِ

---

(١) المُهْل: ما ذاب من الفضة أو الحديد أو النحاس أو الذهب.

(٢) السُّدْم: الماء المتغيّر من طول العهد.

(٣) حَلّؤوه رِداهاً: منعوه وحالوا بينه وبين مستنقع الماء. والرِّداه، جمع الرّده: مستنقع الماء.

(٤) السارحة: الماشية، والحوم: العدد الضخم من الإبل. وملمّعة: في جسدها بقع تخالف لونها الأصلي. ومُمرع: مُخصب، والسِّرّ: الأرض الكريمة الطّيّبة، وماكد السهل: دائمه.

[عاب المسوّر شعره فردّ عليه]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ عن أبي حُذَيفة قال: كان المُسَوَّرُ بن عبد الملك المَخْزُوميّ يَعِيبُ شَعرَ ابن هَرْمَة، وكان المُسَوَّرُ هذا عالماً بالشعر والنَّسَب؛ فقال ابن هَرْمَةَ فيه: [البسيط]

إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجُمِي ... نِكْلاً يُنَكِّلُ قَرَّاصاً مِنَ اللُّجُمِ[(١)]

يَدُقُّ لَحْيَيْكَ أو تَنْقَادَ مُتَّبِعاً ... مَشْيَ المُقَيَّدِ ذِي القِرْدَانِ والحَلَمِ[(٢)]

إنِّي إذا ما امْرُؤٌ خَفَّتْ نَعَامَتُهُ ... إلَيَّ واسْتَحْصَدَتْ منه قُوَى الوَذَمِ[(٣)]

عَقَدْتُ في مُلْتَقَى أوْدَاجِ لَبَّتِهِ ... طَوْقَ الحَمَامةِ لا يَبْلَى على القِدَمِ[(٤)]

إنِّي امْرُؤٌ لا أَصُوغُ الحَلْيَ تَعْمَلُهُ ... كَفَّايَ لَكِنْ لِسَانِي صَائِغُ الكَلِمِ

إنَّ الأَدِيمَ الَّذي أَمْسَيْتَ تَقْرُظُهُ ... جَهْلاً لَذُو نَغَلٍ بَادٍ وذو حَلَمِ[(٥)]

ولا يَئِطُّ بأيدي الخالِقِينَ ولا ... أيدي الخَوَالِقِ إلاّ جَيِّدُ الأَدَمِ[(٦)]

قال يحيى وحدّثني أبو أيُّوب عن مُصْعَب بن عبد الله عن أبيه قال: لَقِيَني ابن هَرْمَة فقال لي: يابنَ مُصْعَب، أتُفَضِّلُ عَلَيَّ ابنَ أُذَيْنة، أما شكرتَ قولي: [الطويل]

فما لَكَ مُخْتَلاً عليكَ خَصَاصَةٌ ... كأنَّك لم تَنْبُتْ ببعضِ المنَابِتِ النَابِتِ

كأنَّك لم تَصْحَبْ شُعَيْبَ بنَ جَعْفَرٍ ... ولا مُصْعباً ذا المَكْرُمَاتِ ابْنَ ثابتِ

ـ يعني مُصْعَب بن عبد اللّه ـ قال: فقلت: يا أبا إسحاق، أَقِلْني ورَوِّني من شِعْرِكَ ما شئتَ، فإنِّي لم أَرْوِ لكَ شيئاً. فروّاني عَبَّاسِيَّاتِهِ تلك.

---

(١) النّكل: اللّجام أو الزّمام. والقَرّاص: الذي يقرص ويؤذي الدابة.

(٢) القِرْدان: جمع قرادة وقِراد: دويبة صغيرة تعيش على الدواب والطيور. والحَلَم: جمع الحَلَمة: الصغير من القِراد.

(٣) النعامة: طائر سريع العدو، ويكنى عن السرعة بـ (خفَّت نعامته). والقُوَى: طاقاتُ الحَبْلِ، والوَذَم: السيور التي بين آذان الدَّلْوِ. واستحصد الحبلُ: استحكم.

(٤) الأوداج: جمع الوَدَج: عِرْقٌ في العُنُق وهما وَدَجان، وقيل: الأوداج ما أحاط بالحلقوم من العروق. واللَّبَّة: موضع القلادة من العنق.

(٥) الأديم: الجلد. وتقرظه: تدبغه بالقرظ، وهو شجر يستخرج منه صمغ مشهور يُدبَغ به. والنَّغَل: الفساد. والحَلَم: جمع الحَلَمة: فساد في جلد بسبب دودة تقع عليه فتثقبه وعندما يأتي عليه الدباغ يتشقّق ويفسد.

(٦) يئط: يُصَوِّتُ. والخالقون: من خَلَقَ الجلدَ إذا قَدَّرَه قبل قطعه، ويُسَمَّى صانع الأديم الخالق لهذا.

[إبراهيم بن عبد اللّه يُكرمه فيمدحه شعراً]

قال يحيى: وأخبرني أبو أيُّوب المَدِينيّ عن مُصْعَب بن عبد اللّه عن مُصْعب ابن عثمان قال: قال ابن هرمة: ما رأيتُ أحداً قطُّ أسْخى ولا أكرم من رجلين: إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع، وإبراهيم بن طَلْحَة بن عمرو بن عبد الله بن معْمَر، أمّا إبراهيم بن طلحة فأتيتُه فقال: أحسِنوا ضِيافةَ أبي إسحاق، فأُتِيتُ بكلِّ شيء من الطعام. فأردت أن أُنشِدَهُ، فقال: ليس هذا وقت الشعر، ثم أخرج الغلام إليّ رُقْعةً فقال: ائتِ بها الوكِيل. فأتيتُه بها، فقال: إنْ شِئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به، وإن شئتَ أعطيتُكَ القيمةَ. قلت: وما أمرَ لي به؟ فقال: مائتا شاةٍ برعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جَمَّالٌ ومِظَلَّةٌ وما تحتاج إليه، وقُوتُكَ وقوتُ عِيالِك سنةً. قلت: فأعْطِني القيمة؛ فأعطاني مائتي دينار. وأمّا إبراهيم بن عبد اللّه فأتيتُه في منزله بِمُشَاش[1] على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفّان، فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ بِرُزْمَةٍ من ثياب وصُرَّةٍ من دراهم ودنانير وحُلِيّ، ثم قال: لا واللّهِ ما بَقَّيْنا في منزلنا ثوباً إلاّ ثوباً نُوارِي به امرأةً، ولا حَلْياً ولا ديناراً ولا درهماً. وقال يمدح إبراهيم:

[الخفيف]

أَرَّقَتْنِي تَلُومُني أُمُّ بَكْرٍ ... بَعْدَ هَدْءٍ واللَّوْمُ قد يُؤذِيني
حَذَّرتني الزَّمانَ ثُمَّتَ قالَتْ ... ليس هذا الزَّمَانُ بالمأمونِ
قُلْتُ لَمَّا هَبَّتْ تُحَذِّرُني الدَّهْـ ... ـرَ دَعِي اللَّوْمَ عَنْكِ واسْتَبْقِيني
إنّ ذَا الجُودِ والمَكَارِم إبرا ... هيمَ يَغْنيه كُلُّ ما يَغْنِيني
قد خَبَرْنَاهُ في القديم فأَلْفَيْـ ... ـنَا مَوَاعِيدَهُ كَعَيْنِ اليَقِينِ
قُلْتُ ما قُلْتُ لِلَّذِي هو حَقٌّ ... مُسْتَبِينٌ لا لِلَّذِي يُعْطِيني
نَضَحَتْ أرْضَنا سَمَاؤُكَ بعدَ الـ ... ـجَدْبِ منها وبعد سُوءِ الظُّنونِ
فرَعَينا آثارَ غَيْثٍ هَرَاقَتْـ ... ـهُ يَدَا مُحْكَمِ القُوَى مَيْمُونِ

وقال هارون: حدّثنا حمّاد عن عبد اللّه بن إبراهيم الحَجَبيّ: أنّ إبلاً لمحمد ابن عِمْران تحمل علفاً مَرَّتْ بمحمد بن عبد العزيز الزُّهْريّ ومعه ابن هَرْمة، فقال: يا أبا إسحاق، ألا تَستعلف محمد بن عُمْرانَ! وهو يريد أن يُعَرِّضَهُ لِمَنْعه فيهجوه. فأرسل ابن هرمة في أثر الحَمُولة رسولاً حتّى وقف على ابن عِمْران، فأبلغه

(١) مشاش: موضع بين مكة وديار بني سليم. (معجم البلدان ٥: ١٣١).

رسالتَه، فردّ إليه الإبل بما عليها، وقال: إن احتجتَ إلى غيرها زِدناكَ. فأقبل ابن هَرْمة على محمد بن عبد العزيز فقال له: اغسِلْها عَنِّي، فإنّه إنْ عَلِمَ أنّي استعلفته ولا دَابَّة لي وقعتُ منه في سَوْءَةٍ. قال: بماذا؟ قال: تُعْطيني حمارَك، قال: هو لك بسَرْجه ولِجامه. فقال ابن هَرْمةَ: مَنْ حَفَر حفرةَ سَوْءٍ وقَع فيها.

[وفادته على السري بن عبد الله باليمامة]

أخبرني الحرمِيّ بن أبي العَلاء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدَّثنا أبو يحيى هارون بن عبد اللّه الزُّهْرِيّ عن ابن زُرَيْق وكان منقطعاً إلى أبي العبَّاس بن محمد وكان من أرْوى الناس، قال: كنتُ مع السَّرِيّ بن عبد الله باليَمامة، وكان يتشوّقُ إلى إبراهيم بن عليّ بن هَرْمةَ، ويُحِبُّ أن يَفِدَ عليه؛ فأقول: ما يمنعك أن تكتب إليه؟ فيقول: أخاف أن يُكَلِّفني من المؤونة ما لا أُطيقُ فكنت أكتب بذلك إلى ابن هَرْمَة فَكره أن يَقْدَمَ عليه إلاّ بكتاب منه، ثم غُلِبَ فشَخصَ إليه، فنزلَ عَليَّ ومعه راويتُه ابن رُبَيح. فقلتُ له: ما مَنعكَ من القُدوم على الأمير وهو من الحِرْصِ على قدومك على ما كتبتُ به إليك؟ قال: الذي منعه من الكِتاب إليّ. فدخلتُ على السَّرِيّ فأخبرتُه بقُدومه، فسُرَّ بذلك وجلَس للناس مجلساً عامّاً، ثم أَذِنَ لابن هَرْمةَ فدخل عليه ومعه راويتُه ابن رُبَيْح. وكان هَرْمة قصيراً دَمِيماً أُرَيْمِصَ[(١)]، وكان ابنُ رُبَيْح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب. فسَلَّمَ على السَّرِيّ ثم قال له: أصلحكَ اللّهُ! إنّي قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه عليك. فقال: أَنْشِدْ، فقال: هذا يُنْشِدُ فجلسَ، فأنشده ابن رُبَيْح قصيدتَه التي أوّلُها: [البسيط]

عُوجَا على رَبْع لَيلَى أُمّ محمودِ ... كَيْمَا نُسائِلَهُ من دون عَبُّودِ[(٢)]
عن أُمّ محمودَ إذْ شَطَّ المَزَارُ بها ... لَعَلَّ ذلكَ يَشْفي داءَ مَعْمُودِ[(٣)]
فَعَرَّجَا بعد تغوير وقد وَقَفَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ ولاذَ الظِّلُّ بالعُودِ[(٤)]
شيئاً فما رَجَعَتْ أطلالُ مَنْزِلَةٍ ... قَفْرٍ جَوَاباً لِمَحْزُونِ الجَوَى مُودِي[(٥)]

---

(١) أريمص: تصغير أرمص: والرمص ما تسيل به العين من وسخ أبيض فيتجمع عليها.
(٢) عَبّود: جبل، وقال الزمخشري: عبود وصَعْر جبلان بين المدينة والسيّالة ينظر أحدهما إلى الآخر وطريق المدينة تجيء بينهما (معجم البلدان ٤: ٨٠).
(٣) المعمود: الذي هَدّه العشق وأسقمه.
(٤) التغوير: النزول وقت الظهيرة للقيلولة.
(٥) المودي: الهالك.

ثم قال فيها يمدح السريّ:

ذاك السَّرِيُّ الَّذي لولا تَدَفُّقُهُ بالعُرْفِ مُتْنَا حَلِيفُ المَجْدِ والجُودِ
مَنْ يَغْتَمِدْكَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ مُجْتَدِياً لِسَيْبِ عُرْفِكَ يَغْمِدْ خيرَ معمودِ[١]
يابْنَ الأُسَاةِ الشُّفَاةِ المُسْتَغاثِ بِهِمْ والمُطْعِمِينَ ذُرَى الكُوم المَقَاحِيدِ[٢]
والسَّابقين إلى الخَيْرَاتِ قَوْمَهُمُ سَبْقَ الجِيادِ إلى غاياتِها القُودِ[٣]
أنتَ ابْنُ مُسْلَنْطَحِ البَطْحَاءِ مَنْبِتُكُمْ بَطْحَاءُ مَكَّةَ لا رُوسُ القَرَادِيدِ[٤]
لَكُمْ سِقَايَتُهَا قِدْماً ونَدْوَتُها قد حَازَها وَالِدٌ مِنْكُمْ لمولودِ
لولاَ رَجَاؤُكَ لم تَعْسِفْ بِنَا قُلُصٌ أَجْوَازَ مَهْمَهَةٍ قَفْرِ الصُّوَى بِيدِ[٥]
لَكِنْ دَعَانِي وَمِيضٌ لاحَ مُعْتَرِضاً من نَحْوِ أرضِك في دُهْمٍ مَنَاضِيدِ[٦]

وأنشده أيضاً قصيدةً مدَحه فيها، أوّلُها: [الطويل]

أَفِي طَلَلٍ قَفْرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهْ وَقَفْتَ وماءُ العينِ يَنْهَلُّ هامِلُهْ
تُسائِلُ عن سَلْمَى سَفَاهاً وقد نَأَتْ بِسَلْمَى نَوًى شَحْطٌ فكيف تُسَائِلُهْ
وتَرْجُو ولم يَنْطِقْ وليسَ بِنَاطِقٍ جَوَاباً مُحِيلٌ قد تَحَمَّلَ آهِلُهْ[٧]
ونُؤْيٌ كَخَطِّ النُّونِ ما إن تَبِينُهُ عَفَتْهُ ذيولٌ مِنْ شَمَالٍ تُذَايِلُه[٨]

ثم قال فيها يمدح السَّرِيّ:

فَقُلْ لِلسَّرِيِّ الواصلِ البَرِّ ذِي النَّدَى مَدِيحاً إذا ما بُثَّ صُدِّقَ قَائِلُهْ

---

(١) السَّيْب: العطاء.

(٢) الكوم: جمع الأكوم؛ السنام الضخم. والمقاحيد: جمع المقحاد: الناقة العظيمة السنام.

(٣) القود: جمع الأقود: من الخيل الطويل العنق.

(٤) المسلنطح: الواسع. وروس: رؤوس (بتخفيف الهمزة) والقراديد: جمع القردود: المرتفع من الأرض.

(٥) لم تعسف: لم تَسِرْ في الصحراء دون هداية. والقُلُص: جمع القلوص: الناقة الفتيّة. والأجواز: من جاز المكان إذا قطعه. والمهمهة: المفازة البعيدة. والصُّوى: حجارة تُنصب في الفيافي يستدلّ بها على الطريق.

(٦) الدهم: السود. والمناضيد: المتراصّة بعضها فوق بعض.

(٧) المحيل: الذي أتت عليه أحوال متغيّرة فتحوّل من حالٍ إلى آخر.

(٨) النّؤي: مجرى يُحفر حول الخيمة يقيها من السيل. والذيول: جمع الذيل: ما تتركه الريح من أثر على الرمل وكأنه ذيل مجرور. وتذايله: تخفي أثره.

جَوَادٌ على العِلاَّتِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ... كما اهْتَزَّ عَضْبٌ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ[١]
نَفَى الظُّلْمَ عَنْ أهلِ اليَمَامةِ عَدْلُهُ ... فعاشوا وزَاحَ الظُّلْمُ عنهم وباطِلُهْ[٢]
ونامُوا بِأَمْنٍ بعدَ خَوْفٍ وشِدَّةٍ ... بِسِيرَةِ عَدْلٍ ما تُخافُ غَوَائِلُهْ
وقد عَلِمَ المعروفُ أَنَّكَ خِدْنُهُ ... ويَعلَمُ هذا الجُوعُ أَنَّكَ قاتِلُهْ
بِكَ اللّهُ أحيا أَرْضَ حَجْرٍ وغَيْرَها ... مِنَ الأرضِ حَتَّى عاشَ بِالبَقْلِ آكِلُهْ
وأنتَ تُرَجَّى لِلَّذي أَنتَ أَهْلُهُ ... وتَنْفَعُ ذا القُرْبَى لَدَيْكَ وَسائِلُهْ

وأنشده أيضاً مما مدَحه به قولَه:

* عُوجَا نُحَيِّ الطُّلولَ بالكُثُبِ *

يقول فيها يمدَحه: [المنسرح]

دعْ عَنْكَ سَلْمَى وقُلْ مُحَبَّرةً ... لِمَاجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسَبِ[٣]
مَحْضٍ مُصَفَّى العُروقِ يَحْمَدُهُ ... في العُسْرِ واليُسْرِ كُلُّ مُرْتَغِبِ[٤]
الوَاهِبِ الخَيْلَ في أَعِنَّتِها ... والوُصَفاءَ الحِسَانَ كالذَّهَبِ
مَجْداً وحَمْداً يُفِيدُهُ كَرَماً ... والحَمْدُ في النَّاسِ خَيْرُ مُكْتَسَبِ

قال: فلمّا فرَغ ابن رُبَيْح، قال السَّرِيُّ لابن هَرْمةَ: مرحباً بك يا أبا إسحاق! ما حاجتك؟ قال: جِئْتُكَ عبداً مملوكاً. قال: لا، بل حُرّاً كريماً وابنَ عمّ، فما ذاك؟ قال: ما تركتُ لي مالاً إلاّ رَهَنْتُهُ، ولا صديقاً إلاّ كلَّفْتُهُ ـ قال أبو يحيى: يقول لي ابن زُرَيْق: حتّى كأنّ له دَيَّاناً وعليه مالاً ـ فقال له السَّرِيّ: وما دَيْنُكَ؟ قال: سبعُمائةِ دينار. قال: قد قضاها اللّهُ عزَّ وجلَّ عنك. قال: فأقام أيّاماً، ثم قال لي: قد اشتقْتُ. فقلت له: قل شِعْراً تَشَوَّقُ فيه. فقال قصيدتَه التي يقول فيها:

[البسيط]

أَأَلْحَمَامَةُ في نَخْلِ ابنِ هَدَّاجِ ... هاجَتْ صَبَابةَ عَانِي القَلْبِ مُهْتاجِ[٥]

---

(١) على العِلاّت: أي على كلّ حالٍ. والندى: الكرم. والعَضب: السيف. والصَّياقل: جمع الصَّيقل: شحّاذُ السيوف وجَلاَّؤها.
(٢) زاح: بمعنى انزاح: زال وذهب.
(٣) المحبَّرة من القصائد: المُحَسَّنة والجيدة.
(٤) المَحض: الصافي.
(٥) العاني: الأسير وهنا: مَنْ ذَلَّ وخضع في الحب.

أَم الـمُخـبِـرُ أَنَّ الـغَـيْـثَ قـد وَضَـعَـتْ مـنـه الـعِـشَـارُ تـمـامـاً غـيـرَ إِخْـداجِ[١]
شَـقَّـتْ سَـوَائِـفُـهـا بِـالـفَـرْشِ مِـنْ مَـلَـلٍ إلـى الأعـارِفِ مِـنْ حَـزْنٍ وأَوْلاجِ[٢]
حـتَّـى كـأنَّ وُجـوهَ الأرض مُـلْـبَـسَـةٌ طَـرَائِـفـاً مِـنْ سَـدَى عَـصْـبٍ ودِيـبـاجِ[٣]

وهي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدَح السَّرِيّ:

أَمَّـا الـسَّـرِيُّ فَـإِنِّـي سَـوفَ أَمْـدَحُـهُ ما الـمَادِحُ الذَّاكِرُ الإحسانَ كَالهَاجي
ذاكَ الَّـذي هـو بَـعْـدَ الـلَّـهِ أَنْـقَـذَنـي فَـلَـسْـتُ أنـسـاه إِنْـقَـاذي وإخـراجـي
لَـيْـثٌ بِـحَـجْـرٍ إذا مـا هَـاجَـهُ فَـزَعٌ هـاجَ إلـيـه بـإِلْـجـام وإِسْـرَاجِ
لأَحْـبُـوَنَّـكَ مِـمَّـا أَصْـطَـفِـي مِـدَحـاً مُـصَـاحِـبـاتٍ لِـعُـمَّـارٍ وحُـجَّـاجِ
أَسْدَى الـصَّـنِـيـعَـةَ مِـنْ بَـرٍّ ومِـنْ لَـطَـفٍ إلـى قَـرُوعٍ لِـبَـابِ الـمُـلْـكِ وَلاَّجِ
كَمْ مِنْ يَدٍ لكَ في الأقوامِ قد سَلَفَتْ عِنْدَ امْرِىءٍ ذي غِنًى أو عِنْدَ مُحْتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دَيْنه، ومائةِ دِينارٍ يتجهَّزُ بها، ومائةِ دينارٍ يُعَرِّضُ بها أهله، ومائةِ دينارٍ إذا قَدِمَ على أهله.

قوله: «يُعَرِّضُ بها أَهْلَه» أي يُهْدِي لهم بها هديّة، والعُرَاضةُ: الهَدِيَّة. قال الفرزدق يهجو هشامَ بن عبد الملك: [الكامل]

كَـانَـتْ عُـرَاضَـتُـكَ الَّـتي عَـرَّضْـتَـنـا يـوم الـمـديـنـة زَكْـمـةً وسُـعَـالاً

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني نَوْفَل بن ميمون قال: أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هَرْمةَ قال: قال ابن هَرْمةَ: [المتقارب]

ومَـهْـمَـا أُلامُ عـلـى حُـبِّـهِـمْ فَـإِنِّـي أُحِـبُّ بـنِـي فـاطـمـهْ
بَـنِـي بِـنْـتِ مَـنْ جَـاءَ بِـالـمُـحْـكَـمـا تِ والـدِّيـنِ والـسُّـنَّـةِ الـقَـائِـمَـهْ

---

(١) العشار: جمع العشراء: الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر. وخدّجت: ألقت ولدها قبل أوانه.

(٢) السوائف: جمع السائفة: ما استرقّ من أسافل الرمل. والفرش: وادٍ بين غميس الحمام وملل. (معجم البلدان ٤: ٢٥٠). والأعارف: جبال باليمامة (معجم البلدان ١: ٢٢٠). والحَزْن: ما غلظ من الأرض. والأولاج: جمع ولجة: ما غمض من الأرض.

(٣) الطرائف: جمع الطّريفة: النّصيُّ إذا ابيضّ، والنَّصِيُّ: نبتٌ. والسَّدَى: الثوب. والعَصْبُ: ضربٌ من برود اليمن. والدِّيباج: ضربٌ من الثياب المنسوج الملوّن ألواناً، وهو فارسي معرّب.

فلَقِيَهُ بعد ذلك رجلٌ فسأله: مَنْ قائِلُها؟ فقال: مَنْ عَضَّ بَظْرَ أُمِّه. فقال له ابنُه: يا أبتِ، ألستَ قائلَها؟ قال: بلى. قال: فَلِمَ شَتَمْتَ نَفْسكَ؟ قال: أليس أنْ يَعَضَّ المرءُ بَظْرَ أُمِّه خيراً من أن يأخذَه ابن قَحْطَبَة!

[خبره مع رجل يتاجر بعرض ابنتيه]

أخبرنا الحَرَميّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثنا جعفر بن مُدْرِك الجَعْدِيّ قال: جاء ابنُ هَرْمَةَ إلى رجل كان بسوق النَّبَطِ، معه زوجةٌ له وابنتان كأنَّهما ظَبْيَتَان يقود عليهما بمال فدفعه إليه، فكان يشتري لهم طعاماً وشراباً. فأقام ابنُ هَرْمةَ مع ابنتيه حتَّى خَفَّ ذلك المالُ، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ؛ فأخبرهم بمكان ابن هَرْمَةَ، فاستثقلوه وكَرِهوا أن يعلَمَ بهم؛ فأمر ابنتيه، فقالتا له: يا أبا إسحاق، أمَا دَرَيْتَ ما النَّاسُ فيه؟ قال: وما هم فيه؟ قالتا: زُلْزِلَ بِالرَّوْضة، فتغافلهما. ثم جاء أبوهما مُتَفَازِعاً فقال: أيْ أبا إسحاق، ألاَ تَفْزَعُ لِمَا الناسُ فيه! قال: وما هم فيه؟ قال: زُلْزِلَ بالرَّوْضة. قال: قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معه مالٌ، وقد نَفَضْتِ ما جِئتكُم به وثَقُلْتُ عليه؛ فأردتَ إدخالَه وإخراجي. أيُزَلْزَلُ بروضةٍ من رِياض الجنّة ويُتْرَكُ منزِلُكَ وأنتَ تَجمع فيه الرجالَ على ابنتيك! واللهِ لا عُدْتُ إليه! وخرج من عنده.

وروى هذا الخبرَ عن الزُّبَير هارونُ بن محمد الزّيات فزاد فيه، قال: ثم خرج من عندهم، فأتى عبد الله بن حسن فقال: إني قد مدحتُك فاستَمِعْ منِّي. قال: لا حاجة لي بذلك، أنا أُعطيك ما تُريد ولا أسمَع. قال: إذاً أسقُطُ ويكسُدُ سوقي، فسمِع منه وأَمَر له بمائتي دينارٍ، فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال: قد جئتك بما تُنفقه كيف شئتَ، ولم يَزَلْ عنده حتَّى نَفِذَتْ.

[يخبر قِصّته مع ابن عمران لمحمد بن عبد العزيز فيعوّضه]

قال الزُّبَير: وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال: حَدّثني عَمِّي عِمْران بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عَوْف قال: وَافَيْنا الحَجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية، فأصبحتُ بالسَّيَالة، فإذا إبراهيم بن عليّ بن هَرْمَةَ يأتينا؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأَذِنَ له؛ فدخل عليه فقال: يا أبا عبد اللَّه، ألاَ أُخبِرُكَ ببعض ما تَسْتَظْرِفُ؟ قال: بلى، وربَّما فعلتَ يا أبا إسحاق. قال: فإنّه أصبح عندنا هاهنا منذ أيام محمد بن عِمْرانَ وإسماعيل بن عبد الله بن جُبَيْر،

وأصبح ابنُ عمرانَ بجملين له ظالعين[1]، فإذا رسولُه يأتيني أنْ أَجِبْ؛ فخرجتُ حتى أتيتُه؛ فأخبرني بظَلْع جَمَلَيْهِ، وقال لي: أردتُ أن أبعثَ إلى ناضِحَيْنِ[2] لي بعَمْقٍ[3] لَعَلّي أُوتَى بهما إلى هاهنا لأَمْضِيَ عليهما، ويصير هذان الظّالعان إلى مكانهما؛ فَفَرِّغْ لنا دارَك واشترِ لنا عَلَفاً وٱسْتَلِنْهُ بِجَهْدِكَ؛ فإنّا مُقيمون هاهنا حتى تأتينا جِمالُنا. فقلتُ: في الرُّحْبِ والقُرْبِ، والدّارُ فارغةٌ، وزوجتُه طالقٌ إنِ اشتريتَ عُودَ عَلَفٍ، عندي حاجَتُكَ منه. فأنزلْته ودخلتُ إلى السوق، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسْلٍ ولا جِدَاءٍ ولا طُرْفةٍ[4] ولا غيرِ ذلك إلا ابتعتُ منه فاخِره، وبعثتُ به إليه مع دَجَاجٍ كان عندنا. قال: فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف عَليَّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد ٱلله يُسَاوِمُني بِحَمْلِ عَلَفٍ لي، فلم أَزَلْ أنا وهو حتّى أخذه منّي بعشرة دراهم، وذهب به فطرَحَهُ لِظَهْرِه. وخرجتُ عند الرَّوَاح أتقاضَى العبدَ ثَمَنَ حِمْلي، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دَرَيْتُ. فلما رآني مولاه حَيَّاني ورَحَّبَ بي، وقال: هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق؟ فأعلمه العبدُ أنّ العَلَفَ لي. فأجلسني فتغدَّيْتُ عنده، ثم أمرَ لي مكانَ كلِّ درهم منها بدينار، وكانت معه زوجتُه فاطمةُ بنت عَبَّاد، فبعثتْ إليّ بخمسة دنانير. قال: وراحوا، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرَمَائِي، وقلت: عند ابن عِمْران عِوَضٌ منها. قال: فأقام عندي ثلاثاً، وأتاه جملاه، فما فَعَلَ بي شيئاً. فبينَا هو يترحَّلُ وفي نفسه منِّي ما لا أدري به، إذ كَلَّمَ غلاماً له بشيءٍ فلم يُفْهَمْ فأقبلَ عَلَيَّ فقال: ما أَقْدِرُ على إفهامه مع قُعودِكَ عندي، قد والله آذيتَني ومنعتني ما أردتُ. فقمتُ مُغْتمّاً بالذي قال؛ حتَّى إذا كنتُ على باب الدار لَقِيَني إنسانٌ فسألني: هل فَعَلَ إليك شيئاً؟ فقلتُ: أنا والله بخيرٍ إذْ تَلِفَ مالي ورَبِحتُ بَدَني. قال: وطَلَعَ عليّ وأنا أقولُها، فشتمني واللّهِ يا أبا عبد اللّه حتّى ما أبقَى لي، وزَعَم أنّه لولا إحرامهُ لضربني؛ وراح وما أعطاني درهماً. فقلتُ: [البسيط]

يا مَنْ يُعِينُ على ضَيْفٍ أَلَمَّ بنا ... ليس بِذِي كَرَمٍ يُرْجَى ولا دِينِ

أقامَ عِندِي ثلاثاً سُنَّةً سَلَفَتْ ... أَغْضَيْتُ منها على الأَقْذَاءِ والهُونِ

(١) الظالع: الذي يعرج في مشيته.

(٢) الناضح: البعير الذي يُحْمَلُ عليه الماء وأصبح يستعمل للبعير إجمالاً.

(٣) عمق: ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز. (معجم البلدان ٤: ١٥٦).

(٤) الرِّسْل: اللبن. والجِداء: جمع الجدي: الصغير من ذَكَر المعزى. والطُّرْفة: ما يُطرفُ به الرجل صاحبه.

مسافةُ البيتِ عَشْرٌ غيرُ مُشْكِلةٍ ... وأنتَ تأتيه في شَهْرٍ وعشرينِ
لستَ تُبالِي فَوَاتَ الحَجِّ إن نَصِبَتْ ... ذاتُ الكَلاَلِ وأَسْمَنْتَ ابنَ جِرقينِ
تَحَدَّثَ النَّاسُ عَمَّا فيكَ مِنْ كَرَمٍ ... هَيْهَاتَ ذاكَ لِضِيفَانِ المَساكينِ
أَصْبَحْتَ تَخزُنُ ما تَحْوِي وتَجْمَعُهُ ... أبا سُلَيمانَ من أشلاءِ قارونِ
مثلُ ابنِ عِمْرانَ آباءٌ له سَلَفُوا ... يَجْزُونَ فِعْلَ ذَوِي الإحسانِ بالدُّونِ
ألاَ تكونُ كإسماعيلَ إنَّ له ... رَأياً أصيلاً وفِعْلاً غيرَ ممنونِ
أو مِثْلَ زَوجَتِهِ فيما أَلَمَّ بها ... هَيْهَاتَ مَنْ أُمُّها ذاتُ النِّطاقَيْنِ

فلمّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز: نحن نُعِينُكَ يا أبا إسحاق؛ لقوله: «يا مَنْ يعين». قال: قد رَفَعكَ اللَّهُ عن العَوْن الذي أُريده ما أردتُ إلاَّ رجلاً مثل عبد الله بن خنْزيرةَ وطلحةَ أطْباء الكَلْبة يُمْسِكونه لي وآخذ خُوط سَلَمٍ فأُوجِع به خَوَاصِرَه وجَوَاعِره[1]: قال: ولمَّا بَلغ في إنشاده إلى قوله:

* مثلُ ابن عمران آباءٌ له سلفوا *

أقبل عليّ فقال: عُذْراً إلى الله تعالى وإليكم! إنّي لم أعْنِ من آبائه طلحة بن عُبَيد اللّه. قال: ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان عندنا، فلم يكلّمه حتّى ضرب أنفه، وقال له: فَعنَيْتَ من آبائهِ أبا سُليمان محمدَ بن طَلْحةَ يا دَعِيّ! قال: فدخلنا بينهما. وجاء رسولُ محمد بن طلحة بن عُبَيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه إلى ابن هَرْمَةَ يدعوه، فذهب إليه. فقال له: ما الذي بلغني من هِجائك أبا سليمان! واللهِ لا أرضى حتى تَحْلِفَ ألاَّ تقولَ له أبداً إلاَّ خيراً، وحتى تلقاه فَتَرضَّاه إذا رجع، وتحتمِل كلَّ ما أَزَلّ إليك وتمدَحه. قال: أفعَلُ، بالحُبِّ والكرامة. قال: وإسماعيلُ بن جعفر لا تَعْرِضْ له إلاّ بخير؛ قال: نعم. قال: فأخذ عليه الأيمانَ فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً، وأعطاه محمدُ بن عبد العزيز مثلَها. قال: واندفع ابن هَرْمَةَ يمدَح محمد بن عِمْرانَ: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ القَوْلَ يَخْلُصُ صِدْقُهُ ... وتَأْبَى فما تَزْكُو لِبَاغٍ بَوَاطِلُهْ
ذَمَمْتُ امْرَأً لم يَطْبَعِ الذَّمُّ عِرْضَهُ ... قليلاً لَدَى تَحْصِيلِهِ مَنْ يُشاكِلُهْ
فَمَا بالحجازِ مِنْ فَتًى ذِي إِمارةٍ ... ولا شَرَفٍ إلا ابنُ عِمْرانَ فاضِلُهْ
فَتًى لا يَطُورُ الذَّمُّ ساحَةَ بَيْتِهِ ... وتَشْقَى به لَيْلَ التَّمَامِ عَوَاذِلُهْ

---
(١) الجواعر: جمع الجاعرة: الدُبر.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثنا أحمد بن عمر الزُّهْريّ قال: حَدّثنا أبو بكر بن عبد اللّه بن جعفر المِسْوَرِيّ قال: مَدحَ إبراهيم بن هَرْمَةَ محمدَ بن عِمْران الطَّلْحِيّ، فألفاه راويته وقد جاءته عِيرٌ له تحملُ غَلَّةً قد جاءته من الفُرْع[1] أو خَيْبَر، فقال له رجل كان عنده: أعلَمُ واللّهِ أنّ أبا ثابت بنِ عمْران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرِك هذه. فقال: إنّما أراد أبو ثابت أن يُعَرِّضَني لِلسانِهِ، قُودُوا إليه القِطارَ، فقِيدَ إليه.

[يصنع نبيذاً من تمر الصَّدَقَة]

أخبرنا الحَرَمِيّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني يحيى بن محمد عن عبد اللّه ابن عمرو بن القاسم قال: جاء أبي تَمْرٌ من صَدَقة عُمَر؛ فجاءه ابنُ هَرْمَة فقال: أَمْتَعَ اللّهُ بك! أَعْطِني من هذا التَّمْر. قال: يا أبا إسحاق، لولا أنّي أخاف أن تعمَلَ منه نبيذاً لأعطيتُكَ. قال: فإذا علمتَ أنّي أعمَلُ منه نبيذاً لا تُعطيني. قال: فخافه فأعطاه. فَلَقِيه بعد ذلك؛ فقال له: ما في الدُّنيا أجودُ من نبيذٍ يَجِيءُ من صَدَقة عمر؛ فأخجَله.

أخبرنا الحَرَمِيّ قال: أخبرنا الزُّبَير قال: حَدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قَدِم جريرٌ المدينةَ، فأتاه ابن هَرْمَةَ وابنُ أُذَيْنَةَ فأنشداه؛ فقال جرير: القُرَشِيّ أشعرهما، والعربيُّ أفصحُهما.

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازَةً قال: حَدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدّثني عبد الله بن محمد: أنّ ابنَ هَرْمَةَ قال يمدَح أبا الحكم المُطَّلِب بن عبد الله:

[الطويل]

لـمّـا رأيـتُ الـحـادثـاتِ كَـنَـفْـنَـنِـي ... وأَوْرَثْـنَـنِي بُـؤسـي ذكـرتُ أبـا الـحَـكَـمْ
سَـلِـيـلُ مُـلـوكٍ سبـعـةٍ قـد تـتـابـعـوا ... هـمُ الـمُـصْـطَـفَـوْنَ والـمُـصَـفَّـوْنَ بِـالـكَـرمْ

فلاموه وقالوا: أتمدَحُ غلاماً حديثَ السنّ بمثل هذا! قال: نعم! وكانت له ابنةٌ يُلَقِّبها «عُيَيْنة» ـ وقال الزبير: كان يلقِّبها «عينة» ـ فقال:

---

(١) الفَرْع: قرية من نواحي الرَّبذة على طريق مكة. (معجم البلدان ٤:٢٥٢).

[البسيط]

كانتْ عُيَيْنَةُ فينا وَهْيَ عَاطِلَةٌ بينَ الجَوارِي فحَلاَّهَا أبو الحَكَمِ
فَمَنْ لَحَانَا على حُسْنِ المَقَالِ له كانَ المُلِيمَ وكُنَّا نحنُ لم نُلِمِ

قال يحيى: وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيريّ عن نَوْفَل بن ميمون قال: أرسل ابنُ هَرْمة إلى عبد العزيز بن المُطَّلِب بكتاب يشكو فيه بعضَ حاله؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً. فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخرَ بعد ذلك؛ فقال: إنّا والله ما نَقْوَى على ما كان يقوى عليه الحَكَمُ بن المطّلِب. وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من ولد عُمر فردّته، فخطب إلى امرأة من بني عامر بن لُؤَيّ فزوّجوه. فقال ابن هرمة: [الطويل]

خَطَبْتَ إلى كَعْبٍ فَرَدُّوكَ صاغِراً فَحَوَّلْتَ مِنْ كَعْبٍ إلى جِذْمِ عامرِ[1]
وفي عَامِرٍ عِزٌّ قديمٌ وإنَّما أَجَازَكَ فيهم هزلُ أهلِ المقابِرِ

وقال فيه أيضاً:

أَبِالبُخْلِ تَطْلُبُ ما قَدَّمَتْ عَرانينُ جَادَتْ بِأَموالِها
فهيهاتَ! خَالَفْتَ فِعْلَ الكِرامِ خِلافَ الجِمالِ بِأَبْوَالِها

[بعض أخباره]

وقال هارون بن محمد حدّثني مُغِيرةُ بن محمد قال: حَدّثني أبو محمد السّهْميّ قال: حَدّثني أبو كاسب قال: تزوّج ابن هرمة بامرأة؛ فقالت له: أَعْطِني شيئاً؛ فقال: والله ما معي إلاّ نَعْلاي، فدفعهما إليها، ومضى معها فتورّكها[2] مراراً، فقالت له: أَجْفَيْتَني[3]؛ فقال لها: الذي أجفَى صاحبَه منّا يَعَضُّ بَظْرَ أمه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حَدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حَدّثني المُسَيَّبيّ محمد بن إسحاق قال: حَدّثني إبراهيم ابن سكرة جارُ أبي ضَمْرَة قال: جلس ابن هَرْمة مع قوم على شراب، فذَكَر الحَكَم ابن المُطَّلب فأطنب في مدحه. فقالوا له: إنّك لَتُكْثِرُ ذكْرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعةَ في شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لَرَدَّكَ عنها. فقال: أهو يفعل هذا؟ قالوا: إي والله. وكانوا قد عرفوا أنّ الحَكَم بها مُعْجَبٌ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحْلَب.

---

(١) الجِذْم: الأصل.

(٢) تَوَرَّكها: استند إلى وركها، وأجفيتني: أجهدتني.

فخرج وفي رأسه ما فيه، فدقّ الباب فخرج إليه غلامه. فقال له: أعْلِمْ أبا مَرْوان بمكاني ـ وكان قد أَمَر ألاّ يُحْجَبَ إبراهيم بن هَرْمة عنه ـ فأعلمه به، فخرج إليه مُتّشحاً فقال: أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال: نعم جُعِلتُ فداك، وُلِد لأخ لي مولود فلم تَدِرّ عليه أمّه، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَرّاء»؛ فسألني أن أسألكها. فقال: أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقَى في الدار شاةٌ إلاّ انصرفتَ بها، سُقْهنّ معه يا غلام، فساقهنّ. فخرج بهنّ إلى القوم، فقالوا: وَيْحَك! أيَّ شيء صنعت! فقصّ عليهم القصة. قال: وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثر من عشرة

[أنشد شعراً في مدح الوليد بعد موته]

قال هارون: وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال: ذكر أبي عن أيّوب بن عَبَايةَ عن عمر بن أيُّوب اللَّيْثيّ قال: شَرِبَ ابنُ هَرْمَةَ عندنا يوماً فسَكِرَ فنامَ، فلَما حَضَرَتِ الصّلاةُ تحرّك أو حرّكتُه، فقال لي وهو يتوضأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت: يزعُمون أنّ الوليد قُتِلَ، فرفع رأسَه إليّ وقال: **[الطويل]**

وكانت أُمورُ النّاسِ مُنْبَتّةَ القُوَى ... فَشَدَّ الوليدُ حين قامَ نِظَامَها

خليفةُ حَقٍّ لا خليفةُ باطلٍ ... رَمَى عن قناة الدِّينِ حَتّى أقامَها

ثم قال لي: إيّاكَ أن تذكر من هذا شيئاً؛ فإنّي لا أدري ما يكون.

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال: حَدّثنا أبو العباس الأحول عن ابن الأعرابيّ أنه كان يقول: خُتِمَ الشعراء بابن هَرْمَةَ.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: أخبرني أحمد بن يحيى البَلاَذريّ: أنّ ابن هَرْمة كان مُغْرَماً بالنبيذ، فمرّ على جِيرانه وهو شديد السُّكْر حتى دخل منزلَه. فلمّا كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أمَا سمعتم قولي:

أَسْأَلُ اللّهَ سَكْرَةً قبلَ مَوْتِي ... وصِيَاحَ الصِّبيان يا سكرانُ

قال: فنفضوا ثيابهم وخرجوا، وقالوا: ليس يُفْلِحُ واللّهِ هذا أبداً.

[لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: أنشدني عمّي لابن هرمة: [الخفيف]

مــا أَظُــنُّ الــزَّمَــانَ يــا أُمَّ عَــمْــرٍ تــاركـاً إنْ هــلـكْـتُ مَـنْ يَـبْـكِـيـنـي

قال: فكان والله كذلك؛ لقد مات فأخبرني مَنْ رأى جنازتَه ما يحملها إلاّ أربعة نفر، حتّى دُفِنَ بالبقيع.

قال يحيى بن عليّ ـ أُراه عن البَلاَذُريّ ـ: وُلِدَ ابنُ هَرْمة سَنةَ تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصورَ في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها: [البسيط]

إنّ الـغَـوَانِـيَ قـد أَعْـرَضْـنَ مَـقْـلِـيَـةً لـمَّـا رَمَـى هَـدَفَ الـخـمـسـين مـيلادي

قال: ثم عُمِّرَ بعدَها مدّةً طويلة.

ذكر أخبار يونس الكاتب

[توفي١٣٥ هـ/ ٧٥٢ م]

[نسبه ومنشؤه]

هو يونس بن سليمان بن كرد بن شِهْرَيَار، من ولد هُرْمُز. وقيل: إنّه مولًى لعمرو بن الزُّبَير، ومنشؤه ومنزلُه بالمدينة. وكان أبوه فقيهاً، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابه وأخذ الغِناء عن مَعْبَدٍ وابن سُرَيْج وابن مُحْرِز والغَرِيض، وكان أكثر روايته عن معبد؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذَقُ ولا أقْوَمُ بما أُخِذَ عنه منه. وله غِناءٌ حَسَنٌ، وصنعة كثيرة، وشِعرٌ جيِّد. وكتَابه في الأغاني ونسبها إلى مَنْ غَنَّى فيها هو الأصلُ الذي يُعْمَل عليه ويُرْجَع إليه. وهو أوّل من دوّن الغناء.

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال: حَدَّثنا حماد بن إسحاق قال: حَدَّثني أبي قال: أنشدني مسعود بن خالد المُورِيَاني لنفسه في يونس: [السريع]

يـا يُـونُـسُ الـكـاتِـبُ يـا يـونـسُ ... طـابَ لـنـا الـيـومَ بِـكَ الـمَـجْـلِـسُ

إنَّ الـمُـغَـنِّـيـنَ إذا مـا هُـمُ ... جَـارَوْكَ أَخْـنَـى بـهـمُ الـمـقـبِـسُ

تَـنْـشُـرُ دِيـبـاجـاً وأَشْـبَـاهَـهُ ... وهـم إذا مـا نـشـروا كَـرْبَـسُـوا[1]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: ذكر إبراهيم بن قُدامة الجُمَحيّ قال: اجتمعَ فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يُغَنِّي، فخرجوا إلى وادٍ يقال له دُومة من بطن العقيق، في أصحاب لهم فَتَغَنَّوْا، واجتمع إليهم نساء أهل الوادي ـ قال بعض مَنْ كان مَعهم: فرأيتُ حولَنا مثلَ مُراح الضأن ـ وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له؛ فلمّا رأى جماعة النساء عندهم

(١) كربس: أتى بالكرابيس: وهي ثياب خشنة.

حسَدَهم، فالتفتَ إلى صاحبه فقال: أمَا والله لأُفرِّقَنَّ هذه الجماعة! فأتى قصراً من قصور العَقيق، فَعَلا سَطْحَهُ وألقى رِدَاءَه واتَّكأ عليه وتَغَنَّى:

صوت [مجزوء الكامل]

هــــذا مُـــقَـــامُ مُـــطَـــرَّدِ هُــــدِمَـــتْ مـــنـــازِلُـــهُ ودُورُهْ
رَقَّـــى عـــلـــيـــه عُـــدَاتُـــهُ ظُـــلـــمـــاً فـــعـــاقَـــبَـــهُ أَمِـــيـــرُهْ

ـ الغناء لابن عائشة رملٌ بالوسطى، والشعر لعُبَيْد بن حُنَيْن مولى آل زيد بن الخَطَّاب، وقيل: إنّه لعبد الله بن أبي كثِير مولى بني مخزوم ـ قال: فواللّهِ ما قضَى صوتَه حتَّى ما بَقِيَتِ امرأةٌ إلاّ جلستْ تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامّة أصحابهم؛ فقال يونس وأصحابه: هذا عملُ ابنِ عائشة وحَسَدُهُ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبّة قال: حَدّثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى عن أبيه قال: تزوّجَ عبدُ اللّه بن أبي كَثِيرٍ مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصْعَبِ بن الزُّبير امرأةً من بني عَبْد بن بَغِيض بن عامر بن لُؤَيّ، ففرّق مصعبٌ بينهما، فخرج حتّى قَدِمَ على عبد الله بن الزُّبَير بمكةَ فقال:

هــــذا مُـــقَـــامُ مُـــطَـــرَّدِ هُـــدِمَـــتْ مـــنـــازِلُـــهُ ودُورُهْ
رَقَّـــتْ عـــلـــيـــه عُـــدَاتُـــه كَـــذِبـــاً فـــعَـــاقَـــبَـــهُ أَمِـــيـــرُهْ
فـــي أَنْ شَـــرِبْـــتُ بِـــجَـــمِّ مـــا ءِ كـــانَ حِـــلاًّ لـــي غَـــدِيـــرُهْ
فـــلـــقـــد قَـــطَـــعْـــتُ الـــخَـــرْقَ بـــعـــد الـــخـــرقِ مُـــعْـــتَـــسِـــفـــاً أَسِـــيـــرُهْ[1]
حـــتّـــى أَتَـــيْـــتُ خَـــلِـــيـــفَـــةَ الـــرَّحْـــمـــنِ مـــمـــهـــوداً سَـــرِيـــرُهْ
حَـــيَّـــيْـــتُـــه بـــتَـــحِـــيَّـــةٍ فـــي مَـــجْـــلِـــسٍ حَـــضَـــرَتْ صُـــقُـــورُهْ

فكتب عبدُ اللّه إلى مصْعَب: أن ارْدُدْ عليه امرأتَه؛ فإنِّي لا أُحَرِّمُ ما أَحَلَّ الله عزّ وجلّ، فردّها عليه. هذه رواية عُمر بن شبّة.

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المَدائني عن سحَيْم بن حَفْص: أن المتزوّج بهذه المرأة عُبَيْد بن حُنَيْن مولَى آل زيد بن الخَطَّاب، وأنّ المفرِّق بينهما الحارث بن عبد اللّه بن أبي ربيعة الذي يقال له القُبَاع[2]؛ وذكر باقيَ الخبر مثل الأوّل.

---

(١) الخَرْق: القفر.

(٢) القُباع: هو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر.

[يونس الكاتب يغني للوليد بن يزيد]

أخبرني عمّي قال: حَدّثني طلْحةُ بن عبد اللّه الطَّلْحي قال: حَدّثني أحمد بن الهَيْثَم قال: خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة؛ فبلغ الوليدَ بن يزيدَ مكانُه؛ فلم يشعرْ يونسُ إلاّ برسله قد دخلوا عليه الخان، فقالوا له: أجِبِ الأميرَ ـ والوليد إذ ذاك أمير ـ قال: فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير، لا أدري من هو، إلاّ أنّه من أحسن الناس وجهاً وأنبلِهم، فسلّمت عليه، فأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجواري، فكنا يومنا وليلَتنا في أمر عجيب، وغَنَّيْته فأُعْجِبَ بغنائي إلى أن غنيته: [الخفيف]

إنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحنُ بِخيرٍ قد أتانا مِنْ عَيْشِنَا ما نُرَجّي

ثم تنبَّهتُ فقطعتُ الصوتَ، فقال: ما لَكَ؟ فأخذتُ أعتذر من غِنائي بشعرٍ في مُصْعب. فضَحِكَ وقال: إنَّ مُصْعباً قد مضى وانقطعَ أثرهُ ولا عداوة بيني وبينه؛ وإنّما أريد الغناء، فأمضِ الصَّوتَ؛ فعُدْتُ فيه فغنَّيته. فلم يَزَلْ يستعِيدُنيهِ حتى أصبح، فشرِبَ مُصْطبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثةُ أيّام. ثم قلتُ له: جعلني الله فداء الأمير! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تُجّار وأخاف أن يرتحلوا فيضِيع مالي. فقال لي: أنت تغدو غداً؛ وشَرِب باقي ليلته، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحُمِلتْ إليّ، وغدوتُ إلى أصحابي. فلمّا خرجتُ من عنده سألتُ عنه، فقِيلَ لي: هذا الأمير الوليد بن يزيد وليّ عهد أمير المؤمنين هشام. فلمّا استُخْلِفَ بعثَ إليّ فأتيتُه، فلم أزَلْ معه حتى قُتِلَ.

[أصواته المعروفة بالزيانب]

صوت

من المائة المختارة

[الرمل]

أَقْصَدَتْ زَيْنَبُ قَلبي بَعْدَما ذَهَبَ الباطلُ عَنّي والغَزَلْ[1]
وعَلاَ المَفْرِقَ شَيْبٌ شَامِلٌ وَاضِحٌ في الرَّأسِ مِنّي واشْتَعَلْ

(١) أقصدَ السهمُ: أصاب فقتل.

الشعر لابن رُهَيْمة المَدَنيّ، والغناء في اللحن المختار لعُمَر الواديّ ثاني ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفيه ليونس الكاتب لحنان: أحدهُما خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر في مَجْرى الوسطى عن إسحاق، والآخرُ رملٌ بالسبّابة في مجرى البنصر، عنه أيضاً، وفيه رَمَلانِ بالوسطى والبنصر: أحدهُما لابن المكّي، والآخرُ لِحَكَم، وقيل: إنه لإسحاق من رواية الهِشَامي، ولحنُ يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزَّيانب، والشعر فيها كلُّها لابن رُهَيْمة في زينب بنت عِكْرِمةَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ وهي سبعة: أحدُها قد مضى والآخَرُ:

صوت

أَقْصَدَتْ زَيْنَبُ قلبي ... وسَبَتْ عقلي ولُبِّي
تركتني مُسْتَهاماً ... أَسْتَغِيثُ اللَّهَ رَبِّي
ليسَ لي ذَنْبٌ إليها ... فَتُجازيني بِذَنْبي
ولها عِنْدِي ذنوبٌ ... في تَنائِيها وقُرْبِي

غَنَّاه يونس رَمَلاً بالبِنصر، وفيه لِحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق. ومنها:

صوت

[مجزوء الكامل]

وَجَدَ الفُؤادُ بِزَيْنَبا ... وَجْداً شديداً مُتْعِبَا
أَصْبَحْتُ مِنْ وَجْدِي بها ... أُدْعَى سَقِيماً مُسْهَبا[1]
وجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً ... وأَتَيْتُ أَمْراً مُعْجِبا

غَنَّاه يونس ثقيلاً أوّلَ مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق، وهو مما يُشَكُّ فيه من غناء يونس، ولِعُلَيَّةَ بنت المهديّ فيه ثقيلٌ أوّلُ آخَرُ لا يُشَكُّ فيه أنه لها، كَنَّتْ فيه عن رَشَأ الخادم ـ وذكر أحمد بن عُبيد أنّ فيه من الغناء لحنين هما جميعاً من الثقيل الأوّل ليونس ـ ومن لا يعلم يزعُم أنّ الشِّعر لها. ومنها:

(١) المسهب: الذي ذهب عقله وتغيّر لونه من حبٍّ أو فزع.

صوت

[مجزوء الخفيف]

إنَّـمـا زَيْـنَـبُ الـمُـنَـى ... وَهِـيَ الـهَـمُّ والـهَـوَى
ذاتُ دَلٍّ تُـضْـنِـي الـصَّـحِـيـ ... ـحَ وتُـبْـرِي مِـنَ الـجَـوَى
لا يَـغُـرَّنْـكِ أنْ دَعَـوْ ... تِ فُـؤادي فـمـا الْـتَـوَى
واحْـذَرِي هِـجْـرةَ الـحَـبـيـ ... ـبِ إذا مَـلَّ وانْـزَوَى

غنّاه يونس رَمَلاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. ومنها:

صوت

[مجزوء الرمل]

إنَّـمـا زَيْـنَـبُ هَـمِّـي ... بِـأَبِـي تِـلْـكَ وأُمِّـي
بِـأَبِـي زَيْـنَـبُ لا أَكْـ ... ـنِـي ولَـكِـنِّـي أُسَـمِّـي
بِـأبـي زيـنـبُ مِـنْ قـا ... ضٍ قَـضَـى عَـمْـداً بِـظُـلْـمِـي
بِـأبـي مَـنْ لـيـسَ لـي فـي ... قَـلْـبِـهِ قِـيـراطُ رُحْـمِ(١)

غنّاه يونس رَمَلاً بالبنصر عن عمرو، وله فيه لحنٌ آخر. ومنها:

صوت

[السريع]

يـا زَيْـنَـبُ الـحَـسـنـاءُ يـا زَيـنـبُ ... يـا أَكْـرَمَ الـنَّـاسِ إذا تُـنْـسَـبُ
تَـقِـيـكِ نَـفْـسِـي حـادثـاتِ الـرَّدَى ... والأُمُّ تَـفْـدِيـكِ مَـعـاً والأَبُ
هَـلْ لَـكِ فـي وُدِّ امْـرِىءٍ صـادقٍ ... لا يَـمْـذُقُ الـوُدَّ ولا يَـكْـذِبُ
لا يـبـتـغـي فـي وُدِّه مَـحْـرَمـاً ... هـيـهـاتَ مـنـكِ الـعـمـلُ الأَرْيَـبُ(٢)

غنّاه يونس ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. ومنها:

صوت

[الطويل]

فليتَ الَّذي يَلْحَى على زينبَ المُنَى ... تَـعَـلَّـقَـهُ مِـمَّـا لَـقِـيـتُ عَـشِـيـرُ(٣)

---

(١) الرُّحم: مصدر رحم بمعنى الرحمة.
(٢) الأريب: ذو الرّيب وهو الشكّ والظن.
(٣) العشير: الجزء من العَشرة أجزاء.

فَحسْبِي به بِالعُشْرِ مِمَّا لَقِيتُه   وذلك فيما قد تَرَاهُ يَسِيرُ

غنّاه يونس ثاني ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن الهِشامي.

هذه سبعة أصوات قد مضتْ وهي المعروفة بالزيانب، ومن الناس من يجعلها ثمانيةً، ويزيد فيها لحنَ يونس في:

* تَصَابَيْتَ أم هاجَتْ لكَ الشّوقَ زينبُ *

وليس هذا منها؛ وإن كان ليونس لحنُه، فإنّ شِعْرَه لِحُجَيَّةَ بن المُضَرَّب الكِنْدِيّ، وقد كُتِبَ في موضع آخَر؛ وإنّما الزيانب في شعر ابن رُهَيْمة. ومنهم من يَعُدّها تسعةً ويُضيف إليها: [مجزوء الكامل]

قُولاَ لِزَيْنَبَ لو رَأَيْ   تِ تَشَوُّقي لكِ واشترافي[1]

وهذا اللّحن لِحَكَم، والشعر لمحمد بن أبي العبّاس السفّاح في زينب بنت سليمان بن عليّ، وقد كُتِبَ في موضع آخَر.

انقضت أخبار يونس الكاتب.

---

(١) الاشتراف: التطلّع.

أخبار ابن رُهَيمَةَ

[هشام بن عبد الملك يبيح دمه لأنه شبب بزينب بنت عكرمة]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال: حَدّثنا أحمد بن القاسم قال: حَدثني أبو هِفَّانَ عن إسحاق قال: كان ابن رُهَيْمةَ يُشَبِّبُ بزينب بنت عِكْرِمَةَ بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، ويغنّي يونس بشعره، فافتضحت بذلك. فاستعدى عليه أخوها هشامَ بن عبد الملك، فأمرَ بِضَرْبِه خمسَمائة سوط، وأن يُباحَ دمُه إنْ وُجِدَ قد عاد لذكرها، وأن يُفْعَلَ ذلك بكلٍّ مَنْ غنَّى في شيءٍ من شعره. فَهَرب هو ويونُس فلم يُقْدَرْ عليهما، فلمّا وَليَ الوليدُ بن يزيدَ ظَهَرا، وقال ابن رُهَيْمةَ: [المتقارب]

لَـئِـنْ كُـنْـتَ أَطْـرَدْتَـنِـي ظَـالِـمـاً ... لَـقَـدْ كَـشَـفَ الـلَّـهُ مـا أَرْهَـبُ[1]

ولـو نِـلْـتَ مِـنِّـي مـا تَـشْـتَـهِـي ... لَـقَـلَّ إذا رَضِـيَـتْ زَيْـنَـبُ

ومـا شِـئْـتَ فـاصْـنَـعْـهُ بِـي بـعـدَ ذا ... فَـحُـبِّـي لِـزَيْـنَـبَ لا يَـذْهَـبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أبانُ بن عبد الحميد اللاّحِقيّ:

[مجزوء الوافر]

أُحِـبُّ مِـنَ الـغِـنـاءِ خَـفِـيـ ... ـفَـهُ إنْ فَـاتَـنِـي الـهَـزَجُ

وأَشْـنَـأُ «ضَـوْءَ بَـرْقٍ» مِـثْـ ... ـلَ مـا أَشْـنَـا «عَـفَـا مُـزُجُ»

وأُبْـغِـضُ «يـومَ تَـنْـأَى» و«الـزَّيـ ... ـانِـبُ» كُـلُّـهـا سُـمُـجُ

ويُـعْـجِـبُـنـي لإبـراهـيـ ... ـمَ والأَوتـارُ تَـخْـتَـلِـجُ

«أُدِيـرُ مُـدَامَـةً صِـرْفـاً ... كـأنَّ صَـبِـيـبَـهَـا وَدَجُ»[2]

يغني أَبَانٌ لحنَ إبراهيم. والشعرُ لأبان أيضاً، وهو:

---

(١) أطردتني: جعلتني طريداً.

(٢) كل ما وُضِعَ بين أقواس في الأبيات هو أصوات معروفة في الغناء.

صوت

[مجزوء الوافر]

أُدِيـــرُ مُـــدَامَـــةَ صِــرْفــاً كــأنَّ صَــبِــيــبَــهــا وَدَجُ
فَـظَـلَّ تَـخَـالُـهُ مَـلِـكـاً يُـصَـرِّفُـهـا ويَـمْـتَـزِجُ

الشِّعر لأَبَانٍ، والغِناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً.

وممّا في غناء يونسَ من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب:

صوت
من المائة المختارة

[الطويل]

أَلاَ يـا لَـقَـوْمِـي لِـلـرُّقَـادِ الـمُـسَـهَّـد ولِـلـمـاء مَـمْـنُـوعـاً مِـنَ الـحـائـم الـصَّـدِي
ولِـلـحالِ بـعـدَ الـحَـالِ يَـرْكَـبُـهـا الـفـتـى ولِـلـحُـبِّ بـعـد الـسَّـلْـوَةِ الـمُـتَـمَـرِّدِ

الشعر لإسماعيل بن يَسار النِّسَائي من قصيدة مدَح بها عبد الملك بن مَرْوان، وذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق: أنَّها للغول بن عبد الله بن صَيْفيّ الطَّائي، والصحيح أنَّها لإسماعيل، وأنا أذكُر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدْحَه إيّاه بها ليُعْلَم صِحّةُ ذلك، والغناء ليونس، ولحنه المختار من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّلَ مطلق في مجرى البنصر، وتمام هذه الأبيات:

ولِـلـمَـرْءِ لا عَـمَّـنْ يُـحِـبُّ بِـمُـرْعَـو ولا لِـسَـبِـيـلِ الـرُّشْـدِ يـومـاً بِـمُـهـتـدي[1]
وقـد قـالَ أقـوامٌ وهـم يَـعْـذِلُـونَـهُ لـقـد طـالَ تَـعْـذِيـبُ الـفُـؤادِ الـمُـصَـيَّـدِ

---

(١) ارعوى: كَفّ وارتدّ.

أخبار إسماعيل بن يَسَار ونسبه

[توفي ١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م]

[سبب تلقيبه بالنسائي، وولاؤه]

حدّثني عمّي قال: حَدّثني أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال: حَدّثنا مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْريّ قال: كان إسماعيل بن يَسَارٍ النِّسَائيّ مولَى بني تَيْم بن مُرّةَ: تيم قريش، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبَير، فلمّا أَفْضَتِ الخلافةُ إلى عبد الملك بن مَرْوانَ، وَفَد إليه مع عُرْوة بن الزُّبَير، ومدَحه ومَدَح الخلفاءَ من ولده بعده. وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخرَ سُلْطان بني أميّة، ولم يُدْرِكِ الدولةَ العبّاسيّة. وكان طَيِّباً مليحاً مُنْدِراً بَطّالاً[1]، مليحَ الشِّعْر، وكان كالمنقطع إلى عُرْوةَ بن الزُّبَير، وإنَّما سُمّي إسماعيلُ بن يَسَارٍ النِّسائيَّ، لأنّ أباه كان يصنعُ طعامَ العُرْسِ ويبيعه، فيشتريه منه مَنْ أراد التعريس من المُتَجَمِّلين وممّن لم تبلُغْ حالُه اصطناعَ ذلك.

وأخبرني الأَسَديّ قال: حَدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النّطّاح قال: إنّما سُمّي إسماعيلُ بن يسار النِّسائِيَّ لأنه كانَ يبيع النَّجْدَ والفُرُشَ التي تُتَّخَذُ للعرائس؛ فقيل له إسماعيل بن يَسَارٍ النِّسَائي.

وأخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حدّثنا الخليلُ بن أَسَدٍ عن ابن عائشة: أنّ إسماعيلَ بن يسار النِّسائيّ إنَّما لُقِّبَ بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعامُ العُرُسات مُصْلَحاً أبداً؛ فمَنْ طَرَقَه وجده عنده مُعَدّاً.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال:

---

(١) المندر: الذي يأتي بالنوادر من القول أو الفعل. والبَطّال: الكثير الهزل والمزاح.

حدّثني الزُّبَيْر بن بَكّار قال: قال مُصْعَب بن عثمان: لمّا خرجَ عُرْوةُ بن الزُّبَير إلى الشّام يُريدُ الوليدَ بن عبد الملك، أخرج معه إسماعيلَ بن يسار النِّسائيّ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبَير، فعادَلَه[١]، فقال عُرْوةُ ليلةً من اللّيالي لبعضِ غِلْمانه: أُنْظُرْ كيف ترى المَحْمِلَ؟ قال: أراه معتدلاً قال إسماعيل: الله أكبر، ما اعتدلَ الحَقُّ والباطلُ قبل اللّيلة قَطُّ، فضحكَ عُرْوةُ، وكان يستخفّ إسماعيلَ ويستطيبه.

[تجادل مع رجل يكنى أبا قيس فغلبه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن سعيد قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حدّثني عمّي عن أيُوب بن عَبَايَةَ المخزوميّ: أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزلُ في موضع يقال له حُدَيلة[٢] وكان له جُلساء يتحدّثون عنده، ففَقَدهم أيّاماً، وسأل عنهم فقيل: هم عند رجل يتحدّثون إليه طَيِّبِ الحديث حُلْوٍ ظريف قدِمَ عليهم يُسَمَّى محمدًا ويُكنى أبا قيس. فجاء إسماعيل فوقف عليهم، فسمِعَ الرَّجُلُ القومَ يقولون: قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار، فأقبل عليه فقال له: أنت إسماعيل؟ قال: نعم، قال: رَحِمَ اللَّهُ أبويك فإنّهما سَمَّياك باسمِ صادقِ الوعد[٣] وأنت أكذب النّاس. فقال له إسماعيل: ما اسمك؟ قال: محمد. قال: أبو مَنْ؟ قال: أبو قيس. قال: لا! ولكن لا رحم الله أبويك؛ فإنّهما سَمّياك باسم نبيٍّ وكَنَّياكَ بكُنْيةِ قِرْدٍ. فأُفْحِمَ الرجلُ وضحِكَ القومُ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال: حَدّثنا المدائنيّ عن نُمَير العُذْرِيّ قال: استأذن إسماعيلُ بن يسار النِّسائي على الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك يوماً، فحجَبَهُ ساعةً ثم أَذِنَ له، فدخل يبكي. فقال له الغَمْر: ما لَكَ يا أبا فائد تبكي؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانِيّتي ومَرْوانِيّة أبي أُحْجَبُ عنكَ! فجعلَ الغَمْرُ يعتذرُ إليه وهو يبكي، فما سكتَ حتّى وصله الغمر بجملة لها قَدْر. وخرج من عنده، فَلَحِقَهُ رجلٌ فقال له: أَخْبِرْني ويلَكَ يا إسماعيل؛ أيّ مَرْوانيّة كانت لك أو لأبيك؟ قال: بُغْضُنا إيّاهم، امْرأتُه طالقٌ إن لم يكن يلعَنُ مَرْوانَ وآله كلَّ يوم مكان التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له: قُلْ

---

(١) عادله: ركب في المحمل مقابلاً له ليحصل التوازن.

(٢) حديلة: محلة بالمدينة كان بها دار عبد الملك بن مروان. (معجم البلدان ٢: ٢٣٢).

(٣) يشير إلى النبي إبراهيم الذي صدق ما وعد ربّه.

لا إلَهَ إلاّ الله، فقال: لعَنَ اللّه مَرْوانَ، تَقَرُّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مُقامَهُ.

أخبرني عَمّي قال: حَدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال: حَدّثني مُصْعَبٌ قال: قال إسماعيل بن يسار النِّسائيّ قصيدَتَه التي أوّلُها: [الخفيف]

ما عَلى رَسْم مَنْزِلٍ بالجَنَابِ ... لو أَبانَ الغَدَاةَ رَجْعَ الجَوَابِ[1]

غَيَّرتْهُ الصَّبَا وكُلُّ مُلِثٍّ ... دَائِم الوَدْقِ مُكْفَهِرُّ السَّحَابِ[2]

دَارَ هِنْدٍ وهَلْ زَمَانِي بِهِنْدٍ ... عَائِدٌ بالهَوى وصَفْوِ الجَنابِ

كالّذي كانَ والصَّفَاءُ مَصُونٌ ... لم تَشُبْهُ بِهجْرَةٍ واجْتِنابِ

ذاكَ مِنها إذْ أَنْتَ كالغُصْنِ غَضٌّ ... وهي رُؤْدٌ كَدُمْيَةِ المِحْرَابِ[3]

غادةٌ تَسْتَبي العقولَ بِعَذْبٍ ... طَيِّبِ الطَّعْمِ بَارِدِ الأَنيابِ

وأثِيثٍ مِنْ فوقِ لَوْنٍ نَقِيٍّ ... كبياضِ اللُّجَيْنِ في الزِّرْيَابِ[4]

فَأَقِلَّ المَلامَ فيها وأَقْصِرْ ... لَجَّ قَلبي مِنْ لَوْعَةٍ واكتئابِ

صَاحِ أَبْصَرْتَ أو سَمِعْتَ بِرَاعٍ ... رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرَى في العِلاَبِ[5]

انقضَتْ شِرَّتِي وأَقْصَرَ جَهْلِي ... واسْتَرَاحَتْ عَوَاذِلي مِنْ عِتابي[6]

وقال فيها يفخَر على العرب بالعجم:

رُبَّ خَالٍ مُتَوَّجٍ لِي وعَمٍّ ... مَاجِدٍ مُجْتَدًى كريمِ النِّصَابِ

إنَّما سُمِّيَ الفَوَارِسُ بالفُرْ ... سِ مُضَاهاةَ رِفْعةِ الأَنسابِ

فَاتْرُكِي الفخرَ يا أُمَامَ علينا ... واتْرُكي الجَوْرَ وانْطِقِي بالصَّوابِ

واسْأَلِي إنْ جَهِلْتِ عَنَّا وعَنْكُمْ ... كيفَ كُنَّا في سَالِفِ الأَحْقَابِ

إذ نُرَبِّي بَنَاتِنا وتَدُسُّو ... نَ سَفَاهاً بَنَاتِكُمْ في التُّرابِ

فقال رجل من آل كَثِير بن الصَّلْت: إنّ حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم؛

---

(١) الجِناب: موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام، أو هو من منازل بني مازن، أو من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد. (معجم البلدان ٢: ١٦٤).

(٢) الصَّبَا: الرِّيح، والمطر الملث: المتواصل الذي لا ينقطع. والوَدْق: المطر.

(٣) الرُؤد: الشابة الحَسَنة. والدمية: الصورة.

(٤) الأثيث: يريد شعر أثيث أي كثير وغزير. والزّرياب: ماء الذهب، معرّب.

(٥) العلاب: جمع العلبة: إناء من الجلد أو الخشب يستخدم للحلب.

(٦) الشِّرّة: الغضب.

فأفحمه. يريد أنّ العجم يربُّون بناتِهم لِيَنْكِحوهن، والعرب لا تفعل ذلك، وفي هذه الأبيات غناءٌ، نِسْبَتُه:

صوت

[الخفيف]

صاحِ أَبْصَرْتَ أو سمِعتَ بِراعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرَى في العِلاَبِ
اِنْقَضَتْ شِرَّتي وأَقْصَرَ جَهْلِي واسْتَرَاحَتْ عَوَاذِلي من عِتابي

الشعر لإسماعيل بن يسار النِّسائيّ، والغناء لمالك خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنّ فيه للغريض خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر، وذكر في نسخته الثانية أنه لابن سُرَيج، وذكر الهِشاميّ أنّ لحن ابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى، وأنّ لحن الغَرِيض ثقيلٌ أوّل.

[تعصّبه للعجم وشعوبيته]

وحدّثني بهذا الخبر عَمِّي قال: حَدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ عن مُصْعَب قال: إسماعيلُ بن يسار يُكْنَى أبا فائد، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم من سَبْيِ فارسَ. وكان إسماعيل شُعُوبِياً شديدَ التعصُّب للعجم، وله شعرٌ كثير يفخَر فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعبُ قوله:

إذ نُرَبِّي بناتِنا وتَدُسُّو نَ سَفَاهاً بناتِكم في التُّرابِ

فقال له أشعبُ: صَدَقْتَ والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له. قال: وما ذاك؟ قال: دَفَن القومُ بناتهم خوفاً من العار، وربَّيْتُموهنّ لتنكحوهنّ. قال: فضحك القومُ حتى استغربوا، وخَجِلَ إسماعيل حتّى لو قَدَر أن يَسِيخَ في الأرض لفَعَل.

[مدحه للوليد بن يزيد]

أخبرني الجَوْهريّ قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال: أخبرني أبو سَلَمة الغِفَاريّ قال: أخبرنا أبو عاصم الأَسْلَمي قال: بَيْنَا ابنُ يَسَارٍ النِّسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد إلى مولًى له يقال له عبد الصمد، فدفع ابن يسار النسائي في البركة بثيابه؛ فأمرَ به الوليدُ فأُخْرِج. فقال ابن يسار: [الرمل]

قُلْ لِوَالِي العَهْدِ إنْ لاقَيْتَه — وَوَلِيُّ العَهْدِ أَوْلَى بِالرَّشَدْ
إنّه واللهِ لولا أنتَ لم — يَنْجُ مِنِّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ
إنّه قد رَامَ مِنِّي خُطَّةً — لم يَرُمْها قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدْ
فهو مما رامَ منِّي كالذي — يَقْنُصُ الدُّرّاجَ من خِيسِ الأَسَدْ[1]

فبعث إليه الوليدُ بِخلْعةٍ سَنِيّةٍ وصِلَةٍ وترضَّاه، وقد رُوِيَ هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت في قصة أُخرى، وذُكِرَ هذا الشعرُ له فيه.

[ينشد قصيدة لأحد أبناء جعفر بن أبي طالب فيعجب بها]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حَمّاد قرأتُ على أبي: حدّثني مصعب بن عبد الله قال: سَمِعْتُ إبراهيم بن أبي عبد اللّه يقول: رَكِبَ فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار النّسائي حتّى أتى به قُبَاءَ[2]؛ فاستخرج الأحوص فقال له: أَنْشِدْني قولَك: [المنسرح]

ما ضَرَّ جِيرانَنا إذ انْتَجَعُوا — لو أنّهم قبل بَيْنِهِم رَبَعُوا

فأنشده القصيدةَ، فأُعْجِبَ بها، ثم انصرف. فقال له إسماعيل بن يسار: أمَا جئتَ إلاّ لما أرى؟ قال: لا. قال: فاسمَعْ، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

ما ضَرَّ أَهْلَكِ لو تَطَوَّفَ عَاشِقٌ — بِفِنَاءِ بَيْتِكِ أَوْ أَلَمَّ فَسَلَّما

فقال: واللّهِ لو كنتُ سَمِعْتُ هذه القصيدةَ أو عَلِمْتُ أنكَ قُلْتَها لمَا أتيتُه. وفي أبياتٍ من هذا الشعر غناءٌ نِسْبَتُه:

صوت

[الكامل]

يا هِنْدُ رُدِّي الوَصْلَ أَنْ يَتَصَرَّمَا — وَصِلِي امْرَأً كَلِفاً بِحُبِّكِ مُغْرَما
لو تَبْذُلِينَ لَنَا دَلاَلَكِ مَرَّةً — لم نَبْغِ مِنْكِ سِوَى دَلاَلِكِ مَحْرَمَا
مَنَعَ الزِّيَارةَ أَنَّ أَهْلَكِ كُلَّهُمْ — أَبْدَوْا لِزَوْرِكِ غِلْظَةً وَتَجَهُّمَا
ما ضَرَّ أَهْلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ — بِفِنَاءِ بَيتِكِ أو أَلَمَّ فَسَلَّما

(١) الدّرّاج: طائر أسود يدرج في مشيه وهو من طيور العراق كثير النتاج. وخيس الأسد: غابته ومكانه.

(٢) قُبَاء: قرية على ميلين من المدينة فيها مسجد رسول الله ﷺ. (معجم البلدان ٤: ٣٠٢).

الشعر لإسماعيل بن يَسَار النِّسائيّ، والغناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لإبراهيم المَوْصِليّ رَمَلٌ بالبنصر عن حَبَش.

[زبّان السوّاق يسمع شعره ويبكي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حَدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدةَ قال: أنشد رجلٌ زَبّان السوّاق قولَ إسماعيل بن يَسار:

مـا ضَـرَّ أهـلَـكِ لـو تَـطَـوّفَ عـاشـقٌ ... بـفـنـاءِ بـيـتِـكِ أو أَلَـمَّ فـسَـلَّـمـا

فبكى زبّان، ثم قال: لا شيء واللّهِ إلاّ الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل يبكي ويمسَح عينيه.

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلانِيّ النحويّ صِهْر المُبَرِّد قال: حَدَّثني طلحةُ بن عبد اللّه بن إسحاق الطَّلْحيّ قال: حَدّثني الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثني جعفر بن الحسين المُهَلَّبِيّ قال: أنشدتُ زَبَّان السَّوَّاق قولَ إسماعيل بن يَسَارٍ النِّسائيّ:

صوت [الخفيف]

إنّ جُـمْـلاً وإنْ تَـبَـيَّـنْـتُ مـنـهـا ... نَـكَـبـاً عَـنْ مَـوَدَّتِـي وازْوِرَارَا
شَـرَّدَتْ بِـادِّكَـارِهـا الـنَّـوْمَ عَـنِّـي ... وأُطِـيـرَ الـعَـزَاءُ مِـنِّـي فَـطَـارا
مـا عـلـى أَهْـلِـهَـا ولَـمْ تَـأْتِ سُـوءاً ... أَنْ تُـحَـيَّـا تَـحِـيَّـةً أو تُـزارَا
يـومَ أَبْـدَوْا لِـيَ الـتَّـجَـهُّـمَ فـيـهـا ... وحَـمَـوْهـا لَـجَـاجَـةً وضِـرَارَا

فقال زبّان: لا شيءَ وأبيهم إلاّ اللَّحز وقِلّة المعرفة وضِيق العَطَن[1]. فصاح عليه أبو المُعَافَى وقال: فَعَلَى مَنْ ذاك وَيْلَكَ! أعليكَ أو على أبيكَ أو أُمّك؟ فقال له زبّان: إنّما أُتِيتَ يا أبا المُعَافَى من نفسك، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وابنُكَ، فوثبَ إليه أبو المُعَافَى يرميه بالتُّراب ويقول له: وَيْحَكَ يا سفيه! تُحسن الدِّياثةَ! وزبّان يسعَى هرباً منه.

الغناء في هذه الأبيات لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ

(١) اللّحَز: الشحّ والبخل. وضيق العَطَن: ضيق الصدر والحمق.

وحمّاد، وذكر الهشاميّ وحَبَشٌ أنه لابن مُحْرِز، وأنّ لحن ابنَ مِسْجَح ثاني ثقيل.

[الوليد بن يزيد يطرب لشعره ويطلب أن يُغَنَّى]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبّة قال: حَدّثني إسحاق المَوْصِليّ قال: غُنِّيَ الوليدُ بن يزيد في شعْرٍ لإسماعيل بن يَسَار، وهو:

[السريع]

حتّى إذا الصُّبْحُ بدا ضَوْؤُهُ ... وغَارَتِ الجَوْزَاءُ والمِرْزَمُ[١]

خَرَجْتُ والوَطْءُ خَفِيٌّ كما ... يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الأَرْقَمُ

فقال: مَنْ يقول هذا؟ قالوا: رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النِّسائيّ، فكتب في إشخاصه إليه. فلمّا دخل عليه استنشده القصيدةَ التي هذان البيتان منها؛ فأنشده:

[السريع]

كَلْثَمُ أَنْتِ الهَمُّ يا كَلْثَمُ ... وَأَنْتُمُ دَائِي الَّذي أَكْتُمُ

أُكَاتِمُ النَّاسَ هَوًى شَفَّني ... وبَعْضُ كِتمانِ الهَوَى أَحْزَمُ

قد لُمْتِني ظُلْماً بلا ظِنَّةٍ ... وأَنْتِ فيما بيننا أَلْوَمُ

أُبْدِي الَّذي تُخْفِينَهُ ظاهراً ... أَرْتَدُّ عَنْهُ فِيكِ أو أُقْدِمُ

إمَّا بِيَأْسٍ مِنْكِ أو مَطْمَعٍ ... يُسْدَى بِحُسْنِ الوُدِّ أَوْ يُلْحَمُ

لا تَتْرُكِيني هكذا مَيِّتاً ... لا أُمْنَحُ الوُدَّ ولا أُصْرَمُ

أَوْفِي بما قُلْتِ ولا تَنْدَمِي ... إنّ الوَفِيَّ القَوْلِ لا يَنْدَمُ

آيةُ ما جِئْتُ على رِقْبَةٍ ... بَعْدَ الكَرَى والحَيُّ قد نَوَّمُوا

أُخَافِتُ المَشْيَ حَذَارَ العِدَا ... واللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ مُظْلِمُ

ودونَ ما حَاوَلْتُ إذ زُرْتُكُمْ ... أَخُوكِ والخَالُ مَعاً والعَمُّ

وليسَ إلاّ اللَّهَ لي صَاحِبٌ ... إلَيْكُمُ والصَّارِمُ اللَّهْذَمُ[٢]

حتّى دَخَلْتُ البيتَ فاسْتَذْرَفَتْ ... مِنْ شَفَقٍ عَيْنَاكِ لي تَسْجُمُ

ثمَّ انْجَلَى الحُزْنُ ورَوْعَاتُهُ ... وغُيِّبَ الكَاشِحُ والمُبْرِمُ[٣]

فَبِتُّ فيما شِئْتُ مِنْ نَعْمَةٍ ... يَمْنَحُنِيها نَحْرُهَا والفَمُ

---

(١) المِرزَمان: نجمان من نجوم المطر.

(٢) الصارم اللَّهذم: السيف القاطع.

(٣) الكاشح: المبغض، والمبرم: الجليس الثقيل.

حـتّـى إذا الـصُّـبْـحُ بَـدَا ضَـوْؤُهُ وغَـارَتِ الـجَـوْزَاءُ والـمِـرْزَمُ
خَـرَجْـتُ والـوَطْءُ خَـفِـيٌّ كـمـا يَـنْـسَـابُ مِـنْ مَـكْـمَـنِـهِ الأَرْقَـمُ

قال: فطَرِبَ الوليدُ حتَّى نزلَ عن فَرْشِهِ وسريره، وأَمَر المغَنِّين فَغنَّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحاً، وأَمَر لإسماعيل بِكُسْوةٍ وجائزة سنيّة، وسرّحه إلى المدينة.

نسبة هذا الصوت

الشعرُ لإسماعيل بن يَسَار النِّسائي، والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ.

حدثنا أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمَّار قال: حَدّثنا عُمَر بن شَبّة قال: حَدّثنا إسحاق الموصليّ قال: حَدّثنا محمد بن كُنَاسةَ قال: اصطحبَ شيخٌ وشبابٌ في سفينة من الكوفة؛ فقال بعض الشباب للشيخ: إنّ معنا قَيْنةً لنا، ونحن نُجِلُّكَ ونُحِبُّ أن نسمَعَ غناءها. قال: اللَّهُ المستعان؛ فأنا أرقَى على الأطلال[1] وشأنَكم. فغنَّتْ: [السريع]

حَـتَّـى إذا الـصُّـبْـحُ بَـدَا ضَـوْؤُهُ وغَـارَتِ الـجـوزاءُ والـمِـرزَمُ
أَقْـبَـلْـتُ والـوَطْءُ خَـفِـيٌّ كـمـا يَـنْـسَـابُ مِـنْ مَـكْـمَـنِـهِ الأَرْقَـمُ

قال: فألقَى الشيخ بنفسه في الفُرَات، وجعل يخبِطُ بيديه ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فأدركوه وقد كاد يغرَقُ؛ فقالوا: ما صنعتَ بنفسك؟ فقال: إنِّي واللَّهِ أعلمُ من معاني الشعر ما لا تعلمون.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حَدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني أبو مُسْلِم المُسْتَمْلِي عن المَدَائنيّ قال: مدح إسماعيلُ بن يسار النِّسائيّ رجلاً من أهل المدينة يقال له عبدُ اللَّه بن أَنَس، وكان قد اتَّصل ببني مَرْوانَ وأصاب منهم خيراً، وكان إسماعيل صديقاً له؛ فرحل إلى دِمَشْقَ إليه، فأنشده مديحاً له ومَتَّ إليه بالجِوار والصداقة؛ فلم يُعْطِه شيئاً. فقال يهجوه: [الوافر]

لَـعَـمْـرُكَ مـا إلـى حَـسَـنٍ رَحَـلْـنـا ولا زُرْنَـا حُـسَـيْـنـاً يـابْـنَ أنَـسِ

(يعني الحسنَ والحسين رضي الله عنهما).

---

(١) الأطلال: جمع الطَّلَل: شراع السفينة.

ولا عَبْداً لِعَبْدِهِما فنَحْظَى بِحُسْنِ الحَظِّ منهم غيرَ بَخْس
ولَكِنْ ضَبٌّ جَنْدَلَةٍ أَتَينا مُضِبّاً في مَكامِنِه يُفَسّي[1]
فَلَمّا أَنْ أَتَيْناهُ وقُلْنا بِحاجَتِنا تَلَوَّنَ لَوْنَ وَرْس
وأَعْرَضَ غَيْرَ مُنْبَلِجٍ لِعُرْفٍ وظَلَّ مُقَرْطِباً ضِرْساً بِضِرْسِ[2]
فَقُلْتُ لأَهْلِهِ أَبِهِ كُزازٌ وقُلْتُ لِصَاحِبي أتُراه يُمْسِي
فكان الغُنْمُ أَنْ قُمْنا جميعاً مَخافَةَ أَنْ نُزَنَّ بِقَتْلِ نَفْسِ[3]

[رثاؤه لمحمد بن عروة]

حدّثني عَمّي قال: حَدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدّثنا مُصْعَب بن عبد الله قال: وَفَد عَرْوةُ بن الزُّبَير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار النِّسائي، فمات في تلك الوِفادة محمد بن عُرْوة بن الزُّبَير، وكان مُطَّلِعاً على دَوابِّ الوليد بن عبد الملك، فسقَط من فوق السطح بينها، فجعلتْ تَرْمَحُهُ حتى قطّعته، كان جميلَ الوجه جواداً؛ فقال إسماعيل بن يَسَار يرثيه: [الكامل]

صَلّى الإلَهُ على فَتًى فارَقْتُهُ بالشَّامِ في جَدَثِ الطَّوِيِّ المُلحَدِ[4]
بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ دَارَ إقامةٍ نَائِي المَحَلَّةِ عَنْ مَزَارِ العُوَّدِ
وغَبَرْتُ أُعْوِلُهُ وَقَدْ أَسْلَمْتُهُ لِصَفَا الأَماعِزِ والصَّفِيحِ المُسْنَدِ[5]
مُتَخَشِّعاً لِلدَّهْرِ أَلْبَسُ حِلَّةً في النّائباتِ بِحَسْرَةٍ وتَجَلُّدِ
أَعْنِي ابْنَ عُرْوَةَ إنّه قد هَدَّني فَقْدُ ابْنِ عُرْوةَ هَدَّةً لم تُقْصِدِ
فإذا ذَهَبْتُ إلى العَزَاءِ أَرُومُهُ لِيَرَى المُكاشِحُ بالعزاءِ تَجَلُّدِي
مَنَعَ التَّعَزِّيَ أَنَّني لِفراقِهِ لَبِسَ العَدُوُّ عَلَيَّ جِلْدَ الأَرْبَدِ[6]
ونَأَى الصَّدِيقُ فلا صَدِيقَ أَعُدُّهُ لِدِفاعِ نائِبَةِ الزَّمانِ المُفْسِدِ
فَلَئِنْ تَرَكْتُكَ يا مُحَمَّدُ ثاوِياً لَبِمَا تَروحُ مع الكِرامِ وتَغْتَدي

---

(١) الجندلة: الحجارة.
(٢) مقرطباً: غاضباً.
(٣) نُزَنّ: نُتّهم.
(٤) الطويّ الملحَد: اللّحد المبني بالحجارة.
(٥) الصفا: جمع الصفاة: الحجر الصلد الضخم، والأماعز: جمع الأمعز: المكان الكثير الحصى. والصفيح: الحجارة العريضة. والمسند: المتراكب بعضها فوق بعض.
(٦) جلد الأربد: جلد الأسد.

كـانَ الَّـذي يَـزَعُ الـعَـدُوَّ بِـدَفْـعِـهِ ... ويَـرُدُّ نَـخْـوَةَ ذي الـمِـرَاحِ الأَصْـيَـدِ(١)
فَـمَـضَـى لِـوُجْـهَـتِـهِ وكُـلُّ مُـعَـمَّـرٍ ... يَـوْمـاً سَـيُـدْرِكُـهُ حِـمَـامُ الـمَـوْعِـدِ

[مدح عبد الملك بن مروان وأبناءه]

حدّثني عمّي قال: حَدّثني أحمد بن أبي خَيْثمةَ قال: حَدَّثنا مُصْعَب بن عبد الله عن أبيه: أن إسماعيل بن يَسَار دخل على عبد الملك بن مَرْوان لمّا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير، فسلَّمَ ووقف موقف المُنْشِد واستأذنَ في الإنشاد فقال له عبد الملك: الآن يابنَ يسار! إنّما أنت امرؤٌ زُبَيْريٌّ، فبأي لسان تُنْشِدُ؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أصغرُ شأناً من ذلك، وقد صَفَحْتَ عن أعظمَ جُرْماً وأكثرَ غَنَاءً لأعدائك منِّي، وإنما أنا شاعر مُضْحِكٌ. فتبَسَّمَ عبدُ الملك؛ وأومأ إليه الوليد بأن يُنْشد، فابتدأ فأنشد قولَه: [الطويل]

أَلاَ يَـا لَـقَـوْمـي لِـلـرُّقَـاد الـمُـسَـهَّـدِ ... ولِـلـمـاءِ ممنوعاً من الحائم الصَّدِي
ولِـلـحالِ بعد الحالِ يَرْكَبُهَا الفَتَى ... ولِـلـحُـبِّ بَـعْـدَ الـسُّـلْـوَةِ الـمُـتَـمَـرِّدِ
ولِـلـمَرْءِ يُلْحَى في التَّصَابِي وقَبْلَهُ ... صبـا بِـالـغـوانـي كُـلُّ قَـرْمٍ مُـمَـجَّـدِ
وكيف تَنَاسِي القَلْبِ سَلْمَى وحُبُّها ... كَجَمْرِ غَضًى بين الشَّراسِيفِ مُوقَدِ(٢)

حتى انتهى إلى قوله:

إلـيـكَ إمـامَ الـنَّـاسِ مِـنْ بَـطْـنِ يَـثْـرِبٍ ... ونِـعْـمَ أخـو ذِي الـحـاجـةِ الـمُـتَـعَـمِّـدِ
رَحَـلْـنـا لأَنَّ الـجُـودَ مِـنـكَ خَـلِـيـقَـةٌ ... وأَنَّـكَ لـم يَـذْمُـمْ جَـنَـابَـكَ مُـجْـتَـدِي(٣)
مَـلَـكْـتَ فَـزِدْتَ الـنَّـاسَ مـا لـم يَـزِدْهُـم ... إمـامٌ مِـنَ الـمعـروفِ غَـيْـرِ الـمُـصَـرَّدِ(٤)
وقُـمْـتَ فـلـم تَـنْـقُـضْ قَـضَـاءَ خـلـيـفـةٍ ... ولَـكِـنْ بـمـا ساروا مِنَ الفِعْلِ تَقْتَدِي
ولَـمَّـا وَلِـيـتَ الـمُـلْـكَ ضَـارَبْـت دُونَـهُ ... وأَسْـنَـدْتَـهُ لا تَـأْتَـلِـي خَـيْـرَ مُـسْـنَـدِ
جَـعَـلْـتَ هِـشَـامـاً والـولـيـدَ ذَخِـيـرَةً ... وَلِـيَّـيْـنِ لِـلْـعَـهْـدِ الـوَثـيـقِ الـمُـؤَكَّـدِ

قال: فنظر إليهما عبدُ الملك مُتَبسِّماً، والتفت إلى سليمان فقال: أخرجك إسماعيل من هذا الأمر، فقَطَب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظر مُغْضَبٍ. فقال

---

(١) ذو المراح: ذو النشاط والاختيال.

(٢) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.

(٣) الجَنَاب: الفِناء، أو محلّة القوم، يقال: أخصبَ جَنابُ القومِ، وفلان خصيب الجَناب.

(٤) صَرَّد العطاء: قَلَّلَهُ.

إسماعيل: يا أمير المؤمنين، إنما وَزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأوّل، وقد قلتُ بعده: [الطويل]

وأمْضَيْتَ عَزْماً في سليمانَ راشداً ومَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ مِثْلَكَ يَرْشُدِ

فأمر له بألفي درهمٍ صلةً، وزاد في عطائه، وفرض له، وقال لولده: أعْطُوه؛ فأعطَوْه ثلاثة آلافِ درهم.

[يفتخر بالعجم فيلقيه هشام بن عبد الملك في بركة الماء]

أخبرني عمّي قال: حَدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال: ذكر ابن النَّطّاح عن أبي اليَقْظان: أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هِشَام بن عبد الملك في خِلافته وهو بالرُّصَافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره، فاستنشده وهو يرى أنه يُنْشِده مديحاً له؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم: [البسيط]

يا رَبْعَ رَامَةَ بِالعَلْيَاءِ مِنْ رِيمِ هل تَرْجِعَنَّ إذا حَيَّيْتُ تَسْلِيمي[1]
ما بَالُ حَيٍّ غَدَتْ بُزْلُ المَطِيِّ بِهِمْ تَخْدِي لِغُرْبَتِهِمْ سَيْراً بِتَقْحِيمِ[2]
كأنَّني يومَ ساروا شَارِبٌ سَلَبَتْ فُؤَادَهُ قَهْوَةٌ مِنْ خَمْرِ دَارُومِ[3]

حتّى انتهى إلى قوله:

إنـي وَجَدِّكَ ما عُودي بِذِي خَوَرٍ عِنْدَ الحِفَاظِ ولا حَوْضِي بِمَهْدومِ
أَصْلِي كَرِيمٌ ومَجْدِي لا يُقاسُ به ولي لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومِ
أَحْمِي به مَجْدَ أقوامٍ ذَوِي حَسَبٍ مِنْ كلِّ قَرْمٍ بِتَاجِ المُلْكِ مَعْمُومِ
جَحَاجِحٍ سادةٍ بُلْجٍ مَرَازِبَةٍ جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعِيمِ[4]
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وسابورِ الجُنودِ معاً والهُرْمُزانِ لِفَخْرٍ أوْ لِتَعْظِيمِ[5]

---

(١) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة. (معجم البلدان ٣: ٤٧). ورِئم ورِيم: وادٍ لمزينة قرب المدينة على ثلاثين ميلاً منها. (معجم البلدان ٣: ١١٤).

(٢) البُزل: جمع البزول: الناقة في تاسع سنيّها. وتخدي: تسرع وتزجّ بقوائمها. والتقحيم: طَيّ المنازل وعدم النزول بها.

(٣) داروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر تنسب إليها الخمر الجيدة. (معجم البلدان ٢: ٤٢٤).

(٤) الجحاجح: جمع الجحجح: السيد الكريم. والبلج: جمع الأبلج: المشرق الوجه. والمرازبة: جمع المرزبان: هو الرئيس وهي كلمة فارسية. والعِتاق: جمع العتيق: الكريم من كلّ شيء.

(٥) الهرمزان: الكبير من ملوك العجم.

أُسْدُ الكتائبِ يَوْمَ الرَّوْعِ إنْ زَحَفُوا ... وهُمْ أَذَلُّوا مُلُوكَ التُّرْكِ والرّوم

يَمْشُونَ في حَلَقِ الماذِيِّ سَابِغَةً ... مَشْيَ الضَّرَاغِمةِ الأُسْدِ اللَّهَامِيمِ[1]

هناكَ إنْ تَسْألي تُنْبَيْ بِأنَّ لنا ... جُرْثومَةً قَهَرَتْ عِزَّ الجَرَاثِيمِ[2]

قال: فغضِبَ هشامٌ وقال له: يا عَاضَّ بَظْرِ أمّه! أَعَلَيَّ تَفْخَرُ وإيَّايَ تُنْشِدُ قصيدةً تمدَحُ بها نفسكَ وأعلاجَ[3] قومك!! غُطُّوه في الماء، فغطُّوه في البركة حتى كادت نفسه تخرُجُ، ثم أمر بإخراجه وهو بِشَرٍّ ونفاه من وقتِه، فأُخرِجَ عن الرُّصَافة منفياً إلى الحجاز. قال: وكان مُبْتَلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً.

[مدح الوليد والغمر ابني يزيد فأكرماه]

أخبرني عمِّي قال: حَدّثني أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال: قال ابن النَّطَّاح وحدّثني أبو اليَقْظان: أنّ إسماعيل بن يَسَار وَفَدَ إلى الوليد بن يزيد، وقد أسنَّ وضعُف، فتوسَّلَ إليه بأخيه الغَمْر ومَدَحه بقوله:

نَأَتْكَ سُلَيْمَى فَالهَوَى مُتَشَاجِرُ ... وفي نَأْيِها لِلقَلْبِ دَاءٌ مُخَامِرُ

نَأَتْكَ وهَامَ القلبُ، نَأْياً بِذِكْرِها ... ولَجَّ كما لَجَّ الخَلِيعُ المُقَامِرُ

بِوَاضِحَةِ الأَقْرَابِ خَفَّاقَةِ الحَشَى ... بَرَهْرَهَةٍ لا يَجْتَوِيها المُعَاشِرُ[4]

يقول فيها يمدَح الغَمْرَ بن يزيد:

إذا عَدَّدَ النَّاسُ المَكَارِمَ والعُلاَ ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ

فما مَرَّ من يوم على الدَّهْرِ واحدٍ ... على الغَمْرِ إلاّ وهو في النَّاسِ غَامِرُ

تَرَاهُمْ خُشُوعاً حينَ يَبْدو مَهَابَةً ... كما خَشَعَتْ يوماً لِكِسْرَى الأَسَاوِرُ[5]

---

(١) الحَلَق: جمع الحلقة؛ الدرع. والماذيّ: الدروع البيضاء السهلة واللّيّنة. والسابغة: الدرع الواسعة. واللهاميم: جمع لهميم: هو السابق من الجواد أو الناس.

(٢) جرثومة الشيء: أصله.

(٣) الأعلاج: جمع العِلج: الرجل من كُفّار العجم.

(٤) الأقراب: جمع قُرب: الخاصرة. والبَرهرهة: المرأة الشابة البيضاء الناعمة. ولا يجتويها: لا يكرهها.

(٥) الأساور: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً.

أَغَــرُّ بِــطَــاحِــيٌّ أنَّ جَــبِــيــنَــهُ إذا مـا بَـدَا بَـدْرٌ إذا لاَحَ بَـاهِـرُ[(١)]
وَقَـى عِـرْضَـه بـالـمـالِ فـالـمَـالُ جُـنَّـةٌ لـه وأَهَـانَ الـمَـالَ والـعِـرْضُ وافـرُ[(٢)]
وفـي سَـيْـبِـهِ لِـلْـمُـجْـتَـدِيـنَ عِـمـارَةٌ وفـي سَـيْـفـه لِـلـدِّيـن عِـزٌّ ونـاصـرُ[(٣)]
نَـمَـاه إلـى فَـرْعَـيْ لُـؤَيِّ بـن غـالـبٍ أبـوه أبـو الـعـاصـي وحَـرْبٌ وعـامـرُ
وخـمـسـةُ آبـاءٍ لـه قـد تَـتَـابَـعُـوا خَـلائِـفُ عَـدْلٍ مُـلْـكُـهُـمْ مُـتَـواتِـرُ
بَـهـالِـيـلُ سَـبَّـاقـون فـي كُـلِّ غـايـةٍ إذا اسْتَبَقَتْ في المَكْرُماتِ المَعاشِرُ
هُمْ خَيْرُ مَنْ بين الحَجُونِ إلى الصَّفَا إلى حيثُ أَفْضَتْ بِالبِطاحِ الحَزَاوِرُ[(٤)]
وهُمْ جَمَعُوا هذا الأنَامَ على الهُدَى وقـد فَـرَّقَـتْ بـيـنَ الأنـامِ الـبَـصَـائِـرُ

قال: فأعطاه الغَمْرُ ثلاثةَ آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليدِ ثلاثة آلاف درهم.

[يرثي أخاه محمد]

أخبرني عمي قال: حَدّثنا أحمد بن أبي خَيْثمة عن مُصْعَب قال: لمّا مات محمد بن يسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيلُ على هشام بن عُرْوَةَ، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه ثم أنشده يرثيه: [الكامل]

عِـيـلَ الـعَـزَاءُ وخَـانَـنِـي صَـبْـرِي لَـمَّـا نَـعَـى الـنَّـاعـي أبـا بَـكْـرِ
ورَأيـتُ رَيْـبَ الـدَّهْـرِ أفـردنـي مـنـه وأَسْـلَـمَ لِـلْـعِـدَا ظَـهْـرِي
مِـنْ طَـيِّـبِ الأثْـوَابِ مُـقْـتَـبِـلٍ حُـلْـوِ الـشَّـمَـائِـلِ مـاجِـدٍ غَـمْـرِ[(٥)]
فَـمَـضَـى لِـوُجْـهَـتِـهِ وأَدْرَكَـهُ قَـدَرٌ أُتِـيـحَ لـه مِـنَ الـقَـدْرِ
وغَـبَـرْتُ مَـا لِـي مِـنْ تَـذَكُّـرِه إلاّ الأَسَـى وحَـرَارَةُ الـصَّـدْرِ[(٦)]
وجَـوًى يُـعَـاوِدُنِـي وقَـلَّ لَـه مِـنِّـي الـجَـوَى ومَـحَـاسِـنُ الـذِّكْـرِ[(٧)]

---

(١) البطاحيّ: نسبة إلى البطاح وهي التي كان ينزلها قريش البطاح وهم أكرم قريش. (معجم البلدان ١: ٤٤٤).
(٢) الجُنَّة: الوقاية والدرع.
(٣) السَّيْب: العطاء.
(٤) الحَجون: جبل بأعلى مكة. (معجم البلدان ٢: ٢٢٥). والصَّفا: مكان مرتفع من جبل أبي قبيس. (معجم البلدان ٣: ٤١١). والحزاور: جمع الحَزْوَرَة: سوق بمكّة. (معجم البلدان ٢: ٢٥٥).
(٥) الشمائل: جمع الشِّمال: الخُلُق. والماجد: الكريم. والغَمْر: السّخِيُّ الكريم.
(٦) غبرت: بقيتُ وأصبحتُ.
(٧) الجَوَى: الحُرْقة وشدة الوجد من الحب أو الحزن.

لَمّا هَوَتْ أَيدي الرِّجالِ بهِ ... في قَعْرِ ذاتِ جَوَانبِ غُبْرِ
وعَلِمْتُ أَنّي لَنْ أُلاقِيَهُ ... في النّاسِ حَتّى مُلْتَقَى الحَشْرِ
كادتْ لِفُرْقَتِهِ وما ظَلَمَتْ ... نَفسي تموتُ على شَفَا القَبْرِ
ولَعَمْرُ مَنْ حُبِسَ الهَدِيُّ له ... بالأَخْشَبَيْنِ صَبِيحَةَ النَّحْرِ(١)
لو كانَ نَيْلُ الخُلْدِ يُدْرِكُهُ ... بَشَرٌ بطِيبِ الخِيمِ والنَّجْرِ(٢)
لَغَبَرْتَ لا تَخْشَى المَنُونَ ولا ... أَوْدَى بِنَفْسِكَ حَادِثُ الدَّهْرِ
ولَنِعْمَ مَأْوَى المُرْمِلِينَ إذا ... قُحِطُوا وأَخْلَفَ صَائِبُ القَطْرِ
كَمْ قُلْتُ آونةً وقد ذَرَفَتْ ... عَيْنِي فماءُ شُؤُونِها يَجْرِي(٣)
أَنّى وأَيُّ فَتًى يكونُ لنا ... شَرْوَاكَ عِنْدَ تَفَاقُمِ الأَمْرِ(٤)
لِدفاعِ خَصْمٍ ذي مُشَاغَبَةٍ ... ولِعَائِلٍ تَرِبٍ أَخِي فَقْرِ(٥)
ولقد عَلِمْتُ وإِنْ ضَمِنْتُ جَوًى ... مِمّا أُجِنُّ كَوَاهِجِ الجَمْرِ
ما لامْرِئٍ دونَ المَنِيَّةِ مِنْ ... نَفَقٍ فَيُحْرِزُهُ ولا سِتْرِ

قال: وكان بحضرة هشام رجلٌ من آلِ الزُّبَير، فقال له: أحسنتَ وأسرفتَ في القول، فلو قلتَ هذا في رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيراً. فزجره هشام وقال: بِئْسَ والله ما واجهتَ به جليسَك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً. فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبَيريّ وقال: ما أردتَ إلى رجلٍ شاعر مَلَكَ قولَه فصرَفَ أحسنَه إلى أخيه! ما زدتَ على أن أغريته بعِرْضِكَ وأعراضِنا لولا أنّي تَلافَيْتُه. وكان محمد بن يَسَار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة. ولم أَجِدْ له خبراً فأذكُرَه، ولكن له أشعار كثيرة يُغَنَّى فيها، منها قوله في قصيدة طويلة:

---

(١) الأخشبان: جبلان يضافان إلى مكة تارة وإلى منى تارة، وهما أبو قبيس وقعيقعان. (معجم البلدان ١: ١٢٢).

(٢) الخِيم: السّجيّة والطبيعة. والنَّجر: الأصل.

(٣) الشؤون: جمع الشّأن، والشأنان: عرقان ينحدران من الرأس إلى الحاجبين ثم إلى العينين. وماء شؤونها: الدموع.

(٤) شرواك: مثلك.

(٥) تَرِبَ الرجل: افتقر.

صوت

[مجزوء الوافر]

غَشِيتُ الدَّارَ بالسَّنَدِ دُوَيْنَ الشِّعْبِ مِنْ أُحُدِ[1]
عَفَتْ بَعْدِي وغَيَّرها تَقَادُمُ سَالِفِ الأَبَدِ

الغناء لحَكَم الوادِيّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشَاميّ.

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضاً، وهو القائل:

[المتقارب]

مضَى الجَهْلُ عنكَ إلى طِيَّتِهْ وآبَكَ حِلْمُكَ مِنْ غَيْبَتِهْ
وأَصْبَحْتَ تَعْجَبُ مما رأيـ ـتَ مِنْ نَقْضِ دَهْرٍ ومن مِرَّتِهْ

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كَرِهْتُ الإطالة بذكرها.

انقضت أخباره.

صوت

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثَرَ ناصراً وأَيْسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نابٍ فاستَمَرَّ بِطَعْنَةٍ كحاشيةِ البُرْدِ اليَمَانِي الْمُنَمْنَمِ

عروضه من الطويل، الشعر للنابغة الجعدي، والغناء للهذليّ في اللحن المختار، وطريقته من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ونذكر هاهنا سائر ما يغنّى به في هذه الأبيات وغيرِها من هذه القصيدة ونَنْسُبه إلى صانعه، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره، فمنها على الولاء سوى لَحْنِ الهُذَليّ:

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثَرَ ناصراً وأَيْسَرَ جُرْماً مِنكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطعنةٍ كحاشية البُرْد اليماني المُسَهَّمِ
أيا دارَ سَلْمَى بالحَرَوْرِيّة اسْلَمِي إلى جانبِ الصَّمَّانِ فالمُتَثَلَّمِ[2]

---

(١) السَّنَد: موضع معروف في البادية وذكره النابغة في شِعره. (معجم البلدان ٣:٢٦٧). والشِّعب: ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة. (معجم البلدان ٣:٣٤٧).

(٢) الحرورية: منسوب في شعر النابغة كما قال ياقوت، أو هو منسوب إلى حروراء وهي رملة وعثة بالدهناء. (معجم البلدان ٢:٢٤٥). والمتثلّم: موضع بأول أرض الصمّان. (معجم البلدان ٥:٥٣).

أقـامَـتْ بـه الْـبَـرْدَيْـنِ ثـم تَـذكَّـرَتْ — منـازلـهـا بـيـن الـدَّخُـولِ فَـجُـرْثُـم[1]
ومَـسْـكَـنَـهـا بـيـن الـغُـروبِ إلـى الـلِّـوَى — إلـى شُـعَـبٍ تَـرْعَـى بـهِـنّ فَـعَـيْـهَـمِ[2]
لـيـالـيَ تَـصـطَـادُ الـرِّجَـالَ بِـفَـاحِـمٍ — وأبـيـضَ كـالإغـريـضِ لـمَ يَـتَـثَـلَّـمِ[3]

في البيت الأوّل والثاني لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ آخَرُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس، وفيهما لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، ولِلغَرِيض في الثالث والرابع والأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى، ولإسحاق في الثالث والأوّل ثقيل أوّل بالوسطى، ذكر ذلك أبو العُبَيْس والهِشَاميّ، ولِلغَرِيض في الرابع ثم الأوّل خفيف ثقيلٍ بالوسطى في رواية عمرو بن بانَة، ولمَعْبَدٍ فيهما وفي الخامس والسادس خفيفُ ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكيّ، ولابن سُرَيج في الخامس والسادس ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية عليّ بن يحيى المنجِّم، وذكر غيره أنّه للغَرِيض، ولإبراهيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ، وذكر حَبَشٌ أنه لمعبد، ولابن مُحْرِز في الأوّل والثاني والثالث والرابع هَزَج، ذكر ذلك أبو العُبَيْس، وذكر قُمْرِيّ أنّه لأبي عيسى بن المتوكل لا يشكّ فيه. وللدَّلاَل في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ، وذكر أبو العُبَيْس أنّه للهُذَليّ، ولِعُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر في الرابع خفيفُ رَمَلٍ، ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ماخوريّ، ولمَعْبَد خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فيهما. وقيل: إنّه لحنه الذي ذكرنا متقدّماً، وأنه ليس في هذا الشعر غيره، وذكر حبشٌ أنّ في هذه الأبيات التي أوّلها: «كليبٌ لعمري» خَفيفَ رَمَلٍ بالوسطى، وللهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر، وللدَّلاَل رَمَلٌ؛ فذلك ثمانية عَشَرَ صوتاً. وأخبرني محمد بن إبراهيم قريض أنّ له فيهما (أعني الأوّل والثاني) خفيفاً بالوسطى.

إلى هنا انتهى بحمد الله الجزء الرابع

ويليه الجزء الخامس وأوله أخبار النابغة الجعدي

(١) الدَّخول: اسم وادٍ من أودية العلية بأرض اليمامة. (معجم البلدان ٢:٤٤٥). وجرثم: ماء لبني أسد. (معجم البلدان ٢:١١٩).

(٢) عيهم: جبل بنجد على طريق اليمامة إلى مكة. (معجم البلدان ٤:١٨١).

(٣) الفاحم: الشعر الأسود الفاحم، فحذف الموصوف. وأبيض: وجه أبيض. والإغريض: الطَّلْعُ ويقال: كلُّ أبيضَ طَرِيّ.

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
04442301